تزيين الأسـواق في أخـبار العـشاق

لِلعَلّامة الطبيب الضَّرير
داود الأنطاكي

الجزء الأول

الناشيء

الطبعة الثانية
١٩٨٦

دار ومكتبة الهلال

بيروت - حارة حريك - شارع المقداد
ص.ب: ١٥/٥٠٠٣

الناشيء

تزيين الأسواق
في
أخبار العشاق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هو داود بن عمر البصير الانطاكي نزيل القاهرة ودمشق وعدن وعمان الحكيم الطبيب المشهور رئيس الاطباء في زمانه شيخ العلوم الحكمية واعجوبة الدهر وقد طال في توصيفه أبو المعالي الطالوي في سانحاته ثم قال وقد سألته عن مسقط رأسه ومشتعل نبراسه فقال أن مولدي بانطاكية وولدت بعارض ريح تحكم في الاعصاب يمنع قوائمي من حركة الانتصاب وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار له كرم وخيم وطيب نجار فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطاً للواردن فيه حجرات للفقراء والمجاورين ورتب له رواتب وكنت أحمل كل يوم إلى صحن الرباط حتى حفظت القرآن ولقنت مقدمات تثقيف اللسان إلى أن نزل بساحة الرباط رجل من أفاضل العجم ذو قدر منيف يسمى بمحمد شريف فاستأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه فابتدأ في بعض العلوم الإلهية فكنت اسابقه الده فلما رأى ما رأى مني استخبر ممن هنالك عني فأجبته ولم يكن غير الدمع سائلا ومجيباً فعند ذلك اصطنع لي دهناً مدني به في حر الشمس ولفني بلفافة من فرقي إلى قدمي

حتى كدت أفقد عن الحس وكرر ذلك فمشت الحرارة الغريزية فيّ كجريان الحمى في المفاصل ثم شد وثاقي وفصدني من عضدي وساقي فقمت بقدرة الواحد الأحد بنفسي لا بمعونة أحد ودخلت المنزل على والدي ففرح بي وضمني إلى صدره وسألني فحدثته بالقصة فذهب إلى الاستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه وأجزل عطيته فقبل منه شكره واستعفاه بره ثم قرأت عليه المنطق واتبعته بالرياضي ثم اللغة اليونانية ثم سافر وانقطعت عنـــا أخباره وخلت الديار من أهلها وأقفرت بتنكرها علي لانقلاب أبويّ فكان ذاك داعية المهـاجرة لديار مصر القاهرة فسافرت وهبطت مصر هبوط آدم من الجنة فوجدتها كما قال أبو الطيب ملاعب جنة غير أنها تنبو عن قبول الحكمة فيها طباع الرجـــال نبوّ فتياتهم الحسان عن حيّ شيب القذال ينفر أحدهم عن كلاه السرمد نفرة الظليم رأى الظلام فجود ثم تمثل بقول المتنبي

ما مقامي بدار نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمـــة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

(وكان) إذا سئل عن شيء من الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية أملى على السامع ما يبلغ الكراسة والكراستين وقد سأله رجل عن حقيقة النفس الانسانية فأملى عليه رسالة عظيمة في ذلك وله كثير من التآليف الكبيرة والرسائل كالتذكرة وكتاب البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة وله رسالة في الحمام ألفها باسم الاستاذ البكري وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سيناء التي أولها

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تودد وتمنـــع

(وله) منظومة في هذا المعنى تشعر باعتراضه فيهـا على الشيخ الرئيس وأولها

وبجر أنوار اليقين بحسنهـــا فلوصل أو فصل تنوب كما أدعي

وكان كثيراً ما يتمثل بقصيدة الفاضل والفيلسوف الكامل أبي علي الحسين

ابن سطراء البغدادي التي خاطب بها الفلك وتشتمل على مباحث حكمية ومسائل فلسفية وهذا أولها مع أبيات منها

بربك أيها الفلك المـــدار أقصد ذا المسير أم اضطرار
مسيرك قل لنا أي شيء ففي افهامنا منه انبهار
وفيك نرى الفضاء فهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار
وعندك ترفع الأرواح أم هل مع الأجساد يدركها البوار
وموج ذي المجرة أم فرند على لجج الدروع له أوار
وفيك الشمس رافعة شعاعا باجنحة قوادمهـا قصار

إلى آخر ما قال (وله) غاية المرام في تحرير المنظوم من الكلام ونزهة الأذهان في إصلاح الأبدان وزينة الطروس في أحكام العقول والنفوس والفية في الطب ونظم قانونجك وشرح عليه وله تآليف كثيرة لا نطيل بذكرها . ومن أعجب ما يحكى عنه في قوة معرفته بعلامات الامراض ما أخبرني به من أثق به بالقاهرة المعزية قال كان له حجرة بالمدرسة الظاهرية اتخذهـــا لاجتماعه بالناس ومداواة أصحاب الباس فورد عليه في بعض الأيام رجل من الأجناد جاهراً بالسلام فلما سمع سلامه عرف مرامه وقال أذهب فلا شفى الله لك علة ولا برد لك غلة تشرب الخمر وتفعل ذلك الأمر حتى يحدث لك هذا الداء وتأتي الضرير تروم منه الدواء ثم استتابه وشفاه من دائه بعد ما أشفاه وما فهم كنه علته إلا من تحرك شفته وعجائبه في هـــذا الباب لا تحصى وغرائبه لا تستقصى وإذا أردت تفاصيل أحواله ومعتقداته وأقواله فعليك بكاتب خلاصة الأثر المذكورة تجد أوصافه فيها مسطورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اطلع في بروج اعتدال القدود شموس المحاسن والجمال وأهلّ في منازل السعود بدور اللطائف والكمال وزين أغصان القدود برمان النهود ورياض الوجوه بنرجس اللحاظ وورد الخدود وألف بين ما نظم في الثغور وقلائد النحور وجعل تسريح الأبصار لذوي البصائر ولطافة الأفكار من أسباب الأفتتان بتأمل الحسان فنزلهم وان اختلفت أغراضهم منزلة الأغراض لرشق قسيّ الحواجب بسهام الألحاظ (نحمده) على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل في حسن التجمل وتصفية نفس لازمها الاستبصار والتبصر في الفرق بين الجهل والتعقل ونصلي ونسلم على من بعث ينهي النفس عن الهوى والإرشاد إلى طريق العدل والاستوا والأمر باعــلاء العقل على النفس وقهر شهوات الجسم وتقييد مدارك الحس فحث على تهذيب النفس الابيةعنالرذائل الدنيئة سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين باكرم الأخلاق والأوصاف وأجمل اللطافة والعفاف ما نضرت الحدائق ونظرت الحدق وتأنق المفلق وتألق الفلق .

(وبعد) فلما دل تنويع أصل الإيجاد وتفريع عالم السكون والفساد مع قدرة الموجد على جعل ما أوجد من أصل واحد على سأم النفس من ملازمة الشيء الواحد في كل حال واستراحتها في اختلاف الاطوار بالنظر والانتقال وكان أعظم مطلوب منهـا تحصيل العلوم التي هي سبب السعادة الدينية وتشييد المباني الشرعية وجب إسعافهـا بالمفاكهات الانيقة والاخبار

اللطيفة الرشيقة لتنشط من عقال التعب وتستريح فتعود إلى المطلوب منهـــا خفيفة من كل الوصب والنصب وذلك هو العلوم الادبية كالتواريخ والاخبار ولطائف الحكايات والاشعار ولما منّ الله تعالى عليّ بعد تحرير العلوم العقلية وتهذيب النفس بالدائق الحكمية بالهجرة إلى الديار المصرية فمثلت بها بين يدي الاماثل وخدمت من سما فيها من أرباب الفضائل منّ أيضاً سبحانـــه وتعالى كجاري عوائده السنية بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية بيد أني رميت في خلال الاشتغال بما شوّش الفكر وغير البال وهيج أليم البلبال

من هموم وحاجة واغتراب	كدرت مني القوى النفسيه
فهي في كل ساعة في ازدياد	غبت منه عن مدرك الحميه
فأنا وهي في التلازم صرنا	كالهيولي والصورة الجنسيه

لا أجد من يفرج الكرب إذا شكوت اليه ولا من أعوّل إذا ضاق الأمر عليه كان الزمان كما قيل

ففي المساوي يد التساوي	فلا معـــين ولا معـــين

فغيرت ذلك ادراكي الثاقب فقصرت عن بلوغ المآرب فأعملت الحيلة فيما به أريح النفس وأنفي اللبس في الفكر بعد طول التعب ان امتطى غـارب الادب فارست من الاصحاب من هوله كالعناصر فمال اليه ذهني الفاتر فشرعت في جمع شيء في محاسنه المختلفة وضمها بحيث تكون في الجنس وان اختلفت بالنوع مؤتلفة فكان أول ما سطرته وأحكمت قواعده وحررته طبقات ذكرت فيها أخبار الحكماء ولطائف الاطباء ثم لم أزل أجيل النظر في مجاميع مختلفة إلى أن وقع اختياري على اختصار الأشواق المأخوذ من مصارع العشاق المنسوب إلى أبي بكر محمد بن جعفر البغدادي السراج رحمه الله فانه وان كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله وظرائف نكت العشق وأهله ورقيق اللفظ وجزله إذ هو صنيعة وحيد زمانه ورئيس أقرانه وواحد عصره ونادرة دهره مولانا أبي الحسن ابراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعي تغمده الله برضوانه وأسكنه فسيح جنانه إلا أنه كتاب طال في غير طائل وجمع ما لا حـاجة

بهذه الصناعة اليه من المسائل كذكر الاسانيد والتكرار الذي هو شأن الاحاديث النبوية لتوثيق الاحكام الدينية وكالإخلال بمحاسن الاخبار ولطائف الاشعار التي هي بهذا الفن أعلق من الجوى بأهل الهوى وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب وكالاعراض عن ذكر غالب أسباب وقوع بعض العشاق في شرك الحب إلى غير ذلك مما يظهر لمتأمل كتابنا مع أصله إذا طرح الهوى وانتظم في سلك الانصاف وأهله فألفت هذا الكتاب الذي هو في قلادة هذا الفن درة بيضاء وفي جبهـــة جواده غرة غراء أكملت فيه فوائده ورددت شوارده وأضفت ما نبذه ظهريا ولم آت شيافريا فزاد على أصله بامور إثني عشر أحدها وهو الاعظم تبديل مـــا في الباب العاشر الذي سماه بالشارع الجامع لما في المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير بهذا الرسم ضمنته ما حل ممـا تقدمه محل الاصول من الفروع كجعلك الغيرة أصلاً لنحو حكاية ديك الجن وكتم الاسرار لنحو صاحب الجـــارية في عرفة وتأمل الخيـال لنحو من عشق في نومه إلى غير ذلك وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره وهو نمط مـا بسط قبل وثانيها حسن التقسيم في الابواب وثالثها لطف الترتيب وضم الانواع المتماثلة ورابعها حذف الاسانيد والتكرار مع ذكر مـا اختلف باشارات كان وقيل وخامسها ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها وسادسها تميز من جهل شيء من أحواله ممن علم بسائر أقواله وأفعاله وسابعها تفصيل من علق الاحرار من أهل الرق والمسلمين من أهل الشرك وأمثال ذلك من قـــديم ومحدث وثامنها ذكر ما في الاصل من الالفاظ اللغوية مفسراً ذلك بازائـــه مبدلاً ذلك باوضح منه وتاسعها شرح ما في الاشعار من الغريب وعاشرهـــا تعليل الاسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكمية مأخوذاً من الاصول والادلة الفلسفية والقواعد الطبية وحادي عشرها ذكر تعلق هذا الفن بانواع المواليد الثلاثة وكيفية دخوله فيها وثاني عشرها الزيادات في الابواب فربما كانت أنواعاً مستقلة وتكميلاً لما وجد بعضه في الجملة وربما زاد عليه باشياء غير المذكورة في مطاوي معانيه فترعن استحضارها الذهن هنا كل ذلك مما استخرجه فكري القاصر وذهني الفاتر أو ظفرت به في كتب ربما أسمى بعضها فيه هذا كله مع

إني والله لم أخل في يوم من أيام عمله في مشوّش طارىء على ما عندي مما سبقت الاشارة إلى ذكره ولما كمل واتسق وانتظم في أكمل نسق (سميته) بتزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ورتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة والله المسؤول أن ينفع به فيما قصد بترتيبه وأن يوفقنا إلى أصح القول وتهذيبه أنه أكرم من أعطى المراد وسئل فجاد (فالمقدمة) فيما جاء فيه من الاخبار والآثار ويلي ذلك أربعة فصول الأول في الترغيب فيه والثاني في رسمه والثالث في مراتبه والرابع في علاماته

(والباب الاول) في مصارع محبي الله تعالى وفيه فصل ميزنا فيه من قتله التذكر بنحو سماع آية

(والباب الثاني) في عشاق الجواري وهو ستة أقسام الاول فيمن اشتهر الثاني فيمن جهل الثالث في عشاق الاماء الرابع فيمن حظي بالتلاق بعد تجرع كأس من الفراق الخامس فيمن وسموا بالفساق من العشاق السادس فيمن نكث الصحبة وحل عقد المحبة وفي كل قسم أصناف وأنواع بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام

(والباب الثالث) في عشاق الغلمان وهو أربعة أقسام الاول فيمن استلب الهوى نفسه الثاني فيمن جهل حاله الثالث فيمن ظفر بمطلوبه الرابع فيمن منعه الزهد والعبادة أن يقضي مراده والحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدوا للسلوّ عن الهوى

(والباب الرابع) في ذكر دخول العشق فيما سوى البشر وهو نوعان الاول في الجن والثاني في الحيوان والنبات والمعدن والعناصر والأفلاك

(والباب الخامس) قد اشتمل على فصول كل فصل منها قد احتوى على النكت والعجائب واللطائف والغرائب من أصول هذه الصناعة وقد ألزمت نفسي أن أفتتح كل فصل منه بكلام استاذ الحقيقة ورئيس أهل الطريقة مسكت كل لافظ ومبين ما في الطريق من القواطع والعوارض سيدي عمر بن الفارض عمرنا الله تعالى ببركاته وطيبنا بنفحاته متبعاً ذلك بما تيسر من حل

ألفاظه حسب ما سنح في الذهن ثم أقول بعد انتهاء متعلق الطريقة رجع إلى كلام المترسمين من أهل الظاهر واختم الفصل بما سمعت به القريحة الفاترة والفكرة القاصرة من لطائف النظم المناسب لما ذكر عن أهل الصناعة هنالك واتبعت الفصول بتتمة في لطائف الغزل الخاص والعام وتقسيم ذلك .

(وأما الخاتمة) ففي لطائف ونكت متفرقة لا التزم تعلقها بالعشق وبها يتم الكتاب

(المقدمة فيما جاء في الكتاب من الاحاديث والآثار وفي حده ومراتبه)

(أعلم) أن واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر لقربه من الكمال الذاتي فالعود اليه وطلب القرب منه واجب على كل ذي نفس قدسية ومن ثم تطابقت الادوار شاهدة بذلك ويدل له عموم فقال له أقبل الحديث وعنه النفس الكلية ثم قسما الأجسام الفلكية والعنصرية كما هو في محله إلى أن كان أشرف النفوس وأرفعها على الاطلاق النفس الانسانية ولشبه الشيء باصوله كما هو واضح مقرر في محله بالبراهين انقسمت هذهالنفس باعتبار أصولها إلى ثلاثة أقسام أحدها النفوس المعدنية وهي الجامدة التي لا تعقل ما يراد منها ولا نعرف إلا ما تقوم به بنيتها ويصدر عنها وذلك أما بالخاصية أو بامر أودعه صانعها فيها لمصالح يعلمها ويشهد لذلك ما يشاهد من صور في الجبال والطين ونحوهما وثانيها النباتية وهي أرفع من الأولى باعتبار الذبول والتحلل الظاهر وثالثها الحيوانية وتفصل السابقة بالحركة الارادية والحساسية ونحوهما من العوارض ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابه من النوع كانقسامه في نفسه وذلك كانقسام الأولى إلى ما يكون صافي الجوهر جيده كالياقوت والذهب والثانية إلى ما هو كثير النفع طيب الطعم والرائحة كالعنبر والعود والثالثة إلى ما هو صالح للنفع والزينة كالخيل وإلى شجاع كالأسد وخبيث كالنمر وحافظ للعهد كالكلب وقوّام على حفظ ما يستحفظ

كالقرد ونظائر ذلك ولما كانت النفس الانسانية زبدة الكائنات وخاتمة طرفي سلسلة العلل والمعلولات لا جرم كانت مقتدرة على أن تتبع شهوات الجسم وعوارض الكثيف فتكون حيوانية بحتة أو تعمل في خلاص النفس من ظلمة الطبيعة وقفص الجسم فتحلق بعالمها الاصلي وهي النفس الملكية المقرة بالمبدأ والمعاد المخلصة من محض الكثافة المنتظمة في سالك محض اللطافة أو تجمع بين الأمرين وتؤلف بين الطريقين وهـذه هي الانسان المطلق والاولى الحيواني والثانية الملكي فقد بان لك أن الإنسان منقسم كاصله ومميز بفعله ثم لا شبهة في انقسام كل كالمنتسب اليه ويكون كاله منزلاً عليه فالحكيم محتاج في اصلاح الاولى إلى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور أو بالضرب والاهانة كالدب والحمار وباطعام الطعام كالخيل والكلاب أو بالارسال والجذب والتحفظ من غدرها كالأسود والجمال والثانية وان تفاوتت مراتبها غنية عن الاصلاح إلا من قبل مبدعها والثالثة هي المحتاجة إلى العلاج وملاطفة المزاج والعشق الحقيقي لها غالباً لأنه تابع للامزجة ولأن عشق الملكي والحيواني بسيط إذ الأول يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبـدع الفيض والجود والثاني لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة إذا تقرر هذا فاعلم أن العشق بعد أن سمعت ما سمعت يختلف باختلاف المزاج على انحاء أربعة سريع التعلق والزوال كما في الصفراويين وعكسه كما في السوداويين وسريع التعلق بطيء الزوال كما في الدمويين وعكسه كما في البلغميين ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان وأما المعتدل فيكون العشق فيـه كذلك فعلى هذا يكون قولهم لكل أحد صبوة الأمن جفت خلقته أو نقصت بنيته أو خرجت عن الاعتدال امزجته محمولاً على الاعتـدال النسبي الذي إذا حصل لشخص كان به على ما ينبغي أن يكون عليه لا الحقيقي لعزة وجوده ولزوم ندور العشق حينئذ والواقع خلافه ثم هو متى وقع على مـا وصفناه أمكن حصول المزايا المذكورة فيه فقد قال الاستاذان أقـل مزاياه تعليم الكرم والشجاعة والنظافة وحسن الاخلاق وذلك ان غـاية مراد العاشق رضا معشوقه ورضا المعشوق يكون بانصاف العاشق بما يوجب المدح ويحسن المرتبة

في القلب فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه واللازم واقع فكذا الملزوم وبيان الملازمة ظاهر وايضاحه أن العاشق وان بخل جدا فلا يمكن بخله على المعشوق ومنه يتطرق الحال إلى من يعلم أنه متى بخل عليه أوصل الأمر إلى معشوقه وهكذا فيؤدي الحال إلى مطلق الكرم وكذا باقي السجايا المذكورة ولذلك جاء الناموس الشرعي بمطابقة القانون الحكمي كما هو شأن الشارع في غير هذا أيضاً ليكون التطابق بين الحكمة والشرع في كل شيء ولا عبرة بكلام بعض الأغبيـاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ من عشق فعف فمات دخل الجنة زاد الخطيب عنه فظفر ثم أبدل قوله دخل الجنة بقوله مات شهيداً وفي أخرى وكتم والحديث بسائر مـا ذكر صححه مغلطاي وأعله البيهقي والجرجاني والحاكم في التاريخ بضعف سويد وتفرده بـه ورواه ابن الجوزي مرفوعاً وأبو محمد بن الحسين موقوفاً وأخرج الخطيب عن عائشة رفعه ايضاً وحاصل الأمر ما صحته أو حسنه والجواب عن تفرد سويد المنع بوروده عن غـيره وحكايته تحديثاً وكونه قبل عماه فـلا تدليس وإذ قـد ثبت فهو شاهد بما قلناه لأن غـاية الغايات دخول الجنة وهو مستلزم لرضا الله الذي لا مطلب أعلى منه وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالي العفة وهي مذهب الحكماء بل أساس الحكمة وهي كما صرح به المعلم ثمرة الأصل الطاهر لأن أعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل ومنها الكتم وهي ثمرة المروأة والشهامة وكلاهما مستلزم علو النفس وصحـة المزاج فقد اتضح ما قلناه . وعن عقبـة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ ان الله ليعجب من شاب لا صبوة له ووجهه الاعجاب القدرة على حكم زمام النفس وزجرها مع تركيب الشهية وتوفر الدواعي وما تكلفه في الأصل من أن المواد بالإعجاب أثره واضح لا يحتاج اليه لأنه وما شاكله من الرحمة التي هي رقة القلب لا تكون إلا لذي المزاج ولمـا علم بالضرورة تنزهه عن الأجسام والأعراض علم برؤه من لوازمها فما وقع مما يوهم شيئاً فالمراد لازمه ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الأكابر جاء تضمينه في أشعارهم كثيراً فمن ألطف ما قيل في ذلك قول ابن الصائغ

سأكتم ما ألقاه يا نور ناظري من الأجر كيلا يذهب الأجر باطلا
فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد ومن كان براً بالعبـــاد وواصلا
بأن الذي في الحب يكتم وجده يموت شهيداً في الفراديس نازلا
رواه سويد عن علي بن مسهر فما فيه من شك لمن كان عاقلا
وماذا كثيراً للذي مات مغرماً سقيماً عليلا بالهـــوى متشاغلا

(وألطف من ذلك) ما حكاه التـاج السبكي في الطبقات الكبرى عن أبي نواس قال مضيت الى باب أزهر والمحدثون ينتظرون خروجه فما كان إلا ان خرج وجعل يعظهم واحداً بعد واحد حتى التفت إلي فقال ما حاجتك فقلت

ولقـــد كنتم رويتم عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب ان سعد بن عباده
قال من مـــات محباً فـله أجر شهـــاده

فقال أزهر نعم وذكر الحديث ولأبي نواس أيضاً

حدثنا الخفـــاف عن وائل وخالد الحـــذاء عن جابر
ومسعر عن بعض أصحابه يرفعـــه الشيخ الى عامر
وابن جريج عن سعيد وعن قتادة المـــاضي وعن غابر
قالوا جميعاً أيمـــا طفلة علقهـــا ذو خلق طاهر
فواصلته ثم دامت لـــه على وصال الحـافظ الذاكر
كانت لهـا الجنة مبذولة تمرح في مرتعهـــا الزاهر
وأي معشوق جفـا عاشقـاً بعد وصـــال ناعم ناضر
ففي عذاب الله مثوى له بعـداً له من ظالم غـادر

وفي رستاق الاتفاق في ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الامام

حدثنا سفيان عن جـــابر عن خالد عن سهل الساعدي

يرفعه من مات عشقاً فقد استوجب الأجر من الماجد

(وأما) الآثار فكثيرة لا تكاد تحصى ولكن نورد ألطفها كما هو شأننا فمن ذلك ما روى عن المهدي قال أشتهي أن أصلي على جنازة عاشق مات في الحب وكان شريح يكثر الجلوس في الطرقات ويقول لعلي أرى صورة حسنة وكان ابن الليث قاضي مصر يكتب في فتيا فسمع جارية تقول

ترى في الحكومة يا سيدي على من تعشق أن يقتلا

فرمى القلم من يده وهو يقول لا وعن ابن عباس الهوى إله معبود فقيل له أتقول ذلك فقال نعم أليس الله تعالى يقول أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال العباس بن الأحنف

ويح المحبين ما أشقى جدودهم ان كان مثل الذي بي بالمحبينا
يشقون في هذه الدنيا بعشقهم لا يدركون بها دنيا ولا دينا
يرق قلبي لأهل العشق انهم إذا رأوني وما ألقى يرقونا

وله أيضاً

أيها النادب قوماً هلكوا صارت الأرض عليهم طبقا
أندب العشاق لا غيرهم إنما الهالك من قد عشقا

وأخرج ابن الحسين الجاذري عن معن بن عيسى قال دخل ابن سحنون على مالك فقال يا إمام اجعلني في حل من أبيات قلتها فيك فقال وقد ظن انه هجاه أنت في حل من ذلك فأنشد الأبيات بين يديه وهي

سلوا مالك المفتي عن اللهو والغنا وحب الحسان المعجبات الفوارك
ينبئكم إني مصاب وإنما أسلي هموم النفس عني بذلك
فهل في محب يكتم الحب والهوى أثام وهل في ضمة المتهالك

فضحك وقال لا ان شاء الله وأظرف من ذلك ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن الربيع بن سليمان قال دخل شاب على الشافعي برقعة فوقع فيها بعدما نظر وناوله إياها فتبعته على انها فتيا أكتبها فاذا هي

سل العالم المكي هل في تزاوره   وضم لمشتاق الفؤاد جناح

فكتب تحته

أقول معاذ الله أن يذهب التقي   تلاصق أكباد بهن جراح

فانكرت كتابته مثل هذا الشاب وذكرته له فقال انه هاشمي وقد دخل بعرسه في هذا الشهر يعني رمضان فسأل عن الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم فقلت له لا قال الربيع فعاودته فاذا الأمر كذلك فعجبت من فراسته وحكى في الأصل عن ابن حجر قال أخرج أبو نعيم أيضاً عن ابن سيرين انهم كانوا يعشقون بلا ريبة وفي الطبقات الكبرى لابن السبكي وحكاه في الأصل متردداً قال كتب جلال الدولة الى أبي الطيب الطبري سؤالاً صورته

يا أيها العالم ماذا ترى   في عاشق ذاب من الوجد

من حب ظبي أهيف أغيد   سهل المحيا حسن القد

فهل ترى تقبيله جائزاً   في النحر والعينين والخد

من غير ما فحش ولا ريبة   بل بعناق جائز الحد

ان أنت لم تفت فاني إذاً   أصيح من وجدي واستعدي

فأجابه

يا أيها السائل إني أرى   تقبيلك العين مع الخد

يفضي الى ما بعده فاجتنب   قبلته بالجد والجهد

فان من يرتع في روضة   لا بد أن يجني من الورد

وان من تحسبه ناسكاً   لا بد أن يغلب بالوجد

فاستشعر العفة واعص الهوى   يسلم لك الدين معَ الود

تغنيك عنه كاعب ناهد   تضمها بالملك والعقد

تملك منها كلما تشتهي   من غير ما فحش ولا رد

هذا جوابي لقتيل الهوى   فلا تكن بالحق تستعدي

وأخرج الخطيب البغدادي عن الغزي قال رأيت عـاشقين اجتمعا فتحدثا من اول الليل إلى الغداة ثم قاما إلى الصلاة وفي معناه أنشد العلامـــة محمود لنفسه وهو من لزوم ما لا يلزم

لله وقفة عـــاشقين تـــلاقيا   من بعد طول نوى وبعد مزار
يتعاطيان من الغرام مـــدامة   زادتها بعـــدا من الأوزار
صدقا الغرام فلم يمل طرف إلى   فحش ولا كف لحل ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما   لم يخش مطعن عائب أوزاري

ومنه ما حكى عن بعضهم قال حكت لي أمرأة عن شخص هويها وهويته أنه قال لها يوماً ها لك أن نحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله أن أفعل ذلك وأنا أقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين وقيـــل لاعرابي ليلة تزويج محبوبته ايسرك أن تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب في لثمها وأعصى الشيطان في اثمها

وعن الأصمعي قيل لإعرابي ما تصنع ان ظفرت بمحبوبتك قال امتع عيني من وجهها وسمعي من حديثها واستر منها ما يحرم كشفه إلا عند حله وانشد ابن القاسم في المعنى وان كان فيه بعد لانك تعتبر الحياء من الايمـــان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني   منه الحياء وقـد أودى بمعقولي
يأبى الحياء وشيبي أن ألم بـــه   وخشية اللوم من قال ومن قيل

وأصرح منه في المقصود ما أنشده ابراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني   منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بـــن أهوى فيقنعني   منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الحسان وأهوى أن اجالسهم   وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية   لا خـير في لذة من بعدها سقر

وأخرج صاحب الأصل عن سعيد بن عقبة الهمذاني قال لإعرابي حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم إذا عشقوا ماتوا فقال عذري ورب الكعبة ثم سأله علة ذلك فقال لأن في نسائنا صباحة وفي فتياتنا عفة وأخرجه في الخليفيات أيضاً وفي معناه أنشد حرب

ما ان دعاني الهوى لفاحشة ألا عصاني الحياء والكرم
فلا إلى محرم مددت يدي ولا مشت بي لزلة قدم

هذا ما جاء في الآثار من العشق مع العفة وأما ما يدل على كثرة وقوعه واختصاص قوم بمزيد منه فكثير فمن ذلك ما أخرجه التنوخي عن عروة بن الزبير قال قلت لعذرى انكم أرق الناس قلوباً يريد أصباهم إلى الحب فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل ما بهم داء إلا الحب وقيل لشخص منهم مثله فقال كقوله وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بجنونها وفي منازل الأحباب للشهاب محمود ليس حي أصدق في الحب من بني عذرة ولا نضرب الأمثال فيه إلا بهم وقال[٣] قلت يوماً أتعدون موتكم في الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن العقدة وضيق الرئة فقال أما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الإسلام وراء ظهوركم (وعن) أبي عمرو بن العلاء قال استنطقت إعرابياً عند الكعبة واستنسبته لماذا هو فصيح عذري فسألته هل علقه الحب فأنبأ عن شدة ولوع فسألته ما قال في ذلك فأنشد

تتبعن مرمى الوحش حتى رميتنا من النبل لا بالطائشات الخاطف
ضعائف يقتلن الرجال بلا دم فيا عجبا للقاتلات الضعائف
وللعين ملهى في البلاد ولم يقد هوى النفس شيء كاقتياد الظرائف

(٣) في نسخة وقال فزاري .

وقال بعض حكماء الهند ما علق العشق بأحد عندنا الا وعزينا أهله فيه . وحكى الحافظ مغلطاي أن العشق يختلف باختلاف أصحابه فان الغرام أشد ما يكون مع الفراغ وتكرار التردد إلى المعشوق والعجز عن الوصول اليه فعلى هذا يكون أخف الناس عشقاً الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذللون المحبوب لما في ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا ولقد كان قبل ذاك مليكا
تركته جآذر القصر صبا مستهاماً على الصعيد تريكا
يجعل الخد واضعاً تحت ترب للذي يجعل الحرير أريكا
هكذا يحسن التذلل بالحرّ إذا كان في الهوى مملوكا

وقول الرشيد أيضاً

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطاني

وقال ابن الاحمر سلطان الاندلس

أيا ربة الخدر التي أذهبت نسكي على كل حال أنت لا بد لي منك
فأما بذل وهو أليق بالهوى وأما بعز وهو أليق بالملك

وقال ابن طاهر صاحب خراسان

فاني وان حنت اليك ضمائري فما قدر حبي أن يذل له قدري

ودونهم أفرغ لقلة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به ثم أعلم أن العشق متى استولى لم يبق صفة سواه ولذلك يذهب الأخلاق العسرة وقوة النفس وفي معنى ذلك أنشد بعضهم حيث قال في رسالة أرسلها إلى محبوبته

شكوت فقالت كل هــذا تبرم بحبي أراح الله قلبك من حبــي

فلما كتمت الحب قالت لشد ما صبرت وما هذا بفعل شجى القلب

وأدنو فتقصيني فأبعــد طالبا رضاها فتعد التباعد من ذنبي

فشكواي يؤذيها وصبري يسوءها وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

ومنهم من تحمله الأنفة على أن يفارق بعد إظهار شدة شوق وقوة ميل وكذا شدة الإقبــال من المحبوب فيتوهم حيث تشيع نفسه أن الشوق لا يعاوده فيفارق ويعود ذلك عليه بتلف نفسه والحق أن ذلك كله مع عــدم التمكن وهو الموسوم بالاشراك والا فالصادق منــــه لا يرى وجوداً لسوى المحبوب ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثالاً لمحبوبــــه أو يظن وجوده ودونوا ما صدر عمن بدأ بالسلوان ثم ندم فمن ألطف ما قيل في ذلك قول الهذلي

ويمنعني من بعض إظهار ظلمهــا إذا ظلمت يوماً وان كان لي عذر

مخافة أني قد علمت إذا بــدا لي الهجر منها ما على هجرها صبر

وإني لا أدري إذا النفس أشرفت على هجرها ما يبلغن بي الهجر

وقال ابن الجهم

نوب الزمان كثيرة وأشدها شمــل تحكم فيه يوم فراق

يا قلب لم عرضت نفســك للهوى أو ما رأيت مصارع العشاق

فصل في الترغيب في العشق والحث عليه

قيل ان بهرام جور لم يرزق سوى ولد فأخذ في ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة إلى أن اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على أن لا نافع له غير العشق فسلط عليه الجواري يعبثن به الى ان علق بواحدة منهن فأمرها الملك بالتجني عليه وانها لا تطلب الا رفيع الهمة ذا رغبة في العلم والملك فكان بسبب ذلك من أجل ملوك الفرس وأعلمها وفي المعنى قال ابن الاحنف

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى   ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال بعضهم

وما سرني إني خليّ من الهوى   ولو أن لي ما بين شرق إلى غرب

وقال ابن أبي كثير لابن أبي الزرقاء هل عشقت حتى تكاتب وتراسل فقال لا قال لن تفلح والله أبداً وأنشد الشعبي

إذا أنت لم تعشق ولم تدري ما الهوى   فأنت وعير في الفلاة سواء

وعجزه غيره فقال

فكن حجراً من يابس الصخر جلدا

وأنشد ابن معاذ

ولا خير في الدنيا اذا أنت لم تزر   خليلاً ولم ينظر اليك حبيب

وقالت امرأة فيه أيضاً

رأيت الهوي حلواً اذا اجتمع الشمل   ومرا على الهجران لا بل هو القتل

ومن لم يذق للهجر طعماً فانه   اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل

وقد ذقت طعميه على القرب والنوي   فأبعده قتل وأقربه خبل

(فصل في رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم في ذلك)

قال بعضهم العشق مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جـدّ وجدّه هزل وهذا في الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة واشارات إلى اختـلاف الحالات الكائنة عنه فان الجهل يعتري العشاق عند تزايد الحب فيوجب الحيرة في الأمر وعكسه عند انفصاله عن المخيلة والهزل مباديه والجد تمكنه ونحوه ما أجاب ابن اكتم به وقد سأله المأمون ما العشق فقال سوانح للمرء تؤثرها النفس ويهيم بها القلب فقال له ثمامة إنما شأنك أن تفتي في مسئلة طـلاق أو محرّم فقال المأمون قل يا ثمامة فقال العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جـــائرة ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقياد ملكها وقوى تصرفها توارى على الأبصار مدخله وغمض في القلوب ملكه فقال له المأمون أحسنت يا ثمامـــة وأمر له بألف دينار

وفي رواية أنه قال له إذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به بواصر العقل ويتصور من ذلك اللوامح نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى عشقاً أقول وهذا تعريف له بحقائقــه ومواده الذاتية والأول تعريف بالعوارض والغايات وهذا بالحكمة أليق وإيضاحه نور البصر يوصل مـــا يدركه إلى المشترك وهو إلى الواهمة حتى يرتسم في القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة فقوله بوصل المشاكلة يريدان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن ودقائق لطيف الشمائل يوجب ارتسام أنوار في النفس تشبه الجواهر المجردة تزدوج بالنفس لاتحاد بينهما في اللطف والصفـــاء وهذا دليل على أن العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع ووصفـه بعض البلغاء بانه فضيلة تنتج الحيلة وتشجع الجبان وتسخي كف البخيـل وتصفي ذهن الغبي وتطلق بالشعر لسان الأعجم وتبعث حزم العــاجز الضعيف وهو

عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة الشجاع وهو داعية للادب وأول باب تفتق به الأذهان والفطن ويستخرج به دقائق المكايد والحيل واليه تستريح الهمم وتسكن به فواتر الأخلاق والشيم يمتع جليسه ويؤنس أليفه وله سرور يجول في النفوس وفرح يسكن في القلوب وقال سعيد بن سالم وقد قيل له أن ابنك شرع في الرقيق من الشعر فقال دعوه ينظف ويلطف ويظرف يعني أنه يطلع من رقيق الشعر على أسرار البلغاء وليس أرق من الغزل ولا أدق لما فيه من تعلق العشق ومدح المحبوب وذلك يؤدي إلى ما ذكر فإن العاشق إذا علم ما يقربه إلى محبوبه بذل فيه إمكانه والظرافة واللطافة والنظافة أعظم مقرب فكأنه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم يصلح سوق هذا هنا لأنه على ظاهره ترغيب في مطلق الشعر فليتأمل ونقل ابن خلكان في ترجمة العلاف ما ملخصه أن العشق جرعة من حياض الموت وبقعة من رياض الثكل لكنه لا يكون إلا عن أريحية في الطبع ولطافة في الشمائل وجود لا يتفق معه منع وميل لا ينفع فيه عذل وفي معنى شدة العشق أنشد المؤمل

شق المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر
يكفي المحبين في الدنيا عذابهم والله لا عذبتهم بعدها سقر

وعرفه أرسطو بأنه جهل عارض صادف قلباً فارغاً دق عن الافهام مسلكه وخفي عن الأبصار موضعه وحارت العقول في كيفية تمكنه غير ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ثم يتفشى على سائر الأعضاء فيبدي الرعدة في الأطراف والصفرة في الأبدان واللجلجة في الكلام والضعف في الرأي والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه إلى الجنون زادت إعرابية يذهب العقل وينحل الجسم ويهمل الدمع بحدوده مرور الأيام ولا تفسده بل لا تغيره إساءة المحبوب على الدوام ومن ثم قال الأصمعي وقد سأله الرشيد ما حقيقة العشق فقال أنه شيء يستغرق القلب في محاسن المحبوب ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب أعظم من المسك والعنبر وتعاقب أمرأتان من أهل المدينة في الهوى فقالت إحداهما تعذل الأخرى ذكروا في الحكمة لا تلم من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك غرضاً للتهمة ومن لم يكن عوناً على نفسه من

خصمه لم يكن عنده شيء من عقدة الرأي ومن قدم على الهوى وهو يعلم ما فيه من المتعبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم فقالت المعدولة ليس الهوى إلى الرأي فيملكه ولا إلى العقل فيدركه أما سمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ ي ولا بالقياس والتفكير
إنما الأمر في الهوى خطرات محدثات الأمور بعد الأمور

وقيل هي لعلية بنت المهدي حكاه الصولي ووجد على صخرة العشق ملك غشوم مسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الألباب وخضعت له النفوس فالعقل أسيره والنظر رسوله واللحظ حامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيمان نائبه بحر مستقره غامض ويم تياره طافح وفائض وهو دقيق المسلك عسير المخرج وضرب بعض الحكماء مثلاً للشهوة والعشق فقال هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله وربما قتل بسمه وذلك لأن الإنسان أما ذو عقل ملكي يتعقل الأشياء فينزجر أو نفس شهوانية ترى اللذات فتنهمك ومن ثم إذا وقع عن صدق جعل المتحابين كنفس واحدة

حكي الغنوي قال دعيت إلى عيادة مريض أحبه آخر فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه فكان إذا شكا المريض شيئاً شكا الآخر مثله فقدر أن قضى ونحن عنده فحال مفارقة نفسه فارق الصحيح نفسه ومثله ما حكاه في ذيل الأمالي عن التميمي أن أخوين من أمرأة يقال لهما فضل وفضيل قضى أحدهما فلما دفن طأطأ الآخر ينظره فلما سوي عليه اللبن أنشد

سأبكيك لا مستقصياً فيض عبرة ولا مبتغ بالصبر عاقبة الصبر

ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد

(فصل في بيان مراتبه وما ورد في كيفية ترقيه حتى يستولي على الحواس النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل والحن ويسهل الوقوع في المهالك ويغري على سلوك أوعر المسالك[1])

أعلم أنه ألطف موجود نشأ في الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك فتعلقه لابد وأن يشاكله لاحتياج كل اثنين تألفا إلى نسبة تأليفية ولا شبهة أن الروح ألطف ما في البدن فلذلك كان العشق أول ما يتشبث بها فهذا دليل على أنه يقابل الأمراض كلها ومن ثم قال المعلم العشق نصف الامراض وشطر الأعراض وقسيم الأسقام وجل الآلام وهذا واضح لأن الروح ولا شك أن سريان اللطيف في اللطيف أسرع ملاكاً وأعظم استملاكاً ويليه اللطيف في الكثيف كالحمى في البدن ثم الكثيف في الكثيف كالفالج فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل أقول أن العشق غالب الأمراض وليست بالنسبة اليه إلا كالعشر إلى الكل والقطرة إلى البحر وبرهانه أن الأمراض غالباً تخص البدن وإنما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير والأفهى في نفسها صحيحة وأما العشق فعاقبته إفساد البدن وتعطيل الفكر وإلحاق العقلاء بأهل الجنون ثم مرتبته الثانية تتولد عن تكرار نظر أو سماع خطاب يتعقل له في الذهن معنى يكون لحديد القلوب مغناطيساً جاذباً ولأنظارها السفسطية برهاناً غالباً ويسمى حينئذ العشق الحسي وقال فيثاغورس لا يسمى حسياً إلا إذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندي ليس بشرط وإن اشترط ففي حق البلداء من الناس ومن

---

(١) فهيج أشجان الفؤاد وما يدري .

في حواسهم الباطنة ضعف وإلا فاحد الحاستين الاصليتين كاف في إيصاله إلى الحس المشترك ثم مرتبته الثالثة الخيالية وهي عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل إلا صورة المعشوق وإن شارك الناس في الأمور الظاهرة .

كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الأفعال والاحتياج إلى محرك باعث ثم مرتبته الرابعة مرتبة الحفظ وهي الاستيلاء على الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كال والنظر إلى كل جمال وهذا هو العشق الذي يرى صاحبه الميل إلى سوى المحبوب إشراكاً والفكر في غيره ضياعاً وأشغال الزمان بما سواه فساداً وخروجاً واليه أشار الفارضي بقوله

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً قضيت بردتي

فتعبيره بالسهو إشارة إلى تقصي المراتب واستيفاء الشروط وكأنه يقول من المعلوم أن السهر لا يحدث إلا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبي وارداً سواك فكيف أسهو ومن ثم أشار بعد ذلك إلى طرح المراد وإماطة العلائق واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الأثنينية بقوله

وكل الذي ترضاه والموت دونه به أنا راض والصبابة أرضت

بعد أن كان قبل الوصول إلى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مراداً حيث قال

وعيدك لي وعد وإنجازه مني ولىّ بغير البعد أن يرم يثبت

ثم الخامسة مرتبة الاستغراق وهي استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة بأسرها وارتسام صورة المحبوب في مرآة العاقلة وحدها مع محو ما سواها وإلى ذلك أشار العارف المذكور بقوله

ولا غرو إن صلى الأنام إلى أن ثوت بفؤادي فهي قبلة قبلتي

وقوله

ووجدي بها ما حيّ والفقد مثبتي

يعني إن وجدي الصحيح بالمحبوبة محاني أي صورتي التي كانت مع العالم الدنيوي فكأن فقدي لها هو الذي أثبتني وهذه المرتبة على الأصح من كلام كثير هي أول المراتب التي يقع ببلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذي ذكرته الأطباء كالنظر في الحساب والمحاورات وتذكر مساوىء المحبوب والنظر إلى أمثاله وما يقاربه إلى غير ذلك مما هو مقرر في مواضعه السادسة مرتبة الانقلاب وهي مرتبة ينقلب فيها أدراك العاشق في سائر آلاته فيصير إذا لمس الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الإيذاء أو رأى شيئاً كالجيفة أو شم رائحتها فضلاً عن أضداد ذلك يعتقده المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب واليه أشار بقوله

فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانيا ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

وهذه المرتبة مع العناية والاخلاص تنقلب قدسية إذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمية وإلا ألحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الأطباء بالمانيا والسرسام والسهر السباتي والماليخوليا

والسابعة مرتبة العدم الكلي والمفارقة الابدية وهي التي إذا بلغتها النفس لم تستقر في البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر أو سماع ذكر أو تنفس صعداء أوامر من المحبوب وحاصلها أن يصير الموت أعظم أمنية للنفس كما أشار اليه بقوله

فموتي بها وجدا حياة هنيئة وإن لم أمت بالحب عشت بغصتي
وقد صرت أرجو ما يخاف فاسعدي به روح ميت للحياة استعدت

إلى غير ذلك مما لو منح الله تعالى شخصاً مددا يستغرق المدد وحياة تستفرغ الأبد وفراغا يذر الشواغل سدى ونفحات قدسية تصقل مرآة عقله لقبوله الفيض أبدا وأفرغ ذلك كله في تحرير ما أودعه عارف الزمان وسلطان الآفاق وفرد دائرة الاكوان وجامع فضائل العشاق سيدي عمر بن الفارض أعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب

العشق وأدواره وتنقلاته وأطواره لغني الزمـــان ولم يدرك معشاره وبادت الأكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق هـذا المختصر لأوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته في أقل أبياته وكلماته ما يدعك في حيرة الفكر وبحـــار التعجب غارقاً ويسكتك وإن كنت مصقاعاً ناطقاً ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت لتمنى كل عند حصول ذلك أما ما نقل عنه في بيان مراتبه خصوصاً ما ذكره هنا فليس بالجيد إذ البعض دال على الأسماء والبعض على الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا أحد فاحفظ مقادير ما ظفرت به وها أنا أبين لك عدم انطباق ما ذكروه على المطلوب قال ابن صاعد في طبقات الأمم عن فيثاغورس صاحب سليمان نبي الله عليه السلام العشق طمع يتولد في القلب يعني عن النظر ثم ينمو ويحدث اللجاج والاحتراق حتى ان الدم يهرب عند ذكر المحبوب وقد يموت من شهقة أو برؤية المحبوب بغتة وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يمت وفي سيرة الاسكندر أن هذا لابقراط زاد التميمي في كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس ان العشق من فعل النفس وذلك كامن في الاعضاء الرئيسية فمتى تمكن أفسدها وهذا كله إشارة إلى المراتب إجمالاً وفي كتاب المتيمين نظر رجل إلى معشوقته فغشى عليه فقال حكيم إنه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر إلى أهلنا فقال محبة الاهل قلبية وهذه روحانية فهي أدق وألطف وأعظم سريانا وفعلاً وقال أفلاطون العشق غريزة تتولد عن الطمع زاد المعلم وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة حيث قال حبك للشيء يعمي ويصم رواه أبو داود وأحمد

وأنشد فيه

فلست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه اذا كنت رائيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا

ورأيت في نسخة ، ولا بعض ما فيه إذا كنت راضياً، وهي اليق بتحسين الكلام لما فيها من المقابلة وفي أخرى ، ولا بعض ما فيه وإن كنت رائيا ،

وهذا أليق بالمقام وألطف وأحسن دلالة على المقصود فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فانه يقول لا أرى له عيباً مع إني صحيح النظر فهذا على حد قوله

فوالله ما أدري وان كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقال السكري وابن أبي طاهر في المنثور والمنظوم وأبو عبيد البكري في كتابه اللآلي في شرح الآمالي أن البيتين لجرير بن الخطفي وقال السمعاني هما لعلي والأول أصح قال الحاتمي وقد سرق ابن عبد الأعلى هذا المعنى حيث قال

وعين السخط تبصر كل عيب وعين أخ الرضى عن ذاك تعمي

وأما الشيخ فقد حده بأنه مرض يشبه الماليخوليا تولده الفكرة من استحسان الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع وقالت إعرابية العشق جل أن يرى وخفي عن الورى فهو كامن في الصدور كالنار في الحجر إن قدح أورى وإن ترك توارى وهذا حد له بحقيقته في النفس ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه والحسن قول بعضهم

وما الحب من حسن ولا من سماحة ولكنه شيء به الروح تكلف

وعلامة ما يكون منه عن شهوة فقط زواله إذا زالت لأنه عرض وأما الكائن عن مشاكلة في النفس وارتسام في الذهن فحد لا يزول ومتى صح ارتسم عند كل من المتحابين ما عند الآخر لصفاء جوهر النفس وخلوها للمحبوب وقد تكون العوارض المذكورة سبباً لانقلابه إلى الحد الأصلي كما ستجده وأما نحو الرسيس والحب وغيرهما فأسماء اقترحتها الشعراء للتغزل والتشبيب لا تنطبق في الحقيقة على ما ذكرنا لكن وربما كان لبعض منها مسيس مناسبة فالرسيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب في النفس وزعموا أنه أول المراتب ولا ينطبق على المعنى اللغوي ويليه الحب وهو في الحقيقة أول الإلفة واشتق من حبة القلب أو من حباب الماء أو من حب البعير إذا برك أو من حبب الأسنان وهو بياضها وحدّت المحبة بالميل الدائم

بالقلب الهائم أو قيام للمحبوب بما يحب وعدم مشاركة شيء معه وفيه أنشد المتنبي

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

وأنشد بعضهم

ومن عجب إني أحسن اليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

وألطف منه قوله

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

والحب أخص من العشق لأنه عن أول نظرة وأقصاه امتزاج الأرواح والرأفة أشد لأنها مبالغة في الرحمة قال الحراني هي أرق الرحمة والرحمة أعم لوقوعها على غير ذي صلة بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الودأ وخالصه فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة وفي معناه المقة والتتيم حالة يملك بها المعشوق العاشق فإذا زاد فهو الوله أعني الخروج عن حد الترتيب وأنشد في المعنى

الحب أوله ميل يهيم به قلب المحب فيلقي الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت أو مزحة أشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فإذا تضرمت أحرقت مستجمع الحطب

وأنشد أيضاً

ثلاثة أحباب فحب علاقة كذا حب تملاق وحب هو القتل

والشجو هو الحزن والطرب ايضاً ضده ويطلق على القهر والغلبة وهو هنا عشق يقترن بالهم كما في ديوان الصبابة والخلة هي تمام المحبة سواء كانت بلا علة وهي الصداقة أو بها وهي فرط العشق الذي لا يخالطه غيره أخذت من الخلو أو التخلي فكان القلب لما تخلى للمحبوب دون غيره اتصف بها والعلاقة

وهي في الصحيح اسم لمبادىء المحبة أخذت من علق بالتحريك أي حب وكسحاب الهوى وبهاء ويجوز أن يراد بها شدة اختلاط القلب بالحب ويقرب منها الغرام وهو أشد لأنه ولع واشتغال بالحب والهوى مطلق الميل والارادة ويطلق على ذهاب العقل في العشق وعلى نفس المحبوبة وأما العشق فأعم منها وقيل أخص وهو إعجاب بالحب أو افراط فيه وأخـــذ من العاشقة وهي شجرة تعلق وتلصق بما يليها وهي اللباب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر والغمرة سكر القلب بتذاكر الحب واشتغاله به والشغف شدتـه مأخوذ من شغاف القلب أي غلافه أو سويدائه وبالمهملة رأس القلب مما يلي نياطه ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم علماً عليه قد بلغ هذا المحل والمراد من القلب هنا أمر معنوي في الانسان والشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام واما الاستكانة فالخضوع اوثق ينزع النفس من البدن إلى لقـاء الحب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية والشوق أرفع وهـــل يزيده الوصل أو ينقصه خـلاف واستدل للأوّل بقول الشاعر

واعظم ما يكون الشوق يومـاً   إذ أدنت الخيـام من الخيـــام

وللثاني بقوله

فالقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينـــاً بالاياب المسافر

والاصح انه ان كان لمجرد شهوة تنقص بقضائها بل ربما عدم والا كان كلفاً لا تـكلفاً وطبعاً لا تطبعاً وميلاً نفسانياً أنشأته المشاكلة فلا يزيده الوصل إلا رسوخاً على انه لا دليل في الثاني على الدعوى لعدم ذكر الشوق في الشعر لأنه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذي هو أعم فيجوز تفسيره بفرد غـير الشوق على أن المحققين اجمعوا على الشوق حال الغيبة يغاير الشوق حال الحضور كما أنشد ابن الرومي في ذلك .

اعانقها والنفس بعد مشوقة   اليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاهاً كي تزول صبابتي   فيشتد ما ألقي من الهيماني
كأن فؤادي ليس يشفي غليله   سوى أن ترى الروحين يمتزجان

وأما الصبوة فلا تطلق حقيقة إلا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق تجوزاً على مطلق الميل للمشابهة والنزوع والاشتياق كالصبابة أو هي رقة وحرارة في الشوق والوجد شدتها والكلف الاستغراق والاشتغال وبالكسر العاشق نفسه والشجن الهم والكرب تحمل النفس كل مشقة متعلقها الحب والكآبة شدة الحزن كالتفجع أو هو توجع وبكاء على الفقد والبرح والغل شدة العشق أو الغل من الغلل يعني العطش والجامع ميل النفس والحنين شوق ممزوج برقة وكلف وتـذكر يهيج الباعثة والبلبـال شدة الشوق والجوى ضيق الصدر وكتم الهوى والأرق والسهد شدة السهر وتواتر أحوال المحبوب على القلب وفي معناه التحرق واللذع والولع وكذا اللوعة واللاعج واما الوصب والنصب فلوعة مع مرض وغم وكذا الكمد والدنف شدته قيل مع صفرة أو الكمـد تغير إلى سواد والدنف إلى صفرة وهو مولد والتبل والخبل الجنون وهذا في الأصح آخر المراتب والجزع عدم الصبر على الفرقـــة والهلع أشده والدله بالمهملة احتراق القلب بنار الحب والخلابة سلب العقل والهيـــام مجرد الحب أو هو السياحة فيه والبله حمق أو غفلة فيكون هنا استغراقاً في الحب فهذه حقيقة اسمائه التي جعلها مراتبه وليست إلا باعتبار صفـة أو أول أو تسمية جزءاً وسبب بكل أو مسبب وعكس ذلـك وإنما المراتب ما قررناه وفي ترتيب هذه الاسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد أوضحنـــا نفس المعاني ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله

(فصل فيما ذكر له من العلامات)

وهي أحوال يتصف بها البـــدن كتغير الألوان والعينــين وتواتر النبض والخفقان وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب أو سماع ذكره حتى انها قد تقضي بالهلاك وكذا اعتقال اللسان وأحوال يتصف بها الفكر كفساد الذهن والتعقل وقد مر ثم هـــذه قد يستدل عليها بالتطوّر والتنقل (قيل) أتى بشاب إلى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألماً فقال وهو قابض على نبضه لغلامـه قد أخذني البرد فأتني بالفرجية فتغير نبض الشاب تحت يـده فقال لأمه ان هذا عاشق امرأة اسمها فرجية فقال وهو كذلك وأنشد

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أشواق الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنمـــا أطار بليلى طائراً كان في صدري

وفي معناه محبة كل ما ينسب إلى المحبوب حتى الجدار وفيه قيل

امر على الديار ديـار ليـــلى اقبل ذا الجدار وذا الجـدارا
وما حب الديـار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن الوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل والاستلذاذ بتقبيل النعل قال ابن أبي حجلة وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى في ذلـك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيته بمكة كيف على ما أعلم فيك فأنشد يقول

ولله مني جانب لا اضيعه وللهو مني والخلاعة جانب

(أقول) وفيه تظرف عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفاً وعدد المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال بالله حيث لم يجعل المقاسم واحـداً خصوصاً واللهو في شعره أعم من أن يكون بالمحبوب وغيره وأما التشبه بالمحبوب في سائر الأفعال والأقوال والميل إلى ما يحبه والاستلذاذ باستعمال ما كان من أثره فأمر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى قيل أن شخصاً وجد في تركته إثنا

عشر حملا وفردة من السراويل لكونه رأى ميل محبوبه اليهـا وآخر ألف هاون لسماع صوت هاون محبوبته وأما اتحاد الأجساد والمرض حيث يمرض فكثير قيل مرض أبو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص فأخبره بمرض عنان جارية الناطفي وانها نشطت فكتب اليها

إني حممت ولم أشعر بحماك حتى يحدث عوادي بشكواك
فقلت ما كانت الحمى لتطرقني من غير ما سبب إلا لحمـاك
وخصلة كنت فيها غير متهم عافاني الله منهـا حين عافاك
حتى قد اتفقت نفسي ونفسك في هذا وذاك وفي هذا وفي ذاك

وفي معناه أنشد

وقف الهوى بي وحيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامـة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوّم

ويقرب من هذا قول الشافعي

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه

إذا تقرر هذا فليكن الأخف منه كالغيرة وبذل النفس وترك مـا سوى المحبوب بالطريق الأولى وكذا نظائرها كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث وملبوس رؤية ما ينسب اليه ويقوله حسناً صحيحاً وإن كان بالخـلاف ولم ينسب نحو هذا إلى المبالغة عند العشاق للاتيان باعظم منه كما سمعت (قـال الزراع) ودع هندي جارية كان يهواها فذرفت إحدى عينيه فغمض الأخرى عن الملاذ عقوبة لها أربعاً وستين سنة حتى مات .

وأما حصول العشق برؤيـة في النوم أو بالأثر او بالسماع أو بالكلام أو الوصف أو اللمس أو باول نظرة أو بالمطاولة والمعاشرة وزيادته بالبعـد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الأمزجة وقد أسلفت في طالعة الكتاب تفصيل ذلك

وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر لي في ذلك أن الناس اما ناظرون بلا حجب أوبها أما من العاشق والمعشوق معاً أو من أحدهما فقط وتختلف الحجب لطفاً وصفاء وعكسها فهـذه أسباب الاختلاف وان كانت لأهل الحقيقة بالذات

الباب الاول

(فيمن استشهد من المحبين شوقاً الى حضرة رب العالمين)

لما كان غاية المحبة أمـا وصولاً إلى المطلوبات الدنيوية أو الأخروية ومبدؤها من الحواس الظاهرة غالباً والباطنة ومطالبها العالية ومقاصدهـا الذاتية أما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية تنتقش في العقل من الخلق أو ميل نفسي إلى المبدع باستيحاش ممن سواه لا جرم قسمت المحبـة قسمين أشرفها متعلقاً الثوابي وهو الحب في الله لأنه لا يفني متعلقه ولا تكيف غايتـه ولا يفضله شيء في الحقيقة إذ مـا سواه وهام وتضمحل وتزول وأعراض تفني وتحول ولا شبهة في أن إدخار ما لا يتطرق اليه تغير ولا فناء أولى في الحكمة عند العقلاء فلذلك صدرت به الأبواب ومدار ما يذكر هنا في الأصل على ذكر من أفنى نفسه في طاعة ربه وأكثر اغترافه من الحلية لأبي نعيم إذا تقرر هذا فحد المحبـة كما قال الحصري وصول إلى مقام الأنس والنعمة باطناً والوحشة والبلاء ظاهراً بشرط الإشراف على الغيوب وفناء الكل في بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة وكان عليه أن يورد التعريف التام العام أولاً ثم يفصل وقال الاستاذ أبو يزيد البسطامي هي استهلاك النفسانية مع بقـاء الروحانية وهذا عندي قريب من الأول غير أن بعض شراح النصوص قال ان فيه تعريفاً بالمادة وأظنه أخذ ذلك من قوله استهلاك وفيه تكلف ونقـل الحدين البحراني في شرح التائية على قول الاستاذ فقالت هوى غيري قصدت وأقرّها وأحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد رضي الله عنه وقـد

سئل ما المحبة فقال هي الصفاء في الباطن مع حقائق الحق والوفاء في الظاهر مع استعمال دقائق الشرع فهذا والله هو الحد التام وان كان إلى الخاص أميل فإن قوله الصفاء في الباطن يريد به الخلوة الحقيقيةالتي هي قفل أبواب الحواس عن ممارسة الخلق ونشر القلب بالاستكانة والخضوع على أعتاب الحق ونفي الكدورات الحسية عن الحواس النفسية لإلحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قبل نفي العوائق وقطع العلائق والخروج من شوائب الخـــلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق

هناك وجدت الكائنات تحالفت على أنها والعون مني معينتي

حيث انتفت معاندات ألأغيار وتحققت ممازجات الأخيار حتى انتقشت المطلوبات الحقية في مرآت الصورة الخلقية وانبسطت أشعة الأحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشية

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

وقوله والوفاء في الظاهر يعني لكل معاهد بعهده وموعود بوعـده وضال برده ومتغفل بتنبيهه وتقوية جده لان العارف المتصف بما ذكر خليفة الله على خلقه ينفذ فيهم أوامره ويقيم شرائعه فان فعل ذلك ظاهراً وباطناً فهو النبي وخلفاؤه ومن فعله على الأول فهم السلاطين أو على الثـــاني فهم الأفراد الاقطاب جوامع الأسرار ومعادن الحقائق والاستبصار علماء أمتى كأنبياء بني إسرائيل وورثة الأنبياء

فعالمنا منهم نبي ومن دعا إلى الحق منا قام بالرسلية

وأما قوله استعمال دقائق الشرع فاشارة إلى معنى لا يدركه إلا الخواص وإن غاص عليه من غاص فان فيه إشارة إلى حفظ الكليات التي عليها مدار النظام واستقصاء الجزئيات التي قصر عنها الكلام واجتهاد النفس في جمع ما تفرقت فيه الآراء وتشعبت اليه الأهواء بيد ان ذلك قباء لم يخط على كل ذي قد وأشكال أقيسة فكر لم يستخلصها كل ذي جدّ اللهم حققنا بحقائق معارفك

وأرفعنا من حضيض زوايا الخمول إلى أوج استقامة لطائفك وأنقل أنفسنا من مراكز عكس الصعود إلى أشرف منازل السعود وأما قول بعضهم وينسب إلى ذي النون المصري المحبة أرق بلا رقاد وجسم بـــلا فؤاد وتهتك في العباد وتشتت عن البلاد فتعريف بصورة الحالة الراهنة من المحبة بعد قطع الطرق فإن الأرق الذي هو السهر من الفكر في الأمور الطارئة على النفس لا يكون إلا بعد تمكن تلك الأمور في الذهن وان الجسم لا يكون بــلا فؤاد إلا إذا فني فهي كناية عن عدم الالتفات إلى ما من شأنه أن يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام وفيه تكلف وخلط لحالة المجانين بأحوال المحبين وباقي الكلام ظاهر وعندي أن المحبة ميــل نفساني إلى المراد يعضده الجزم بالاعتقاد ورؤية ما سوي المطلوب من الفساد وفي الدين ارتــداد واليه أشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليقة بقوله

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً قضيت بردتي

فقولنا ميل كالجنس ونفساني كالفصل وإلى المراد فصل قريب ولذلك أخره وهذا هو فعل المادة والصورة والجزم في الاعتقاد بالفاعلية وغاية ذلك الثبات على الحب حيث ثبت أن ما سواه فساد فقد جمع هذا الحد مطرداً ومنعكساً أحوال المحبة على وجه العموم فمن أراد تخصيصه فبالفصول اللائقة ثم لهذه المحبة أوصاف وشروط منها أن لا يبالي المحب بما يرد من المحبوب وأن يؤثر رضاه على نفسه فيتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور والهجر كالوصل والفناء كالبقاء إذا كان ذلك رضا المحبوب قال العارف

فكل الذي ترضاه والموت دونه به أنا راض والصبابة أرضت

فانظر إلى هـــذا الاستاذ كيف أوضح طرق السلوك للسالك ودل على المطالب والمسالك وأوضح مرقاة الوصول للدارج ونكب عن المعارج إلى أسنى المعارج حيث قال

نعم بالصبا قلبي صبا لأحبتي ، لأن الزمان المذكور محل الميل إلى مرادات النفس وشهواتها ففي البيت مــع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام تحرير

أحوال الغرام بأقصى المرام ثم أكد ما أسس وأبدع مـا جنس وقوّى جزئي الميل حتى صار كلياً بما وشح من بديع نظامه وأنق من لطيف كلامه بقوله

محجبة بـين الأسنة والظبا اليها انثنت ألبابنا إذ تثنت

ممنعة خلع العذار نقابها مسربلة بردين قلبي ومهجتي

فجدوا أيها المقصرون وانتبهوا أيها الغافلون وبادروا أيها المشمرون فان المطلوب خطير والوصول عسير وليس هذا قطعاً عن الطريق وتخذيلاً للهمم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعة الظانين أن الوصول إلى هذا النفس بالظاهر من البلاغة والبراعة كلا بل هو تبيين وتحقيق لئلا يقدم على هذا الأمر إلا من أراد علوّ همته وغلو قيمته ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا يتلبس بالعلم غير أهله ولا يبسق الفرع على غير أصله

فللحب أقوام كرام نفوسهم منزهة عما سوى الحب يا خلي

إلى غير ذلك مما دلت عليه أبياته الفائقة وعبـــاراته الرائقة وألفاظه الشائقة التي هي لصرادق الهمم إلى مقام الوصول سائقة ولولا ما في ذلك من التطويل الذي يستغرق المدد مع المدد ويستنفذ الأبد فضلاً عن طول الأمـد لأوضحت لك ما في كلامه من الأسرار الحقيقية الدالة على ان أبيات القصيدة وضعت كدرج المرقاة في الإبرام والنقض لا يجوز تقدم بعضهـــا على بعض (ومن لطيف ما اتفق لي) إني خلوت بنفسي ليلة وكانت ليلة الجمعة سادس رجب الفرد من شهور إحدى وسبعين وتسعمائة فأخذت أتفكر في كلامه متصفحاً في دقائقه إلى أن قام في فكري معارضة بين ما اتفق له من قوله وعيدك لي وعد البيت . وقوله عذب بما شئت غير البعد وقوله وأصعب شيء دون اعراضكم سهل وبين قوله وكل الذي ترضاه البيت فانـــه في جميع الأبيات أشار إلى أنه راض بكل أفعال المحبوب خلا البعد والهجر ثم أشار في هذا البيت الى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قـــام عندي جواب ان ذلك عام خصص ثم غشيني النوم فرأيت كأني بالمدرسة الأشرفية

وقد زينت بأنواع الزينة وليس فيها غيري وإذا برجل طويل غليظ شديد البياض في يده عكاز أخضر متوشح بثوبين أبيضين وعلى رأسه كالأزار فقام عندي انه الشيخ فاذا هو هو فسلم عليّ ووضع يده على كتفي ووقفنا متقابلين وهو يقول لي هذا جواب الفقهاء ولم أقصده فقلت يا سيدي وما الذي قصدت قال اما تعلم ان المسافر أثقل ما يكون في مبادي سفره ثم لم يزل يخف إذا طالت طريقه حتى لم يبق إلا هو وربما فني قلت نعم قال وكذلك السالك لم يزل يلقي مرادات نفسه حتى إذا وصل انطوى في دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب كما في الحديث القدسي فبي يسمع وبي يبصر فعلمت ان هذا الشأن لا يدرك بالعلوم الظاهرة ان لم تداركها نفحات من الحضرة الطاهرة فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة إلا ان تداركني الألطاف الباهرة (وقال بعض العارفين) شرط المحبة أن تكون ميلاً بـــلا نيل وشرطاً بلا جزاء لئلا تزول عند زوال العوض ويتأكد ذلك في أحبـاء الله عز وجل روى عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في مناجاته إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكني وجدتك أهلاً للعبادة ومن ثم قيل أفضل الحمد ما وقع دالاً على استحقاق الله له بـــلا شرط نحو نحمدك يا من جلت صفاته عن الاحصاء بخلاف ما وقع في مقابلة شيء كالحمد لله على مـــا أنعم وأخبر السراج عن أبي بكر الازدستاني بسنده إلى ابن كثير قال لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع اليه فيـــه الناس حتى الوحوش والطيور فينوح ويعظ مذكرا بالجنة ثم النار ثم الأهوال ثم الخوف من الله وفي كل واحدة يموت من كل طائفة خلق وولده قائم على رأسه فيقول حسبك يا أبت قد مات الناس ثم يقول له العباد لا تعجل بطلب الجزاء فيخر ساجداً مغشياً عليه فتأخذ كل طائفة من مات منهـــا وتذهب ثم يدخل بيت عبادته وهو يقول يا إله داود غضبان أنت عليه أم راض إلى أن يخر مغشياً عليه وأخرج عبد العزيز بن علي الطحان عن ابن عطاء في معنى قوله عز وجل اني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين ان أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبقى غير قلبه ولسانه فأكل بعضه بعضاً حتى بقيت واحدة فدبت إلى قلبه فقال ذلك

لأنه قال أي رب لم أخف من بلاء ما دام قلبي عارفاً بحلاوة ذكرك فأوحى الله اليه بم تنظر إليّ غداً قال بهاتين العينين قال لا ولكن أخلق لك عينين يسميان البقاء لتنظر الى البقاء بالبقاء (وقيل) خرج عيسى عليه السلام في سياحته ليلة برد وريح ومطر فعاج الى كهف ليستظل فخرج اليه أسد فقال أنت أحق بمكانك وعـــاد وهو يقول رب لكل ذي روح ملجأ الا عيسى فأوحى اليه كأنك استبطأتني فوعزتي وجلالي لأزوّجنك بجواري ولأولمنّ عليك أربعة آلاف سنة (وحكى) المنذري عن ابن سعد يرفعه ان انصاريا بكي من خشية الله خوفاً من النار حتى حبسه البكاء في بيته فحكى ذلك لرسول الله ﷺ فأتاه فلما اعتنقه خرّ ميتاً فقال جهزوا صاحبكم فان الفرق بتحريك الراء يعني الخوف فلذ بالمعجمة يعني قطع كبده (وحكى) أبو نعيم في الحلية في ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض ان ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال أن يريه رفيقه في الجنـــة فاذا بقائل يقول له هي ميمونة السوداء قال فقلت وأين هي قال بالكوفة فخرجت في طلبها فلما سألت عنها قالوا هي مجنونة وانها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازاً وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهي تصلي فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتيني فقالت الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ومـــا تناكر منها اختلف وفي رواية أخرى قالت جالت روحي وروحك في عـــالم الملكوت فتعارفنا فقلت لها عظيني فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيـــار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد أعطاه الله شيئاً من الدنيا فأبتغي اليه ثانياً الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الأنس الوحشة وأنشدت :

يا واعظاً قام لاحتساب يزجر قوماً عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقاً هذا من المنكر العجيب

لو كنت أصلحت قبل هذا غيك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي موقع صدق من القلوب
تنهي عن الغيّ والتمادي وأنت في النهي كالمريب

قال ثم سألتها ما بال الذئاب التي مع الغنم لا تضرّها فقالت أصلحت ما بيني وبينه فاصلح ما بين الذئاب والغنم (وفي الكتاب المذكور) عن ابن المبارك قال بينما أطوف في الجبال اذا أنا بشخص فلما دنا مني اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فلما دنت سلمت ثم قالت من أين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء ومحدث الفقراء فبكيت فقالت ما بكاؤك ما أسرع ما وجدت طعم الدواء قلت هكذا العليل ثم قلت عظيني يرحمك الله فأنشدت

دنياك غرارة فذرها فانها مركب جموح
دون بلوغ الجهول منها منيته نفسه تطوح
لا تركب الشرّ فاجتنبه فانه فاحش قبيح
والخير فاقدم عليه جهراً فانه واسع فسيح

فقلت زيديني قالت سبحان الله أو ما في هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد قلت لا غنى لي عنه فقالت أحبب ربك شوقاً الى لقائه فان له يوماً يتجلى فيه لأوليائه

(وفيه) عن أبي الفيض ذي النون المصريّ رضي الله عنه قال بينما أنا في السياحة اذا لقيتني امرأة فقالت من أين قلت غريب فقالت كما قيل لابن المبارك إلا أنها زادت حيث نهت عن البكاء بأن قالت البكاء راحة القلب فما كتم شيء أحق من الشهيق والزفير فاذا أسبلت الدمعة استرحت وهذا ضعف عند العقلاء فتعجبت من ذلك وقال وصف لي رجل فقصدته فأقمت على بابه أربعين يوماً فلما رآني بعدها هرب مني فقلت له سألتك بالله الا ما وقفت فقال ما تريد فقلت تعرفني بما عرفته فقال ان لي حبيباً اذا قربت منه قربني

وأدناني واذا بعدت صوب بي وناداني واذا قمت باليسير رغبني ومناني واذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني واذا عملت بالمعصية صبر عليّ وتأناني فهل رأيت مثله انصرف عني ولا تشغلني ثم ولى يقول

حسب المحبين في الدنيا بأنّ لهم من ربهم سبباً يدني الى سبب
قوم جسومهم في الأرض سائرة وان أرواحهم تختال في الحجب
لهفي على خلوة منه تسدّدني اذا تضرّعت بالاشفاق والرغب
يا رب يا رب أنت الله معتمدي متى أراك جهاراً غير محتجب

(وعن أبي الفتح بن سحنون) قال كان سعدون صاحب محبة الله لهجاً بالقول صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنوناً لتردّد قوله في المحبة فغاب عنا زماناً وكنت مشتاقاً الى لقائه فبينما أنا بفسطاط مصر على حلقة ذي النون واذا به وعليه جبة من صوف فنادى يا ذا النون متى يكون القلب أميراً بعدما كان أسيراً فقال اذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فيه إلا هو قال فخرّ مغشياً عليه ثم أفاق وهو يقول

ولا خير في شكوى الى غير مشتكي ولا بدّ من شكوى اذا لم يكن صبر

ثم قال يا أبا الفيض ان من القلوب قلوباً تستغفر الله قبل أن تذنب قال نعم تلك قلوب تثاب قبل أن تطيع قال يا أبا الفيض اشرح لي ذلك قال يا سعدون أولئك أقوام أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين فهم قد فطموا النفوس عن روح الشهوات فهم رهبان من الراهبين وملوك العباد وأمراء في الزاد للغيث الذي أمطر في قلوبهم المولهة بالقدوم الى الله تعالى شوقاً فليس فيهم من آنس بمخلوق ولا مسترزق من مرزوق فهو في الملأ حقير وعند الله خطير ثم ولى

(وعن أبي سليمان) قال مررت ليلة فسمعت في جبل اللكام رجلا يقول في دعائه سيدي وأملي وموئلي ومن به تم عملي أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وقلب لا يشتاق اليك ودعاء لا يصل اليك وعين لا تبكي عليك

فعلمت انه عارف ثم صعق فتركته وانصرفت واذا أنا برجل نائم فركضته وقلت قم فانّ الموت لم يمت فرفع رأسه وقال ما بعد الموت أشد منه

(وعن عبد الله بن المبارك) قال مررت في سياحتي بالشام بطبيب يصف لكل ما يحب فقلت له يا طبيب أعندك دواء للذنوب فقال نعم فلما تفترق الناس قال لي يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغارقون في الكتمان وسقمونا الأحزان فأمر سهم بماء الأجفان ودعهم في طاجن القلق وأوقد تحتهم نار الفرق وصفهم بمنخل الأرق واشربهم على الحرق فانه شفاؤك وأنشد

يا طبيباً بذكره يتـــداوى وصفـــوه لكل داء غريب
ليس حزني عليك شيء عجيب إنما الصبر عنك شيء عجيب

(وسئل أبو بكر الشبلي) ما علامات العارف قال صدره مشروح وقلبه مجروح وجسمه مطروح قيل من العالم قال من عرف الله وعمل بما علمه الله وأعرض عما نهاه الله قيل فما الصوفي قال من صفا قلبه ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى قيل فما التصوّف قال التألف والأعراض عن التكلف وأحسن منه تصفية القلوب لعـــلام الغيوب وأحسن منه التعظيم لأمر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من صفا من الكدر وخاص من العكر ، وامتلأ من الفكر وتساوى عنده الذهب والمدر

(وعن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه) قال كنت يوماً من الأيام ماراً بقبر فترحمت عليه وبكيت عليه فسألني من معي عنه فقلت قـــبر حميد بن جابر أمير هذه المدن غرق فى الدنيا ثم استنقذه الله بلغني انه سر يوماً من الأيام بما هو فيه ثم نام مع بعض محاظيه فرأى رجلا واقفاً على رأسه وفي يده كتاب فناوله إياه ففتحه فاذا هو مكتوب بالذهب لا تؤثر فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك فانّ الذي انت فيه جسيم لولا انه عديم وملك لولا انّ بعده هلك وفرح وسرور لولا ان بعـــده غرور

فسارع الى أمر الله فانه يقول وسارعوا الى مغفرة من ربكم فانتبه مرعوباً وخرج الى هذا الجبل فما زلت أتعهده حتى مات ودفن ههنا

(وحكي) ان ملكاً أراد الركوب يوماً فدعا بثياب الزينة فجيء بها فردها وقال أريد ثياب كذا فجيء بها فردها حتى جيء بأصناف كثيرة ثم اختار ما أراد وفعل كذلك بالدواب فلما ركب نفخ إبليس في أنفه فملاه من التكبر ما لا يوصف حتى انه لم يخاطب أحداً فبينما هو في موكبه اذا برجل رث الهيئة قد قبض على لجام دابته وهو يقول لي اليك حاجة قال حتى أرجع قال لا بل مكانك قال اذكرها فقال أدن مني فطأطأ فقال له أنا ملك الموت فتغير واضطرب وسأله أن يعود فيودع أهله فأبى وقبضه مكانه

(وحكى) انه عارض في ذلك الوقت رجلاً زاهـــداً فقال له كما قال للملك فقال حباً وكرامة فقال له ملك الموت هل لك حاجة تمضي اليها فقال لا حاجة أحبّ إليّ من لقاء الله فقال اختر على أي حالة أقبضك فقال ألك ذلك قال نعم فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه

(وعن عتبة المعروف بالغلام) وسمي بذلك لكثرة خدمته انه كان مقيماً بالجبانة فبلغ خبره علي بن سلمان أمير العراق فخرج حتى وقف عليـــه فسلم فرفع رأسه فردّ عليه فقال له الأمير كيف أصبحت قال متفكراً في القدوم على الله بخير أم بشر ثم بكى وأطرق رأسه منكساً الى الأرض فقال الأمير قد أمرت لك بألف درهم فقال قبلتها على أن تقضيني معها حاجة فقال وقد سر بذلك وما هي قال تقبل مني ما وهبتني فقال قد فعلت وانصرف ولقد كان عتبة هذا لا ينام إلا أول الليل ثم يستيقظ فزعاً مرعوباً ينادي النار النار قد شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقف للخدمة وان البكاء ليمنعه القراءة وكثيراً ما يقول اللهم يا عالماً بحاجتي غير معلم بما أطلب وما أطلب الا فكاكي من النار اللهم ان الجزع قد أرّقني من الخوف فلم يؤمني وكل هذا من نعمتك السابغة عليّ وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك إلهي قد علمت لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين .

(وعن سهل ابن عبد الله التستري رضي الله عنه) الناس ثلاثة أصناف صنف مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة

(وعن حيان القيسي) العباد مع الله على ثلاث طبقات قوم ظعن بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع سرّهم فيكون هذا حكمة أو يكون في صدورهم حرج من قضائه وقوم ظعن بهم عن مساكنة أهل المعاصي لئلا تغتم قلوبهم فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعــــالم وقوم صب عليهم العذاب صباً فما ازدادوا بذلك الا حباً

(أقول) والتقسيم الأول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقي إلا أن القسم الأول أسعد السعداء وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لأهل الله فقط على انّ لنا أن نتكلف للأول أن يكون مثله وفي هذا تلميح الى التسليم البحت في القضاء والقدر والاول الى الاختيار

(وعن سحنون بن حمزة الخوّاص) أن أبا بكر البصريّ وكان رجلا من أكابر الأولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمي نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو

فليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فامتحني

فحصر بوله أثر قوله هذا فتضجر فسمي نفسه الكذاب في المحبة (غيره):

ولو قيل طأفي النار أعلم انه رضا لك أو مد لنا من وصالك
لقدّمت رجلي نحوها فوطئتها سرور الآتي قد خطرت ببالك

وله أيضاً

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبيْ هواك أجـــابه فلست أراه عن فنـــائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذباً وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح

وان كان شيء في البلاد بأسرها | اذا غبت عن عيني بعيشي يملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل | فلست أرى قلبي بغيرك يصلح

وله أيضاً :

يا من فؤادي عليه موقوف | وكل همي اليه مصروف
يا حسرتي حسرة أموت بها | ان لم يكن لي اليك معروف

(وعن الجنيد رضي الله عنه) قال أنفذ في السريّ في حاجة فلما قضيتها دفع إلي رقعة وقال قد أجزتك هذه الرقعة ففتحتها فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني | ألست أرى منك العظام كواسيا
وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا | وتخرس حتى لا تجيب المناديا
وتضعف حتى لا يبقى لك الهوى | سوى مقلة تبكي بهـا وتناجيا

(ودخل أبو بكر الشبلي) يوماً المارستان فوجد غلاماً أسود قد غل الى سارية فلما رآه قال يا أبا بكر قل لربك ما كفاه أن تيمنى بحبه حتى قيدني وأنشد يقول

على بعدك لا يصبر من عادته القرب
وعن قربك لا يصبر من تيمه الحب
فان لم ترك العين فقد أبصرك القلب

فصعق الشبلي وخرّ مغشياً عليه فلما أفـاق وجد القيود مطروحة ولم ير الاسود وعن علي ابن سعيد العطار قال مررت بعبـــادان بمكفوف مجذوم فاذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه وفتح من عيني ما أغلق من عينيه قـــال فبينما أنا أردد الحمد إذ صرع فبينما هو يتخبط نظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد مجذوم قال فما استتممت كلامي حتى صاح بي فقال ما دخولك فيما بيني وبين ربي دعه

يفعل بي ما يشاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتني إرباً إرباً أو صببت عليّ العذاب صباً ما ازددت لك إلا حباً وللشبلي رضي الله عنه .

ان المحبين أحياء ولو دفنوا في الترب أو غرقوا في الماء أو حرقوا
أو يقتلوا بسيوف وسط معركة أو حتف أنف وان أضناهم الغرق
لو يسمعون منادي الحب صاح بهم يوماً للبـــاه من بالحب يحترق

(وعن أحمد بن عيسى الجزار) قال دعتني امرأة الى غسل ولدها فلما جردته قبض على يدي فقلت سبحان الله أحياه بعد موت فقال ان المحبين لله أحياء وان ماتوا ودعا عبد الواحد يوماً جماعة من الصوفية فأولمهم وكان فيهم عتبة الغلام فقام لخدمتهم ولم يأكل فلما انصرفوا قال له عبد الواحد لم لا تأكل قال ذكرت أهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤوسهم فاشتقت إلى ذلك فأبت نفسي الطعام فبكى عبد الواحد وتفرّقا متعاهدين على أن لا يولما ولا يشبعا من نوم ولا طعام وقيل ان عتبة عاهد الله على أن لا ينام إلا مغلوباً وقرأ غلام يوماً بين يدي صالح المزي بالمعجمة نسبه الى قرية بدمشق وأنذرهم يوم الآزفــة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظـــالمين من حميم ولا شفيع يطاع فقال كيف يكون لهم حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين والملائكة تسوقهم بمقامع الحديد يسحبون تارة على الوجوه ويمشون أخرى ما بين باك ومناد بالويل ثم صاح يا ويلتاه ويا سوء منظراه وبكى وبكت الناس فقام فيه تأنث فقال اوكل ذلك في القيامة يا أبا بشر فقال وأكثر من ذلك لقد بلغني انهم يصرخون الى أن تنقطع أصواتهم فقال الشاب إنا لله وإنا اليه راجعون ثم بكى وخر ميتاً بعد ان استقبل ودعا بالتوبة فرؤي بعد قليل في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أدخلني الجنة ببركة مجلس صالح ودعا صالح يوماً فمرّ به مخنث وهو يقول في دعائه اللهم أغفر لأقسانا قلباً واجمدنا عيناً واقربنا بالذنوب عهداً ، فسمع المخنث فمات فرؤي في المنام فقال كما قال الشاب

وقال عبد الوارث نظرت الى رباح القيسي يقبل غلاماً من أهله فقلت

تحبه قال نعم قلت ما كنت أظن ان في قلبك بقية لاحد فخر مغشياً عليه فلما أفاق مسح وجهه وقال إنما هي رحمة منه القاها في قلوب العباد

(وحكى) ابن سعيد التيمي قال نظرت إلى جارية سوداء تسف الخوص وهي تقول

لك علم بما يجنُّ فؤادي　　فارحمن ذل ذلتي وانفرادي

فقلت لها ما علامة الحب وكان الى جانبها رجل يصرع فقالت يا بطال الحب ان تقول لهذا المجنون قم فيقوم ورمقته فقام والجني يقول ويحك لاعدت اليه أبداً فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر في الأصل ما لا علاقة له اذا أمعن النظر بهذا المحل وربما يأتي بعضه حيث نجد له محلا

(فصل من الباب في ذكر من فارقت روحه من الاحباب)

قال عبد الرحمن الصوفي مررت في أسواق بغداد بسوق النخاسين فرأيت جمعاً كبيراً على شاب مطروح فقلت ما باله قالوا سمع قارئاً يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فسقط مغشياً عليه قال فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول

ألم يأن للهجران ان يتصرما　　وللغصن غصن البان ان يتبسما
وللعاشق الصب الذي مات وانحنى　　اما آن ان يبكي عليه ويرحما
كتبت بماء الشوق بين جوانحي　　كتاباً على نقش الوشاة منمنما

ثم صاح وخرّ مغشياً عليه .

(وروى) عن الحواري مثل ذلك إلا أنه زاد وللغصن غصن البان أن يتكلما وفي البيت الأخير كتاباً حكى نقش الوشاة وقام أبو زهير في مجلس المزي فقال له اقرأ فقرأ صالح وقدمنا الى ما عملوا من عمل إلى قوله وأحسن مقيلاً فقال له أعدها فلم يزل يكررها حتى سقط ميتاً

وفي رواية الحافظ مغلطاي عن أبي القاسم في الأمالي وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البنانيّ ومالك بن دينار انهم قالوا اتينا أبا زهير الضرير المذكور وقت الظهيرة الزيارة فخرج الينا وكأنه نشر من قبر فصلى وجلس كالمهموم فسلمنا عليه فقال لصالح اقرأ فقرأ الآية المذكورة فخر ميتاً فقلنا هل له من أحد فقال الحاضرون نعرف امرأة تأتيه من هنا ببعض حاجـاته فاستحضرناها بالقصة فقالت لعل فيكم صالحاً قلنا وما يدريك به قالت كثيراً مـا كان يقول لي ان قرأ عليّ صالح قتلني فجهزناه رحمه الله تعالى

(أخبرنا أبو الطيب) وكان صوفياً من أهل سر من رأى مدينة بالعراق قال حضرنا يوماً في مجلس ومعنا رجل صوفي يقال له أبو الفتح فقرأ قارىء ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فقال الرجل بلى وخر مغشياً عليه فلم يفق الى ان ذهب النهار ثم مضى فبلغني بعد أيام انه حضر بالكرخ مجلساً فأنشدت فيه جارية الأبيات المنسوبة الى عبد الصمد المغربي الاشبيلي المعروف بالمعدل

يا بديع الدل والغنج   لك سلطان على المهج
ان بيتاً أنت ساكنه   غير محتاج الى السرج
وجهك المعشوق حجتنا   يوم تأتي الناس بالحجج

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبية كيف قلت فلما بلغت البيت خرّ ميتاً وأخرج في الأماليّ عن عبد المؤمن القصـة إلا أن البيت الأخير وجهك المأمول حجتنا قلت ولعل الذي مـات من سماعه الرجل هو هذا لأن العارفين اذا سمعوا ما يدل على صاحب البقاء كان أكثر أخذاً من نفوسهم ولا شبهة في أنّ المأمول أبلغ .

وحكى أبو الفرج الصوفي قال كنا نجتمع للخدمة وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركي يرعى عنيزات وكلمـا دعوناه الى السماع أبى فمرّ به صبيّ يوماً يغني

انّ هواك الذي بقلبي   صيرني سامعاً مطيعا

أخذت قلبي وغمض عيني سلبتني العقل والهجوعا
فدع فؤادي وخذ رقادي فقال لابل هما جميعا
فراح مني بحاجتيه وبت تحت الهوى صريعا

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبي كيف قلت فخاف الصبي منه ومضى فجعل يقول له لا بأس عليك كيف قلت فلم يجبه وانصرف فرجع هائماً الى رجل هناك بطبرية يقال له حامد الفاخوري وكان عارفاً بالأشعار فجعل يردد الأبيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات .

وأخرج مغلطاي عن ابن أبي الدنيا والمنذري آخر الترغيب في فضل الخوف عن ابن عمر وصححه الحاكم ان رجلاً حبشياً أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالألوان والنبوّة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت أكون معك في الجنة قال نعم ثم قال ﷺ من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله كتب له بها مائة ألف حسنة فقال رجل يا رسول الله كيف يهلك بعد هذا فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده ان الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته ثم نزلت هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً الى قوله وملكاً كبيراً فقال الحبشي يا رسول الله وهل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك فقال نعم فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه رضي الله عنه

قال ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته بيده رواه الطبراني عن أيوب بن عتبة. وأخرج مغلطاى عن ابن أبي الدنيا كتاب الخوف باسناده الى عاصم البصري قال كنت إماماً بمسجد ابن جراد وكان يتردد إليّ رجل فسألني يوماً مصحفاً ينظر فيه فأعطيته إياه فخرج وهو يقول فسيكون لي ولهذا المصحف نبأ عظيم واختفى فلم أره بقية اليوم يحضر الصلاة فلما كان الصباح دخلت عليه فوجدته ميتاً والمصحف على صدره فخرجت متفكراً في أي شيء أكفنه وإذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبيب وابن واسع

ومع كل كفن وحنوط فقــالوا أتعرف هنا رجلا مات فقلت لا أعرف إلا رجلا غريباً كان يصلي هنا فقــالوا أنت أشقى من أن تعرف ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون في تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه ورأيت هذه الحكاية في أنيس الجليس إلا أنه زاد ورأيت المصحف مفتوحاً وأول سطر فيه الله نزل أحسن الحديث الآية

وفي الحلية عن ابن السماك قال دخلت البصرة على رجل أعرفه فسألته أن يدلني على رجل من العباد فدخلنا على رجــل منكس الرأس كثير الصمت لابس الشعر فلم يكلمنا وخرجنا فقال لي أتدخل على ابن العجوز فدخلنا على شخص يشبه الأول وعنده أم له عجوز فقالت لا تذكروا لولدي ناراً ولا جنة فتفجعوني فيه فلما جلسنا عنده رفع رأسه فقال أما للعباد موقف يقفون فيه فقلنا بين يدي من خلقهم فشهق شهقة فارق الدنيا

وفيها قال دخل جماعــة على أبي سعيد القطان فقرأ رجل منهم سورة الدخان فلما انتهى الى قوله انّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين جعــل يضطرب ويعلو صدره حتى غشي عليه وأصاب صدره فأدماه وجاءت النساء وخرجنا الى الباب فلما سكنت الغوغاه دخلنا عليه فاذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضي عليه

وحكى مغلطاي عن ابن أبي الدنيا قال كرر ابن خليد قوله عز وجل كل نفس ذائقة الموت فناداه مناد كم تكرر هذه الآية فقد قتلت بهــا أربعة نفر من الجن لا يرفعون رؤوسهمْ حتى يموتوا ورأيت في أنيس الجليس القصة وزاد فيه ان رجلا قصد الحاج فضل عن الطريق تائهــاً أثر نوم فاذا هو في أرض لا يعهد مثلها واذا بقوم قد أقبــلوا الى ماء هناك فتوضئوا ودعوه الى الصلاة بهم فصلى وقرأ الآية فخرّوا إلى الارض وحركوا فوجــدوا أمواتاً وقائل يقول له يا عبد الله أنّ هؤلاء قوم من الجنّ قد اعتزلوا ههنا للعبادة وان الخوف لم يترك فيهم بقية وأنت إن أردت الحاج فامض أمامك فستظفر بأصحابك طلوع الفجر قال الرجل فكان كذلك

وعنه عن محمد بن صالح قال خرجنا ومعنا قارىء يقرأ فسمعته امرأة من أهل البصرة على سطح فاضطربت حتى غشي عليها واحتملت الى بيتها فلم نبرح حتى قضت نحبها وكان لها مشهد عظيم

وعن محمد عن منصور بن عمار قال مررنا في جوف الليل فاذا بشاب قائم يصلي وهو يقول في مناجاته إلهي ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنا كالك جاهل ولكن خطيئة عرضت وأعـــانني عليها شقائي وغرّني سترك المرخي وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي فالآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك مني واشباباه واشباباه فلما فرغ تلوت آية من كتاب الله وهي فإن لم تفعلوا ولن تفعـــلوا الآيـــة فسمعت دكدكة وانقطع الصوت فلما أصبحنا رجعنا على الأثر واذا بجنازة وعجوز قد أخذ منها الكبر فسألناها فقالت مرَّ قارىء بولدى فقرأ آية فتفرطت مرارته ومات

وعنه من طريق آخر الحكاية زاد فيها بعد قوله ان قطعت حبلك عني واسوأتاه إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا فيا ليت شعري أمع المثقلين نحط أو مع المخفين نجوز ويحي كلما طال عمري كثرت ذنوبي ويحي كلما كبر سني كبرت خطاياي فيا ويلي كم أتوب وكم أعـود ولا استحي من ربي قال منصور فلما سمعت كلام الشاب وضعت فمي على باب داره وقرأت الآيـــة المذكورة وعلمت الباب فلمـــا رجعت الحكاية الا انه ذكر عن العجوز ان الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء الخوص.

وعن ذي النون المصري قال بينما أنا أسير على جانب البحر في الليل واذا أنا بجارية عليها أطمار شعر وهي ناحلة ذابلة فدنوت منها لسماع ما تقول واذا هي متصلة الأحزان بالأشجان وقد عصفت الرياح واضطربت الأمواج وظهرت الحيتان فصرخت وسقطت الى الأرض فأفاقت وهي تقول سيدي لك تقترب المتقربون في الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات ولجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء

النهار والفلك الدوّار والبحر الزخار والقمر النوّار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لأنك العليّ القهار وأنشدت

أحبــــك حبين حب الوداد وحباً لأنـــــك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى فحب شغلت به عن سواك
وأمـــا الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فوقفت متعجباً واذا بنسوة على أحسن ما يكون من الحالات قد أقبلن فاحتملنها ثم غبن وأقبلن بها قد جهزت فقدمنني للصلاة وهنّ ورائي فلما فرغت مضين بها

قال المختصر عن مغلطاي رأيت غير ما مرة شيخاً مغربياً يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة الى الكتبيين ويكثر من إنشاد شعر بلا وزن مضمونه ان الحاكم أخذ ماله المتروك عن والده وأوراقاً كثيرة منها هذا الشعر وانه استمع ليلة لمحدّث في سيرة البطال وقد ذكر أن جماعة قتلوا في الجهاد فقال المغربي للمحدث وفيم قتل هؤلاء قال في سبيل الله قال المغربي وأنا ايضاً أموت في سبيل الله فقال له المحدث افعل فتمدد الى جـــانبهم فحرّك فاذا هو ميت .

وعن أبي الحسين أحمد بن أبي الحواري قال مررت في الشام بقبة واذا أنا بامرأة تدق الحائط فقلت لها ما بالك فقالت امرأة ضالة دلني على الطريق فقلت أي الطريق تريدين قالت طريق النجاة قلت هيهـات ان بيننا وبينه عقبات لا تقطع إلا بسير حثيث ونصح المعـــاملة وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا والآخرة فقالت سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع وحفظ عليك فؤادك فلم ينصدع ثم خرّت مغشياً عليها فقلت للنساء حرّكنها فاذا هي ميتة ووصيتها الى جانبها ان كفنوني في أثوابي وخلوا ما بيني وبينه فان كان لي عنده خير فهو أسعد لي والا فبعد النفسي

وفي الأصل قيل كان بالموصل رجل نصرانيّ يكنى أبا اسمعيل وانه سمع

يوماً قارئاً يقرأ وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً واليه ترجعون فبكى حتى غشي عليه ثم أسلم وصحب فنجا الموصلي فحدث عنه انه نظر يوماً الى الدخان يفور من المدينة فبكى وقال قد قرَّب الناس قربانهم فليت شعري ما قرباني وجعل يبكي حتى فارق الدنيا

هذا ما قرره من أول الباب الى هنا وفي كل نظر وذلك انه عقد الباب كله لعشاق الله ثم ذكر فصلاً لمن مات بذلك على انه قد ذكر قبل الفصل من مات وبعده من لم يمت بآخر وقال انه لعشاق الحور العين وقد أمطنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر إلا ما يظهر فيه ظرف المناسبة ومن هنا الى آخر الباب لم يخالف أوله فلا فائدة في الفصل فتأمل

عن منصور بن عمار قال بينا أنا في السياحة إذ مررت بخدم وقصر ملكي لأتمكن الإحاطة بوصفه فهممت أن أدخله فانتهروني فلم أبالي بهم ودخلت فاذا أنا بشاب في أرفع طبقات الجمال والملابس وقد استحضر صبية تناسبه فلما رآني همَّ بقتلي فقلت أنا طبيب وقد رأيت فيك داء فقال وما هو قلت ميلك الى الفاني وحبك ما لا يبقى وغفلتك عما عند الله ثم وصفت له الجنة والنار وما فيها فتجرد من وقته وكان ملك البصرة فلما خرجنا وقد زال ما في القصر بن البهجة تعلقت به الصبية وقالت على من تتركني ثم تجردت وخرجا هائمين فلما كان بعد عام وانا في الطواف اذا أنابه يتضرع وقد أخلقته العبادة حتى لم أعرفه الى ان قال لي أما تعرفني يا طبيب ثم ذكرني بالحالة ثم قال لي هل لك ان تنظر الى نسوان يعني الصبية قلت نعم فأخذ بيدي حتى أوقفني عليها فلما رأتني قالت مرحباً أيها الطبيب ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل اني على أثرها فلا تبرح ثم نظر اليها وخرَّ ميتاً

وعن عبد الواحد بن زيد قال اشتكيت ألماً في ساقي حتى منعني القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت ازاري في المحراب وتوسدته فغفلت واذا أنا بجارية كأنها جوهرة شفافة وعليها من الملابس ما يبهر العين رؤيته وخلفها جوار كأنهن الأقمار فقالت لبعضهن احتملنه ولا تؤذينه ثم قالت افرشنه

ومهدنه وأقبلت تملس على ألمي ثم قالت قم الى صـــلاتك بلا أذى فانتبهت كالذي نشط من عقال وعنه من رواية أخرى انهـا قالت له انا لك فجد في طلبك قال فلم أنم بعدها وفي أخرى عنه قال فما أخذتني السنة حتى رأيت شاباً وبيده ورقة بيضاء فناولني إياها واذا فيها

يـنام من شاء على غفلة والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الأعمال فيه كما تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيراً ما يردد هذه ويقول فرّق الموت بين المصلين ولذة الصلاة ويعدد أفعال الخير ولعل الوقائع متعددة

وعن صاحب المصـــارع بسنده الى محمد بن الفرج قال نظرت الى جارية تباع فقلت بكم هذه قيل بألف دينار فرفعت رأسي الى السماء وقلت اللهم انك تعلم اني لا قدرة لي على ذلك واني لو سألتك إياهـــا لوهبتها لي ولكني أسألك أنفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندي ان لا أنام ليلاً ولا أطعم نهـــاراً ولا أضحك الى أحد وها أنا مجد في المهر فلم ير بعد ذلك علىغير ما قال حتى مات

وعن رابعة العدوية قالت كان لي ورد في الليل قد اعتدته فمرضت مرضاً أعقبني فترة عنه فبينما أنا راقدة إذ نظرت كأني في روضة كثيرة النبـــات والقصور وجارية تطارد طيراً أخضر تريد أن تأخذه فالتهيت بحسنها عنه وقلت دعيه لأني لم أر أحسن منه فقـــالت ألا أريك أحسن منه فقلت بلى فأخذت بيدي فأدخلتني الى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بأيديهن مجامر الند والعنبر فقالت لهن الآخذة بيدي الى أين فقالوا الى فلان قد قتل في البحر فقالت الا تجهزن هذه المرأة فقالوا قد كان لها حظ في ذلك فتركته فانتبهت فزعة ولم أنم بعدها وبقي من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة فلذلك أضربنا عنها

الباب الثاني

في أحوال عشاق الجواري والكواعب وذكر ما صدر لهم من العجائب

(وفيه خمسة أقسام الأول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت في الحب سريرته)
قد تقدم في أحوال العشق انه من الأحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الأخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين وأظنه الجنيد كما ان النساء حبائل الشيطان فهنّ حبائل العرفان إذ قد يتوصل العاقل من عشقهنّ الى معرفة مبدعهنّ لأن المقدمات الصريحة تنتج الأغراض الصحيحة وبالحري من أمعن النظر في مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته إلى دائم فاعل وهذا مثل قولهم الرياء قنطرة الاخلاص

عن ابن عباس قال لما عتقت بريرة وكان زوجها حبشياً وفي رواية أسود وخيرت فاختارت الفسخ جعل يطوف في المدينة باكياً يترضاها فقال لها رسول الله ﷺ لو تزوجته فقالت ان أمرتني بذلك فقال لا آمرك ولكني شفيع وقد أخرج القصة البخاري ، وفي تتمة ذيل الأمالي للقالي عن ابن الانباري قال دخلت على ابراهيم بن محمد وقد سامته جارية له البيع فأجابها وكان يحبها فأنشد :

أبت الغداة بوصلها غدّار فدموع عينك لا تجف غزار
واستبدلت بك صاحباً ومؤانساً وكذا الغواني وصلهن معار

وكان ابن عباس يوماً جالساً بفناء الكعبة إذ وضع بين يديه شخص قد حمله إلى الكعبة يستشفون له فكشف عنه فأنشد

بنا من جوى الاحزان والحب لوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنّ ما أبقى حشاشة ما ترى على ما ترى عود هناك صليب

فرأى رسماً عافياً وحساً خافياً وجسماً بالياً فمكث أربعين يوماً لا يسأل الله بعد صلاته إلا المعافاة من العشق وأخرج ابن عساكر في الأمالي ان هذا المذكور عذري

وقال السيوطي في شرح الشواهـــد ان اسمه عروة بن قيس وأنه ولع بجارية من العرب فزوّجوه بها بشفاعة الحسين بن علي فأقام معها مدة وكانت أمه تقسم عليه ان يفارقها وهو يقول لها أخاف تلاف نفسي فلم ترض فلما كان يوم حر شديد وقفت حافيـــة على الرمل وأقسمت لا تزول أو يفارق عروة الجارية ففارقها رفقاً بأمه فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام والشراب وعاود أهلها فأبوا عليه فأقام أياماً وحمل كما ذكر الكعبة فلم يغن عنه فلما عادوا به توفي في الطريق .

وحكي أن الأحوص بن جعفر الشاعر المشهور كان يهوى أخت زوجته ولا يفصح باسمها وفي الأمالي ان اسمها نخلة فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتدّ بالأحوص الغرام فباح به وأنشد

أأن نادى هديلاً ذات فلج مع الأشواق في فنن حمام
ظللت كأنّ دمعك درسلك هوى نسقاً واسلمه النظام
تموت تشوّقاً طرباً وتحيـــا وأنت جوى بدائك مستهام
كأنك من تذكر أم حفص وحل وصالها خلق رمـــام
صريع مدامة غلبت عليه تموت لها المفاصل والعظام
واني من بلادك أم حفص سقى بلداً تحليـــه الغمام
أحل النعف من أحدوادني مساكنها الشبيكة أو سنام
سلام الله يا مطر عليهـــا وليس عليك يا مطر السلام
فـــلا غفر الإله لمنكحيها ذنوبهم وان صلوا وصاموا

كأن المالكين نكاح سلمى غداة يرومها مطر نيـــام
فان يكن النكاح أحل شيء فانّ نكاحها مطر احرام
فلو لم ينكحوا الاكفـــاء لكان كفيئها الملك الهمـــام
فطلقها فلست لها بكفء والاعض مفرقـــك الحسام

وساق في المطرب الحكاية بعينها إلا انه زاد بيتاً في الأول وهو

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام

وقال في البيت الأخير والايعل مفرقك بـدل عض . وأخرج أبو الفرج الأصفهاني عن زياد بن غطفان قال كنا بباب الولاة واذا بإعرابي ينـادي من أراد أن يسمع العجائب فليدن مني فدنوت منه واذا هو الرمـــاح بن مالك القيسيفقلت ما عندك فقال اعلم اني علقت امرأة يقال لها أم جحدر فاتصلت بها وطال الأمر واني عتبتها يوماً فقلت لها الوصل عليك مردود فقالت مـا قضىالله فهو خير وارتحلوا عنا وطالالأمر وراجعني الشوق فنذرت مراجعتها ان دنت دارها فلما كان ذلك خرجت أتصفح احيـــاء العرب حتى وجدت امرأتين أمام البيت في كساء فسلمت عليها فردّت إحداهنّ وسألت عن شأني فأخبرتها فأشارت لي بدخول بيت فدخلت واذا الساكنة أم جحدر وقامت لتدخل إليّ وإذا بغراب ينعق فتغيرت فأقسمت عليها الا مـا اخبرتني عن تغيرك فقالت انّ الغراب يخبرني ان لا اجتماع ففارقتهـا وغدوت لمـا أصبح النهار فأخبرتني امرأة أخيها انّ شامياً خطبها الى أهلها فزوّجوه بها فجئت بالقرب من خبائها متردداً أياماً الى ان مضى بها فكنت أنشد

اجارتنا ان الخطوب تنوب عليّ وبعض الآمنين تصيب
اجارتنا لست الغداة ببارح ولكن مقيم ما أقام عسيب
فان تسأليني هل صبرتفانني صبور على ريب الزمان صليب
جرى بانبتات الحبل من أم جحدر ظباء وطير بالفراق نعوب
نظرتفلمأعيفوعافتوبينت لها الطير قبلي واللبيب لبيب

فقالت حرام ان نرى بعد يومنا جميعين إلا ان يلم غريب
اجارتنا صبراً فيا رب هالك تقطع من وجد عليه قلوب

وما نقله هنا من أن ابن ميادة سرق الأبيات فغير مسلم في الجميع وابن ميادة هو الرماح ابن مالك بن ابرد بن ميادة المشار اليه ، والأبيات له ما عدا الأولين ولهما ثالث لم يورده والثلاثة لأمرىء القيس بن حجر الكندي ولهما حكاية عجيبة هي انه لما قتل والده مضى الى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر فأقام بالقسطنطينية أياماً فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها وفيها يقول الا انعم صباحاً القصيدة المشهورة وان القصة بلغت قيصر فكره قتله جهاراً للشنعة فألبسه حلة قد دهن زيقها بالسم وأمره بالمسير فلما بلغ جبلاً يقال له عسيب يبعد عن القسطنطينية مسافتين لعب فيه السم فنزل الى جانب قبر فلما أحس بالموت سأل عن القبر فقيل هو قبر امرأة غريبة فقال ادفنوني الى جانبها وأنشد البيتين الاولين وبعدهما

اجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

وأما قوله فان تسأليني هل صبرت الى آخر الأبيات فللرماح وما ذكر من ان الثالث لجاهلي لم يعلم له ناقل وقد ساق القصة ابن هشام في شرح الدريدية وذكرها ابن عساكر في تاريخه الكبير وقوله نظرت فلم أعيف يعني لم أدرك حال الفرقة من زجر الطير المعروف عندهم بالعيافة وهو علم نفيس ولنا فيه رسائل وأخبر ابن دريد عن عمه قال عشقت حبيبة الحضرية ابن عم لها فدرى قومها فحجبوها فأنشدت

هجرتك لما ان هجرتك أصبحت بنا شمتاً تلك العيون الكواشح
فلا يفرح الواشون بالهجر ربما أطال المحب الهجر والحب ناصح
وبعد النوى بين المحبين والهوى مع القلب مطوي عليه الجوارح

وهذا الذي ذكر من أول الباب الى هنا كالمقدمة لهذا الباب وقد آن الشروع في مقاصده وأصدرها بأحد العشاق الأربع قال الفارسي في تنزيه

النفس من لدن أدار الله الأفق على نظام التربيع حيث جعل دائرة العالم العلوي أربعة والعناصر والرياح والطبائع كذلك جعل المذاهب وطريقة الحقيقة يعني مسالك الصوفية والعشاق كذلك وكل من هذه معروف في مواضعه فأما العشاق فجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة وقيس لبنى وهذا سر إشارة الاستاذ في التائية وغيرها الى ما ذكر كقوله

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق كمجنون ليلى أو كثير عزة

وأقدم الكلام على جميل لأنه كما يقال أنسب الأربعة وأما تقديمه في نزهة النفوس المجنون فمراعاة للأولية وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر يتصل نسبه بقضاعة

كذا قاله مغلطاي عن أبي الفرج الأصفهاني كان شاعراً فصيحاً منطقياً صادق الصبابة عفيفاً منزهاً عن الرذائل عارفاً بالنسيب ، روى عنه كثير وهو عن هدبة ابن الخشرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى بضم السين صاحب المعلقة نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بن يحيى بن ثعلب من قومه صغيرين فلما انتشأ خطبها فردّ لأن العرب كانت تستهجن ان تزوّج من جرى بينهما عشق فكان يأتيها سراً يتحادثان فعلموا به فأرادوا قتله وانها غمزته عن ذلك فاستخفى وفي ذلك يقول

فلو ان الغادون بثنة كلهم غيارى وكل حارب مزمع قتلى
لحاولتها اما نهاراً مجاهراً وأما سري ليل ولو قطعت رجلى

فلما شاع ذلك شبب حوّاش أخو بثينة بأخت جميل وتفاخرا فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له قل ما شئت في نفسك وأبيك وأنت الباسل الجواد ولحوّاش قل وأنت دونه في نفسك ويقال ان سبب عشقه بثينة انه سرح أبله يوماً بواد البغيض وانسطح فأتت مع جوار يملأون الماء فعبثت بفصيل له فتسابا وهذا أخذ من قوله

وأول ما قاد المودة بيننا بوادي بغيض يا بثين سباب

وقلت لها قولاً فجاءت بمثله لكل كلام يا بثين جواب

واستعدى أهلها عليه مروان بن هشام الحضرمي وكان والياً من قبل عبد الملك على تيماء وقيل ربعي بن دجاجة فتوعده فمضى مستخفياً الى الشام وقيل الى سيد من بني عذرة فأحسن مكانه وزين سبع بنات له رجاء ان يعلق واحدة منهنّ فيزوجه بها فكن يرفعن الخباء إذا أقبل جميل ففطن لذلك فأنشد

حلفت لكيما تعلميني صادقاً وللصدق خير في الأمور وأنجح

لتكليم يوم واحد من بثينة ورؤيتها عندي الذوا ملح

من الدهر أواخلو بكنّ وإنما أعالج قلباً طامحاً حيث يطمح

وفي نزهة النفوس

لرؤية يوم واحد من بثينة ألذ من الدنيا لديّ وأملح

وهو أحسن تركيباً وأظهر في أعمال أفعل التفضيل وقوله من الدهر معمول ٣ حلفت وفي نسخة مدى الدهر وهو أحسن وأنسب فقيل الشيخ أرخين الخباء فوالله لن يفلح أبداً يعني لا يرجع عن العشق ويدل للاول قوله :

أتاني عن مروان بالغيب انه مقيد دمي أو قاطع من لسانيا

ففي العيش محياة وفي الارض مهرب اذا نحن دافعنا لهن المثانيا

ويحتمل تعدّد الواقعة ولما عزل عاد وقيل مما استدل به على تمكن عشقه لها وانه لا يمكن سلوه عنها مع حكاية البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود في منازل الاحباب عنه

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل الى الآن ينمي حبها ويزيد

وأفنيت عمري في انتظار نوالها وأفنت بذاك الدهر وهو جديد

وللعشاق من أمثال ذلك كثير فمن ذلك قول عروة

هواها هوى لا يعرف القلب غيره فليس له قبل وليس له بعد

وقول المجنون

ولمـــا أبى الا جماحاً فؤاده   ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل
تسلي بأخرى غيرهـــا فاذا التي   تسلي بها تغري بليلى ولا تسلي

وأعظم ما قيل في هذا المعنى واسجم وألطف وأرق واصنع وامنع قول الاستاذ رحمه الله

حديثي قديم في هواها ومثله   كما علمت بعد وليس له قبل

فانه قد جمع معاني الأبيات المذكورة الصناعات البديعية من المقابلة الضدية والطرفية ولعمري انها لم تجتمع لغيره فيما نعلم وعن مغلطاي عن أبي الفرج وشت جارية بجميل وبثينة الى أبيها وانه الليلة عندها فأتى وأخوها مشتملين معتمدين سيفيهما لقتله فسمعاه يقول لهـا بعد شكوى شغفه بهـا هل لك في طف،،ما بي بما يفعل المتحابان فقالت قد كنت عندي بعيداً من هـــذا ولو عدت اليه لن ترى وجهي أبداً فضحك ثم قال والله ما قلته الا اختباراً ولو أجبت اليه لضربتك بسيفي هذا ان استطعت والا هجرتك أما سمعت قولي:

واني لأرضى من بثينة بالذي   لو أبصره الواشي لقرّت بلابله
بلى وبأن لا أستطيع وبالمنى   وبالأمل المرجوّ قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضي   أواخره لا نلتقي وأوائـــله

فقالا لا ينبغي لنا إيذاء من هذه حالته ولا منع التزاور وانصرفا وسأل عبد الملك يوماً كثيراً عن حال جميل وبثينة فقال يا أمير المؤمنين سايرته يوماً اليها فلما وصلنا بالقرب منهم أقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر ثم قالت حين ازمعا الفراق ادن مني فـــدنا فأسرّت اليه فخرّ مغشياً عليه فلما أفاق أنشد

فما ماء مزن في جبال منيفة   ولا ما أكنت في معادنها النحل
بأشهى من القول الذي قلت بعدما   تمكن في حيزوم ناقتي الرحل

وعن كثير قال سألني جميل أخذ موعد من بثينة فقلت هل بينكما موعد

قال بوادي الدوم وهي تغسل الثياب فجئت أباها وهو جالس فحادثته قليلاً ثم أنشدته

وقلت لها يا عز ارسل صاحبي على نــأي دار والموكل مرسل
فان تجعلي بيني وبينك موعداً وان تأمريني بالذي فيه أفعــل
وآخر عهد منــــك يوم لقيتني بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت سجاف البيت وقالت اخسأ فقال أبوها ما هذا فهذا كلب يأتينا من وراء هذه الرابية اذا نام الناس فمضيت واخبرته فأقبل حتى اجتمعا ليلة وسارّته كما سلف إلا انه أنشد البيتين عند افاقته لم يغير فيهما غير ان قال نما مكفهرّ في مجامر جنة ولا ما أسرّت وعن مغلطاي قال دخلت بثينة على عبد الملك وقد أخلقها الدهر فقال لها ما الذي رأى فيك جميل حتى عشقك فقالت ما رأي فيك الناس حتى ولوك الخلافة فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها ودخل مصعب بن الزبير يوماً على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شغفها بها فوجدها تتمشط فتمثل بهذا البيت

ما انس لا انس منها نظرة عرضت بالحجر يوم جلتها أم منظور

فقيل له ان أم منظور المشار اليها فى هذا البيت موجودة فاستحضرها واستحكاها عن سبب قول جميل هذا البيت فقالت كنت ماشطة لبثينة واني زينتها يوماً فأقبل على بعير ماراً فرآها بمؤخر عينيه فأنشد البيت فأمرهـا مصعب ان تصنع بعائشة كذلك وصنع هو كجميل وله فيها من الأشعار ما لا يحصى ما بين وصف ونسيب وذكر حكاية الى غير ذلك فمن مستجادها اللامية التي أنشدها لعمر بن أبي ربيعة وكان من أجل معاصريه في الشعر لقيه يوماً فتفاخر واستنشده جميل فأنشد

ألم تسأل الاطــــلال والمتربعا ببطن خليات دوارس بلقعــــا
أتانا رسول من ثلاث كواعب ورائقة تستجمع الحسن اجمعا
فلمــــا توقفنا وسلمت اقبلت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تباهن بالعرفان لما عرفنني وقلن امرؤ باغ أضل وأوضعا
وقرّبن أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا
فقلت لمطريهنّ بالحسن إنما ضررت فهل تستطيع نفعاً فتنفعا

فأنشده جميل أثر هذا القصيد قصيدته المشهورة التي أوّلها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل وإنني لاقسم مالي عن بثينة من مهل
أحلماً فقبل اليوم كان أوانه وأخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل

ومنها

إذا ما تناشدنا الذي كان بيننا جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
كلانا بكى أو كاد يبكي صبابة إلى ألفه فاستعجلت عبرة قبلي
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها ويا ويح أهلي ما أصيب به أهلي
خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

ومنها بيتان أنشدهما وقد مرّ به رجل فأضافه فريداً فجعل يأكل ويبث وجداً به على ابنة عمه حتى أتى عليه وهما

ويعجبني من جعفر أنّ جعفراً يلح على قرصي ويبكي على جمل
فلو كنت عذريّ العلاقة لم تكن بطيناً وأنساك الهوى كثرة الأكل

ولما أنشد جميل هذه القصيدة قال لعمر يا أبا الخطاب هل لك في هذا الروي شيء قال نعم وأنشد

جرى ناصح بالودّ بيني وبينها فقربني يوم الخضاب إلى قتلي
وطارت بوجد من فؤادي ونازعت قرينتها حبل الصفاء إلى حبلي
فما أنس ما الأشياء لا أنس موقفي وموقفها يوماً بقارعة النخل
فلما تواقفنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

ومنها

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى عدوّي بكائي أو يرى كاشح فعلي
فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدّث غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقب ولكنّ سري ليس يحمله مثلي

وقيل أنّ جميلاً لم ينشده في هذه المرّة شيئاً بل قال له امض بنا إلى بثينة فقال له قد حجر عليّ فقال دلني على أبياتها ففعل ومضى عمر فاجتمع بها ثم عاد ثانية وتلاقيا فأنشد جميل رائيته وهي

خليليّ عوجا اليوم حتى تسلما على عذبة الأنياب طيبة النشر
فانكما ان عجتمالي ساعة شكرتكما حتى أغيب في قبري
وإنكما ان لم تعوجا فانني سأصرف وجدي فأذنا اليوم بالهجر
وما لي لا أبكي وفي الأيك نائح وقد فارقتني شختة الكشح والخصر
أيبكي حمام الأيك من فقد ألفه واصبر ما لي عن بثينة من صبر
يقولون مسحور يجنّ بذكرها فأقسم ما بي من جنون ولا سحر
واقسم لا أنساك ما ذر شارق وما هب آل في معلمة قفر
وما لاح نجم في السماء معلق وما أورق الأغصان من ورق السدر
لقد شغفت نفسي بثين بذكركم كما شغف المجنون يا بثن بالخمر
ذكرت مقامي ليلة البان قابضاً على كف حوراء المدامع كالبدر
فكدت ولم أملك اليها صبابة أهيم وفاض الدمع مني على النحر
فيا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة كليلتنا حتى نرى ساطع الفجر
تجود علينا بالحديث وتارة تجود علينا بالرضاب من الثغر
فليت إلهي قد قضى ذاك مرة فيعلم ربي عند ذلك ما شكري
ولو سألت مني حياةٍ بذلتها وجدت بها ان كان ذلك من أمري

فلما سمعها عمر أعجب بها ثم قال لجميل دونك هذه وأنشد

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

ومنها

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ... وروّح رعيـــان ونوّم سمر
فحييت إذ فاجأتهـــا فتولهت ... وكادت بمكتوم التحيـــة تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك أذهناً عليك ألم تخف ... رقيباً وحولي من عدوّك حضر
فوالله ما أدرى التعجيل حاجة ... أتى بك أم قد نام ما كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ... اليك وما عين من الناس تنظر
فيا لك من ملقى هناك ومجلس ... لنـــا لم يكدّره علينا مكدّر
يمج ذكاء المسك منهـا مفلج ... رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر
يرق إذا تفـــترّ عنه كأنه ... حصا برد أو أقحـــوان منوّر
وترنو بعينيهـــا إليّ كما رنا ... الى زرنب وسط الخميلة جؤذر
فلما تولى الليـــل الا أقبـله ... وكادت توالى نجمــــه تتغـوّر
أشارت بأن القوم قد كان منهم ... هبوب ولكن موعد لك عزور
فما راعني إلا منادٍ برحــــلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قـــد تنوّر منهم ... وإيقاظهم قالت أشر كيف تأمر
فقلت أباديهم فأمـــا أفوتهم ... وأما ينال السيف ثأراً فيثأر
فقالت أتحقيق لما قـــال كاشح ... علينا وتصديق لما كان يؤثر
إذا كان ما لا بد منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر
أقص على أختيّ بدء حديثنا ... ومـــا لي عما يعلمـا متـأخر
لعلهما أن ينعتا لك حيـــلة ... وأن يرحبا صدراً بما كنت أحصر
فأقبلتـــا فارتاعتـــا ثم قالتـــا ... أقلي عليك الخطب فالأمر أيسر
يقـوم فيمشي بيننـــا متستراً ... فـلا سرّنا يفشو ولا هـو يظهر
فكان مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما انخنا ساحة الحيّ قلن لي ... ألم تتق الأعداء والليل مقمر

وقلنا أهذا دأبك الدهر سادراً أما تنتهي أو ترعوي أو تفكر

وقد أنشد عمر هذه القصيدة لعبد الله بن عباس بحضرة نافع بن الأزرق واتفق أهل ذلك العصر على انه ليس أحد أشعر من جميل وابن أبي ربيعة ، وكان جميل يثني على ابن أبي ربيعة كثيراً وكان الناس يقولون هو في عينيته أشعر وجميل في لاميته والذي يظهر أن جميلاً أشعر مطلقاً عند التأمل ، ومن أشعار جميل أيضاً قوله :

ألا ليت أيام الصفاء جديد ودهراً تولى يا بثين يعود
فنبقى كما كنا نكون وأنتم صديق وإذ ما تبذلين زهيد
وما أنس ما الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نحوي أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى أتيتك فاعذرني فدتك جدود
خليليّ ما أخفي من الوجد ظاهر ودمعي بما أخفى الفؤاد شهيد
ألا قد أرى الله لا ربّ غيره إذا الدار شطت بيننا سنزود
إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي من الحبّ قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردّي بعض عقلي أعش به مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فما ذكر الخلان الا ذكرتها ولا البخل الا قلت سوف تجود
فلا أنا مردود بما جئت طالباً ولا حبها فيما يبيد يبيد
جزتك الجوازي يا بثين سلامة إذا ما خليل بان وهو حميد
وقلت لها بيني وبينك فاعلمي من الله ميثاق له وعهود
وقد كان حبيكم طريفاً وتالداً وما الحب إلا طارف وتليد
وانّ عروض الوصل بيني وبينها وان سهلته بالمنى لصعود
فأفنيت عيشي بانتظار نوالها وأبليت بذاك الدهر وهو جديد
فليت وشاة الناس بيني وبينها يدوف لهم سما طمائم سود
وليتهم في كل ممسى وشارق تضاعف أكبال لهم وقيود
ويحسب نسوان من الجهل أنني إذا جئت إياهنّ كنت أريد

فأقسم طرفي بينهنّ فيستوي وفي الصدر بون بينهنّ بعيد
ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بوادي القرى اني إذاً لسعيد
وهل اهبطن ارضاً تظل رياحها لها بالثنايا الثاويات وئيد
وهل القين سعدي من الدهر مرة وما من حبل الوصال حديد
فقد تلتقي الأهواء من بعد يأسها وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
وهل ازجرن حرفاً علاة شملة بخرق تباريها سواهم قود
على ظهر سرحوب كأن نسوره إذا حار هلاك الطريق رقود
سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب وصدر حكى لون اللجين وجيد
تزيف كما زافت الى سلفاتها مباهية طيّ الوشاح ميود
إذا جئتها يوماً من الدهر زائراً تعرّض منقوص اليدين صدود
يصد ويغضي عن هواي ويجتني ذنوباً علينا انه لعنود
فاصرمها خوفاً كأني مجانب ويغفل عنا مرّة فنعود
فمن يعط في الدنيا قريناً كمثلها فذلك في عيش الحياة رشيد
يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود
يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأيّ جهاد غيرهنّ أريد
لكل حديث بينهنّ بشاشة وكل قتيل بينهنّ شهيد
إذ فكرت قالت أدركت ودّه وما ضرّني بخلي ففيم أجود
ومن كان في حبي بثينة يمتري فبرقاء ذي ضال عليّ شهيد
ألم تعلمي يا أم ذا الودع انني أضاحك ذكراكم وأنت صلود

ومما كان يلهج بهذه القصيدة لرصانتها ولطفها معبد وكان من أشهر الناس بالدخول وضرب العود والغناء والغريض ، وكان أعظم منه حكى عنه في الأغاني ان الجنّ افتتنت به فأخرجوه الى مكة فأقام بها لا يفتح بابه وان معبداً اراد الاجتماع به فقصده وأقام يطرق الباب فلم يجب فهجس له انه لا يخرجه إلا الغناء فأنشد علقت الهوى منها وليداً البيت فلم يشعر إلا وقد

فتح الباب وأذن له فدخل عليه فتحادثا وأنشده (وما انس ما الأشياء لا انس قولها) الى خمسة ابيات ثم قال إنما غنيتك ذلك لأني علمت انك تريد ان اغنيك

وما انس ما الأشياء لا انس شادنا بمكة مكحول لا اسيلا مدامعه

وان الجنّ قد نهتني عنه ، قال معبد فقلت لم تعد ما اريد ثم فارقته حين رأيته يستثقل المجالسة وطلبت ان يكمل لي السرور بأن أضم إلى اجتماعي به اجتماعي بمن رأى جميلاً لا آخذ عنه القصيدة فنعت لي شيخ في بني عذرة فجئته فسألته عن جميل فحدّث انه كان في إبل له وإذا رجل غشاه فنزل به فلما ائتلفا قال له هل لك ان تصنع معي من الخير ما لو كانت لك الدنيا ذهباً وانفقتها عليّ لم تبلغ معشاره قلت وما هذا قال تمضي الى وراء السفح فتنشد لي بكرة صفتهـا كذا قلت نعـم ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحر فاستطلعتهم عنها ثم استأذنتهم في البيوت وقلت لهم انّ النساء أدرى بالمارة فأذنوا فانصرفت اتصفح الحي الى ان احتدم النهار ولم اظفر بطلبة وإذا انا بثلاث بنات فقلت لا انصرف اليه وأدع هذا اليسير فجئتهن فسلمت فرددن ثم استنشدتهن البكرة فقالت إحداهن قد أصبت حاجتك ثم أدخلتني بيتاً وأتتني بقدح مفضض فيه تمر وصحفة شاميـة مفضضة فيهـا لبن فتناولت كفايتي ثم قالت ان بكرتك تأتي هذه الشجرة فتطوف بها الليل فرجعت اليه وحدثته القصة فابتهج كالذي أصاب بغيته وأنا لا أدري

فلما جاء الليل وآنس ان قد نمت عمد إلى رحله فاستخرج بردين ملوكيين من برود الخلافة فأتزر بأحدهما واتشح بالآخر ومضى فتبعته بحيث لم يشعر حتى تلاقيا فلم يكن بينهما إلا ما يرضي الوشاة الى ان رأيا الصبح فلما أزمعا الفراق سبقته ونمت وجاء فصلى ثم نبهني وهو مسرور فأكل معي وشرب ثم أخبرني انه جميل وانها بثينة ثم أعطاني برداً واعتذر وودعني بعد ان قال هل لك ان تمضي فتنشدها أبياتاً قلتها بعد منصرفي عنها قلت نعم فانشدني وما انس ما الأشياء الأبيات الخمسة فمضيت اليها فقلت قد جئت بالأمس طالباً واليوم

مسلماً وذكرت تناءه ووجده ثم قلت هل أنت بارزة إليّ قالت نعم فسمعت جارية تقول لها يا بثينة ان عليه برد جميل ثم خرجت في زينة وقالت يا أخا تميم ان بردك لا يشبه ما عليك واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر واقسمت ان اتشح بهـا ففعلت وانشدتها مـا قال ورجعت بملحفة بثينة وبرد جميل وحكي الشيخ لمعبد ان جميلاً لمـا اجتمع ببثينة قالت له هـل قلت شيئاً فأنشدها

علقت الهوى منها وليداً ولم يزل   الى اليوم ينمي حبهـا ويزيـد
وافنيت عمري في انتظاري نوالها   وافنت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد فرجعت جذلان بما اجتمع لي مما طلبت ، وعن أبي زيد حين قرئت عليه هذه القصيدة ان هذين البيتين يليهما قوله فلا انا مردود البيت وفي نسخة ان قوله فما انس مـــا الأشياء بعد قوله فما انا مردود ومنه برواية مغلطاي :

وكأن طارقها على علل الكرى   والنجم وهناً قد دنا التعوّر
نشوان ريح مدامـة معـلولة   بذكيّ مسك او سحيق العنبر
اني لأحفـظ غيبـكم ويسرني   لو تعلمين بصالح ان تذكري
ويكون يوماً لا أرى لك مرسلاً   أو نلتقي فيه عليّ كأشهر
يا ليتني أخشى المنيـة بغتـة   ان كان يوم لقائكم لم يقدر
لو استطيع تجلداً عن ذكركم   فأفيق بعد صبابتي وتفكري
لو تعلمين بما أجن من الهوى   لعذرت أو لظلمت ان لم تعذري
فلتبكين الباكيات ولم أبح   يوماً بسرك معلناً لم أغـدر

ومنه

منع النوم شدة الاشتياق   وادكار الحبيب يوم الفراق
ليت شعري اذا بثينة بانت   هل لنا بعد بينها من تلاق

ولقد قلت يوم نادى المنادي مستحثاً برحلة وانطلاق
ليت لي اليوم يا بثينة منكم مجلساً للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنت فاني غير ناس للعهد والميثاق

وعن ابن عياش قال لقيت عجوزاً من بني عذرة فقلت لها هل تروي شيئاً عن جميل ومحبوبته قالت نعم كنت يوماً وبثينة قد انفردت تبرم غزلاً والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة الى الشام واذا برجل قد اقبل الينا فاستثبتناه فاذا هو جميل فقلت له قد عرضتنا ونفسك شراً فمن أين جئت، قال من هذه الهضبة ولي بها ثلاثة انتظر الفرصة لاحدث بكم عهداً فاني ذاهب الى مصر فحدثنا ساعة وهو لا يتماسك فجئته بقدح فيه تمر واقط فنال منه يسيراً ثم ودع ومضى فلم نلبث ان جاء اهل الحي ومنه

أرى كل معشوقين غيري وغيرها يلذان في الدنيا ويغتبطان
وامشي وتمشي في البلاد كأننا أسيران للأعداء مرتهنان
أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها لي الويل مما يكتب الملكان
ضمنت لها ان لا أهيم بغيرها وقد وثقت مني بغير ضمان
الا يا عباد الله قوموا لتسمعوا خصومة معشوقين يختصمان
وفي كل عام يستجدان مرة عتاباً وهجراً ثم يصطلحان
يعيشان في الدنيا غريبين أينما أقاما وفي الأعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدي قال قال لي رجل هل تعود جميلاً فانه مريض، فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه، فنظر إليّ وقال ما تقول في رجل لم يزن قط ولم يشرب خمراً ولم يسفك دماً ويشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله منذ خمسين سنة . قلت من هذا فاني اظنه ناج قال انا قلت عجيب منك تشبب ببثينة هذه المدة وانت كذلك قال انا في آخر يوم من الدنيا لأنالتني شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها بريبة واكثر ما كان مني ان اسند يدها الى فؤادي استريح ساعة ثم أغمي عليه فلما افاق انشد

صرح النعي وما كني بجميل　　وثوى بمصر ثواء غير قفول
قومي بثينة فاندبي بعويل　　وابكي خليلك دون كلّ خليل

ولما حضرته الوفاة قال من ينعاني الى بثينة قال رجل انا فأعطاه حلته فراح حتى جاء الحي فأنشد

بكر النعي وما كني بجميل　　وثوى بمصر ثواء غير قفول
بكر النعي بفارس ذي همة　　بطل اذا حمّ اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة تقول

وان سلوي عن جميل لساعة　　من الدهر لا حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر　　اذا مت بأساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعي يا هذا ان كنت صادقاً فقد قتلتني وان كنت كاذباً فقد فضحتني فقلت لها والله إني لصادق واخرجت الحلة فلما رأتها صرخت وصكت وجهها واقبل النساء يبكين معها حتى خرت مغشياً عليها ، ثم افاقت وانشدت وان سلوي البيتين فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت .

اخبار كثير عزة

هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الشهير بأبي جمعة قد أوصله الكلبي في جمهرة النسب إلى مـاء السماء بن حارثة بن ثعلبة المشهور أحـد اولاد الأزد ومن اجداده عمرو بن ربيعة الذي دعا العرب عن دين ابراهيم إلى عبادةالأصنام واقترح السوائب والبحيرة فرآه رسول الله ﷺ ليلةالمعراج يجر قصبه في النار وهو من خزاعة سموا بذلـك لانقطاعهم عن الأزد أيام سيل العرم وجاؤا إلى الشام وهو صاحب عزة بنت جميل ابن حفص بن اياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف علقهـا جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهي عاتق على حين ان شبت وبان نهودها
نظرت اليها نظرة مـا يسرني بها حمر انعـام البلاد وسودها

وكان سبب دخول الهوى بينهما ان كثيراً مرّ بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادي الخبت فأرسلن له عزة بدريهات تشتري بها كبشاً لهنّ منه فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ما كان ، فردّ الدراهم واعطاها الكبش ، وقال ان رجعت أخذت حقي فلما عاد سألته ذلك فقال لا أقتضي إلا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر إحدانا ، فأبى وأنشد البيتين ، فجعلن يبرزنها له كارهة ثم داخلها ما داخله وانه خرج يوماً ومعه اداوة ماء فجفت من الحر ورفعت له نار فأمها وإذا بعجوز فناشدته من الرجل فقال صاحب عزه فقالت له انت القائل

إذا ما أتينا خلة كي تزيلنا ابين وقلن الحاجبية أول
سنوليك عرفا ان أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصل

هلا قلت كما قال جميل

يا رب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها بالقول بعد تأمل حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة فضلاً لغيرك ما أتتك رسائلي

والله لأسقيتك شيئاً فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته انشد

يزهدني في حب ميــة معشر قلوبهم فيهــا مخالفــة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الآذان إلا من القلب

هكذا رواه ابن اسحاق ، وقال الشهاب محمود بذلك ونقل في الطبقات الأبيات إلا انه قال يزهدني في حب عزة معشر

ثم قال هذه الأبيات لكثير وقد توهم قوم انها لذي الرمة بدليل قوله : يزهدني في حب مية معشر ، وليس كذلك وإنما كان سهواً ، ودخل كثير على عبد الملك ابن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق علي هل رأيت أعشق منك ، فقال لو أقسمت عليّ بحقك لأخبرتك فقــال بحقي إلا ما أخبرتني فقال يا أمير المؤمنين خرجت يوماً واذا انا بصياد قد نصب شبكته ليصطاد ما يسدّ به رمقه فقلت له ان ساعدتك شاركني فيما يكون قال نعم فجاءت ظبية فوقعت في الأحبولة فسبقني اليها فحلها ثم مسح وجهها وقبلها وأطلقها وأنشد

أيا شبه ليلى لا تراعى فانني لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها فأنت لليلى ما حييت طليق
فعينك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت لها مـــا الحق الذي مطلته كثيراً إذ قال

قضى كل ذي حق فوفى حقوقه   وعزة ممطـول معنى غريمهـــا

فقالت وعدته قبلة فقانت نجزيها وعليَّ اثمها وفي رواية ان الحكاية مع سكينة بنت الحسين . وفي الذيل من روايـــة الفارسي قضى كل ذي دين فوفى ديونه . وفي أخرى غريمه ، وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هي ان كثيراً كان له غلام يتجر على العرب فأعطى النساء الى أجل ، فلمـا اقتضى ما له منهن ماطلته عزة فقال لها يوماً وقد حضرت في نساء اما آن ان تفي بما عندك فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء . فقال صدق مولاي حيث يقول قضى كل ذي دين وأنشد البيت فقلن له أتدري من غريمتك فقال لا نلن هي والله عزه فقال أشهدكنّ عليَّ انها في حل مما عندها ومضى فأخبر مولاه بالحكاية فقال له وأنت حر وما عندك لك ، ورأيت في روضة الدولتين لأبي شامة ان الذي وهبه كثير ألف دينار وأنشد حين أعتق الغلام

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم   إذا غاله من حادث الدهر غائله
يودّ بأن يمسي سقيماً لعلـــها   إذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلا   لتحمد يوماً عند عز شمـــائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أتروين قول كثير

لقد زعمت اني تغيرت بعدها   ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والخليقة كالتي   عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدري هذا ولكن أروي قوله

كأني أنادي صخرة حين اعرضت   من الصم لو يمشي بها العصم زلت
صفوحاً فما تلقـــاك الا بخيلة   فمن سلّ منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وقيل أنه سألها عن قوله قضى كل ذي دين وهـذان البيتان من قصيدة طويلة رواها في الذيل عن ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثير وقال انها من عجائب شعره وهي :

خليليّ هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم أبكيا حيث حلت
وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ولا موجعات الحزن حتى تولت

وفي رواية ولا موجعات القلب البيت

فقد حلفت جهداً بما نحرت له قريش غداة المازمين وصلت
أناديك ما حج الحجيج وكبرت بفيفاً غزال رفقـة وأهلت
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها كنا ذرة نذراً فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
ولم يلـق انسان من الحب ميتـة تغم ولا غمـاء إلا تجلت

كأني أنادي البيتين

أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها وحلت تلاعاً لم تكن قبل حلت
فليت قلوصي عند عزة قيدت بحبل ضعيف حزمنها فضلت
وغودر في الحي المقيمين رحلها وكان لها باغ سواي فدلت
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظلع لما تحاملت على ظلعها بعد العثار استقلت
أريد التواء عندها وأظنها اذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فما انصفت اما النساء فبغضت إلي واما بالنوال فضنت
يكلفها الخنزير شتمي وما بها هواني ولكن للمليك استذلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

ومن أول القصيدة الى قوله فما أنصفت لزوم ما لا يلزم ولم يخالفه إلا في البيت المذكور ، وللبيتين اللذين بعده حكاية هي ان كثيراً سافر مع جماعة

الى مكة فاتفق ان خرجت عزة وزوجها في ذلك العير ، فلما كان في أثناء الطريق مرت بجمل له فسلمت على الجمال فبلغ كثيراً ذلك فجاء الى الجمل فحله وأطلقه من الحمل وانشد

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت   فحي ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لي فأرددها   مكان يا جمل حييت يا رجل

زاد أبو علي بيتاً بين هذين وهو

لو كنت حييتها ما زلت ذامقة   عندي ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق ان زوجها أمرها ليلة ان تقتبس ناراً وقال في النزهة ان تستعطي سمناً فلقيها كثير فأخبرته بحاجتها فأخرج ادواة سمن وجعل يسكب في اناء عزة وهما يتحادثان فلم يشعرا حتى غرقت أرجلها ، فلما رجعت انكر زوجها كثرة السمن وأقسم عليها فأخبرته فحلف ليضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيراً بحيث يسمعها ففعلت فأنشد يكلفها الخنزير البيتين وفي منازل الأحباب انها وقفت عليه وهو يبري سهاماً ما فجعل يبري ساعده فدخلت عليه فمسحت الدم بثوبها وان زوجها لم ينكر إلا وجود الدم ، وقيل له أنت أشعر أم جميل فقال كيف يكون أشعر مني وهو القائل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى   وفي الغر من أنيابها بالقوادح

وأنا القائل هنيئاً مريئاً البيت وليس فيما ذكر دليل على انه اشعر منه وإنما يدل ذلك على ان كثيراً أرق قلباً وأشفق على محبوبته وأشد عشقاً فلو سبق الكلام لذلك فكان الصق بالمعنى وأولى وتمام القصيدة

ووالله ما قاربت إلا تباعدت   بصرم ولا أكثرت الا أقلت
فان تكن العتبى فأهلاً ومرحبا   وحققت لها العتبى لدينا وقلت
وان تكن الأخرى فان وراءنا   مناويح لوسارت بها العيس كلت
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت   بعافية أسبابه قد تولت

خليليَّ ان الحاجبية طلحت قلوصيكما اذ ناقتي قد أكلت
أسيئي بنا أو احسني لا ملومة لدينـــا ولا مقلية ان تقلت
ولكن انيلي واذكري من مودة بناخلة كانت لديـــك فضلت
واني وان صدت لمثن وصادق عليهـــا بما كانت علينا أدلت
فما أنا بالداعي لعزة بالجوى ولا شامتاً ان نعـــل عزة زلت
فلا يحسب الواشون ان صبابتي بعـــزة كانت غمرة فتجلت
واصبحت قد أبليت من دنف بها ولا بعدها من خلة حيث خلت
وما مر من يوم عليَّ كيومها وان عظمت أيام أخرى وجلت
وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه وللنفس اذ وطنتها كيف زلت
واني وتهيـــامي بعزة بعد ما تخليت ممـــا بيننـــا وتخلت
لكالمرتجى ظـل الغمامـة كلما تبوأ منهـــا للمقيم اضمحلت
كأني وإياهـــا سحـــابة ممحل رجاهـــا فلمـــا جاوزته استهلت

وخرج يوماً من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار في روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها
با طيب من أردان عزة موهنا اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك اذا أوقد المندل الرطب على هذه الروضة أو بخرت به أمك العجوز الشناء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندي

ألم ترياني كلمـــا جئت زائـــراً وجدت بها طيباً وان لم تطيب

فناولها مطرف خز كان معه وقال استري عليَّ ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخـــه ، ثم قال ان بعض مشـــايخ

الأدب قال ليس على كثير شيء فان قوله اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا انه ما أراد الا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحاً لإثبات قصده ، وتوفي كثير سنة خمس ومائة في اليوم الذي مات فيه عكرمة مولى ابن عباس وقبر في مقابر المدينة وله في عزة اشعار كثيرة من محاسنها قوله

يقولون سوداء العيون مريضة ... فأقبلت من أهلي اليها أعودها
فوالله ما أدرى إذا انا جئتها ... أأبرئها من دائها أم أزيدها
إذا جئتها وسط النساء منحتها ... صدوداً كان النفس ليس تريدها
ولي نظرة بعد الصدود من الجوى ... كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها

وقيل ان هذه الأبيات لذي الرمة لأنه بعد ما ذكر يقول :

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها ... أرى الأرض تطوي لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها ... اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز ان يرشده الى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد:

وقفت على ربع لعزة ناقتي ... وفي البر رشاش من الدمع يسفح
فيا عز أنت البدر قد حال دونه ... رجيع تراب والصفيح المضرح
وقد كنت أبكي من فراقك خفية ... فهذا لعمري اليوم أنأى وأنزح
فهلا فداك الموت من ان ترينه ... بمن هو أسوأ منك حالاً وأقبح
ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة ... لشيء ولا ملجأ لمن يتملح
فلا زال رمس ضم عزة سائلاً ... به نعمة من رحمة الله تسفح
فان التي أحببت قد حال دونها ... طوال الليالي والضريح الموجح
أرب بعيني البكا كل ليلة ... فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرح
اذا لم يكن ما تسفح العين لي دماً ... وشر البكاء المستعار المسيح

ومنها

ألا حيا ليـــلى اجد رحيلي   وآذن أصحابي غـــدا بقفولي
تبدت له ليـــلى لتذهب عقله   وشاقتك أم الصلت بعد ذهول
أريد لأنسى ذكرهـــا فكأنما   تمثل لي ليـــلى بكل سبيل
إذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة   تعل بهـــا العينان بعد نهول

ومنها

حلفت برب الراقصات إلى منى   خـــلال الملا يمددن كل جديل
يمين امرىء مستغلظ من أليـــة   يكذب قيلا قـــد ألح بقيل
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم   بليـــلى ولا راسلتهم برسول
فان جاءك الواشون عني بكذبة   فروها ولم يأتوا لها بحويـــل
فلا تعجلي يا ليل ان تتفهمي   بنصح أتى الواشون أم بحُول

ومنها

تذكرت اترابا لعزة كالمهى   حبين بلفظ ناعم وقبول
وكنت إذا لاقيتهن كأنني   مخالطة عقلي سلاف شمول

ومنها

كفى حزناً للعين ان رد طرفها   لعزة عـــير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكى   فقلت البكى أشفى إذن لغليلي
توليت محزوناً وقلت لصاحبي   أقاتلتي ليـــلى بغير قتيـــل
لعزة إذ ما حل بالخيف أهلها   فأوحش منها الخيف بعد حلول
وبدل منها بعد طول إقامـــة   تبعث نكباء العنى جفـــول
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم   ومـــال بنا الواشون كل مميل
وما زلت من ليلى لدن طر شاربي   إلى اليوم كالمقصي بكل سبيل

ومنها

لا تغدرن بوصل عزة بعد ما أخذت عليك مواثقاً وعهـــودا
ان المحب إذا أحب حبيبـــه صدق الصفـــاء وأنجز الموعودا
الله يعـــلم لو أردت زيادة في حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبـــان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة خـــاشعين سجودا
والميت ينشر ان تمس عظامه مساو يخلدان يراك خـــلودا

وهذا الشعر رواه الحافظ مغلطاي كما هو عن جميل وقد رأيته في النزهة منسوباً اليه وبعدمـــا ذكر بيتاً استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف قال وكثيراً ما نقله النحاة هكذا

لا لا أبوح بحب بثنة انها أخذت عليَّ مواثقا وعهودا

قال القالي هو لكثير وذكر بثنة سبق قلم والأصل عزة أو ان الشعراء كثيراً ما يعدلون عن اسم من يريدون إلى ما لا يريدون تورية وغيرة وسيأتي لذلك ايضاح

ومنها

تفرق أنواع الحجيج على منى وفرقهم شعب النوى بين أربع
فلم أر داراً مثلها دار غبطة وملقى إذا التف الحجيج لمجمع
أقـل مقيماً راضياً بمقـــامه واكثر جـــاراً ظاعناً لم يودع
فشاقوك لمـــا وجهوا كل وجهة سراعاً وأخلوا عن منازل بلقع
فريقان منهم سالك بطن نخلة وآخر منهم سالك خبت يفرع

أخبار قيس ولبنى

هو قيس بن ذريح بن سنة ، وفي رواية ابن الحباب يتصل نسبه ببكر بن عبد مناة عذري وهو من خزاعة واسم أبيه علي او هو جده ، وكان ينزل بظاهر المدينة وهو رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب ، وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية انه ذهب ببعض حاجاته فمر ببني كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء ، فلما صدر قالت له ألا تبرد عندنا ، وقد تمكنت من فؤاده فقال نعم ، فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج اليه وإن أباها جاء .

فلما وجده رحب به ونحر له جزوراً وأقام عندهم بياض اليوم ثم انصرف وهو أشغف الناس بها فجعل يكتم ذلك إلى ان غلب عليه فنطق فيها بالأشعار وشاع ذلك عنه وانه مرّ بها ثانياً فنزل عندهم وشكا اليها حين تخاليا ما نزل به من حبها فوجد عندها أضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر .

فمضى إلى أبيه فشكا اليه ذلك فقال له دع هذه وتزوج بإحدى بنات عمك ، ففهم منه وجاء إلى أمه فكان منها ما كان من أبيه فتركها وجاء إلى الحسين بن علي وأخبره بالقصة فرثى له والتزم له أن يكفيه هذا الشان

فمضى معه إلى أبي لبنى فسأله في ذلك فأجابه بالطاعة ، وقال يا ابن رسول الله لو أرسلت لكفيت ، بيد ان هذا من أبيه أليق كما هو عند العرب فشكره ومضى إلى أبي قيس

ونقل السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر، ان الحسين بن علي لما بلغه انقباض أبي قيس عن ذلك ، جاء اليه حافياً على حر الرمل فقام ومرغ وجهه على أقدامــه ، وكان ذريح ملياً فمضى مع الحسين حتى زوّج قيساً بلبنى ونقل الجلال السيوطي ان الحسين أدى المهر من عنده ، ولما تزوجها أقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من احسن الأحوال ومراتب الاقبال ، وفنون المحبة، وان قيساً على أبلغ ما يكون من أنواع البر بأمه فشغله الانهاك مع لبنى عن بعض ذلك فحسنت لأبيه التفريق بينهما فقالت له يوماً او زوجته بمن تحمل لتجيء بولد كان أبقى لنسبك واحفظ لبيتك ومالك ، وانهما عرضا على قيس ذلك فامتنع امتناعاً يؤذن باستحالة ذلك ، وقال لا أسيبها قط وأقام يدافعهما عشر سنين إلى أن أقسم أبوه أو هي أمه لا يكنه سقف أو يطلق قيس لبنى فكان اذا اشتد الهجير يجيئه فيظله بردائه ويصطلي هو حتى يجيء الفيء فيدخل إلى لبنى فيتعانقـان ويتباكيان وهي تقول له لا تفعل فتهلك إلى ان قدر ان طلقها ، فلما أزمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد قوض فسطاطها فسأل الجارية عن امرهم فقالت سل لبنى فأتى اليها فمنعه أهلها واخبروه انهـا غداة غد ترحل إلى أهلها فسقط مغشياً عليه ، فلما أفاق وأنشد

واني لمفن دمــع عيني بالبكى	حذار الذي قد كان او هو كائن
وقالوا غداً او بعد ذاك بليلة	فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت اخشى ان تكون منيتي	بكفيك الا ان ما حان حائن

وقال ايضاً

يقولون لبنى فتنة كنت قبلهـا	بخير فلا تندم عليهـا وطلق
فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي	واقررت عين الشامت المتملق
وددت وبيت الله اني عصيــتم	وحملت في رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر	ابيت على اثبــاج موج مفرق

كأني ارى الناس المحبين بعدها عصارة مـاء الحنظل المتفلق
فتنكر عيني بعدها كل منظر ويكره سمعي بعدها كل منطق

وسقط غراب بحيث ينظره فنعق حين رحيلها فأنشد

لقـد نادى الغراب ببين لبنى فطار القلب من حذر الغراب
وقال غداً تبـاعد دار لبنى وتنأى بعد ود واقـتراب
فقلت تعست ويحك من غراب وكان الدهر سعيك في تبـاب

وتبعها حين ارتحلت ينظر اليها ، فلما غابت رجع يقبل أثر بعيرها ، فليم على ذلك فأنشد

وما أحببت ارضكم ولكن أقبل أثر من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كلف بلبنى بلاء مـا أسيغ له الشرابا
إذا نادى المنادي باسم لبنى عييت فلا أطيق له جوابا

ولما أجنه الليل أوى إلى مضجعه فلم يطق قرار فجعل يتململ ويتمرغ في موضعه ويقول

بت والهم يا لبينى ضجيعي وجرت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست إذ ذكرتك حتى زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
يا لبينى فدتك نفسي وأهلي هل لدهر مضى لنا من رجوع

وقال ايضاً

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف قضت لبانة ما قضيت فانصرف
قد كنت أحلف جهدي لا أفارقها أُف لكثرة زيف القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتلتت لا تأمنن أبداً من غش مكتنف
هيهات هيهات قد أمست مجاورة أهل العقيق وأمسينا على سرف
حيّ يمـانون والبطحاء منزلها هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

وأرسلت اليه يوماً أمـه بنات يعبن لبنى عنـده ويلهينه بالتعرض إلى وصلهن فأنشد

يقر لعيني قربها ويزيدني بها عجباً من كان عندي يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيانفس صبراً لست والله فاعلمي بأول نفس غاب عنها حبيبها

فلم ينصرفن ودمن على ما كن فيه فنادى يا لبنى فقلن ما لك قال خدرت رجلي وكان من المعلوم عند العرب انه إذا خدرت رجل الرجل وذكر لها أحب الناس اليها سكنت ثم قال

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها فناديت لبنى باسمها ودعوت
دعوت التي لو ان نفسي تطيعني لفارقتهـا في حبهـا فقضيت
برت نبلها للصيد لبنى عشية ورشت بأخرى مثلها وبريت
فلمـا رمتني أقصدتني بنبلهـا وأخطأتهم بالسهم حين رميت
وفارقت لبنى ضـلة فكأنني قرنت إلى العيوق ثم هويت
فيا ليت اني مت قبل فراقها وهل يرجعن قول المفرط ليت
فوطن لنفسي منك هلكاً فانني كأنك بي قد يا ذريح قضيت

ورأيت الأبيات في كتاب لا أعرف جامعه وفيها يقول

فيا ليت اني مت قبل فراقها وهل ينفعن بعد التفرق ليت
فان يك تهيامي بلبنى غواية فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت ، ولما اشتد شوقه وزاد غرامه أفضى به الحال إلى مرض الزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال ، فلام الناس أباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به ، فأرسل له طبيباً وقينات يسألون عن حاله ويلهونه ، فلما أطالو عليه أنشد

عند قيس من حب لبنى ولبنى داء قيس والحب صعب شديد

فاذا عـــادني العوائـــد يوماً قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعـــودني ثم أقضي انهـــا لا تعود فيمن يعـــود

ويح قيس لقـــد تضمن منها داء خبل فالقلب منه عميـــد

فقال له الطبيب مذ كم هذه العلة بك ومذ كم وجدت بهذه المرأة مـا وجدت فقال

تعلق روحي روحها قبل خلقنا وليس إذا متنا بمنفصم العقد

فزاد كما زدنا واصبح نامياً وليس إذا متنا بمنصم المهد

ولكنه باق على كل حـادث وزائرتي في ظلمة القبر واللحد

فقال إنما يسليك عنها تذكر مـا فيها من المساوي والمعايب ومـا تعافه النفس فقال

إذا عبتها شبهتها البدر طالعاً وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما على ألف شهر فضلت ليلة القدر

إذا ما مشت شبراً من الأرض ارجفت من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها إذا مشت ومتن كغصن البان منضمر الخصر

وان أباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه ، فلما لم يفد ذلك عرض عليه التزويج فأنشد

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها بشيء من الدنيا وان كان مقنعا

وازجر عنها النفس ان حيل دونها وتأبى اليهـا النفس الا تطلعـا

فلما أيس منـه استشار قومه في دائـه فاتفقت آراؤهم على أن يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة تستميل عقله فاقسموا عليه ان يفعل ففعل وانه اتفق ان نزل بحي من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها برقع خز وهي كالبدر حسناً وبهجة فسأل عن اسمها فقالت لبنى

فسقط مغشياً عليه فارتاعت منـه ونضحت وجهه بالماء وقالت ان لم تكن قيساً فمجنون

فلما أفاق استنسبته فاذا هو قيس فأقسمت عليه ان ينال من طعامها ، فتناول قليلاً وركب فجاء أخوها على أثره فاعلمته القصة فركب حتى استرده وأقسم عليه أن يقيم عنده شهراً ، فقال شفقت عليّ وأجاب فكان الفزاري يعجب به ويعرض عليه الصهـارة حتى لامته العرب وقالوا نخشى أن يصير فعلك سنة فيقول دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام وقيس يقول له ان فيكم الكفاية ولكني في شغل لا ينتفع بي معه فألح عليـه حتى عقد له على أخته ودخل بها فأقام معهـا أياماً لا تهش نفسه اليها ولا يكلمها ثم استأذن في الخروج الى اهله فأذنوا له فخرج الى المدينة وكان له بهـا صديق فأعلمه ان لبنى قد بلغها تزويجه فغمت لذلك وقالت انه لغدار واني طالمـا خطبت فأبيت والآن أجيب هذا وان أبا لبنى قد اشتكى قيساً الى معاوية وانه يشبب بابنته فكتب الى مروان بهدر دمه وأمره أن يزوّج ابنته بخالد بن خلدة الغطفاني وهو كندي حليف قريش فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها:

لبينى زوجهـا أصبـح لا حر يوازيـه
له فضل على الناس وقد باتت تناجيه
وقيس ميت حقـاً صريـع في بواكيه
فـــلا يبعده الله وبعـــداً لنواعيه

ولما بلغ ذلك قيساً اشتد به الغرام فركب حتى أتى محلة قومها فقالت له النساء ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجهـا فلم يلتفت حتى أتى موضع خبائها فتمرَّغ به وأنشد

الى الله أشكوا فقد لبنى كما شكا الى الله بعـد الوالدين يتـيم
يتيم جفاه الأقربون فجسمه نحيل وعهـد الوالدين قـديم

وأنشد حين بلغه هدر دمه

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها　　مقالة واش أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا　　ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري
الى الله أشكو ما ألاقي من الهوى　　ومن كرب تعتادني وزفير
ومن حرق للحب في باطن الحشا　　وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة　　بكاء حزين في الوثاق أسير
وكنا جميعاً قبل أن يظهر النوى　　يا نعم حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا　　بطون الهوى مقلوبة بظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا　　ولكنها الدنيا متاع غرور

وقال ايضاً

وان تك لبنى قدأتى دون قربها　　حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا　　ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحين تلتقي　　ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا　　سماء نرى فيها النجوم تجول
الى أن يعود الدهر سلما وتنقضي　　ترات يراها عندنا وذحول

وحجت لبنى في تلك السنة فاتفق خروجه ايضاً فتلاقيا فأبهت وأرسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال وأنشد

إذا طلعت شمس النهار فسلمي　　فاني يسليني عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت　　وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولي اسلمي　　طوت حزناً وارفض منها دموعها

وحين انقضى الحج مرض مرضاً أنهكه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيته لها فأنشد

ألبنى لقد جلت عليك مصيبتي　　غداة غد اذ حل ما أتوقع

تمنيني نيلا وتلويني به فنفسي شوقاً كل يوم تقطع
ألومك في شأني وأنت مليمة لعمري واجفى للمحب واقطع
وأخبرت اني فيك مت بحسرة فما فاض من عينيك للوجد مدمع
إذا أنت لم تبكي عليّ جنازة لديك فلا تبكي غدا حين أرفع

فحين بلغتها الأبيات جزعت جزعاً شديداً وخرجت اليه خفية على ميعاد فاعتذرت عن الانقطاع واعلمته انها إنما تترك زيارته خوفاً عليه ان يهلك والا فعندها ما عنده ولكنها جلدة (وفي منازل الأحباب) يرفعه الى ابن عباس قال مررت بربع عفا رسمه واذا بشخص فسلمت عليه فلم يرد فمضيت واذا هو يناديني فرجعت فردّ عليَّ السلام واعتذر ثم ذكر انه تعتريه غيبة العقل أطواراً هذا ودمعه يسفح كالغيث فقلت له من أنت قــال قيس ابن ذريح وأنشد

أمانيه لبنى ولم يقطع المدى بوصل ولا هجر فييأس طامع
أبى الله ان يلقي الرشاد متيم الا كل شيء حمٌ لا شك واقع
هما برحــابي معولين كلاهما فؤاد وعين ماقها الدهر دامع
اذا نحن أفنينــا البكاء عشية فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاي واخبرت لبنى بمرضه في حبها فقالت دفعاً للوهم مم يتمارض فبلغته القصة فأنشد

تكذبني بالودّ لبنى وليتها تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت انني لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردّها حياء ومثلي بالحياء حقيق
إذ ود سوام النفس عنك وماله على أحد إلا عليك طريق
شهدت على نفسي بأنك غادة رداح وان الوجه منك عتيق
وانك لا تجزين مني صحابة ولا أنا للهجران منك أطيق

وانك قسمت الفؤاد فنصفه رهين ونصف في الحبال وثيق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشا وبين التراقي واللهـــاة حريق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي وبعض لبعض في الفعال يفوق
سلي هل قلاني من خليل صحبته وهل ذمّ رحلي في الرفاق رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي اذا اغبرّ مخشيّ المعجاج عميق
واكتم أسرار الهوى فأميتهـــا إذا باح مـــزاح بهن يروق
هل الصبر الا أن أصدّ فلا أرى بأرضك الا ان يكون طريق

وروى ان قيساً انتقى ناقة من إبله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ، ثم قال له ائتني غداً في دار كثير بن الصلت أقبضك الثمن ، فجاء وطرق الباب فادخله وقد صنع له طعاماً وقام لبعض حاجاته ، فقالت المرأة لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيراً شاحباً فتنفس الصعداء ، ثم قال هكذا حال من فارق الأحبة فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكي أمره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة ، ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال ما بالك عدلت قبض مالك وان شئت زدناك ، فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له ما هذا الذي فعلت انه لقيس فحلف انه لا يعرفه ، وأنشد قيس معاتباً لنفسه

أتبكي على لبنى وأنت تركتها وكنت عليها بالملا أنت أقدر
فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت فللدهر والدنيا بطون وأظهر
كأني في أرجوحة بين أحبـل اذا فكرة منها على القلب تخطر

وقيل انه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبني فعاد مبهوتاً فسأله الرجل فقال له لا تركب لي مطيتين فقال أنت قيس قال نعم قال ارجع لنخيرهـا فان اختارتك طلقتها وظن الرجل انها تبغض قيساً فخيرها فاختارت قيساً فطلقها لوقته

وحكي ان سبب طلاقها ان قيساً قصد ابن أبي عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروءة في ذلك ، فجاء الى الحسن والحسين واعلمهما ان له حاجة عند زوج لبنى وطلب أن ينجداه عليه فمضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في ذلك فقال سلوا ما شئتم فقال له ابن أبي عتيق أهلاً كان أو مالاً قال نعم ، فقال أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندي فقال أشهدكم انها طالق ثلاثاً فاستحيوا منه وعوّضه الحسن مائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت

وروى ان لبنى عاتبت قيساً على تزويج الفزارية فحلف لها ان عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وانه لو رآها لم يعرفها واخبرته لبنى انها كارهة زوجها وأعلمته انها لم تتزوجه رغبة فيه بـل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلى عنها فطلقها حين علم ما بينهما وأرسل أخو الفزارية الى قيس حين أبطا عنه يسأله الرجوع فأعاد الرسول بالخيار في أمر اخته فاختار الرجل عدم الفرقة وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان ذلك قبل طلاق لبنى فقال له ان شئت كتبت الى زوجها بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لي أن أكون ببلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بحبها وتظافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض واضرابها فرق الناس له هـذا ولما طلقت نقلت الى العدة بأمر ابن ابي عتيق فمن ذاهب الى انها أكملت عدتها وتزوجها وأقاما الى الموت بدليل مدحه لابن أبي عتيق حيث قال

جزى الرحمن أفضل ما يجازى على الاحسان خيراً من صديق
فقد جربت اخواني جميعاً فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع ورأى حدت فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بقلبي اغصتني حرارتها بريقي

ومن ذاهب وهم الأكثر الى انها ماتت في العدة وان مدحه لابن ابيعتيق حين لم يشك في عودها اليه وقد نهاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا

يعدّني قواداً والقائلون بموت لبنى في العدة أجمعوا ان قيساً خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وأنشد :

ماتت لبينى فموتها موتي   هل ينفعن حسرة على الفوت
إني سأبكي بكاء مكتئب   قضى حياة وجداً على ميت

ثم بكى حتى أغمي عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن الى جانبها وكان ذلك في سنة   وله أشعار كثيرة منها حكاه الشهاب في منازل الأحباب عن أبي العباس على تردد في أنه لابن الدمينة

وفي عروة العذري ان مت أسوة   وعمرو بن عجلات الذي قتلت هند
وبي مثل ما قد نابه غير انني   الى أجل لم يأتني وقته بعد
وفيض دموع العين بالليل كلما   بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

ومنها

لقد عنيتني يا حب لبنى   فقع إما بموت أو حياة
فان الموت أيسر من حياة   منغصة لها طعم الشتات
وقال الآمرون تعز عنها   فقلت ولا إذا حانت وفاتي

ومنها

فما وجدت وجدي بها أم واحد   ولا وجد النهدي وجدي على هند
ولا وجد العذرى عروة في الهوى   كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

ومنها

لو أن امرأ اخفي الهوى عن ضميره   لمت ولم يعلم بذاك ضمـــير
ولكن سألقي الله والنفس لم تبح   بسرّك والمستخبرون كثير

ومنها

عفـــا سرف من أهله فشوارع   فجنبا أريك فالبلاد الدواقع

فمكة فالأخياف أخياف طيبة … بها من لبينى مخرف فمرابع
لعلَّ لبينى أن يحم لقاؤهـــا … ببعض بلادي ان ما حم واقع
بجذع من الوادي خلا عن أنيسه … عفا وتخطته العيون الجوازع
ولما بـــدا منها الفراق كما بدا … بظهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع
تمنيت أن تلقي لبينـــاك والمنى … تعاصيك أحياناً وحيناً تطاوع
ومـــا من حبيب وامق لحبيبه … ولاذي هوى الإله الدهر فاجع
وطار غراب البين وانشقت العصا … لبين كما شق الأديم الصواقع
ألا يا غراب البين قد طرت بالذي … أحاذر من لبنى فهل أنت واقع
وانك لو أبلغتهـــا قيلي اسلمي … طوت حزناً وارفض منها المدامع
أتبكي على لبنى وأنت تركتها … وكنت كآت غيه وهو طائع
فـــلا تبكين في اثر شيء ندامة … إذا نزعته عن يديك النوازع
فليس لأمر حـــاول الله جمعه … مشت ولا ما فرّق الله جامع
كأنك لم تقنع إذا لم تلاقهـــا … وان تلقها فالقلب راض وقانع
فيا قلب خبرني اذا شطت النوى … بلبنى وصدت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبـــين المشت مع الجوى … أم أنت امرؤ ناسي الحياة فجازع
فما أنا ان بانت سليمى بهاجع … اذا ما استقلت بالنيام المضاجع
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى … ضجيع الأسى فيه نكاس روادع
فلا خير في الدنيا إذا لم تزورنا … لبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع
أليست لبينى تحت سقف يكنها … وإياي هذا ان نأت لي نافع
ويلبسنا الليـــل البهيم إذا دجا … ونبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تطأ تحت رجليها بساطاً وبعضه … أطاه برجلي ليس يطويه مانع
وافرح ان تمسي بخير وان يكن … بها الحدث العادي ترعني الروائع
كأنك بدع لم تر الناس قبلهـــا … ولن يطلعنك الدهر فيمن يطالع
وقد كنت أبكي والنوى لا أظنه … بنا وبكم لم ندر ما البين صانع

واهجركم هجر البغيض وحبكم على كبدي منه كلوم صوادع
فواكبدي من شدة الشوق والأسى وواكبدي اني الى الله راجع
واعجــل للاشفاق حتى يشفني مخافة شحط الدار والشمل جامع
واعمد للارض التي من ورائكم لترجعني يوماً اليك الرواجع
فيا قلب صبراً واعترافاً لما ترى ويا حبها قع بالذي أنت واقع
لعمري لمن أمسى وأنت ضجيعه من الناس ما اختيرت اليه المضاجع
ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها وللبين غمّ مــــا يزال ينازع
إذا لم يكن إلا الجوى فكفى به جوى حرق قد ضمنتها الأضالع
أبائنـــة لبنى ولم تقطع المدى بوصل ولا صرم فييأس طـامع
نهاري نهـــار الواهين صبابة وليلى تنبو فيه عني المضاجع
وقد كنت قبل اليوم خلوا وإنما تقسم بين الهالكين المصــــارع

وهذان البيتان في غير رواية أبي علي

ولولا رجاء القلب أن يعطف النوى لمـــا حملته بينهنّ الأضـــالع
له وجبات اثر لبنى كأنها شقائق برق في السحاب لوامع
نهاري نهار الناس حتى إذا بدى لي الليل هزتني اليك المضـاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني باللـيــل والهم جامع
اذا نحن انفـــدنا البكاء عشية فموعدنا قرن من الشمس طالع
وللحب آيات تبــين للفتى شحوب وتبري من يديه الأشاجع
وما كل ما منيت نفسك خالياً تـلاقي ولا كل الذي أنت تابـع
تداعت له الأحزان من كل وجهة فحن كما حن الطيور السواجع
وجانب قرب الناس يخلو بهمه وعاوده فيهـــا هيـــام مراجع
أراك اجتنبت الحي من غير بغضة ولو شئت لم تجنح اليك الأصابع
كأن بلاد الله ما لم تكن بهـــا وان كان فيها الناس قفر بلاقع

ألا إنما أبكي لمــــا هو واقع   وهل جزع من وشك بينك نافع
أحال عليَّ الدهر من كل جانب   ودامت ولم تقلع على الفجـــائع
فمن كان محروقاً غـدا لفراقنا   مذ الآن فليك لمـــا هو واقع

وقد انتهت أخباره كما وجدت وكأني بغبي يعترض على نقلي له من مراتب من حظي بالتلاق الى مراتب من مات دونه من العشاق ولم يدر ان الحيثيات توجب بالتأمل الصائب والفهم الذكي الثاقب ما لم يدركه الغافل الغبي أمـا تقدم هذه الأربعة فقد علم واما ذكر هذا هنا فقد قال في النزهة والبدور المسافرة وطوالع الأزهار وغالب شراح ديوان الاستاذ ومن بحث عن أحوال العشاق انه رأس أهل الهوى ولكن وقوعه في فرقة المحبوب وقعة في هذه المرتبة وقال المتكلمون على الديوان المذكور ان سلطـــان العشاق واستاذ العارفين على الاطلاق قد أشار الى تفضيله على الكل حيث شبه غرامه بغرامه وحسن لبنى ببهجة الحضرة المدوحة حيث قال

بفرط غرامي ذكر قيس بوجده   وبهجتهـــا لبنى أمت وأمت

لا يقال قد افرد غيره بالذكر ايضاً الآن أساليب دقائق كلامه وأفـانين مطاوي نظامه تجل عن ان تنال الأبشق الأنفس والله يؤتي فضله من يشاء فان قوله فان كنت ليلى ان قلبي عامر ونحوه ليس تمويهاً بعظم الشأن كما في البيت السابق اه قلت وقد يقال لا تفضيل القيس في البيت على غيره فيجاب بأن قوله رضي الله عنه

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق   كمجنون ليـــلى أو كثير عزة

صريح في جعله في مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الأرفع ومثل بالأمثل وذلك يقتضي التفضيل على الجميع وحكمة ذلك والله أعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمي بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ واعظم وأرفع في مقاسات الغرام وأفخم وفيه تلميح بما ذكر في التفضيل بين البشر والملائكة

اخبار المجنون وصاحبته ليلى

قد اختلف في اسمه هل هو عامر أو مهدي او الأقرع أو معاذاً وقيس ابنه أو ابن الملوَّح أو البحتري بن الجعد ، والصحيح الأول لإشارة عارف الوقت في البيت السابق وفي نسبه عامريّ أو كلابيّ أو جعديّ أو قشيريّ أو المجانين متعددة أو هما اثنان في بني عامر أو لم يكن احد وإنمـا امرؤ تعشق واستكتم عن ان يصرح باسمه واسم محبوبته فموّه بالمجنون وليـلى والصحيح انه من بني عامر وهو عامر بن ملوّح بن مزاحم يتصل نسبه عند صاحب الأغاني إلى كعب بن ربيعة بن صعصعة كان مديد القامة جعد الشعر أبيض اللون ولم ينله الهزال والجنون وتغير اللون إلا من العشق ، وصاحبته هي ليلى بنت مهدي بن سعد تتصل بنسبه في كعب بن ربيعة وكنيتهـا أم مالك وهذا أخذ من قوله ذلك في شعره كثيراً نحو قوله

تكاد بلاد الله يا أم مـالك بما رحبت يوماً علي تضيـق

وهذا كاستدلالهم بأن اسم أبيه ملوّح بن مزاحم وانه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة بقوله

عقرت على قبر الملوّح ناقتي بذي السرح لما أن جفاه أقاربه
وقلت لها كوني عقيراً فانني غداة غد ماش وبالأمس راكبه
فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم فكل امرىء للموت لا بد شاربه

وروى باسقاط هـاء السكت وحذف البيت الأخير وذكروا ان سبب عشقه لليلى انه مر يوماً على ناقة له وعليه حلتـان من حلل الملوك بامرأة من

قومه وعندها نسوة يتحدثن فأعجبهن فاستنزلنه للمنـــادمة فنزل وعقر لهن ناقته وأقام معهن بياض اليوم فأقبل فتى اسمه منازل يسوق غنماً فانصرفن اليه وتركن المجنون فقام مغضباً وأنشد

أأعقر من جرّا كرائم ناقتي ووصلي مقرون بوصل منازل
إذا جاء قعقعن الحليّ ولم أكن إذا جئت اخفوا صوت تلك الخلاخل

فقوله من جرا وكرائم يعني من أجلها وكرائم اسم المرأة التي كن عندها وروى ووصلى مفضول أي دون وصل منازل وهو أليق بالمقام وفي النزهة

إذا جاء قعقعن الحلى ولم يكن إذا جئت بل اخفين صوت الخلاخل

يقول قد أظهرن صوت الحلىَّ حين جاء منازل وهذه كناية عن قيامهن له ولم يكن ذلك عند مجيئي وهذا هو اللائق ولم يؤخذ من البيت السابق وقيل تداعيا المناضلة أو الصراع فقال له المجنون قم الى حيث يرينك ولا تراهن فافعل ما تقول وأنشد في ذلك

إذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته وأن يرم رشقاً عندها فهو ناضلي

فعلى هذا يكون ضمير عندها عائداً على النسوة وهــــذا دليل على شدة استحيائه فانه يقول له ما دمت تنظر اليهن فانك تشجع فتغلبني وهذا على حد قوله

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول جدي في السجع فان سعاد تنظرك وتسمعك قلت هذا ما نقل في الأصل عن ابن الكلبي ولا دليل فيه على تعلقه بليلى ، وإنما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال لما دعته النسوة إلى النزول نزل وجعــــل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلى فلم يصرف عنها طرفاً وشاغلته ، فلم يشتغل ثم قال لها هل عندكن ما تأكلن قالت لا ، فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يحز بالمدية في كفه وهو شاخص فيها حتى

اعرق كفه فجذبتها من يده ولم يدر ، ثم قال لها ألا تأكلين الشواء قالت نعم فطرح من اللحم شيأ على الغضى وأقبل يحادثها ، فقالت له أنظر الى اللحم هل استوى أم لا فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بهـا اللحم فاحترقت ولم يشعر فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلـك ثم شدّت يده بهدب قناعها ثم ذهب وقد تحكم عشقها من قلبه وقيل انها بعد هذا المجلس استدعته للمحادثة وقد داخلها الحب فقالت له هـل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف فقال ومن لي بذلك ثم نزل وعقر ناقته كما مر وانهـا كانت مغرمه بأحاديث الناس والاشعار وكان هو أروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منـه وكان يجيبهـا الى ذلك فتداخلت بينهما المحبة وفي نديم المسامرة انهما انتشئا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

فتحابا وانها حجبت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهاراً قبل الحجب ويذهب ليلاً وفي ذلك يقول

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا لي الليل هزتني اليك المضاجع
أقضي نهـاري بالحديث وبالمنى ويجمعني بالليل والهم جـامع

قلت وقد تقدم ان البيتين لقيس بن ذريح وصرح في نزهة العشاق بذلك وقال ان المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فانهما كان متعاصرين حتى نقل في الأغاني ان قيساً مر بالمجنون وهو في مبادي مخالطة العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهي لقاء صاحبه فسلم عليه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام اليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل الى الآخر ما عنده فقال المجنون لقيس ان حيّ ليلى قريب فهل لك ان تبلغهـا سلامي فمضى حتى وقف بها ونسب

نفسه فتعارفا وبلغها فأخبرته ان وجدها به أعظم ، ولكن قالت أنا عاتبة عليه حيث يقول

أتت ليلة بالغيـــل يا أم مالك لكم خير حب صادق ليس يكذب
الا إنمـــا أبقيت يا أم مالك صدى اينما تذهب به الريح يذهب

فأي ليلة كانت ومتى اختليت معه بالغيل أو غيره فقال لها لا تحمليه على ما تقول الناس فلم يرد سوأ وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه أعظم منزلة من اخوتـــه وكان أبوه ذا ثروة فدفع له خمسين بعيراً وراعيها في مهر ليلى فلم يقبل أبوها مع انه دونهم لما مر من ان العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت أخبارهما بالمحبة فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على ان تختاره ففعلت كارهة وفي ذلك يقول المجنون

ألا يا ليل ان ملكت فينا خيارك فانظري لمن الخيار
ولا تستبدلي منـــا دنيـا ولا بر ما اذا حث القتـار
يهرول في الصغير اذا رآه وتعجزه ملمـــات كبار
فمثل تأيم منـــه نكـــاح ومثل تمـــوّل منه افتقار

وأبصر يوماً في طريقه الى زيارتها جارية عسراء فتطير وأنشد

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى بجد القوى من ليل أعسر حاسر
صريع العصا جدب الزمان اذا انتحى لوصل امرىء لم تقض منه الأواطر

وشكا ذلك اليها فقالت لا بأس عليك والله لا اجتمعت بغيرك الا كارهة وكانت قبل هذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة لما فدعت شخصاً بحضرته فسايرته أو صرفت وجهها عنه الى غيره ثم نظرته قد تغير حتى كاد ان يتقطر فأنشدت تقول

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين

وفي رواية وكل مظهر في الناس وبعده .

وأسرار الملاحظ ليس تخفى　　وقد تغري بذي اللحظ العيون

وبهذين البيتين تظافرت الروايات وجاء في رواية

وقد تغري بذي اللحظ الظنون

وبعده

وكيف يفوت هذا الناس شيء　　وما في الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد ان يذهب عقله فانصرف وهو يقول

أظن هواهـا تاركي بمضلة　　من الأرض لا مال لدي ولا أهل

ولا أحـد أفضى اليه وصيتي　　ولا صاحب الا المطية والرحل

محا حبها حب الأولى كن قبلها　　وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل

وفي رواية ولا وارث المطية والأولى أصح وأنسب لأن المطيـة لا ترث وتستصحب كما جاء في كلام العرب

ان الحمار مع الحمار مطية　　واذا خلوت به فبئس الصاحب

وأصل ذلك ان الصحبة في الأصـل مجرد الاجتماع وأما شدة المخالطة والمداخلة فصداقة　(وخرج يوماً) في سفر مع قوم فافضت به الطريق الى مسلكين أحدهما يمر برهط ليلى ولكنه يزيد مرحلة فتقدم الى القوم وسألهم أن يسلكوها أو يمكثوا له حتى يرجع فأبوا عليه فقال أنشدكم الله لو أن شخصاً تحرَّم بكم فضل بعيره أكنتم تسعفونه قالوا نعم فقال ان ليلى لأعظم من ذلك وأنشد

أأترك ليلى ليس بيني وبينها　　سوى ليلة إني إذن لصبور

هبوني امرأ منكم أضل بعيره　　له ذمة ان الذمام كبير

وللصاحب المبرور أعظم حرمة　　على صاحب من أن يضل بعير

عفا الله عن ليلى الغداة فانها   إذا وليت حكماً عليَّ تجور

(واستشهد شخصاً) عن عروة بن حزام فأخبره بحاله وانه مات براحة فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله في العشق وأنشد

عجبت لعروة العذري أمسى   أحاديثاً لقوم بعد قوم
وعروة مات موتاً مستريحاً   وها أنذا أموت كل يوم

ولما اشتهر أمرهما في العرب وشاع شعره فيها منعه أهلها الزيارة وكان في حي ليلى امرأة من بني عامر قد تزوجها رجل من حريش ومات عنها وقد ترك لها صبية فكان يأتيها المجنون يتعرف منها أخبار ليلى فبلغ أهلها ذلك فزجروا المرأة وجاء المجنون فأخبرته فأنشد متمثلاً بيت امرىء القيس وضم اليه ثانياً له

أجارتنا انا غريبان ههنا   وكل غريب للغريب نسيب
فلا تزجريني عنك خيفة كاشح   إذا قال شراً أو أخيف لبيب

ثم تركها وكان يأتي غفلات الحي فلما علموا بذلك شكوه إلى مروان فكتب الى عامله بهدر دمه إذا وجد عند ليلى فقرؤا عليه ذلك فأنشد

لئن حجبت ليلى وآلى أميرها   عليَّ يميناً جاهداً لا أزورها
وأوعدني فيها رجال أبوهم   أبي وأبوها خشنت لي صدورها
على غير شيء غير إني أحبها   وان فؤادي عند ليلى سميرها

ولما يئس من زيارتها قلق لذلك قلقاً أدى لزوال عقله فهام على وجهه يلعب بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها وانها جزعت لذلك جزعا أدى الى سقمها فحج بها أهلها فرآها ثقفي فخطبها اليهم فأجابوا بعد ان ردوا جماعة ونمى الى المجنون ذلك فأنشد

الا ان ليلى العامرية أصبحت   تقطع الا من ثقيف حبالها

هم حبسوها محبس البدن وأبتغي بها المال أقوام ألا قل مالهـــا
إذا ما التقت والعيس صفر من الثرى من العين جـلى عبرة العين حالها

هذا ما تظافرت به الأخبار وفي رواية الا تلك ليـلى العامرية أصبحت وفيها والعيس صفر من البكا وقد حرف هـذا البيت وفي رواية الأغاني لقد حبسوها محبس البدن وفي أخرى بعده

خليلي هل من حيلة تعلمانها فيدنى بها تكليم ليلى احتيالها
فان أنتما لم تعلمـــاها فلستما بأول باغ حاجة لا ينالهـــا
كان مع الركب الذين اغتدوا بها غمامة صيف زعزعتها شمالها
نظرت بمفضى سيل حوضين والضحى تحث بأطراف المحارم آلها
بمنهلة الأجفان هيج شوقها مجامعة الآلاف ثم رآلهـــا
إذا التفتت من خلفها وهي تعتلي على العيس جلى عبرة العين حالها

وحين تحقق عنده تزويجها أنشد

دعوت إلهي دعوة مـــا جهلتها وربي بمـــا تخفي الصدور خبير
لئن كان يهدي برد انيابها العـلا لا فقر مني انـــني لفقـــير
فقد شاعت الأخبار ان قدتزوجت فهل يأتيني بالطـــلاق بشير

وجعل يمر ببيتها فلا ينظر اليه فأنشد

ألا أيهـــا البيت الذي لا أزوره وان حـــله شخص إليّ حبيب
هجرتك اشفاقاً وزرتك خائفاً وفيك عليّ الدهر منك رقيب
سأستعتب الأيام فيك لعلهـــا بيوم سرور في الزمـــان تؤب
وأفردت افراد الطريد وباعدت بي النفس حاجات وهن قريب
لئن حال واش دون ليلى لربمـــا أتى اليأس دون الأمر فهوعصيب
ومنيتني حتى إذا مـــا رأيتني على شرف للنـــاظرين يريب

صددت وأشمت العدوّ بصرمنا   أثابك يا ليـــلى الجزاء مثيب

والبيتان الأولان لمحمد بن أمية هذا مـا نقله والصحيح ان البيت الأول للمجنون ذكر ذلك في النزهة وأقره في تسريح الناظر غير انه قال في الثاني والثالث انهما ليسا للمجنون وفيه وفي رواية هنا بيوم سرور وفي الزمان تثوب . والمعنى واحد وبقي أبيات من هذه القصيدة آخرتها الآن لها حكاية وحين بلغه نقلها الى الثقفي أنشد

كان القلب ليلة قيل يغـــدى   بليلى العـــامرية أو يراح
قطاة غرّهـــا شرك فباتت   تجاذبه وقد علق الجنـــاح
فلا في الليل نالت ما ترجى   ولا في الصبح كان لها براح

وفي تسريح الناظر عن الامالي قال اجتمع الى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهبوا به حين بني الثقفي بليلى فعزموا على أن يسافروا به متنزهين في أحياء العرب ليذهب ما به فساروا وهو معهم تعاوده الصحة دوراً والجنون دوراً وهم يردون كل منتزه ويعرضون عليه من بنـات العرب كل من أجمع على حسنها وانهم غفلوا عنه ليلـة ثم افتقدوه فرأوه قد ذهب فركب ابن عم له في طلبه فرآه عنده مشرعة وبين يديه ظبية لا حراك بها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويبكي هذا ما في تسريح الناظر زاد في نزهة المشتاق انه كان ينشد

أيا شبه ليلى لا تخافين إنني   لك اليوم من وحشية لصديق

فقال له اذهب بنا فلم يجب فقال اذهب لنمر بليلى فقام معه فلما جاء الى أصحابه جلس متفكراً لا يخاطبهم حتى جاء الليل فلما كان السحر هبة نسمة وأبرق برق مما يلي حي ثقيف فأنشد

طربت وشاقتك الهمول الدوامع   غداة دعـــا بالبين اسفع نازع
شجـــاه نعياً بالفراق كأنه   حريب سليب نازح الدار جازع
فقلت الا قد بين الامر فانصرف   فقد راعنا بالبـــين قبلك رائع

سقيت سماما من غراب فانني | تبينت مـــا أخبرت أذهو واقع
ألم تر أني لا محب ألومه | ولا ببديـــل بعدهم أنا قانـــع
ألم تر دار الحي في رونق الضحى | بحيث انحنت للهضبتين الاجـارع
وقد يتناءى الالف من بعد صحبة | ويصدع مـــا بين الخليلين صادع
وكم من هوى أو جيرة قد ألفتهم | زمـــاناً فلم يمنعهم البـــين مانع
كأني غـــداة البين ميت حوية | آخر ظما سدت عليـــه المشارع
يخلص من أوصال مـــاء صبابة | فلا الشرب مبذول ولا هو نافع
وبيض تطلى بالعبير كأنهـــا | نعاج الفلا جيبت عليهـا البراقع
تحملن من وادي الاراك وأومضت | لهن بأطراف العيون المراتع
فما جئن ربع الدار حتى تشابهت | هجائنها والجون منها الجوامع
وحتى حملن الجور من كل جانب | وخاضت صدور الرقم منها الاكارع
فلما استوت تحت الخدود وقد جرى | عبـــير ومسك بالعرانين رادع
أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا | من الصيف يوم لافح الظل مانع
فلمـــا لحقنا بالحمول تباشرت | بنا مقصرات عاب عنها المطالع
يعرضن بالدل المليـح وأن يرد | خبـــاهن مشغوف فهن موانع
فقلت لاصحابي ودمعي مسبل | وقد صدع الشمل المشتت صادع
أليلى بأبواب الخدور تعرضت | لعينيَّ أم قرن من الشمس طالع

ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقاً شديداً ودخل عليه جماعة أو هو أبوه للعيادة فسمعوه ينتحب بأشد تحرق وتوجع وينشد

ألا أيها القلب الذي لج هائماً | بليلى وليداً لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد أبى | لما بك ان تلقى طبيباً تلائمه
فما لك مسلوب العزاء كأنما | ترى نأي ليلى مغرماً انت غارمه
أجدك لا ينسيك ليلى ملمة | تلم ولا ينتسيك عهداً تقادمه

فاستتروا حتى أتم نشيده ودخلوا عليه فحادثوه في السلو فزاد في الهيام ولما عوفي جعل يعاود موضعها ويتمرغ في التراب ويبكي الى الليل وعزم على التوحش والخروج فراجع ابن عم له في ذلك فكان يعزم عليه ان لا يفعل ويشاغله إلى أن بلغه ان ليلى دخلت الى جارة لها فنضت أثوابها واغتسلت ونظرت الى نفسها وقالت ويح ابن الملوح لقد عاق بي عظيماً على غير استحقاق فانشدك الله أصادق هو في وصفي أم كاذب فقالت بل صادق ثم خرجت من عندها وعادت لأخذ سواك نسيته فلما صار في يدها قالت سقى الله من اعطانيه فقالت لها جارتها ومن أعطاكيه قالت قيس فخرج هائماً وأنشد

نبئت ليلى وقد كنا نبخلها قالت سقى الله منه منزلاً خربا
قالت لجارتها يوماً تسائلها لما استحمت والقت عندها السلبا
يا حبذا راكباً كنا نهش له يهدي لنا من أراك الموسم القضبا
ناشدتك الله ألا قلت صادقة أصادق وصفه المجنون أم كذبا

وقيل إنما كان خروجه من نظره اليها يوم رحلها زوجها أو قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء أن يسكن ما به فزاغ واختشى قومه أن يفتضح فيقتل لما تقدم من انه كان قد هدر دمه ان دخل الحي وحذر فقال الموت أولى وخرج على وجهه

وعن الهذلي عن رجل من بني عامر وهو رباح بن سعد بن اثالة قال خرجت أثر سماء اربعنا بها وأحيت الأرض بعد الجدب فبينا أنا بوادي القـــرى أو الغيل إذ لاح لي شخص الى جانب حجر يبكي فقصدته وسلمت عليه وإذا هو المجنون فقلت مـا يبكيك فقال هـذا السيل ثم تنفس الصعداء ثم أنشد الأبيات التي وعدنا بها وهي تمام القصيدة التي أولها الا أيها البيت وقيل انه أنشد القصيدة كاملة في هذا الوقت ، وفي النزهة ان خالد بن كلثوم ضم هذه الى تلك من عند نفسه والا فالمجنون لم ينشدها الا متفرقة وهي

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلـــتيّ غروب

وما ذاك الا حين أيقنت انه يكون بواد أنت منه قريب
يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب
فيا ساكني أكناف نخلة كلكم الى القلب من أجل الحبيب حبيب
أظل غريب الدار في أرض عامر الى كل مهجور هناك غريب
وان الكثيب الفرد من أيمن الحمى إليّ وان لم آته لحبيب
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر حبيباً ولم يطرق اليك حبيب

وقيل ان آخر مجلس للمجنون من ليلى انه لما اختلط عقله ومزق ما عليه وتوحش جاءت أمه اليها فأخبرتها بذلك وسألتها أن تزوره فعساها ان تخفف ما به فقالت اما نهاراً فمتعذر خيفة أهلي وسآتيه ليلاً فلما أمكنتها الفرصة أتته وهو مطرق يهذي فسلمت عليه ثم قالت له

أخبرت انك من أجلي جننت وقد فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وأنشد

قالت جننت على رأسي فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع الانسان في الحين

زاد عليها في نديم المسامرة

لو تعلمين اذا ما غبت ما سقمي وكيف تسهر عيني لم تلوميني

ثم فارقته فهام من ثم مع الوحش وقيل سئل عن سبب خروجه فقال لقيتها يوماً فشكيت اليها ما نزل بي من حبها وقلت ان لم ترحميني ذهب عقلي فقالت هو المطلوب فهمت لمرادها وقيل كان هيمانه مقاصة لقوله :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ثم ان الأسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دلت على انها كانت من الغرام به والميل اليه أيضاً بمنزلة عظيمة

حكى رباح بن عامر وكان من الجريشيين قال دخلت من نجد أريد الشام فأصابني مطر عظيم فقصدت خيمة رفعت لي فاذا بامرأة فسألتهـا التظليل فأشارت الى ناحية فدخلت وقد أقبل رعاة وإبل وغنم كثيرة ثم قالت للعبيد سلوه من أين الرجل فقلت من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت نزلت بمن فيها فقلت ببني الجريش .

وفي رواية ببني جعدة فرفعت ستارة كانت بيننا وإذا بامرأة كأنها القمر ثم قالت أتعرف رجلاً فيهم يقـال له قيس ويلقب بالمجنون قلت أي والله سرت مع أبيه حتى أوقفني عليه وهو مع الوحش لا يعقل إلا ان ذكرت له ليلى فبكت حتى أغمي عليها فقلت مم تبكين ولم أقل إلا خيراً فقالت أنا والله ليلى المشؤومة عليه غير المساعدة له أو قالت غير المكافئة أو المواسية له ثم أنشدت

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة　　متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسي من لا يستقل برحـله　　ومن هو ان لم يحفظ الله ضـائع

ولما أيس من ليلى حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه أجمع قومه أن يتقدموا إلى أبيه في حمله الى مكة فلعل الله أن يخفف عنه ، ففعل وسار معه ابن عمه زياد بن كعب فمروا بحمامة على دوحة تنوح فوقف المجنون صاغياً لها ويخلف معه ابن عمه فقال له سر بنا فقـد أبعد الرفاق فتنفس الصعداء وأنشد

أأن هتفت يوماً بواد حمامـة　　بكيت ولم يعـذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعدما غلت الضحى　　فهاج لك الاحزان ان ناح طائر
تغنى الضحى والصبح في مرججنة　　كثاف الأعالي تحتها المـاء حائر
كان لم يكن بالغيل أو بطن ايكة　　أو الجزع من قول الاشاءة حاضر
يقول زياد إذ رأى الحي هجروا　　أرى الحي قد ساروا فهل أنت سائر
واني وان غال التقدم حاجتي　　ملم على أوطان ليـلى فناظر

ودخل مكة فنظر الى الناس وهم يدعون ربهم محرمين فأنشد

دعا المحرمون الله يستغفرونه بمكة وهنا ان تمحى ذنوبها
وناديت ان يا رب أول سؤلتي لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها
فان أعط ليلى في حياتي لا يتب الى الله خلق توبة لا أتوبها

فزجره أبوه عن ذلك وأمره أن يدعو الله أن ينسيه ذكرها وأخذه حتى أمسكه أستار الكعبة ثم قال له قل اللهم انسني ذكرها وامح من قلبي حبها فقال اللهم اجمعني بها وارزقني حبها وزدني بها كلفاً وفيها تلفاً وأنشد مكملاً للأبيات السابقة

يقر لعيني قربها ويزيدني بها عجباً من كان عندي يعيبها
فكم قائل قد قال تب فعصيته وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي بأول نفس غاب عنها حبيبها

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفاً يهتف بليلى فخر مغشياً عليه الى الصباح ثم أفاق متغيراً حائل اللون وأنشد :

عرضت على نفسي العزاء فقيل لي من الآن فايأس لا أعزك من صبر
اذا بان من تهوى وأصبح نائياً فلا شيء أجدى من حلولك في القبر
وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه وليلى بأرض عنه نازحة قفر

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة فجعل يقتات بعشب البر حتى طالت أظفاره وغطاه شعره فألفته الوحوش فكان يرد الماء معها ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى أقواماً وأرضاً ينكرها فيقول أين جبل توباد من بني عامر وهو جبل كان يرعى هو وليلى عنده الغنم فيقولون له أين

أنت من توباد ويعرضون عليه الثياب والطعام فيأبى ويقول دلوني عليه فيرحمونه ويقولون له اتبع نجم كذا يوصلك اليه فيمضي حتى يقع باليمن فيكون له مثل ذلك الى ان يظفر أحياناً بالجبل فينشد حين ينظره :

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له قد كان حولك جيرة وعهدي بذاك الصرم منذ زمان
وقلت له أين الذين عهدتهم بقربك في حفظ وطيب أمان
فقال مضوا واستودعوني ديارهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان
واني لابكي اليوم من حذري غداً فراقك والحيان مؤتلفان
سجالاً وتهتاناً ووبلاً وديمة وسحاً وتسجالاً وتنهملان

وعن فتى من قيس أو هو رباح بن مالك قال لما أخذ المجنون الى مكة للاستشفاء كما مر مررت يوماً واذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقد همّ ان يلقي نفسه من جبل فسألت عنه فاذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا نجد فقلت علام تحبسونه قالوا نخاف ان يجني على نفسه ولو تقدمت اليه فأخبرته انك من نجد اسكنت روعه ففعلت فجعل يسألني عن موضع موضع ويبكي أحرّ بكاء ثم أنشد

ألا حبذا نجد وطيب ترابها وأرواحها ان كان نجد على العهد
ألا ليت شعري عن عو يرضي قبا لطول الليالي قد تغيرتا بعدي
وعن جارتينا بالنخيل الى الحمى على عهدنا أم لم يدوما على العهد
وعن علويات الرياح اذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد
وعن أقحوان الرمل ما هو صانع اذا هو اثري ليلة بثرى جعد
وهل اسمعن الدهر اصوات هجمة تطالع من وهد خصيب الى وهد
وهل انفضن الدهر افنان لمتي على لاحق المتنين منذلد الوخد

ومر يوماً على جبلي نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين بينهما فاصل يسير فقال لرفقة معه هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به ليلى قال فأي الرياح تهب منه قالوا الصبا فحلف لا يبرح من مكانه حتى تهب فمضوا وتركوه ثم عادوا بعد ثلاث فأقاموا معه حتى هبت فأنشد :

أيا جبلي نعمان بالله خليا ... سبيل الصبا يخلص إليّ نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة ... على كبد لم يبق إلا صميمها
فان الصبا ريح إذا ما تنسمت ... على نفس مهموم تجلت همومها

قلت قال في النزهة بعد ذكر هذه الأبيات ان أبا الفرج بن الجوزي تزوج امرأة اسمها نسيم الصبا فأقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فأبت عليه وطال بينهما الأمر وانها حضرت مجلس وعظه يوماً فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين فتنفس الصعداء وأنشد أيا جبلي نعمان الأبيات فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة له فحكت لبعض النساء ذلك فمضين فأخبرنه فراسلها فأجابت فتزوج بها ومر يوماً بعد ما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشياً عليه فأخذه بعض قومها فمسح عنه التراب وسألوها أن تكلمه رقة عليه فاستعذرت من الخوف فأرسلت امرأة تأمنها بالسلام والاستعطاف والاستعذار وانها لولا الخوف لأتته ، فلما بلغته المرأة ذلك ثاب اليه عقله وأنشد

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها ... قريب ولكن في تناولها بعد
لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة ... على كبدي من طيب أرواحها برد
فما زلت مغشياً علي وقد مضت ... اناة ولا عندي جواب ولا رد
أقلب بالأيدي وأهلي تعولني ... يفدونني لو يستطيعون أن يفدوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عارياً ... ولا عظم لي ان دام ما بي ولا جلد
أدنياي ما لي في انقطاعي وغربتي ... اليك ثواباً منك دين ولا نقد
عديني بنفسي انت وعداً فربما ... جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد

وقـــد يبتلي قوم ولا كبليتي ولا مثل وجدي في الشقاء بكم وجد
غزتني جنود الحب من كل جانب اذا حان من جند قفول اتى جند

وسئل يوماً وهو حاضر من الغمرة ما أحسن ما رأيت قال ليلى فقيل له ذلك معلوم وإنما نعني غيرها فقال ما رأيت شيئاً غيرها وذكرتها الا سقط من عيني الا ظبياً رأيته يوماً فذكرت ليلى فزاد في عيني حسناً فانطلقت أعدو خلفه حتى كلت رجلاي وغاب عن عيني فأخذت راحتي ثم انطلقت حتى وجدته وقد فتك به ذئب فأخذت سهماً وضربت بـه الذئب فلم يخط قلبه ، فشققت بطنه وأخرجت ما أكل فضممته الى مـــا بقي من الظبي ودفنته ، وأنشد

أبى الله ان يبقـى لحي بشاشـة فصبراً على ما شاء الله بي صبرا
رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا
فيا ظبي كل رغد هنيئاً ولا تخف فانك لي جار ولا ترهب الدهرا
وعندي لكم حصن حصين وصارم حسام اذا اعلمته احسن العبرا
فما راعني الأذويب قـد انتحى فأعلق في أحشائه الناب والظفرا
فبوأت سهمي في كتوم غمزتهـا فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا
فاذهب غيظي قتله وشفى جوى بقلبي الحر قـــد يدرك الوطرا

واجتمع اليه النساء يوماً فقلن له أما آن لك ان تصرف عنك هوى ليلى ليرد اليك عقلك فانها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية فاختر إحدانا فقال لو ملكت لفعلت ولكني مغلوب فقلن ما أعجبك منها قال كل شيء رأيتـه وسمعته فقلن صفها فأنشد

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد ان الجمـال مظنـة للحسـد

وترى مدامعها ترقرق مقلة سوداء تعرب عن سواد الاثمد

خو اذا ذكر الكرام رأيتها تحمي الحمى واذا تكلم تقصد

وقال له رجل من قومه إني قاصد حي ليلى فهل عندك شيء تقوله لها ، قال نعم أنشدها إذا وقفت بحيث تسمعك هذه الأبيات

الله يعلم ان النفس قد هلكت باليأس منك ولكني امنيها

منيتك النفس حتى قد أضر بها وأبصرت خلفاً مما أمنيها

وساعة منك ألهوها ولو قصرت أشهى إلي من الدنيا وما فيها

قال الرجل فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما أمكنتني الفرصة أنشدت بحيث تسمع الأبيات فبكت حتى غشى عليها ثم قالت ابلغه عني السلام وأنشده

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت إذا ما كان غيرك يجزيها ويرضيها

صبراً على ما قضاه الله فيك على مرارة في اصطباري عنك اخفيها

قال الرجل فلما بلغته ذلك بكى حتى غشي عليه ثم أفاق وهو يقول عجبت لعروة العذري البيتين السابقين في صدر القصة ولما أيس أهله منه وخالط الوحوش أخذوا يحتالون على إصلاحه فقال أبوه يوماً لشخص أريد أن تمر به فتذكر له ليلى وانك من عندها وانها تذكره كثيراً فاذا أعطاك سمعه وتمكنت منه فاذكر له انها تشتمه وتنقصه فعساه أن يداخلة كرهها قال الرجل فمضيت حتى اجتمعت به وأعلمته بذلك حتى ذكرت انها تشتمه فأنشد

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى ويصدع قلبي أن يهب هبوبها

اذا هبت الريح الشمال فانما جوابي بما يهدي إليّ جنوبها

قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

وحسب الليالي ان طرحنك مطرحاً بدار قلى تمسي وأنت غريبها

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفور لليلى ذنوبها

هذا ما ذكر في الأصل وانكر في النزهة ذلك وقال ان أبا المجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق وفي تسريح الناظر ان الذي أمر الرجل بذلك زياد بن كعب أحد بني عم المجنون وهو الأوجـــه وقيل للمجنون يوماً أتحب ليلى قال نعم حباً خالط الدم ومازج الأعضاء قيل فما يغني حبك لها وهي مريضة وأنت لا تعودها فتنفس الصعداء وأنشد

يقولون ليلى بالصفاح مريضة فهاذا اذا يغني وأنت صديق
شفى الله مرضي بالصفاح فانني على كل شاك بالصفاح شفيق

وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخرمة وكان والياً على الصدقات من قبل مروان أو عبد الملك وله صحبة عند الذهبي قال قدمت على بني عامر لأخذ أموال الصدقة فرأيت شخصاً عارياً يلعب بالتراب فأمرت له بثوب فقيل لي لو كان يلبس لكان في مال أبيه كفاية فانه سيد الحي ، ولكنه تولع بحب امرأة فصيرته هكذا قال فقمت اليه وكلمته فلم يعقل فقيل لي ان أردت أن يفهم مـــا تقول فاذكر له ليلى فقلت أتحب ليلى قال نعم فقلت له أتريد أن أزوجك بها قال أو ممكن ذلك قلت نعم فقال يا له من جميل لو أن أهل الأرض شكروك معي لم يفوا فعند ذلك قام فلبس ثيابه وأقام معه بوعد منه الى يوم يجتمع لهم فيه ليأخذه فأخبروه باهدار السلطان دمه فصرفه وقيل هموا بقتاله فصرفه إنما كان خوف الفتنة فقال المجنون له والله انك لم تف بالوعد ثم مزق ما عليه وانصرف وفي الكتاب ما يشعر بأن القصة مع محمد بن نوفل وليس كذلك لما ستعرفه من ان نوفلاً لم يزل من ذلك اليوم متطلباً لأخبار المجنون جامعاً لأشعاره وانه قدم سنة من السنين يسأل عنه فقالوا لم نعرف له خبراً فركب في طلبه حتى لاح له وراء اراكة بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فصعد نوفل الشجرة مستخفياً وشربت الظباء وانصرفت فوقف المجنون يرعى هذا ما في الأصل وفي نزهة المشتاق انه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفاً وشكا ما به الى شيخ كبير في بني سعد فقال له الشيخ ان المجنون داية يألفهـــا وانها تحمل له

الطعام والخبز أحياناً فيأكل منها ولو صحبتها لأمكن أن تظفر به ففعل ، فهرب المجنون منها فرجع وأخبر الشيخ فقال له الشيخ قد قرأت في سالف الأخبار ان سلطاناً قال لوزيره أخبرني عن أعظم رائحة وأقوى لذة وأشد حافر على الأرض وقد أمهلتك ثلاثاً فان لم تجب جللتك بالسيف

فمضى مهموماً وكان له ابنة قد اتخذت قصراً مفتوحاً الى الأربع جهات على قارعة الطريق للنزهة فلما رأت ما بأبيها استعطفته حتى أخبرها فاستسهلت الأمر وقالت له اذا عدت اليه من الغد فأخبره ان أقوى رائحة رائحة الخبز وأعظم الأشياء لذة الجماع وأشد حافر على الأرض البغال فلما أعلمه قال له اخبرني من أين لك ذلك فصدقه الأمر فاستحضر البنت وقال لها لئن لم تخبريني عن تعليل ذلك والا ضربت عنقك فانك بكر لم تعلمي أحوال النساء ولا لذة الجماع فقالت أيد الله الملك ان قصري منفتح للاهوية فلم أجد من لدن قطنت به رائحة يتكيف بها الهواء أعظم من الخبز ولم يتحرك جدار القصر من شيء غير البغال وأما الجماع فانني أخذته من شدة ألم الوضع وما شاهدت من مقاساة النساء فمه فلو لم يكن الجماع أعظم لذة ما عدن اليه والرأي عندي ان تصنع خبزاً وتجعله في طابق يضم بخاره وتفتحه حيث يشمه فانه يقف لبعد عهده به فتذكر له ليلى فيزداد أنساً قال الرجل فمضيت وعملت برأي الشيخ وطيبت الخبز بالأفاويه حتى اذا أقبل ولحته من خلال الأواكة كشفت الخبز وصعدت لتشرب الظباء فشربن وسرن ووقف يشم الرائحة فأنشدته من الشجرة

أتبكي على ليلى ونفسك باعدت مزارك من ليلى وشعبا كما معا

فاندفع يقول

فما حسن أن يأتي الأمر طائعاً وتجزع أن داعي الصبابة أجزعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها على الجهل بعد الحلم اسبلتا معا
واذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشية أن يصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع اليك ولكن خل عينيك تدمعا

معي كل عز قد عصى عاذلاته بوصل الغواني من لدن أن ترعرعا
اذا راح يمشي في الرداءين أسرعت اليه العيــــون الناظرات التطلعا

ثم سقط مغشياً عليه فتمثلت بقوله :

يا دار ليلى بسقط الحي قد درست الا الثمام والا موقد النـــــار
ابلى عظامك بعد اللحم ذكركها كما ينحت قدح الشوحط الباري
ما تفتئوا الدهر من ليلى تموت كذا في موقف وقفته أو على داري

فرفع رأسه وقال من أنت حياك الله فقلت له نوفل أخبرني ما صنعت بعدي فأنشد الا حجبت ليلى الأبيات ثم أخذ يفاوضني في الكلام حتى سنح له قطيع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقته فلم أره بعد قلت وفي النزهة انه تطلبه مرة أخرى غير هذه فوجده بين حجرين ميتاً فأخذه ودفنه وسيجيء ذكر ما رأى له من الأشعار منقوشاً في التراب أورده آخر القصة على النمط السابق في غيره ومر برجلين قد اصطادا ظبية وربطاها فعزم عليهما أن يطلقاها فأبيا عليه فأطلقها بشاة من غنمه وأنشد

شريت بكبش شبه ليلى ولو أبوا لأعطيت مالي من طريف وتالد
فيا بائعي شبها ليـــلى قتلتما وجنبتما مـــا ناله كل عايد
فلو كنتما حرين مـــا بعتما فتى شبيهاً لليلى بيعـــة المتزايـــد
واعتقتماها رغبة في ثوابهـــا ولم ترغبـــا في ناقص غير زائد

وقيل ان الرجلين أخوه وابن عمه وانه أنشدهما متعرضاً لبخلهما

يا اخوى اللذين اليوم قد أخـذا شبهاً لليلى بجبـــل ثم غلاها
اني أرى اليوم في أعطاف شاتكما مشابهاً أشبهت ليـــلى فحلاها

وانه عرض عليهما القتل حين أبيا افلاتها لأنه كان أجلد منهما وفي رواية فداها بقلوص ولما ذهبت تعدو وأنشد أيا شبه ليلى الابيات وزاد هنا

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك رقيق

وقد وردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفي إحداها يا صاحبي اللذان وهو أسلم من الزحاف هذا ما تلخص من صحيح أخباره وأما ما قيل من أنه مر بزوج ليلى وهو في حي بني عامر عند ابن عم له يصطلي فوقف على رأسه وأنشد

بربك هـــل ضممت اليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاهـــا
وهل زفت عليك قرون ليلى زفيف الأقحوانـــة في نداها

فقال أما إذ حلفتني فنعم فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديه وسقط مغشياً عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلى مغموماً وما قيل أيضاً من أن ابا المجنون طرقه ضيوف ليلاً فأرسله الى ابي ليـــلى ليقترض منه سمناً فأمرها أبوها أن تخرج اليه بنحى فتملأ وعاءه فجعلت تسكب فيه ويتحاثان حتى غرقت أرجلهما

وانه جاء ليلة أخرى يستقبسها ناراً فخرجت اليه بقضبة فكان يتحدث معها ويقطع من برد عليه يغلف به النار ، وكلما احترقت قطعة أخذ أخرى حتى صار عرياناً فلم يصح اسناده عندنا كصحة غيره ومثل ذلك ما قيل من ان جنونه كان مجازاة لقوله قضاها لغيري او لسماع هاتف أنشده

كلانا مغرم في حب ليلى بفيّ وفيك من ليلى التراب

فاختلط عقله ، وأما حال موته فالصحيح مـــا قدمناه وقيل ان رجلاً شامياً كان مغرماً بأشعاره وأشعار قيس بن ذريح قدم للاجتماع به او الرجل من بني جعدة أو مرة او هو الصباح بن عامر الكفاني أقوال فسأل اهله عنه فأخبروه انه متوحش من الانس الا صديقاً له يذهب اليـــه في كل يوم يكتب ما يقول من الأشعار ودابة تذهب اليـــه بطعام فمضى اليهما يسألهما الحيلة في الاجتماع عليه فقـــالا له اقصده في موضع كذا فستجده جالساً عند خط حوله التراب وهو يعبث بأصابعه فيه فاذا رآك أخذ الأحجار وهمّ

بضربك فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم أنشد مـــا يحضرك من شعر قيس فانه مغرم به فاذا فعلت بلغت ما تريد منه فمضى الرجل يقتفي أثره حتى وجده على ما وصف فلما أنس به قال رحم الله قيساً حيث يقول

نبيت ونضحي كل يوم وليـــلة على منهج تبكي عليه القبـــائل
قتيـــل للبنى صدع الحب قلبه وفي الحب شغل للمحبين شاغل

فقال انا والله أشعر منه حيث أقول

سلبت عظامى لحمهـا فتركتها معرّقة تضحى اليـــه وتضجر
وأخليتهـــا من منحها وكأنها قوارير في أجوافها الريح تصفر
اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت علائقهـــا مما تخـــاف وتحذر
خذي بيدي ثم انهضي بي تبيني بي الضر إلا انـــني أتســـتر

ثم انساب يعدو وفارقته فلما كان اليوم الثاني جئت على العادة وأنشدت قول قيس

تبادر أم تروح غداً رداحا ولن يستطيع مرتهن براحا
سقيم لا يصاب له دواء أصاب الحب مقلته فباحـــا
وعذبـه الهوى حتى براه كما القيت بالسفن القـــداحا
فكاد يذيقه جرع المنـــايا ولو أسقـــاه ذلك لاستراحا

فقال أشعر منه حيث أقول

فما وجدمغلوب بصنعاء موثق لساقيه من ثقل الحديد كبول
قليل الموالي مستهام مروّع له بعد نومات العشاء عويل
يقول له الحداد أنت معذب غداة غـــداً ومسلم فقتيل
بأعظم مني روعة يوم راعني فراق حبيب ما اليه سبيل

ثم فعل فعلته بالأمس وعاودته فقلت أحسن والله قيس حيث يقول

ألا يا غراب البين ويحك أنبني　　بعلمك في لبنى وانت خبير
فان أنت لم تخبر بشيء علمته　　فلا طرت الا والجناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك بينهم　　كما قد تراني بالحبيب أدور

وفي رواية ابن الاعرابي

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري　　بخير كما خبرت بالنأي والشر
وخبرت ان قد جدَّ بين وقربوا　　جمالاً للبنى مثقلات من العذر
وهجت فدى عين للبنى مريضة　　اذا ذكرت فاضت مدامعها تجري
وقلت لذاك الدهر ما زال فاجعاً　　صدقت وهل شيء بباق على الدهر

فقال له المجنون أحسن والله ولكني أشعر منه حيث اقول　كان القلب البيتين فامهلته حتى فرغ　ثم قلت واحسن قيس ايضاً حيث يقول　واني لمفن دمع عيني بالبكا

الأبيات السابقة في قصة قيس قال فبكى حتى ظننت انه فاضت نفسه ثم قال احسن والله وانا أشعر منه حيث أقول

وادنيتني حتى اذا ما سبيتني　　بقول يحل العصم سهل الأباطح
تنـــاءيت عني حين لالي حيلة　　وغادرت ما غادرت بين الجوانح

قال ولم أزل أعاوده أكتب ما يقول الى ان تطلبته فوجدته بين أحجار ميتاً وفي رواية ان هذا الرجل لم يجتمع بـــه　وأخرى رآه ميتاً محمولاً قد دلت عليه دايته وانه لم يكتب اشعاراً الا من عند صديقه المقدم ذكره بالجملة فمحل الاجماع انه وجد ميتاً فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته جميع بني جعدة وسعد والحريش وحضر أبو ليلى فأظهر جزعاً شديداً وتنصل واعتذر بأنه لم يعلم ان أمره يقضي الى هذه الحالة ولو يعلم لاحتمل العار وزوّجه ، ولما غسل وجدوا الرقعة مكتوباً فيها

ألا ايها الشيخ الذي ما بنا يرضى شقيت لا هنئت من عيشك الخفضا
شقيت كما اشقيتني وتركتني أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا
كأن فؤادي في مخاليب طائر إذ اذكرت ليلى يشد به قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم على فما تزداد طولاً ولا عرضا

وقيل ان ليلى توفيت قبله وانه سمع هاتفاً يقول

أمنعية بالموت ليلى ولم تمت كأنك عمد أظلك غافل

فسقط ميتاً وهذا أمر يتعذر الوصول الى تحقيقه وله أشعار كثيرة بلا أسباب من محاسنها قوله

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

ومنها

تقول العدا لا بارك الله في العدا تقاصر عن ليلى ورثت رسائله
ولو أصبحت ليلى تدب على العصا لكان هوى ليلى جديداً أوائله

ومنها

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها ومن بين رمسينا من الأرض منكب
لظل صدى رمسي وان كنت رمه لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

قلت قال في النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول ثوبة في ليلى الأخيلية:

ولو انّ ليلى الأخيلية سلمت عليّ ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح

قول وفحوى الكلام ان قول المجنون أبلغ لأن تلاقي روحي ميتين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حي وميت وكلام ثوبة من الثاني ويمكن نقل هذا الى مبحث حكمي وعكس كلام صاحب النزهة فقد أجمعت الحكماء بل

وأصحاب الشرع بأن استلذاذ الأرواح وادراكها بعد مفارقة اليها كل الجسمية أشد وأقوى فتأمله

ومنها :

فلو زرت بيت الله ثم رأيتهـــا بأبوابه حيث استجـــار حماها
لمست ثيـــابي ان قدرت ثيابها ولم ينهني عن مسهن حمامهـــا
ولو شهدتني حـــين تأتي منيتي جلا سكرات الموت عني ابتسامها

ومنها :

أقول لالف ذات يوم لقيتـــه بمكة والانضـــاء ملقى رحالها
بربك أخـــبرني ألم تأثم التي أضر بجسمي من زمان خيالها
فقـــال بلى والله سوف يمسها عذاب وبلوى في الحياة تنالهـا
فقلت ولم أملك سوابق عبرة سريع الى جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها ذنبها واقالهـــا وان كان في الدنيـا قليلاً نوالها

ومنها

وأحبس عنك النفس والنفس صبة بذكراك والممشى اليك قريب
مخـــافة أن يسعى الوشاة بظنة واحرسكم ان يستريب مريب
لقد جعلت نفسي وأنت اخترمتها وكنت أعز الناس عنك تطيب
فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل لك الدهر مني ما حييت نصيب
أمـــا والذي يبلوا السرائر كلها ويعلم مـــا تبدي به وتغيب
لقد كنت ممن تصطفى النفس خلة لها دون خلان الصفاء حجوب

ومنها .

الا ليت ليـــلى اطفأت حر زفرة أعالجها لا استطيع لهـــا ردا
اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا وجدت لمسراها ومنسمها بردا

على كبد قد كاد يبدي بها الهوى　　ندوباً وبعض القوم يحسبني جلدا
واني يماني الهوى منجد النوى　　سبيلان القي من خلافهما جهدا
سقى الله نجداً من ربيع وصيف　　وما ترجى من ربيع سقى نجدا
بلى انه قـــد كان للعيش مدة　　وللعيس والركبان منزلة حمدا
أبى القلب ان ينفك من ذكر نسوة　　رقائق لم يخلقن شوها ولا نكدا
اذا رحن يسحبن الذيول عشية　　ويقتلن بالالحـــاظ أنفسنا عمدا
مشا عيطلات رجح بحضورهـا　　روادف وعثات ترد الخطا ردا
وتهتز ليلى العـــامرية إذ مشت　　ولاثت بثوب القز ذا غدر جعدا
اذا حرك المدرى ضفائرها العلا　　مزجن بذي الريحان والعنبر الوردا

ومنها

أبى القلب الأحبـــة عامرية　　لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدي تندى اذ مـــا لمستها　　وتنبت في أطرافها الورق الخضر

ومنها وقد ضعف فعاده الناس ولم تعده ليلى فأنشد

الا ما لليلى لا ترى عند مضجعي　　بليـــل ولا يجري بذلك طائر
بلى ان عجم الطير تجري اذا جرت　　بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذي كان بيننا　　بذي الأيك أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما في القرب لي منك راحة　　ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
ووالله ما أدرى بأية حيـــلة　　وأي مرام أو خطـــار أخاطر
وتالله ان الدهر في ذات بيننـــا　　عليّ لهـــا في كل حال لجائر
فلو كنت إذ أزمعت هجري تركت لي جميع القوى والعقل مني وافر
ولكن أيامي بحقـــل عنيزة　　وبالردم أيام حبـــاها التجاور
وقد أصبح الود الذي كان بيننا　　أمـــانيّ نفس والمؤمـــل حـــائر
لعمري لقد كدرت يا أم مالك　　حياتي وساقتني اليك المقـــادر

ومنها

فوا كبدي من حب من لا يحبني ... ومن زفرات ما لهن فناء
أريتك ان لم أعطك الحب عن يد ... ولم يك عندي إذ أبيت اباء
أتاركتي للموت أنت فميت ... وما للنفوس الخائفات لقاء

ومنها

وجاءوا اليه بالتعاويذ والرقي ... وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالو به من أعين الجن نظرة ... ولو عقلوا قالوا به نظرة الأنس

ومنها

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان فيك فأنتم شغلي
وأرى جليسي إذ يحدثني ... ان قد فهمت وعندكم عقلي

ومنها

سرت في سواد القلب حتى اذا انتهى ... بها السير وارتادت حمى القلب حلت
فللعين تهمال اذا القلب ملها ... وللقلب وسواس اذا العين ملت
ووالله ما في القلب شيء من الهوى ... لأخرى سواها أكثرت أم أقلت

ومنها

ذكرت عشية الصدفين ليلى ... وكل الدهر ذكراها جديد
عليّ ألية ان كنت أدرى ... أينقص حب ليلى أم يزيد

ومنها

يا ويح من أمسى تخلس عقله ... فأصبح مذهوباً به كل مذهب
خلياً من الخلان الا معذرا ... يضاحكني من كان يهوى تجنبي
اذا ذكرت ليلى عقلت وأرجعت ... روائع عقلي من هوى متشعب
وقالوا صحيح ما به طيف جنة ... ولا الهم الا بافتراء التكذب

تجنبت ليلى إذ يلح بك الهـــوى وهيهات كان الحب قبل التجنب

ألا إنمـــا غادرت يا أم مالك صدى أينما يذهب به الريح يذهب

ولم أر ليلى بعـــد موقف ساعة بخيف منى ترمي جمار المحصب

وتبدي الحصا منها إذا قذفت بها من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرّب

ومنها

واني لمجنون بليـــلى موكل ولست عزوفاً عن هواها ولا جلدا

اذا ذكرت ليـــلى بكيت صبابة لتذكارها حتى يبل البكا الخدّا

ومنها

ألا يا حمام الأيك مالك باكياً أفارقت الفاً أم جفاك حبيب

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت هتوف الضحى بين الغصون طروب

تجاوب ورقا قـــد أذن لصوتها فكل لكل مسعد ومجيب

ومنها

لقد غردت في جنح ليل حمامة على إلفها تبكي وإني لنـــائم

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لمـــا سبقتني بالبكـــاء الحمائم

ومنها :

اذا قربت داري كلفت وان تأت أسفت فلا بالقرب أسلو ولا البعد

وان وعدت زاد الهوى لانتظارها وان بخلت بالوعد مت على الوعد

ففي كل حب لا محـــالة فرحة وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

ومنها ، وهو كما قال في النزهة من الأشعار التي قيلت على الأوهام قال لما حضروا به في مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذي في النوم ويعـــاتب

امرأة حاضرة فقيل له في ذلك فحلف ان ليلى كانت الى جانبه في هذا الوقت ثم أنشد

طرقتك بين مسبح ومكبر بحطيم مكة حيث كان الأبطح
فحسبت مكة والمشاعر كلها وجبالها باتت بمسك تنفح

ومنها

لئن نزحت دار بليلى لربما عنينا بخير والزمان جميع
وفي النفس من شوقي اليك حرارة وفي القلب من وجدي عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة بالمؤنسة فهي أطول قصيدة أنشدها وواظب عليها قيل انه كان يحفظها دون اشعاره وانه كان لا يخلو بنفسه الا وينشدها وهي من محاسن الاشعار وأرقها لفظاً وأعذبها سبكاً وألطفها شجواً وأبلغها نسيباً وغزلاً تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس في الاقتصار على بعضها والاستصفاء منها اختلاف كثير أحسنه

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لا أعدى على الدهر عاديا
ويوم كظل الرمح قصرت ظله بليلى فلهاني وما كنت لاهيا
فيا ليل كم من حاجة لي مهمة اذا جئتكم بالليل لم ادر ماهيا
خليليَّ ألا تبكي لي التمس خليلا اذا أنزفت دمعي بكى ليا
فما أشرف الايفاع الا صبابة ولا أنشد الأشعار الا تداويا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
لحي الله أقوا ما يقولون اننا وجدنا طوال الدهر للحب شافيا
وعهدي بليلى وهي ذات مؤصد ترد علينا بالعشي المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها واعلاق ليلى في فؤادي كما هيا
اذا ما جلسنا مجلساً نستلذه تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
سقى الله جارات لليلى تباعدت بهن النوى حيث احتللن المطاليا

بتمرين لاحت نار ليلى وصحبتي بقرع العصا ترجى المطى الحوافيا
فقال بصير القوم لمحة كوكب بدا في سواد الليل من ذي يمانيا
فقلت لهم بل نار ليلى توقدت بعليا تسامى ضوءها فبدا ليا
خليلي لا والله لا أملك الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
وخبرتماني ان تيمـاء منزل لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمي بليلى المراميا
فلو ان واش باليمامـه داره وداري باعلى حضرموت أتى نيا
وماذا لهم لا أحسن الله حالهم من الحظ في تصريم ليلى حباليا
وقد كنت اعلو حب ليلى فلم يزل بي النقض والابرام حتى علانيا
فيا رب سوّ الحب بيني وبينها يكون كفافاً لا عليَّ ولا ليا
فما طلع النجم الذي يهتدى به ولا الصبح الاهيجا ذكرها ليا
ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا سهيل لأهل الشام الا بدا ليا
ولا سميت عندي لها من سمية من الناس الا بل دمعي ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها من الليل الا بت للريح جانيا
فان تمنعوا ليلى وتحموا بلادها عليّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
فاشهد عند الله اني أحبهـا فهذا لها عندي فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوق مني والغرام قضى ليا
وان الذي املت يا أم مالك أشاب فؤادي واستهان فؤاديا
أعد الليالي ليلة بعد ليـلة وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلني أحدث عنك النفس بالليل خاليا
أراني اذا صليت يممت نحوها بوجهي وان كان المصلي ورائيا
وما بي اشراك ولكن حبها وعظم الجوى أعيى الطبيب المداويا

أحب من الأسماء ما وافق اسمها   واشبهه او كان منه مدانيا
خليليَّ ليلى أكبر الحاج والمنى   فمن لي بليلى او فمن لها بيا
لعمري لقد ابكيتني يا حمامة العقيق   وابكيت العيون البواكيا
خليليَّ ما أرجو من العيش بعدما   أرى حاجتي تشرى ولا تشترى ليا
وتجرم ليـــلى ثم تزعم انني   سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
فلم أر مثلينا خليلي صبـــابة   أشد على الرغم الاعادي تصافيا
خليلان لا نرجو اللقاء ولا ترى   خليلين الا يرجوان تلاقيـــا
واني لاستحييك أن تعرض المنى   توصلك او ان تعرضي في المني ليا
يقول أناس على مجنون عـــامر   يروم سلوا قلت أنى لما بيـــا
اذا ما استطال الدهر يا أم مالك   فشأن المنايا القاضيات وشأنيا
اذا اكتحلت عيني بعيني لم تزل   بخير وجلت غمرة عن فؤاديـــا
فانت التي ان شئت شقيت عيشتي   وانت التي ان شئت انعمت باليا
وانت التي ما من صديق ولا عدى   يرى نضو ما أبقيت الارثي ليـا
أمضروبة ليلى عليَّ أزورهـــا   ومتخـذ دين لهـا أن ترانيـا
اذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني   أصانع رحلي أن يميل حياليـا
يميناً اذا كانت يميناً وان تكن   شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا
واني لاستغشى ومـا بي نعسة   لعل خيالاً منك يلقي خياليا
هي السحر الا أن للسحر رقية   واني لا ألقي لها الدهر راقيـا
اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا   كفى المطـايانا بذكراك هـاديا
ذكت نار شوقي في فؤادي فأصبحت لها وهج مستضرم في فؤاديا
ألا ايها الركب اليمانون عرِّجوا   علينا فقد أمسى هـوانا يمـانيا
أسائلكم هل سال نعمان بعدنا   وحب الينا بطن نعمان واديـــا
ألا يا حمامي بطن نعمان هجتما   عليَّ الهـوى لمـا تغنيتما ليـا
وأبكيتماني وسط صحبي ولم أكن   أبالي دموع العين لو كنت خاليا

ويا أيهـا القمريتـان تجاذبا بلحنيكما ثم اسجعا علانيا
فان أنتما استطربتما أو أردتما لحاقا بأطلال الغضى فاتبعانيا
ألا ليت شعري ما للیلى وما ليا وما للصبا من بعد شيب علانيا
ألا ايها الواشي بليلى ألا ترى الى من تشيها أو لمن انت واشيا
لئن ظعن الاحباب يا أم مالك فما ظعن الحب الذي في فؤاديا
فيا رب اذ صيرت ليلى هي المنى فزنى بعينيها كما زنتها ليا
والا فغضها إلي واهلهـا فاني بليلى قد لقيت الدواهيا
على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وان كنت من ليلى على اليأس طاويا
خليليّ ان ضنوا بليلى فقرّبا الى النعش والاكفان واستغفرا ليا

أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء

هو عروة بن حزام بن مـالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عدرة شاعر لبيب حاذق متمكن في العشق. قيل انه أول عاشق مات بالهجر من المخضرمين أو من العذريين ولشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين قال المجنون عجبت لعروة العذريّ البيت ، وقال أبو عيينة

فما وجد النهدي إذ مات حسرة   عشية بانت من حبـــائله هند
ولا عروةالعذريّ إذ طالوجده   بعفراء حتى شف مهجته الوجد
كوجدي غداة البين عند التقاتها   وقد طار عنهـا بين أترابها البرد

وقال آخر

وقبلك مـات من وجد بهند   أخو نهد وصاحبـه جميل
وعروة والمرقش هـام دهراً   بأسماء فـــلم يغن العويل
قتيل الريح من قبل الغواني   فـــلا قود ولا يودي قتيل

وقال جرير

هل أنت شافيـة قلباً يهيم بكم   لم يلق عروة من عفراء ما وجدا
مــــا في فؤادي من داء يخامره   الا التي لو رآها راهب سجدا
انّ الشفـــاء وان ضفنت بنائله   قرع البشام الدي تجلو به البردا

ان غير ذلك   وعفراء هي بنت هصر أخي حزام كلاهما ابنا مالك من

بطن من العذريين ، يقال له نهد قال في تسريح النواظر ان سبب عشقه لها ، أن أباه حزاماً توفي ولعروة من العمر أربع سنين وكفله هصر أبو عفراء ، فانتشئا جميعاً فكان يألفها وتألفه فلما بلغ الحلم ، سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه الى الشام بعير له وجاء ابن أخ له يقال له اثالة بن سعيد بن مالك يريد الحاج فنزل بعمه هصر فبينما هو جالس يوماً تجاه البيت إذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل أدواة سمن وعليها ازار خز أخضر

فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوّجه بها وان عروة أقبل مع البعير وقد حمل أثالة عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد ، وأخبر أصحابه ، فلما التقيا وعرف الأمر بهت لا يحير جواباً حتى افترق القوم فأنشد

واني لتعروني لذكراك رعدة لها بين جلدي والعظام دبيب
فما هو الا ان رآها فجاءة فأبهت حتى ما يكاد يجيب
فقلت لعرّاف اليمامة داوني فانك ان أبرأتني لطبيب
فما بي من حمى ولا مس جنة ولكنّ عمي الحميريّ كذوب
عشية لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب
بنا من جوى الأحزان والبعد لوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشةَ مقول على ما به عود هناك صليب
وما عجبي موت المحبين في الهوى ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل انه لم ينشد في ذلك الموقف سوى البيتين الأولين ، وأما قوله فقلت لعرّاف اليمامة الى قوله وما عفراء منك قريب فانه أنشده حين أتى به الى الطبيب وسبب ذلك انه حين وصل الحي أخذه الهذيان والقلق وأقام أياماً لا يتناول قوتاً حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحداً ، وانه حمل ليلة الى فضاء ليتنزه به ، فسمع رجلاً يقول لوالده على أيّ ناقة حملت الشمس ،

يعني قرب الماء ، فقال على العفراء ، فأغمي عليه ساعة ثم قام مخبولاً وكان باليمامة عرّاف يعني كاهناً له قرين من الجن يعرّفه الأخبار ودواء بعض الأدواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته أبو كحلاء مولى لبني يشكر فحملوه اليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقي والصبّ عليه وأصل ذلك أن العرب كانت اذا تخليت بشخص سحراً جعلت على رأسه طبقاً فيه مـــاء ثم أذابت الرصاص وسكبته في ذلك الماء ودفنته في فضاء من الأرض فيزول عن الشخص ما به ، وان الكاهن فعل بعروة ذلك مراراً فلما ينجع ، أخبرهم ان ما به ليس الا من العشق

وقيل انه عرف ذلك من يوم قدومهم به ، فلمـــا أحس باليأس أنشد فقلت لعرّاف اليمامة الأبيات فحمل الى عرّاف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك فأنشد الأبيات الآتية في نونيته وهي قوله جعلت لعراف اليمامة وأما قوله بنا من جوى الأحزان ويروي وبي من جوى الأحزان فعلى الأصح كما في النزهة انه من هذا الشعر

وقيل أنشده حين حمل الى ابن عباس ليدعو له بمكة وقد سلف أن صاحب القصة غيره وان صحح ابن عساكر خلافه ، ولمـــا أيس من الشفاء تمرض بين أهله زماناً حتى شاع انتحاله في العرب مثلاً وان ابن أبي عتيق مر به فرأى أمه تلاطف غلاماً كالخيال فسألها عن شأنه ، فقالت هو عروة فسألها نضوا الغطاء عنه ، فلما شاهده قضي عجباً ثم استنشده فأنشد جعلت لعرّاف اليمامة حكمه الأبيات ولما علم الضجر من أهله ، قال لهم احتملوني الى البلقاء فاني أرجو الشفاء

فلمـــا حلّ بها وجعل يسارق عفراء النظر في مظان مرورها ، عاودته الصحة فأقام كذلك الى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه فلما أمسى دخل على زوج عفراء فقال له متى قدم هـــذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبب بكم فقال من قال عروة قال انت أحق بما وصفته به والله ما علمت بقدومه وكان زوج عفراء موصوفاً بالسيـــادة ومحاسن الأخلاق في

قومه فلما أصبح جعل يتصفح الأمكنة حتى لقي عروة فعاتبه وأقسم بالمحرجات انه لا ينزل الا عنده فوعده ذلك، فذهب مطمئناً وان عروة عزم ان لا يبيت الليل ، وقد علم به فخرج فعاوده المرض فتوفي بوادي القرى ، دون منازل قومه

وقيل وصلها لرواية ابن العاص ، قال استعملني عمر رضي الله عنه في جباية صدقات العذريين فبينما أنا يوماً بازاء بيت إذ نظرت امرأة عند كسر البيت والى جانبها شخص لم تبق الا رسومه فجلست أنظر اليه فتموّج ساعة ثم خفق حفقة فارق الحياة فقلت لها من الرجل قالت عروة فقلت كأنه قضى فقالت نعم ، ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وان ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لي أن أخرج الى قبره فأندبه فقد بلغني انه قضي ، قال ذلك اليك فخرجت حتى أتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلاً ثم أنشدت

ألا أيها الركب المخثون ويحكم بحق نعيتم عروة بن حزام
فان كان حقاً ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعدك راحة ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماماً بمثله ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لابلغتم حيث وجهتم له ونغصتم لذات كل طعام

وفي كتاب النزهة لابن داود ان ركباً شاهدوا موته ، فلما قدموا الحي أنشد رجل منهم عند بيت عروة

ألا أيها القصر المغفل أهله بحق نعينا عروة بن حزام

فجاوبته عفراء ألا أيها الركب هكذا بيتاً فبيتاً الى أربعة والباقي لعفراء وهذا غير صحيح لأن القبر في طريقها قبل منازلهم وفي هذه الرواية بدل قوله فلا لقي الفتيان ، فلا هنىء الفتيان بعدك غادة والأول ألطف وبدل فلا وضعت انثى . فقال للحبالى لا يرجين غائباً وفيه إضافة غير مناسبة إذ

لا مناسبة بين الحمل والغيبة الا بتأويل لا يليق بفصاحة العرب ، ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحرّكت فوجدت ميتة وما قيل من انها منعت المجيء الى قبره ومن انه كان في عهد عثمان أو معاوية وان الذي شهده الحاكي أحدهما ومن ان عمر قال لو أدركتهما لجمعت بينهما غير صحيح الرواية كما في النزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية وتمسك من قال ان عفراء لم تزر قبره بقولها

عداني أن أزورك يا خليلي　　معاشر كلهم واش حسود

أشاعوا ما علمت من الدواهي　　وعابونا وما فيهم رشيد

فاما إذ ثويت اليوم لحدا　　فدور الناس كلهم اللحود

فلا طابت لي الدنيا فراقا　　لبعدك لا يطيب لي العديد

ولما قضت دفنت الى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى اذا صارتا على حدقامة التفتا فكانت المارة تنظر اليهما ولا يعرفان من أي ضرب من النبات وكثيراً ما أنشدت فيهما الناس فمن ذلك قول الشهاب محمود

بالله يا سرحة الوادي اذا خطرت　　تلك المعاطف حيث الرند والغار

فعانقيهم عن الصب الكئيب فما　　على معانقة الأغصان انكار

وقول صاحب الأصل

غصنان من دوحة طال ائتلافهما　　فيها فجالت صروف الدهر فافترقا

فصار ذا في يد تحويه ليس له　　منها براح وهذا في الفلاة لقا

حتى إذا ذويا يوماً وضمهما　　بعد التفرق بطن الأرض واتفقا

حنا على العهد في أرجائها فحنا　　كل على ألفه في الترب واعتنقا

قلت وبين هذين خلاف في اللفظ والمعنى ويحتمل رجوعه الى خصوص وعموم مطلق فان الأول أرق وأعذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذي عدته البلاغة عيباً فان الرند

والغار مترادفان وفيه عيب خفي الا على الناقد فانه لم يجمل المتعانقين المتحابين بل أمر السرحة يعني الشجرة أن تعانق تلك المعاطف يعني معاطف المعشوقة نيابة عن العاشق وعلل ذلك بالانكار على تعانق المتحابين وقد تظافرت كلمات المحبين باستسهال الذم في قضاء الوطر

وأما الثاني فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة وتوفي عروة بن حزام على ما ذكر الذهبي في تاريخه في خلافة عثمان سنة ثلاثين من الهجرة ورأيت في كتاب مجهول التأليف ان وفاته كانت لعشر يقين من شوال سنة ثمان وعشرين ومن محاسن شعره قصيدته التي على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله بألفاظ رقيقة ومعان أنيقة وهي هذه:

خليلي من عليا هلال بن عامر	بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
ولا تزهدا في الاجر عندي واجملا	فانكما بي اليوم مبتليان
ألم تعلما ان ليس بالمرج كله	أخ وصديق خالص فذراني
أفي كل يوم أنت رام بلادها	بعينين انساناً هما غرقان
وعيناي ما وافيت نشر فتنظرا	بما فيهما الا هما تكفان
الا فاحملاني بارك الله فيكما	الى حاضر البلقاء ثم دعاني
على جسرة الاصلاب ناجية السرى	تقطع عرض البيد بالوخدان
ألما على عفراء انكما غدا	بشحط النوى والبين مفترقان
فيا واشي عفراء ويحكما بمن	وما والي من جئتما نشيان
بمن لو أراه غائباً لفديته	ومن لو رآني عائباً لفداني
فيا واشي عفرا دعاني ونظرة	تقر بها عيناي ثم زماني
أغركما مني قميص لبسته	جديداً وبرد ايمنة زهياني

متى تكشفا عني القميص تبينا بي الضرر من عفراء يا فتيان
اذا تريا لحماً قليلا واعظماً بلين وقلباً دائم الرجفان
على كبدي من حب عفراء قرحة وعينان من وجدي بها تكفان
فعفراء أرجى الناس عندي مودة وعفراء عني المعرض المتـــواني
أحب ابنة العذري حباً وان نأت ودانيت فيها غير مـــا متداني
اذا رام قلبي هجرها حول دونه شفيعان من قلبي لها جـــدلان
اذا قلت قـــالا بلى ثم أصبحا جميعاً على الرأي الذي يريان
فيا رب انت المستعان على الذي تحملت من عفــراء منذ زمان
فيــا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس والانعام يلتقيان
فيقضي حبيب من حبيب لبــانة ويرعـــاها ربي فـــلا يريان
فيا ليت محيـــانا جميعاً وليتنا اذا نحن متنـــا ضمنا كفنـــان
ويا ليت أنا الدهر في غير ريبة خليان نرعى القصر مؤتلفـــان
هواي أمامي ليس خلفي معرج وشوق قلوصي في الغدو يمـــاني
هواي عراقي وثنى زمامهـــا لبرق اذا لاح النجـــوم يماني
متى تجمعي شوقي وشوقك تطلعي ومالك بالعبء الثقيل يـــدان
يقول لي الاصحاب إذ يعدلونني أشوق عراقي وأنت يمـــاني
تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاة علقت بجناحهـــا على كبدي من شدة الخفقان
جعلت لعرّاف اليمامة حكمه وعراف نجد ان همـــا شفيان
فقالا نعم تشفى من الداء كله وقاما مع العوّاد يبتدران
نعم وبلى قالا متى كنت هكذا ليستخبراني قلت منـــذ زمان
فما تركا من رقية يعلمـــانها ولا سلوة الا وقد سقيـــاني

وما شفيا الداء الذي بي كله ولا ادّخـــر نصحا ولا ألواني
فقالا شفاك الله والله مـــا لنا بما حملت منك الضلوع يدان
فرحت من العراف تسقط عمتي عن الرأس مـــا التاثها ببنان
معي صاحبا صدق اذا ملت ميلة وكانا بجنبي سرعة عـــدلاني
فيا عم يا ذا العذر لا زلت مبتلى حليفـــا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية فألزمت قلبي دائم الخفقان
وأورثتني غما وكربا وحسرة وأورثت عيني دائم الهملان
فلا زلت ذا شوق الى هويته وقلبـــك مقسوماً بكل مكان
واني لأهوى الحشر إذ قيل انني وعفراء يوم الحشر ملتقيـــان
ألا يا غرابي دمنـة الدار بيننا أبالهجر من عفـــراء تنتحبان
فان كان حقاً ما تقولان فاذهبا بلحمي الى وكريكمـــا فكلاني
كلاني أكـــلا لم ير الناس مثله ولا تهضمـــا جنبي وازدرداني
ولا تعلمان الناس ما كان قصتي ولا يأكلنّ الطير مـــا تذراني
الا لعـــن الله الوشاة وقولهم فلانـة أضحت خـلة لفـــلان
اذا ما جلسنا مجلساً نستلذه تواشوا بنـــا حتى أمـل مكاني
تكنفني الواشون من كل جانب ولو كان واش واحد لكفـــاني
ولو كان واش باليمامة أرضه أحـــاذره من شؤمه لأتـــاني
يكلفني عمي ثمانين ناقـــة ومـــالي والرحمن غير ثمان
فوالله ما حدّثت سرك صاحباً أخالي ولا فـــاهت به الشفتان
سوى انني قد قلت يوماً لصاحبي ضحى وقلوصـــانا بنـــا تخدان
ضحينا ومستنا جنوب ضعيفة نسيم لرياهـــا بنـــا خفقان
تحملت زفرات الضحى فأطقتها ومـــالي بزفرات العشيّ يدان

فيا عم لاسقيت من ذي قرابة   بلالا فقد زلت بك القدمان
ومنيتني عفراء حتى رجوتها   وشاع الذي منيت كل مكاني
فوالله لولا حب عفراء ما التقى   عليّ رواقاً بيتك الخلقان
رواقان خفاقان لا خير فيهما   اذا هبت الارواح يصطفقان
ولم أتبع الاظعان في رونق الضحى ورحلي على نهاضة الخديان
لعفراء إذ في الدهر والناس غرة   اذا خلقان بالصبي يسراني

لادنو من بيضاء خفاقة الحشى   بثنية ذي قارورة شنآن
كان وشاحيها اذا ما ارتدتها   وقامت عناناً مهرة سلسان
وليس بأبدان لها ملتقاهما   ومتناهما رخوان يضطربان
وتحتيها حقفان قد ضربتهما   قطار من الجوزاء ملتبدان
أعفراء كم من زفرة قد أذقتني   وحزن ألح العين بالهملان
وعينان ما وافيت نشراً فتنظرا بمأقيهما الا هما تكفان
فهل حاد يا عفراء ان خفت فوتها   عليّ اذا ناديت مرعويان
ضروبان للتالي القطوف اذا ولى   بسيحان من يعصي به حذران
فيا لكما من حاديين كسيتما   سرابيل مغلاه من القطران
وما لكما من حاديين رميتما   بحمى وطاعون ألا تقفان
فويلي على عفراء ويلاً كأنه   على الكبد والاحشاء حد سنان
ألا حبذا من حب عفراء ملتقى   نعم والا لا حيث يلتقيان
لو ان أشد الناس وجداً ومثله   من الجن بعد الانس يلتقيان
ويشتكيان الوجد ثمة اشتكي   لاضعف وجدي فوق ما يجدان
فقد تركتني ما أعى لمحدّث   حديثاً وان ناجيته ونجاني
وقد تركت عفراء قلبي كأنه   جناح غراب دائم الخفقان

قوله خليليّ ، خطاب بالنـــداء محذوف الاداة وليس بشرط أن يكونا

وجوديين ، فقد جرت عادة العرب بذلك ، حتى قيل انهم وان خاطبوا الواحد جعـــلوا الصيغة لاثنين ، اما ليجري مجرى التأكيد أو انهم يطلبون التعظيم أو انهما أقل الرفقة .

وقوله الى حاضر البلقاء يريد المكان الذي كانت به كما سبق في الحكاية ويروي الى حاضر الروحاء موضع بالبلقــاء من طرف حوران وقوله حسرة الاصلاب صفة مشبهة كناية عن العجلة التي لم تدعه يشد كور الناقة ويروي نوّاخة السري وموّارة أي عجلة تبلغ المآرب وقوله بمن لو أراه البيت كناية عن الاتحـــاد وشدة المحبة حتى لم يقع تأثير بينهما من نقل شيء وقوله متى تكشفا .

روى بدله متى ترفعا ، والأول أبلغ لاخصيته ولزوم رؤية البدن منه ، وقوله اذا تريا جواب متى وروى بدله تعرفا ، والأول ألطف . وقوله كأنّ قطاة البيت قد أخذه المجنون حيث قال

قطاة غرها شرك فباتت

البيت وهذا من السرقات العامة التي تتفاوت بحسن الاختلاس والتظرف ومعنى هذا انه شبه كبده في شدة خفقاته من هياج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالآخر طلب الخلاص

وأما المجنون فقد تظرف ثم بالغ لأنه جعل القلب هو القطاة بعينها وجعل المعلق هو الشرك واعلم ان ابن الأثير ألف كتاباً بأسماء أعمدة المعاني للمنثور والمنظوم ذكر فيه من اقترح معنى ومن سرق منه وزاد عليه فقال في هذا الموضع ان المجنون تظرف حيث أسند الخفقان الى القلب والتعليق الى الشرك وأما أنا فأقول ان قول عروة أبلغ لأن الكبد ليس من شأنـــه الحركة ولا الخفقان كما هو دأب القلب فاسناد الخفقان الناشيء عن العشق اليه أبلغ ولأن حركته تستلزم حركة القلب دون العكس ولا يساوي هذا المعنى كون محل التعقل ومسكن المحبوب كما في كلماتهم اذا الملحوظ حينئذ الروح الحيواني قوله عرّاف اليمامة قد سبقت قصته والعرّاف في الأصل الكاهن واستعمله هنا

على الطبيب لاتحادهما لغة ومـــا التأتها يعني ما رددتها وهي كناية عن شدة المرض ، وعمه المدعو عليه هو أبو عفراء وقد عرفت عذره ، وقوله فلو أن واش باليمامة قد استعاره المجنون حيث قال

ولو ان واش باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت أتانيا

وهي سرقة شنيعة مذمومة وهو هنا أظرف وأبلغ من حيث الايهام لأن قوله أحاذره من شؤمه يحتمل ان يكون بأقصى فارس وهـــذا هو اللائق بالمبالغة . وأما حضرموت واليمامة فكلاهما في اقليم واحد فلا يعظم مجيء الواشي

اخبار عبدالله بن عجلان وصاحبته هنـــد

هو عبد الله بن عجلان بن عبد الاحب بن عامر بن كعب يتصل بقضاعة وهو فخذ من بني الحريش وسعد افترقوا من قضاعة على ما ذكر في الانساب أربعون فخذاً

وفي النزهة انه عذري وليس كذلك ، ولكن بينه وبينهم حيث لا ترمي العصا وذلك دون خمس جدود. وقال في كتاب الانساب كانت العرب تعد الرجل منها ما لم يفارقهم بخمس بطون فاذا بلغ ذلك ، قالوا قطع النسب ، ورميت العصا وكان عبد الله هذا يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب قال في بلغة الاشفاق في ذكر أيام العشاق وهو جزءلطيف لابن رشيق موضوعه ذكر مدة العشاق في العشق ان عبد الله هذا أقل العشاق أياماً ، عاش مكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة وهو جـــاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة فما قيل فيه قول قيس

فما وجدت وجدي بها أم واحد ولا وجد النهدي وجدي على هند
ولا وجد العذري عروة في الهوى كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

فقوله النهدي اشارة الى ابن عجلان هذا وقد سماه عمراً في أبيات سبقت في قصته وقوله على هند متعلق بوجدي فليحذر من فهم صاحب النزهـــة وقول البحتري

هوى لا جميل في بثينة مالـــه بمثلي ولا عبد بن عجلان في هند

وهند هي بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي يتصل مع عبدالله في النسب

قال في الظرائف ان سبب اعتلاقه بهـــا ، انه خرج يوماً الى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه

فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور ورآهن على تلك الحالة ، فمكث ينظر اليهن مستخفياً فصعدن حتى بقيت هند ، وكانت طويلة الشعر فأخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خـــلال سواد الشعر ، ونهض ليركب راحلته فعجز ، وأقعد ساعة وكان يقال عنـه قبل ذلك ان العرب كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته فأنشد فوراً

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة اذا شئت لمساً للثريا لمستهـــا
أتتنى سهام من لحاظ فأرشقت بقلبي ولو أستطيع ردّ أرددتهـا

ثم قال هذه والله الضالة التي لا ترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخـبر صديقاً له ، فقال اكتم ما بك واخطبها الى أبيها فانه يزوجك بها وانأشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها وأقاما على أحسن حال ، وأنعم بال لا يزداد فيها الا غراماً فمضى عليهما ثمان سنين وانهـا أقامت على ذلك تحمل ، وكان أبوه ذا ثروة ليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض عليهـــا ذلك فأبت أن تكون مع أخرى فعاود أباه فأمره بطلاقهـا فأبى فألح عليه وهو لم يجب الى ان بلغه يوماً ان عبد الله قد تمكن السكر منه فعدّها فرصة وأرسل اليـه يدعوه ، وقد جلس مع أكابر الحي فمنعته هند وقالت والله لا يدعوك لخير وما أظنه الا عرف انك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لمت وأظن انك فاعل

قال في النزهة وكان قد خلى على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصا وأخبرت هند انها ستطلق ، فأبي عبد الله الا الخروج فجاذبته ويدها

مخلقة بالزعفران فأثرت في ثوبه . فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله فأقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحى فطلقها ، فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجداً كاد أن يقضي معه وأنشد :

طلقت هنداً طائعاً فندمت بعد فراقها
فالعين يذرف دمعها كالدر من آماقها
متحلباً فوق الردا فتجول في رقراقها
خـود رداح طفلة ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألذ حديثها وأسر عند عناقها
ان كنت ساقية ببز ل الادم أو بحقاقها
فاسقي بني نهد اذا شربوا خيار زقاقها
فالخيل تعلم ألحقها غداة لحاقها
بأسنة زرق منحن القوم حد رقاقها
حتى ترى قصد القنا والبيض في أعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوساد ، وتوفي على ما ذكر في النزهة قبل عام الفيل بأربعة أعوام ، وكان سبب وفاته على الأصح انه قصد هنداً وقد تزوجت في نمير وهي قبيلة من عامر ، وكان بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء كثيرة ، فحذره أبوه من ذلك ومناه الاجتماع بعكاظ في الأشهر الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب .

فأبى وخرج سراً حتى أتاها ، فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقي إبلاً له ، فلما تعارفا شدّ كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا الى الأرض . فجاء زوجها فوجدهما ميتين .

وقيل ان عجوزاً دخلت عليه في مرضه فأخبرتهم انه عاشق وان يطبخوا له شاة ويرفعوا قلبها ويقدّموها اليه ، ففعلوا فجعل يحاولها بضعة بضعة فقال

أما لشاتكم قلب فقال له أخوه أعاشق أنت ولم تدر ، فتأوه ومات . وقيل رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلوق كالذي في ثوبه ، حين جاذبته فمات ، وقيل انه ترنم بهذه الأبيات يوماً ومدّ بها صوته فمات وهي :

ألا ان هند أصبحت منك محرما وأصبحت من أدنى حموتها حما
فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما

وقيل ان هذه الأبيات لمسافر بن عمرو أنشدها حين ولع بهند بنت عتبة وأراد زواجها ، فخرج الى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها، وقيل انها حملت منه فخرج هارباً ، وأصابه من عشقها مرض كبر معه فاستحضر له النعمان أطباء العرب فأجمعوا على كيه فكوي وبرىء ، فقدم أبو سفيان أو هو غيره فسأله عن مكة

فلما انتهى الى زواج هند شهق فمات ، وقيل خرج فمات في الطريق ، وقيل هي يعني الأبيات للمغيرة في اسماء النهشلية والصحيح ان أبيات المغيرة هذه

تحدثنا أسماء ان سوف نلتقي أحاديث طسم إنما كنت حالما
ألا أصبحت أسماء حجراً محرماً وأصبحت من أدنى حموّتها حما

ولابن عجلان أشعار كثيرة من محاسنها قوله

قد طال شوقي وعاد لي طربي من ذكر خود كريمة الحسب
غرّاء مثل الهلال صورتها أو مثل تمثال صورة الذهب

ومنها :

ألا بلغا هنداً سلامي وان نأت فنلبي منشطت بها الدار مدنف
ولم أر هنداً بعد موقف ساعة بأنعم من أهل الديار تطوّف
أتت بين أتراب تمايسن إذ مشت دبيب القطا أوهن منهن ألطف

يباركن مرات خليـــاً وداده ذكياً وبالأيـــدي مدال ومسوف
أشارت الينا في حياء وراعها سراة الضحى مني على الحي موقف
وقال تبـــاعد يا ابن عم فانني منيت بذي صول يغار ويعنف

ومنها

خليلي زورا قبل شحط النوى هنداً ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا
ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة أغيا يلاقي في التعجل أم رشدا
ومر عليها بارك الله فيكمـــا وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضـــلال أجازنا ولكننا جزنا لنلقاكم عمـــدا
غداً يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بعدا

أخبار ذي الرمة وصاحبته مي

هو غيلان بن معدى بن عمرو الكنـاني القحطاني أو هو سعدى وقيل إبن عقبة بن يهوس ابن ربيعة يتصل من عبد مناف بالياس بن مضر وهو الأصح أديب شاعر رقيق النظام جزل الكلام وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير بأحوال العشق والرمة بالضم وتكسر قطعة حبل تجعل في عنق البعير ووهب طريف بن غطفان بعير الشخص بالحبل الذي في عنقه فقيـــل أعطاه برمته فضرب مثلاً لمن يعطي الشيء جميعه وبالكسر العظام البالية ، وسمي بذلك لأنه كان كثيراً ما يحمل في عنقه أو علىعاتقه الحبل أو انه سمي بذلك لشدة نحوله في العشق .

وميّ هي بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغساني أحـــد ملوك العرب ووالده قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ في الملك تميل اليه العرب ويعطي القياد حتى ضربت به الأمثال ، قال طرفة بن العبد بعد اشتكاء سوء حظه

ولو شاء ربي كنت قيس بن عاصم . يعني في ارتفاع الجد وسعة الملك قال في النزهة وكان ذو الرمة لطيف المنظر حسن الهيئة طويلاً الى رقة وبيــاض واسع الصدر عجل المشية

وكانت ميّ جارية الى القصر ما هي سمراء بدينة إلا أن في كلامها عذوبة

وفي طرفها تغزل   قال في الظرائف ان سبب اعتلاقه بها انه مر يوماً بالحي وقد أدركه الأوام فنظر الى بيت قد شرع رواقه وارتفعت أطباقه وعلا عموده وأطنابه ومدت أوتاده وأسبابه ، فقصده حتى وقف بازائه ، واذا هو بامرأة تتمشط حاسرة الرأس وقد أسبلت شعرها كأنه عثاكيل النخل ، ووجهها يشف من خلاله فناداها هل من اداوة تبرد الغليل ، فأبرزت اليه ماء قد شيب بلبن ، فشرب ثم ناشدته الراحة ، وقدمت اليه طعاماً فأكل ولم تزل تنادمه وهو يعجب بها ويحترك لها قلبه الى ان انصرف بعد بياض النهار وقد علق من قلبه بحبها الأعج عجز عن إطفائه وغرام كل عن اخفائه فجعل يماودها الزيارة ، فقيل له في تقليل ذلك وان بلادها بعيدة عن بلاده وان ذلك يوجب له نصباً ومشقة فأنشد

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها   أرى الأرض تطوي لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها   اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون فأفضوا الى حديث ذي الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزاري وهو يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال مني خذوا خبره أتاني يوماً ، فقال ان حي مية خلوف فهل تسعدني في الزيارة فركبنا حتى أتيناها ، فلما نظر النساء الى ذي الرمه عرفنه فجئن حتى جلس عنده وتفاوضوا في الحديث فقالت ظريفة من النساء أسمعنا يا ذا الرمة ما قلت فالتفت إليّ وقال لي قل فأنشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتي   فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى أظعان مي كأنها   ذرا النخل او أثل تميل ذوائبه
فأسبلت العينان والقلب كاتم   بمغرورق نمت عليه سواكبه

بكى وامق حال الفراق ولم تحل حوائلهـــا أسراره ومعـــاتبه
هو الالف قد حان الفراق ولم تحل مخـــاولها أسراره ومقـــانبه

قالت الظريفة لكن اليوم فلتحل ثم مضيت فلما انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية مـــا الذي أحدثهـــا الا الذي أنا كاذبه
اذاً فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدوّ أحاربه

قالت مي ويحك يا ذا الرمة خف عواقب الله عز وجل ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله :

اذا سرحت من حب مي سوارح على القلب أمته جميعاً غواربه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله ، فقالت مية ما أصحه وهنيئاً له قـال فتنفس ذو الرمة تنفيسة كاد حرهـا يذهب بلحيتـه ثم مضيب حتى انتهت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا لك الوجه منها او نضى الدرع سالبه
فيا لك من خد أسيل ومنطق رخيم ومرحوق تعـــال شاربه

وفي رواية القالي اذا راجعتك بدل اذا نازعتك فقالت الظريفة هذا القول قد تتوزع والوجه بـدافن لنا بان ينضى الدرع سالبه فقالت مي ماذا تريدين وتضاحكا فقالت الظريفة ان لهذين لشأناً فقم بنا فقمت وجلست بحيث اراهما فتعاتبا طويلاً ولن يبرح من هكانه ولم اسمع منهما غير ان قالت كذبت والله لم أعلم علام كذبته ثم جاءني ومعــه قارورة دهن قد اتحفته بها فقال لي شأنك وهي ثم قال وهذا قلائد قد اعطتنيها فوالله لا قلدتها بعيراً وعقدها في سيفه وانصرفنا ، فلما ظعن الحي جاءني فقـال امض بنا نودّع الآثار فجئنا حتى وقفنا على أطلال مية فأنشد

ألا فاسلمي يا دارمي على البـــلا ولا زال منهـــا بجرعائك القطر
وان لم تكوني غـــير شام بقفرة تجر بهـــا الأذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة فقلت مه فقال اني جلد وان كان مني مـا ترى ثم انصرفنا فوالله ما رأيت أشد صبابة ولا أحسن صبراً منه وكان آخر العهد به وله أشعار كثيرة فمن ألطفها القصيدة الحائية التي أولها

أمنزلتي مي سلام عليكما على النأي والنأي يودّ وينصح

ومنها

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئب وتنصح
من المؤلفات الرمل أدما بحرّة شعاع الضحى في متنها يتوضح
رأينا كأنا عامدون لصيدها ضحى فهي تنبو تارة وتزحزح
هي الشبه اعطافاً وجيداً ومقلة ومية أبهى بعد منهـا وأملح

ومنها

على حين راهقت الثلاثين وارعوت لذاتي فكاد الحلم بالجهـل يرجح
اذا خطرت من ذكر مية خطرة على القلب كادت في فؤادي تجرح
تصرف أهوى القلب مني ولا أرى نصيبك من قلبي لغـيرك يمنح
فبعض الهوى بالهجر يمحي فينمحي وحبك عندي يستجد ويرجح
ولمـا شكوت الحب كيما تثيبني بوجدي قالت إنمـا أنت تمزح
بعـاداً وادلالاً علي وقد رأت ضمير الهوى قد كاد بالجسم يبرح
لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى تباريح من ذكراك فالموت أروح

ومنها

خليلي عدا حاجتي من هواكما ومن ذا يواسي النفس إلا خليلها
ألما بي قبل ان تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بين يزيلها
وان لم يكن الا تعلل ساعة قليـلاً فاني نافع لي قليلهـا

ومنها

خليلي عوجا من صدور الرواحل   بمجهود حزوي فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة   من الوجد أو يشفي وحيّ البلابل

ومنها

ولما تلاقينا جرت من عيوننا   دموع كففنا غربها بالأصابع
ونلنا سقاطاً من حديث كأنه   جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع

ومنها

إذا هبت الأرياح من نحو جانب   به آل مي زاد قلبي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وإنما   هوى كل نفس أين حل حبيبها

أخبار مالك وصاحبته جنوب

هو مالك بن الحرث بن الصمصامة بن أخرش الجعدي من بني أخرش أخو ذي الرمة قال في الأنساب هم أكبر فخذ من قحطان ولم يعقب أخو ذي الرمة غيره وغير مسعود وهمام وهم قبائل معروفة

وكان مالك شجاعاً جلداً ذا نجدة ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان وعشرين من عمره .

و (جنوب) هي بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أخرش الجعدي ، علقها شابين وسبب ذلك انه جاء يوماً الى أخيها الأصبغ يسترفقه الى حي من كنانة لحاجة عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقرابة فرأى جنوب وقد ألقت ما عليها خلاسب أخضر شفاف فرآها على بغتة فوقعت من قلبه فعاد وقد تمكن حبها منه فأفضى بذلك الى رجل من أصحابه فوشى به الى أخيها ، وكان معروفاً بالشجاعة فحلف ليقتلنه ان تيقن ذلك فضمها يوماً مجلس وقد قبلت جنوب فلم يستطع أن يكلمها وأخذته رعدة فضمه شخص الى صدره ، وفطن الأصبغ فقام خجلاً وبقي مالك مغشياً عليه ، فلما أفاق أنشد

خليلي ان حانت وفاتي فادفنا ... برابية بين المقابر فالنفر

لكيما تقول العبدلية كلما ... رأت جدثي سقيت يا قبر من قبر

وفي النزهة فادفنا عظامي ما بين الربية فالنفر قال والربية طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب ، والنفر تربة مشهورة وهــذه الرواية أصح وأنسب بالمعنى ، وفيها بدل سقيت حييت ثم ان العرب نجعوا نجعة وسيمة يعني مكاناً أمطر وأعشب سابقاً ، فوقف مالك يتصفح الظعن متخفياً حتى مرت جنوب فأخذ بخطام بعيرها وأنشد

رأيتك ان ازمعتم اليوم نيــة وغالك مصطاف الحمى ومرابعه
أترعين ما استودعت أم أنت كالذي إذا ما نأى هانت عليه ودائعه

فبكت ثم قالت أرعى والله ولا تهون عندي ودائعه فأطلقها ومضى في نشيده يقول

الا ان ورداً دونه قــلة الحمى مني النفس لو كانت تنال شرائعه
فــلا أنا فيما صدني عنه طامع ولا ارتجى وصل الذي هو قاطعه
وكيف ومن دون الورد عوائق واجنح حال ما أحب ومانعه

ثم انصرف فبات ليلة قلقاً ، فلما أصبح ركب وضرب الفضاء لينزه نفسه فبينما هو على ماء يستريح إذ سمع شخصاً يشتكي الى شخص ثقل رأسة وقلة سمعه قال له منذ كم أصابك قال من أمس ، فقال هذا من الهواء الذي كان بارحة أمس فانه جنوب وهواء الجنوب ضار

فلما طرق الكلام رأسه قال أي والله ولا أضر من هواها أجد وسقط كالمصروع فجاؤوا اليه واحتملوه بعد ان قارب الفراق ، ثم مضــوا به الى الحي فقام ليلتين ثم قضى

وفي (النزهة) انهم دعوا له طبيباً فلما أبصره أنكر حاله فدعا بشراب وسقاه ، فلما تمكن منه أنشد

خليلي ان العبدلية أزمعت على الصدو الهجران فاستدينا عنسي
فلا صبر لي بعد الفراق على الجفا ولا راحة الا التوسد في رمسي
فصبر محب عن حبيب يحبه محال وهل جسم يعيش بلا نفس

ثم شهق شهقة خرجت نفسه ، قلت وهذه الأبيات قد نقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الأذهان في منتخب شعر قتلى الحسان .

وفي النزهة نقله عن ذي الرمة ، ورواه بلفظ ان المنقرية يعني مية ، وفي لطائف الفوائد وظرائف الشوارد لابن عبد ربه ، أن مالكاً هذا لما قضى اتصل نعيه بجنوب وقد قدم اليها لبن ، فلما امتصته ووقع الكلام في أذنهـا اضطربت خفيفاً ، ثم اضطجعت فاذا هي ميتة

اخبار عبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش

هو عبد الله بن علقمة بن زرارة من قحطان

وصاحبته (حبيش) بنت سعد بن أسلم من خريمة قبيلة من اليمن ، ولم يذكره في النزهة ولكني رأيت في ظرائف الأخبار ان سبب اعتلاقه بها انه أضاف أهلها ، فأجلسوه في متحدث لهم ، فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر فوقفت تحلب ناقة وهو ينظر ، فضرب الهواء السب فكشف وجههـا ويديها وكانت طويلة الى الرقة واسعة الصدر كان وجهها البدر ، فلمـا عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فسكت خيفة ان يظهروا على حالة ، ثم جاءت اليه باللبن ليشرب ، فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده ففطنت لما به ، وكان شاباً كأنه القمر فداخلها ما داخله ولم بكونا متقاربين في المنزل لأنهما من فخذين فافترقا على ما داخلهما من الهوى

وان الغلام أرسل أمه بهدية اليها وتبعهـا وأقاما عندها فلم يزل كذلك يذهب مع أمه ويعود اليها أياماً ، وكان في أوائل الهجرة ، فأرسل رسول الله ﷺ سرية الى جذيمة وعليهم خالد بن الوليد فصادفوا العرب ظاعنين ، ورأوا عبد الله وراء القوم يسوق قلوصاً له ، فأمسكوه وعرضوا عليه الاسلام فقال وما هو ، فقالوا كذا وكذا . فقال أرأيتم ان أنا لم أسلم فما أنتم صانعون قالوا نضرب عنقك فقال هل لكم أن تتركوني أمضي الى الظعن قـالوا بلى ونحن في أثرك فمضى يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش ، فناداها أسلمي ، فقد نفد العيش

وفي رواية انقطع فقالت حبيش أو أسلم عشراً أو تسعاً وتراً أو ثمانا أو ثلاثاً تترا على الخلاف في السيرة والمستدرك والتهذيب ثم أنشد :

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم ببرزة أو أدركتم بالخوانق
أما كان حقاً أن ينوّل عاشق تكلف ادلاج السرى والودائق
فاني لاسر لدي أضعتـــه ولا راق عيني بعدو جهك رائق
على ان ما ناب العشيرة شاغل ولا ذكر إلا أن يكون توامق
فها أنا ما سور لديك مكبل وما ان رآني بعدها اليوم ناطق

فأجابته

أرى لك أسباباً أظنك مخرجاً بها النفس من جنبي والروح زاهق

فأجابها

فان يقتـــلوني يا حبيش فلم يدع هواك لهم مني سوى غلة الصدر
فأنت التي قفلت جلدي على دمي وعظمي واسبلت الدموع على النحر

فأجابته

ونحن بكينا من فراقك مرة وأخرى وقاسينا لك العسر باليسر
فأنت ولا تبعد فنعم أخو الندى جميل المحيـــا في المروأة والبشر

وفي رواية بعد قوله تكلف ادلاج السرى والودائق

فلا ذنب لي قد قلت انا هنا معاً أثيبي بود قبل أخـــذ الصفائق
أثيبي بود قبل أن يشحط النوى وتنأى الليـــالي بالحبيب المفارق

ثم ضربه غلام فأطار يده وقدم فضربت عنقه ، وقيل أوثقوه أولاً حين أدركوه ، وانه رأى رجلاً منهم فقال له أما تستطيع أن تعرضني على النساء

قبل أن تقتلوني ، فقال سهل ما طلبت وعلى كلا الأحوال أنهم قتلوه وانها نزلت حين رأت ذلك فقبلته وشهقت شهقة أو شهقتين فماتت

ولما أخبروا رسول الله ﷺ بذلك قال أما كان فيكم رجل رحيم . وفي نديم المسامرة للمقدسي أن عبد الله هذا ، حين فشا أمره مع حبيش قالوا لأمه ان ولدك قد تولع بهذه وليست من حيلكم فاعرضي عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ، ففعلت فقيل له ما ترى فيهن قال حسناً وجمالاً ، فقيل أيما أحسن هنّ أم حبيش فتنفس الصعداء ثم قال ماء ولا كصدّاء ، ومرعى ولا كالسعدان فمضى مثلاً في العرب .

اخبار نصيب وصاحبته زينب

هو ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة الشهير بالشاعر الزنجي مولى راشد ابن عبد العزى من كنانة

وصاحبته أم بكر زينب بنت صفوان بن غاوي كنانية في الأصح وليست زنجية كما زعم وسبب الوصلة بينهما .

أن نصيباً كان يرعى ابلاً لمولاه وكانت رعاة مولاه تخالط رعاة صفوان ، في المبروك بوادي البوار ، وكانت زينب تأتي رعاة أبيها فتأخذ لبناً ، وان نصيباً تولع ببري القسيّ واراشة السهام وحجز الأوتار فبرع في ذلك حتى اشتهر في أحياء العرب ، وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة فتقوم عنه بالخدمة وتتخلف الحلوب من النوق في المعاطن فتأتي زينب وهي جارية صغيرة فتأخذ اللبن ، فينظرها وكان حاذقاً حسن التأمل في دقائق المحاسن ولطائف الشمائل ، وهي من ذلك في أرفع المراتب ، فنشأ عنده من حبها ما غير باله ، وأشغل حاله فشبب بها وفشا ذلك فأتت العرب مولاة فقالت ان عبدك هذا قد برع في الشعر ، ونخشى أن يهجو أحدنا ويشبب بنسائنا ، وليس لنا في أحد الخليتين سيرة ، فقال له مولاه اني بائعك فانظر لنفسك ، فأقبل حتى دخل على الأمير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان فأنشد

لعبد العزيز على عترته ... وغـيرهم منن ظـاهره
فبـــابك أسهل أبوابهم ... ودارك مأهولة عامره
وكلبك أرأف بالزائرين ... من الأم بالابنة الزائره

وكفك حين ترى السائلين لأثرى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنا الثناء بكل محبرة سائره

فأمر له بألف دينار . فقال أصلحك الله اني عبد لا آخذ الجوائز ولكن أباع فقال لخادمه امض به الى باب الجامع فاذا انتهت الرغبات فيه فأخبرني فمضى فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين ديناراً فقال نصيب قولوا يحسن كذا وجعل يعدد صنائعه وهو يوفي بها حتى انتهى الى ألف دينار .

فأخذه الأمير فكان في خدمته الى ان توفي فأوصى به سليمان بعد ان اعتقه على ما ذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج ، فكان من أكبر سماره وكان يلهج بالعشق وقال ابن فاتك في محاسن العبيد .

ان سليمان استخفى ليلة فسمع نصيباً وقد استخلي بنفسه يبكي ويقول متمثلاً بكلام المجنون قضاها لغيري البيت فاستحضره فقال ما هذه التي قضاها لغيرك وابتلاك بحبها أو عاشق انت قال أي والله جعلت فداك من العشق فقال ولمن قال لجارية في كنانة علقتها فمنعت منها القلة حسبي وحقارة نسبي عند العرب فكنت أجلس في ممرّها لأخالسها النظر وفي ذلك أقول :

جلست لها كيما تمرّ لعلني أخالسها التسليم ان لم تسلم
فلما رأتني والوشاة تحذرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت اشتري حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان بتزويجها ففي النزهة ومحاسن العبيد لابن فاتك انه زوجه بها وأقام معها وانها توفيت عنده في خلافة سليمان

وقيل انه تزوج بها على يد اليزيد بن الوليد وما ذكره هنا من أن يزيد استخبره هل عشقت فقال نعم عشقت جارية حمراء يعني من البيض ومنعت منها مدة فلما توفي من كان يمنعها كتبت اليها

فان أك حالكاً فالمسك لوني وما لسواد جلدي من دواء

وبي كرم عن الفحشـاء ناء　　كبعد الأرض عن جوّ السماء
ومثلي في رجالكم قليـل　　ومثـلي لا يردّ عن النساء
فان ترضى فردّى قول راض　　وان تأبى فنحن على السواء

فقالت المال والعقل يغطيان غيرهما لو تزوجتني يدل على أن ليس ليزيد في تزويجها شيء . وقيل انه تزوجها على يد ابن أبي عتيق . وفي تسريح النواظر انه لم يتزوجها وانها اعتذرت حين أرسل اليهـا بأن العرب تعيرهـا بزواج الزنجي والمتواتر خلاف ذلك أخبر التنوخي والتوزي كلاهما عن ابن الجزار بسنده الى العتبي

قال شهدت هوادج مزينة حين نزلنا الى مكة ، فلما نزل الحاج خرج من أعظمها هودجا امرأة وقد مهد لها مهاد فجلست وأقبل زنجي حتى جلس الى جانبها فمرّ سائق ابل وهو يقول

بزينب ألمم قبل أن يدخل الركب　　وقل ان تملينا فما ملك القلب

فوثبت المرأة فضربت الذي الى جانبها وقالت قد فضحتنا فسألنا عنها فقيل هي زينب وهو نصيب ونحو هـــذا عن الزبير عن الخزامي وعن ابن خلف وابن الجوهرى في أخبار السودان وكل يصف المرأة بالبياض مـا عدا الأول فانه قال انها زنجية

وعن ابن خلف من طريق آخر بينا نحن في الركب اذا بزنجي يمشي والى جانبه امرأة كأنها البدر والمسك يسطع منها فقالت له من أنت قـال انا الذي أقول

ألا ليت شعري ما الذي هو حادث　　غدا غربة النأي المفرّق والبعد
لدى أم بكر حين يقذفها النوى　　بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي
أتصرم مني عند الذين هم العـــدا　　فتشمتهم بي أم تدوم على العهد

فصاحت المرأة لا والله بل ندوم على العهـد ، وتوفي نصيب سنة ثلاث

عشرة ومائة وقيل إحدى عشر . وفي كتاب ابن الجوهري كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة ، وقيل توفيت قبله ورؤي باكياً عليها وهو يقول:

أيا دهر ما هذا لنا منك مرة   عثرت فأقصيت الحبيب المحببا
وأبدلتني من لا أحب دنوّه   وأسقيتني صاباً من العذب مشربا

ومن لطائف شعره:

كسيت ولم أملك سواداً وتحته   قميص من الصوهيّ بيض بنائقه
وما ضرّ أثوابي سواد وانني   لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه
ولا خير في ودّ امرىء متكاره   عليك ولا في صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثله   بعافية فاعلم بأني مفارقه

ومنها

وما في الأرض أشقى من محب   وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكياً أبداً حزيناً   مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي ان نأوا شوقاً اليهم   ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي   وتسخن عينه عند التلاقي

اخبار المرقش وصاحبته اسماء

هو عمرو أو عوف بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة أعلى قبائل طيء ، ولد باليمن قبل خروج ربيعة ثم انتقلوا الى العراق فنشأ بها وله اخوان أنس وحرملة رفعهم أبوهم الى نصرانيّ ببغداد يتعلمون الكتابة ، وكان سعد والده يرى دين النصرانية ، ومات فقام عمرو مقامه في العرب ، فكان شجاعاً مهاباً في العرب

خرج يوماً وقد قطع وادي نجران بأسد ونمر فلم يطق أحد أن يمر منهما فلما رأى عمرو الأسد وثب عليه فزاوغه ووثب فصار على ظهره فأمسك أذنيه مستثبتاً ثم دق رأسه وسلخ جلده، فلما أحس بالنمر الفّ في جلد الأسد وناماً سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه،وأخذ جلده عليه وأقبل على العرب فسموه المرقش ، وقيل سمي بذلك لقوله:

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأدني قلم

ومن ولد أخيه حرملة رجل دعته العرب بالمرقش الاصغر لشبهه ذاك .

وأسماء هي بنت عوف بن سعد بن مالك ايضاً ، وكان عمرو قد ألفها من التربية صغيرين فخطبها الى عمه فأنعم ومضى عمرو الى جار الفلاة فمدحه وحظى عنده فأمسكه مدة وان الغلاء وقع بالبادية وطرقها جدب فقدم مراديّ على عوف فخطب اسماء فزوّجه بها على مائة ناقة واحتملها الى قومه وعمدوا الي عظام كبس فذبحوه ودفنوا عظامه وصيروها قبراً ، فلما قدم

عمرو أخبروه أنها ماتت وأروه القبر فلزمة حتى ضني وتغير حاله فبينما هو يوماً منتحباً إذ سمع ولدا قد اقتتل مع آخر على كعب يقول هذا أخذته من عظام الكبش الذي دفن وقيل لعمرو انها أسماء فدعاه وسأله الخبر فحين عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسارا في طلب المرادي

فقيل ان اخوته شعروا به فردّوه فمات وتظافرت الأخبار بأنه وصل الى واد بقرب مراد وقد ثقل في المرض فقال زوج ابنته لها اتركيه واذهبي بنا فقد أجهدنا ، فلما سمع ذلك كتب على مؤخر الرحل

يا صاحبيّ تلبثا لا تعجلا ان الرواح رهين أن لا تفعلا

فلعل لبثكما يقرّب بيننا أو بسبق الاسراع سيئا مقبلا

يا راكباً ما عرضت فبلغن أنس بن سعد ان لقيت وحرملا

لله درّكما ودر أبيكما لا يفلت العمدان حتى يقتلا

من مبلغ الأقوام ان مرقشاً أضحى على الأصحاب عيا مثقلا

وكأنما ترد السباع بشلوه إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

فلما رأى أخوته الكتابة قتلا الرجل والمرأة ، وأما عمرو فحين ذهبا عنه بقي مطروحاً فأوى الى غار هناك وكان يألفه راع من مراد فبينما هو به إذا هو بغنم وراعيها فلما بصر به الراعي قال له من أنت فأعلمه باسم الذي هو عنده فاذا هو زوج أسماء فقال له تكلم مولاتك قال لا ولكن تأتيني جارية من عندها لأخذ اللبن

قال في النزهة وكانت أسماء قد مرضت ايضاً شوقاً اليه فلم تغتذ إلا بقدح من لبن في اليوم ، فنزع عمرو خاتمه وقال للراعي ألقه في القدح فستصيب به خيراً ، فلما رأته دعت الجارية فأخبرتها أن لا علم لها فنادت زوجها وأخبرته القصة فاستحضر الراعي ، فلما عرفه ركب وأركب زوجته فأدركوا عمراً وبه رمق فاحتملوه عندهم ، فمات وقيل أنشد عند موته

سما نحوي خيال من سليمى فأرّقني وأصحابي هجود

فبت أدير أمري كل حال وأذكر أهلهـــا وهم بعيد
على أن قد سما طرفي لنـــار يشب لها بذي الارطي وقود
حواليها مهـــا بيض التراقي وآرام وغزلان رقـــود
نواعم لا تعالج بؤس عيش أوانس لا تروح ولا تـــرود
يرحن معاً بطاء المشي روداً عليهنّ المجـــاسد والبرود
سكنّ ببلدةوسكنت أخرى فقطعت المواثق والعهـــود
فما بالي أفي ويخـــان عهدى ومـــا بالي أصاد ولا أصيد
وربّ أسيلة الخدّين بكر منعمة لهـــا فرع وجيـــد
وذي أشر شنيب النبت عذب نقيّ اللون برّاق برود
لهوت بهـــا زماناً في شبابي وزين بها النجائب والقصيد
أناس كلمـــا أخلقت وصلاً عنـــاني منهم وصل جديد

ولـــه

أغـــالبك القلب اللجوج صبابة وشوق الى أسماء أم أنت غالبه
يهيم ولا يعـني بأسمـــاء قلبـه لذات الهـــوى امراره وعواقبه

وعلى قوله راكباً البيتين أورد المصنف الحكاية المشهورة دليلاً على ذكاء العرب وأسندها الى مجهول وأصلها قال في روضة القلوب ان أسامة بن غسان بن حارث الكناني قتل أبو صبرا في تيم ، فخرج يستجيش له نصرة وذلك قبل يوم أوارة بأعوام يسير ، فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين لخدمته ولحقته علة فعزما على قتله ، فلمـــا أحس ذلك قال لهما هل أنتما مبلغا ابنتي هذين البيتين قالا وما هما قال تقولان

ألا يا بنات الحيّ ان أباكما لله در كما ودرا بيكمـــا

فلما أتيا الحيّ اخبرا بموته فقالوا هل أوصي بشيء ، فقالا لا ضرر علينا فيما ذكره وذكرا لهم القول ، فقالت إحدى بناته اقتلوا العبدين فقد قتلا أبي

فقالوا ومن أين لك ذلك قالت ان هذا الكلام سفه وهدر وقد كان مصوناً عن ذلك وإنما كتم عنهما تكملة البيتين والأصل

ألا يا بنات الحيّ ان أباكما   أضحى قتيلاً في التراب مجندلا
لله دركما ودر أبيكمـــا   لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة قلت وفي البيت خزم بالحرف الأول وهـو عيب مشهور سائغ الاستعمال في الصناعة وقوله بنات الحيّ ، ثم عدل الى التثنية في قوله ان أباكما جرياً على الغالب في خطاب العرب فانهم يستعملون التثنية في موضع الجمع والأفراد

قال ابن النحاس وأصل ذلك ان البدوي كان أكثر ما يكون مع راعيه ورفيقه أو انه نزل ابنتيه منزلة الجمع تعظيماً ، ثم عاد الى أصله وقد حكى في شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل ، وقال في صدر البيت الأول من مبلغ الأقوام ان مهلهلاً والباقي على حكمه

أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا

هو عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري

وصاحبته هي ريا بنت الغطريف السللي . علقها بمسجد الأحزاب يوم منتزه ، وأصل ذلك ان عبد الله بن معمر القيسي حين دخل المدينة قال بينما قد زرت رسول الله ﷺ ليلاً وجلست إذا أنا بشخص ينشد بصوت شجي ولا أراه

أشجاك نوح حمائم السدر فاهجن منك بلابل الصدر
يا ليلة طالت على دنف يشكو الفراق وقلة الصبر
اسلمك من تهوى لحرّ جوى متوقد كتوقد الجمر
ما كنت أعلم انني كلف حتى تلفت وكنت لا أدري
فالبدر يشهد انني كلف مغري بحب شبيهة البدر

وفي رواية صاحب الأصل تقديم هذا وصدر الذي قبله ما كنت أحسب انني شجن فتبعت الصوت فرأيت شاباً حرقت الدموع خدّه، فقال لي اجلس أحدثك أنا فلان كنت يوماً بمسجد الأحزاب اذا بنسوة يتنزهن، فيهن جارية لم أر مثلها ، وقفت عليّ وقالت ما تقول في وصل من يطلب وصلك ، ثم مضت فلم أعرف خبرها ، ثم غشي عليه ساعة فلما أفاق أنشد

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة تراكم تروني في القلوب على البعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

فشرعت في تسليته ، فقال هيهات أو يؤب القارظان مثل مشهور أصله ان أخوين خرجا يجتنيان القرظ نبت معروف فلم يعلم لهما خبر ، قال عبد الله فلما طلع الصبح قلت له قم بنا الى مسجد الأحزاب فأنشد

يا للرجال ليوم الاربعاء اما ينفك يحدث لي بعد النوى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني يهوى الى مسجد الأحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر هيمه أو انه طالب للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهراً مضمخاً بفتيت المسك مختضبا

فمضينا الى المسجد فحينا صلينا الظهر أقبل النسوة ولم نر الجارية فيهن ، فقلن له ما ظنك بطالبة وصالك ، فقال وأين هي ، قلن له مضى بها أبوها الى السماوة فأنشد

خليليّ ريا قد أجدّ بكورها وسارت الى أرض السماوة عيرها
خليليّ قد غشيت من كثرة البكا فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له قد وردت بمال جزيل أريد به الحج ، وقد عزمت على ان ابذله في حاجتك فهل لك ان تسير معي الى قومها وأبيها ، فقال نعم فسافرنا الى ان وافينا أباها ، ففرش لنا الانطاع ونحر لنا النحائر ، فحلفنا ألا نأكل له طعاماً أو يقضي حاجتنا ، فقال اذكروها فأعلمناه بخطبة عتبة ، فقال من عتبة ، فقلنا من الأنصار ، قال ذاك اليها فقلنا له أخبرها ، فدخل عليها وأعلمها فشكرت عتبة فقال قد نمى إليّ أمرك معه وأقسم لا أزوجك به ، فقالت ان الأنصار لا يردّون رداً قبيحاً فان كان ولا بد فاغلظ عليهم المهر ، فقال نعم ما أشرت به ، ثم خرج فقال قد أجبت ولكن على ألف دينـــار وخمسة آلاف درهم هجرية ومائة ثوب من الابراد والخز وخمسة أكراس من العنبر ، فضمنا له ذلك وقلنا له اذا أحضرناها أجبت قال فاحضرنا ذلك ، فأولم أربعين يوماً ثم أخذناها ومضينا ، فحين قاربنا المدينة خرج علينا خيل

كثيرة حسبنا هم بأمر أبيها فقاتلناهم زماناً، فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمه يفور ، فجاءتنا النجدة فاذا هو ميت فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه وأنشدت

تصبرت لا اني صبرت وإنما أعلل نفسي انها بك لاحقه
ولوانصفت روحي لكانت الى الردى أمامك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدي وبعدك منصف خليلاً ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت فواريناهما معاً قال عبد الله فأقمت سبع سنين ثم رجعت الى زيارة النبي ﷺ فقلت لا أبرح أو أزور عتبة ، فجئت فاذا أنا بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر ، فسألت عنها فقالوا شجرة العريسين .

أخبار الصمة وصاحبته ريا

هو أبو مالك الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التغلبي من بني ربيعة ، كان أديباً شجاعاً عارفاً بأيام العرب ووقائعها ومواضعها وكثيراً ما يسند اليه ابن دريد والأصمعي ، قال ابن الفوّار والوزير انـه أدرك أوائل الاسلام

و (ريـا) هي بيت مسعود بن رقاش ايضاً ، كانت ذات ظرافة وفراسة ومعرفة وحسن نشأت معالصمة صغيرين وكانا يتذاكران الأدب وملح الأشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها ، فلمـا شكا ما يجد منها الى بعض أصدقائه أرشده الى تزوجها ، فخطبها الى عمه ، فأنعم على مائة من الابل ، فمضى الصمة الى أبيه فأعطاه تسعاً وتسعين فأبى مسعود إلا التمام وعد الله إلا ذلك وحلف كل على ما قال وأقفوا الأمر فحملت الصمة الانفة على ان خرج عنها الى العراق

فقالت الريا ما رأيت رجلاً أضاعه أبوه وعمه ببعير إلا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها ، فلما طال عليه الأمر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العود بلا طلب مرض حتى أضناه السقم ، وقيل أتى كاهناً بالعراق فسأله عما أضمر فأخبره انه لا يتزوج بها أبداً فضعف ، والصحيح كما حكاه صاحب قوت القلوب في أخبار المحب والمحبوب انه قدم رجل يقال له غاوي بن رشيد بن طلابة المذحجي على مسعود فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائة ناقة برعائها ، فزوجه بها فحملها الى مذحج فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد وطال أمره ، فدخل عليه رجل كان يألفه فعنفه وسلاه فأنشد

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت — به بارحات الصيف بدأ ورجعا

حننت الى ريا ونفسك باعـدت — مزارك من ريا وسعياً كما معـــا

فما حسن ان يأتي الأمر طـائعاً — وتجزع ان داعي الصبابة اسمعا

كأنك لم تسمع وداع مفـــارق — ولم تر شعبي صـاحبين تقطعـا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها — عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

الرقاشين اسم واد بين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة ، والبـارحات رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب والضمير يعود على الوادي

وفي قوت القلوب اعصفت بها سانحات الصيف يريد بالدار ، والسانحات ايضاً رياح لكنها لا تخص الصيف فيشكل التعيين هنا وقوله وسعيا كما معطوف على قوله ونفسك باعدت يريدان السعي والنفس ابعداه عن المحبوبة وغلط في قوت القلوب حيث اعرب وسعييكما نصبا بالياء على انه معمول باعدت عطفاً على مزارك

وقوله فما حسن ان يأتي الأمر وبكت عيني اليمنى البيتين قد استعارهما المجنون وباقي الشعر واضح ويقال ان في القصيدة طولاً

ولما رأيت البشر أعرض دوننا — وجالت بنات الشوق تحني نزعا

تلفت نحو الحي حتى وجدتني — رجعت من الاصغاء الوي وأجزعا

وأذكر أيام الحمـى ثم أنثـني — على كبدي من خشية ان تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع — عليك ولكن خل عينيك تدمعا

أمـا وجـلال الله لو تذكرينني — كذكراك ما كففت للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكرى لو انه — تضمنـــه صم الصفـا لتصدعـــا

ولما طالت عليه دعا له صاحبه العراقي بطبيب حاذف ، فلما تأمله قال إنما يشكو العشق لا غيره وأرى ان يلزم النزهة والفرح بنحو البساتين ليتشاغل عما هو فيه فأخرجه صاحبه مع بعض الخدم الى الثغور ، فبينما هو يوماً على

شاطىء نهر وقد جدّ به الكرب إذ سمع امرأة تنـادي ابنتها يا ريا فسقط مغشياً عليه فاحتملوه الى بستان هناك وأضجعوه ، فلما أفاق أنشد

تعز بصبر لا وجدك لا ترى   سنام الحمى إحدى الليالي الغوابر
كأن لساني من تذكري الحمى   وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

ولم يزل يرددها حتى قضى ، ولما وصل خبره الى الريا داخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعـام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت ، ومن لطيف شعره قوله

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى   ولا جبل الآثال الا استهلت
ألا قاتل الله الحمى من محلة   وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غنينا زماناً باللوى ثم أصبحت   براق الهوى من أهلها قد تخلت
فما وجد اعرابية قذفت بها   صروف اللوى من حيث لم تك ضنت
تمنت أحاليب الرغاء وخيمة   بنجد ولم يقدر لها ما تمنت
إذا ذكرت نجد وطيب ترابها   وبرد الحصى من أرض نجد أرنت

ومنـه

أرى الدهر بالتفريق والبين مولعا   وللجمع مـــا بين المحبين آبيـــا
فأف عليه من زمان كأنني   خلقت وإياه نظيل التعـــاديا

أخبار كعب وصاحبته ميلاء

هـو أبو خثعم كعب بن مـالك أو عبد الله أو خثعم بن لابي بن رباح بن ضمرة طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبـل ، وكان جواداً سخياً شجاعاً ، مألوف الصورة

و (ميلاء) هي بنت لابي بن رباح أصغر اخواتها كانت أجمل نساءالحجاز وكان كعب قد خطب الى عمه أخت ميلاء ، وكانت تسمى أم عمرو فزوجه بها فشغف بها شديداً وألفها طويلاً وانه دخل عليها يوماً فوجدها قد نضت ما عليها وهي عريانة فسرته حين نظر اليها ، فقال أنشدك الله هل تعلمين امرأة أحسن منك فقالت نعم أختي ميلاء فقال ومن لي بأن انظرها فأخبأته وأرسلت اليها فحضرت ، فلمـا رآهـا وقعت من قلبه موقعاً أدى الى زوال عقله من العشق فانطلق في طلبها فاستمرضها وشكا اليها ما لقي من حبها ، فأعلمته انها اعظم من ذلك في حبه ، وشعرت أختها فتبعتها فرأتها يتشاكيان المحبة فمضت الى اخوتها وكانوا سبعة فأخبرتهم بذلك، وقالت اما ان تزوجوا كعباً من ميلاء ، او تغيبوها عني

فلما علم بمعرفة اخوتها به هرب الى الشام فمكث بها اياماً ، وان شامياً خرج يريد الحج فضلت بـه الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقـدير المحتوم ميلاء والى جانبها اختها فأنشد الشامي متمثلاً

أفي كل يوم أنت من بارح الهوى الى الشمّ من أعلام ميلاء ناظر

بعمشاء من طول البكاء كأنما ... بها حرّ نار طرفها متحادر
تمنى المنى حتى اذا قلت المنى ... جرى واكف من دمعها متبادر
كما ارفض سلك بعد ما ضم ضمة ... بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر

قلت وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه الى الشام والمصنف تبع الشيزري في انه قاله بالشام وأصل الحال غلط الشيزري في قوله الشم فانه قرأها الى الشام بدليل ان الشامي لما أنشد الشعر سألته ممن الرجل قال من الشام قالت أو تعرف صاحب الشعر قال هو اعرابي اسمه كعب انه يحتمل ان معرفتها من ذكر اسمها ويكون ما ذكر صحيحاً ولما اخبرها باسم الاعرابي أقسما عليه ان لا يبرح حتى بنظره اخوتها فانهم يكرمونه ثم سألاه هل تروي له غير ذلك ، قال نعم وانشد

خليليّ قد رضت الامور وقستها ... بنفسي وبالفتيان كل مكان
ولم أخف يوماً للرفيق ولم أجد ... خليا ولاذا البث يستويان
من الناس انسانان ديني عليهما ... مليان لولا الناس قد قضياني
منوعان ظلامان ما ينصفانني ... بدلها والحسن قد خلباني
يطيلان حتى يعلم الناس انني ... قضيت ولا والله ما قضياني
خليليّ اما أم عمرو فمنهما ... واما عن الأخرى فلا تسلاني
بلينا بهجران ولم ير مثلنا ... من الناس انسانان يهتجران
أشد مصافاة وابعد عن قلى ... واعصى لواش حين يكتنفان
يبين طرفانا الذي في نفوسنا ... اذا استعجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما ادري أكل ذوي هوى ... على شكلنا أم نحن مبتليان
فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى ... ففي كل يوم مثل ما تريان
خليليّ عن أيّ الذي كان بيننا ... من الوصل أو ماضي الهوى تسلاني

وكنا كريمي معشر حم بيننــا هوى فحفظنــاه بحسن صيــان

نذود النفوس الحائمات عن الهوى وهن باعنــاق اليــه ثــواني

سلاه بأم العمر يشفي فقد بدا به السقم لا يخفى وطول هوان

فما زادنا بعد المدى نقص حــده ولا رجعنــا عن عملنــا ببيــان

خليــليّ لا والله مــا لي بالذي تريدان من هجر الصديق يدان

ولا لي بالهجر اعتــلاق إذا بــدا كما أنتما بالبين معتلقــان

ولا لاهيــاً يوماً الى الليــل كله ببيــض لطيفات الخصور رواني

يمنيننــا حتى يرعن قلوبنــا ويخلطن مطلا ظاهراً بليــان

أعيــنيّ يا عيــنيّ حتــام أنتمــا بهجران أم العمر تختلجــان

فما أنتمــا الا عليَّ طليعــة على قرب اعتــدائي كما ترياني

فــلو ان أم العمر أضحت مقيمة بمصر ودوني الشحر شحر عمان

إذن لرجوت الله يجمــع بيننــا وانا على مــا كان ملتقيــان

من البيض نجلاء العيون كلاهما مقــيم وعيشي ضارب بجران

أفي كل يوم انت رام بلادهــا بعينين انساناً هما غرقــان

اذا ذرفت عيناي قالت صحابتي لقد ولعت عيناك بالهمــلان

الا فاحمــلاني بارك الله فيكما الى حاضر الروحــاء ثم ذراني

هذا ما نقله الجلّ ، واخرج هنا عن الأغاني من قوله ولا لاهياً يوماً الى آخر القصيدة لم ينشده الشامي قلت وقوله ففي كل يوم أنت رام وقوله الا فاحملاني البيتان مسروقان من كلام عروة بن حزام .

ثم نزل وجــاء اخوتها فأكرموه ودلوه على الطريق بعــد ان استخبروا منه عن كعب وموضعه ، ثم توجهوا في طلبه وضعفت ميلاء على ما رواه في نهاية الأدب بصداع أصابها

فلما حضروا بكعب نزل ناحية ، وصادف وقت وفاتها فرأى الناس عند عند البيت مجتمعين ، فأحس قلبه بالشر فقال لصبي بازاء البيت الذي هو فيه من أبوك

قال كعب وكان تركه صغيراً حين مضى الى الشام فقال له ما اجتماع الناس على طنب هذا البيت قال على خالتي ميلاء ماتت الساعة فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند الى طنب البيت ، وحرّك فوجد ميتاً فدفنوه الى جانبها رحمة الله عليهما

القسم الثاني

فيمن جهل اسمه او اسم محبوبته او شيء من سيرته
او مآل حقيقته

ختمناه بصنف لطيف القوانين في ذكر عقلاء المجانين ، ونحن وان كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضاً، لكنهم إنما نقصوا شيئاً مما ذكرنا بالنسبة الى هذا الكتاب لقلة فحصه والافهم مشهورون كثيراً بخلاف من يأتي بعد ، وستقف على كثير منهم كامل النسب

والأسباب أذكره ان شاء الله تعالى لكنه غير قوي الشهرة ولم اتبعه في التنويع بأن أقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك اذ لا طائل فيما صنع ، ولا فائدة فيما نوع ووضع وإنما كان الأولى ان يذكر المشاهر ثم أهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون

فمنهم سامة بن لؤي بن غالب القرشي مشهور

قال في النزهة نحر يوماً لضيوف مائة من الابل فأكلوا قليلاً وبقي الغالب فعاتبه أخوه كعب في ذلك وقال له لو بقيت عليها الحاجة كان أولى فغضب منه ورحل مستخفياً فنزل على أزدي فنظرت اليه زوجته فوقع من قلبها ،

وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا أن يعرّف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك فأخذته وامتصته ففطن زوجها لذلك فعزم على قتله فسم له قدحاً من لبن وقدمه إليه فغمزته فأراقه ثم ركب وسار فهوت ناقته في الخيلة الى عرفجة لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق سامة فمات لوقته وبلغ الأزدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما في هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفاة الأقدار لم أوردها إذ لا مناسبة لها بهذا المعيار .

ومنهم عمرو بن عوف وبيا

هوى جارية اسمها بيا فشغف بها طويلاً فخطبها الى أهلها فلم يجيبوه وزوجوها من غيره فلما شعر زوجها بحال عمرو معها رحل بها حتى نزل اليمن ببني الحرث بن كعب وطال الحال على عمرو فطاش عقله وطار لبه فاشار عليه اصدقاؤه ان يقصد مكة فيتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله أما جمعه عليها أو صرف قلبه عنها ففعل فبينما هو يطوف في الموسم إذ رآه شخص من بني الحرث فوقعت بينهما ألفة فأخبره بالحال وغياب المرأة فأعلمه بمكانها منهم فقال عمرو هل لك في صنيعة يحسن شكرها قال نعم قل فقال عمرو ليتخلف كل منا عن أصحابه بعد النفر ثم نسير الى مكان يقرب منها وتمضي أنت فتعلمها بمكاني ففعلا ومضى به الرجل حتى جعله في بيته وذهب فأعلم بيا فكانت تأتيه فيتحادثان ويتشاكيان ما لقيا من الوجد فأنكر زوجها غشيانها المنزل من غير عادة وحسن حالها بعد ما كانت فيه من الضجر فأظهر لها سفراً يتيب فيه عشراً ثم عاد بعد ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطاً أمامالبيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنا فنبه عمراً فثار عليه بالسيففقال من ينجيني منك يا عمرو وأنا لم أهرب هنا الا منك فقال يا ابن العم والله لم يكن بيننا اكثر من الحديث وانما غلب علي حبها من الصغر فقال زوجها

حيث تحققت ان لا ريبة فلا بأس عليك فأقاما جميعاً حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد .

وحكى انها عمرت بعده فسئلت على أي شيء مات عمرو وجداً بك مع انه لأحسن عندك فقالت ما كنت بالقبيحة ولقد كنت أروي الشعر وأحسن الأدب

ومنم بشير الشهير بالاشتر وجيداء

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه فمنعها أهلها عنه فثار بينهم شر وخصومة عظيمة ، فلما طال شوقه واضمحل حاله جاء إلى صديق له يقال له نمير فقال له هل عندك صنيع تمن به عليّ عسى أن تعود روحي إليّ ، قال أشر بما شئت فاني فاعل قال له تمضي إلى حي جيداء فإذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالي فعسى أن تأخذ لي موعداً ، قال نمير فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت إلى مولاتها فأخذت منها موعداً بأن تأتي بعد العشاء عند شجيرات هناك

فلما كان الليل أقبلت فقام إليها بشير وهممت بالإنصراف عنها فقالا والله ما بيننا أكثر مما ترى فمكانك فجلسنا حتى مضى شطر من الليل فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير أن تزهق ثم سألها الإقامة معه بقية الليلة فقالت لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون في صاحبك هذا خير فقلت فيم شئتم؟ فرمت بثيابها إلي وقالت إذهب إلى خدري كأنك أنا فسيجيء زوجي ويطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل نكده ثم ارم به إليه فاني أفعل ذلك فإذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه أو يطول وقوفه فإنه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة

قال نمير ففعلت ذلك غير أني بعد أن طال وقوفه باللبن وأراد وضعه

وأردت أخذه فاختلفنا فكب القدح وقال هذا طماح ثم عمد إلى سوط مفتول فضربني حتى زايلتني نفسي وهممت أن أوجره بالسكين فخلصوني وردوا علي الستر وجاءت امها تعنفني وتوصيني بأن لا اخالف زوجي ظناً انني ابنتها وتقول مالك وللاشتر ثم قامت عني على أن ترسل لي ابنتها الاخرى تؤنسني. فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو على من ضربني واضطجعت إلى جانبي فوضعت يدي على فمها ثم قلت ان اختك مع بشير في موضع كذا وقد جرى لي من جهتها ما علمت وانت أولى بالستر على اختك فارتعدت ساعة ثم أنست فبت معها في أطيب ليلة من اللطف والعفة حتى إذا جاء الصباح وأقبلت اختها فأنكرت من معي فقلت هي اختك وستخبرك بما كان ثم مضيت الى بشير فأعلمته بالخبر فلما رأى تأثير السوط في بدني وخروج الدم قال لقد عظمت صنيعك ووجب شكرك

قال ابن طاهر فلم يقم بعدها بشير إلا دون شهر وجاءه شخص فقصد مما جنتة فقال له وهو يتناول عنباً أتتفكه وجيداء قد قضت الساعة فلم يسمع منه إلا شهقة وحرك فإذا هو ميت فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها وألقت نفسها في بئر هناك فماتت

ومنهم مسعدة بن واثلة الصارمي

قال في تسريح النواظر وكان غلاماً حسن الوجه سخي الكف شجاعاً وأن أباه توفي فاختلف مع عمه على بكرات فرحل مغضباً حتى نزل على بني باهلة فأقام عندهم برهة فورد الماء يوماً فصادف جارية على بعير تشد عقاله وهمت بالنزول فلما رأته قالت هل لك في أن تكفيني كلفة التعب قال وفيم تتعبين وماذا تطلبين قالت ملء هذه السقاية ورمت بها إلي فلما ملأتها وهمت أن تتناولها شمرت عن زندين كأنما حجبت عظامهما بالبلور الصافي ثم

تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كأنما تستعير منه الشمس الضيـــاء فداخلني ما خشيت معه زهاق نفسي قال ثم مضى متغير الحـــال فشكا إلى صديق له ما جرى له وسأله عن اسم الجارية فقال هي رملة بنت أثيلة بن مصقع وأعلمه بمكانهـا فكان يمضي في كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو إليهـا ما عنده من حبها قال الشيزري فداخلها من العشق ما داخله فلما علم أهلها بذلك حجبوها وبلغه علمهم فخرج حياء وخوفاً فرأى حمامات على أراكة ينحن فهاجت بلابله فأنشد

دعت فوق أغصان من الايك موهنا مطوقة ورقـــاء في أثر آلف
فهاجت عقابيل الهوى إذ ترنمت وشبت ضرام الشوق بين الشراسف

ثم أدركه الليل قريباً من حي خشي أن يكونوا من قومها فنزل قريبـــاً منهم فسمع قائلاً يقول

تمتع من شميم عرار نجـــد فما بعد العشيـــة من عرار

وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعه القلق ثم أخذتـه سنة فإذا هو بقائل ينشد

ولا شيء بعد اليوم إلا تعلة من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسع قائلاً يقول

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليـــل يكر عليهم ونهـــار
لم يبق يوماً عاشقان بحالة إلا وقد جاءتهم الأغيـــار
كل وإن طال المدى متصرم حكم الإله وسارت الاقدار

فقام فركب متفكراً وسار فلما برق الفجر إذا هو براع ينشد

كفى بالليـــالي مخلقـات لجدة وبالموت قطاعا حبال القرائن

فعرف صوته فقال فلان قال نعم فقال له ما دهاك ؟ قــال قد ضاجعت

رملة الثرى فسقط مغشياً عليـــه فلم يفق حتى حميت الهاجرة وحمل إلى بيته فأنشد

يا راعي الضأن قد ألقيت لي كمدا	يبقى ويقلقني يا راعي الضــان
نعيت نفسي إلى روحي فكيف إذا	أبقى ونفسي في أثنـاء كفـاني
لو كنت تعلم ما أسررت في كبدي	بكيت ممـا تراه اليوم أبكاني

فلم يزل يردده حتى مات

ومنهم زرعة بن خالد العذري

كان غلاماً حسن الوجه عذب المنطق سخي الكف راوية عارفـــاً بأيام العرب وأشعارها خرج يوماً للصيد فلما ورد المشرعة وجد النسـاء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر في تمـه فحين أبصرها سقط مغشيـاً عليه فقامت إليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وأبصرها قال وهل مقتول يداويه قاتله قالت كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه إليه وقد داخله من الحب ثم رجع وهو يقول خرجنا لنصيد فاصطدنا ثم أنشد

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصاً	من الريم صادتني سريعاً حبائله
فلمـا رمـاني بالنبـال مسارعـاً	رقاني وهل ميت يداويه قاتله
الا في سبيل الحب صب قد انقضى	سريعاً ولم يبلـغ مراداً يحاولـه

قال ابن الفرات ثم انه لزم الوساد أياماً وأنامه أقسمت عليه حين سمعته يكرر الأبيات الا ما أخبرها بحاله فأظهرها على الأمر فعرفت الجارية فإذا هي ظريفة بنت صفوان بن واثلة العذري فمضت إليها وأعلمتها القصة وقبلت

رجليها على أن تزور بيتهم فعسى أن يشفى ولدها فقالت أن الوشاة كثيرون ولكن خذي هذا الشعر إليه فان أمسكه فإنه يشفى ثم جزت لها شيئاً من شعرها فلما ذهبت إليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيئاً فشيئا حتى اشتهى ما يأكل فقدم إليه فتناوله وقام فكان يأتي قريباً من الأبيات فيسارقها النظر وتخالسه هي أيضاً الى أن فطن أهلها فآلوا على قتله وبلغه فوقع إلى اليمن وكان كلما اشتد شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك فلما كان يوم من الأيام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود فعنف فقال دعوني فاني أرجو أن اظفر أو أموت فصحبه غلام

قال أبو شراعة فرأيته في الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبي الأبيات ويقول له إذا حاذيت موضع كذا فأنشدها رافعاً صوتك ولك أحد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع فأنشد

مريض بأفناء البيوت مطرح	به ما به من لاعج الشوق يبرح
وقالوا لأجل اليأس عودي لعل ما	تشكاه من آلام وجدك يمسح
وليس دواء الداء إلا بحيلة	أضربنا فيها غرام مبرح
إذا ما سألناها نوالاً تنيله	فصم الصفا منها بذلك اسمح

فتبعت الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذاها رفع عقيرته بالأبيات ينشدها فسمعت من بعض الأبيات قائلاً يقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه	ومن كدت من شوقي إليه أطير
لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة	فان الوشاة الحاضرين كثير
فيمشون يستشرون غيظاً وشرة	وما منهم إلا أب وغيور
فان لم أزر بالجسم رهبة مصدر	فلاقلب آت نحوكم فيزور

وفي النزهة (فان لم أزر بالجسم خيفة معشر) وهو أحسن ثم رجع الصبي فأنشد أبياتها فأغشى عليه ساعة ثم أفاق وهو ينشد

أظن هوى الخود الغريرة قاتلي	فياليت شعري ما بنو العم صنع
أرام وللرحمـــن در صنيعهم	تراكي دمي هدراً وحاب المضيع

ثم مضى متنكراً حتى دخل بيته ولزمه أياماً الى أن زفت ظريفـة الى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة ثم اغمي عليه فحرك فإذا هو ميت وبلغها فلزمت البكاء أياماً ولم تمكن الرجل من نفسها فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعها حتى انتهت الى نهر فألقت بنفسها فيه فأخرجها وليس بها حراك ثم احتملها الى الخيمـــة ، فلما أصبح الصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقاً ولكنها لم تفقه كلاماً فأشارت أن تسقى المـــاء فسقوها فقضت من وقتها وفي روضة القلوب انها غرقت ولم تخرج إلا ميتة

ومنهم شخص

قال التوزي مسنداً عن بعضهم انه رآه وقد تهيأ الى الحج فلما دخل بغداد رآه وقد أقبل تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به الى القصر وجوار تناوله بأيديها فقال له ويحك ألم ترد الحج فأنشد

ولما رأيت الحج قد آن وقتـــه	وأبصرت برك العيس بالركب يعسف
رحلت مع العشاق في طلب الهوى	وعرّفت من حيث المحبون عرفوا
وقد زعموا ان الجمار فريضـــة	وتارك مفروض الجمار يعنـــف
* فهيأت تفاحاً ثلاثـــاً واربعاً	فزعفر لي بعض وبعض مغلف
وقمت حيال القصر ثم رميتـــه	فظلت له أيدي المـلاح تلقف
واني لا ارجو ان تقبـــل حجتي	وما ضمني للحج سعي وموقف

* (ومنهم رجل من بني كندة) فحـــذ من بني عذرة أورده مجهولاً

وكذا ابن ابي الاصبع في الطبقات في ترجمة الحرث بن كلدة وفي النزهة قال لا نعلم اسمه وحكايته مشهورة وهي أن أخاه استخلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوماً أن دخل وزوجة أخيه سافرة فرآها فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها فكان ما لقيه من رؤية معصميها اضعاف ما لقيه من وجهها فخرج وقد اشتعل الحب في قلبه فأقام أياماً يكابد العناء حتى لزم الوساد وجاء أخوه فأبصره وقد ذوت اعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرّافاً ولا طبيباً حتى دعاه له فلم ينجح شيئاً فوصف له الحرث بن كلدة ، وكان أحذق أهل زمنه فلما رآه قال ليس به إلا العشق فقالوا وما السبيل الى معرفة ذلك قال تسقوه الخمر فعساه أن يصرح ففعلوا ثم غدا عليهم فقالوا له قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة فقال زيدوه ففعلوا فصرح بريا زوجة أخيه فقال أخوه أشهدكم انها طالق ثلاثاً لأني اعتاض عنها ولا اعتاض عن أخي فبشروه فقال هي علي كأمي ان تزوجتها ، ومات بعد قليل . وقيل خرج هائماً ولم يدر أين مات ، وأن أخاه حين فقده مات أسفاً ولما سقوه الخمر غنى أبياتاً حذفتها هنا وفي مختصرالطبقات لسخافتها فاختلف في أيهما أكرم .

ونظير ذلك في السماحة ما وقع للحكم بن المطلب المخزومي فانه هوى جارية فاشتراها بمال عظيم وأراد الدخول بها فلبس أفخر ثيابه ومضى ليعلم أباه ، وكان أبوه يحب أخاه عتبة اكثر منه فأقسم عليه ان يهب الجارية لأخيه ففعل فأبى أخوه فاعتقها حتى قيل انه مات بحبها وله عطايا مشهورة قيل أن رجلاً حجازياً لزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبدالله القسري بهدايا فصادف الحكم وكان جابياً فلما وقف على قصته وهب له أربعة آلاف دينار وقال له وفر عليك المشاق

ومنهم غلام

قال في النزهة هذلي واسمه راشد بن صفوان الهذلي قال الجلال السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر ان اسمه غاوي وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم ياتي إليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب الى الصيد فجاء يوماً فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم فكسره وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم أقبل الى رسول الله ﷺ فقص عليه الخبر فاسلم فقال له ما اسمك ؟ قال غاوي قال وكلبك ؟ قال راشد قال لا أنت راشد وكلبك غاوي ثم ذهب وكان يعدو على بني عامر لالفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبدالله بن عامر وكانت من أجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد أن ياتي على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها الى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الأخبار ذهب عقله فكان يسيح عارياً فصادف صياداً قد اصطاد خشفاً فوقف ينظر اليه ويبكي ثم أنشد

وذكرني من لا أبوح بذكره محاجر ظبي في حبالة قانص

فقلت ودمع العين يجري بحرقة ولحظى الى عينيه لحظة شاخص

ألا أيهذا القانص الظبي حله وان كنت تاباه فعشر قلائص

خف الله لا تحبسه ان شبيهه حبيبي فقد ارعدت فيه فرائصي

فقال له الصياد دونك فحله فتقدم إليه وقبله وأطلقه واتبعه نظره حتى غاب ثم قال للصياد ائتني غداً في موضع كذا ، واقبل يسوق عشراً من الإبل فابى الصياد قبولها فاقسم عليه الا ما اخذها فقبلها وانصرف

ومنهم قيس بن منقذ بن مالك الكناني
المشهور بابن الحدادية

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة وخزاعية يتقاربون في المنزل لأن بينهم نسباً لم ترم فيه العصا فكان قيس يجلس الى نعمى فيتحادث معها فدخل بينهم الهوى وقيل انها رأته وقد ركب يوماً في ملعب وزينة ففخر على أكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع أتراب لها على منتزه فنزل وتحادثت معه ساعة فاقبل داع يسوق غنماً فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما أكلن وقمن ترك الفاضل منها على الأرض ثم تمثل بهذا البيت ويقال انه لحاتم الطائي

إذا لم يكن للطير في زاد عزوة نصيب فليسوا في الورى بكرام

وفي النزهة إذا لم يكن للوحش والمعنى قريب فانتشأ الود بينهما ولم يزالا على ذلك برهة الى ألى أجدبت سنونهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان فلما كان يوم من الأيام نظرت كنانة الى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلموا أن الغيث عمها فارتحلوا الى ان نزلوا بها فنظر قيس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم فتنفس الصعداء وانشد

إذا ما نأت نعمى فهل انت جازع قد اقتربت لو ان ذلك نافع
قد اقتربت لو أن في قرب دارها نوالاً ولكن كل ما صين مانع
فان تلق لي نعمى هديت فحيها وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظني بها حفظ لغيبي ورعية لما استرعيت والظن بالغيب واسع

وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى ويسترجع الحي السحاب اللوامع
وما ذات جيد نازعت حبل حابل لتنجو ثم استسلمت وهي طائع
بأحسن منهـــا ذات يوم لقيتها لها نظر نحوي كذى البث خاشع
كأن فؤادي بين شقين من عصا حذار وقوع البين والبين واقع
فقلت لهـــا يا نعم خلي محلنا فان الهوى والشمل يا نعم جامع
فقالت وعينـــاها يفيضان عبرة بأهلي بين لي متى أنت راجع
فقلت لهـــا تالله يدري مسافر اذا أضمرته الأرض ما الله صانع
واني لعهـــد الود راع وانني لوصلك ما لم يطوني الموت طامع

ثم لم يزل متعللاً بالأماني يعتوره الخيال أياماً الى ان بلغه ان خزاعة بجبل بالشم من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عند رؤيتها سقط ميتاً

وقال في النزهة أقام عندهم الى ان أغارت عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ .

ومنهم توبة بن حمير بن أسيد الخفاجي

وكان شجاعاً مبرزاً في قومه ، فصيحاً مشهوراً بمكارم الأخلاق ومحاسنها ، وخفاجة على ما ذكر في النزهة فخذ من قحطان ، وكانت تنزل ببني الأخيل كعب بن معاوية ويغزون معهم ويتحدثون في المسرح. وكان رئيس بني الاخيل حذيفة بن شداد بن كعب وكان له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن ، والفصاحة وحفظ أنساب العرب وأيامها وأشعارها فغزوا يوماً ، فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والاسفـــار للقاء القادمين من الغزو .

فرأى ليلى فافتتن بها فجعل يعاودها فيتحادث معها الى ان أخذت قلبه ، وأطارت لبه ، فشكا لها يوماً ما نزل به منها فأعلمته ان بها منه أضعاف

ذلك فأقاما على التزاور الى ان حجبها زوجها ، فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع ، فكان يذهب بعقله أحياناً فأشاروا عليه بتعاطي الأسفار والخوض في الحادثات فعزم على الشام فمرّ بجميل فأنزله وأحسن خدمته ، ثم تداعيا الصراع وكانا في موقف تشرف منه بثينة عليهما ، فصرعه جميل ، ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفؤا

فقال له توبة كأنك تحسب ذلك منك ولم تدر انه بربح هذه الجالسة ، وأشار الى بثينة ثم دعاه الى واد يخفى عنها وتصارعا فيه ، فصرعه توبة ثم مضى في طريقه ، فمرّ سحراً بأشجار في وادي الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الاشجان فأنشد

نأتك بليلى دارها لا تزورها	وشطت نواها واستمر مريرها
وخفت نواها من جنوب عفيرة	كما خف من نيل المرامي جفيرها
يقول رجال لا يضرك نأيها	بلى كل ما شق النفوس يضيرها
أليس يضر العين ان تكثر البكى	ويمنع منها نومها وسرورها
لكل لقاء نلتقيه بشاشة	وان كان حولا كل يوم نزورها
خليليّ روحا راشدين فقد أتت	ضرية من دون الحبيب ونيرها
يقرّ بعيني أن أرى العيس تعتلي	بنا نحو ليلى وهي تجري صقورها
وما لحقت حتى تقلقل عرضها	وسامح من بعد المرام صقورها
وأشرف بالأرض اليفاع لعلني	أرى نار ليلى او يراني بصيرها
فناديت ليلى والحمول كأنها	مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقالت أرى ان لا تفيدك صحبتي	لهيبة أعداء تلظى صدورها
فمدت لي الأسباب حتى بلغتها	برفقي وقد كاد ارتفاقي يضيرها
فلما دخلت الخدر أطت نسوعه	وأطراف عيدان شديد سيورها

فأرخت لنضاخ الذفاري منصة وذي سيرة قدكان قدماً يسيرها
واني ليشفيني من الشوق أن أرى على الشرف النائي المخوف أزورها
وان أترك العيش الحسير بأرضها يطيف بها عقبانها ونسورها
حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغر الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعمـــة ولا زلت في خضراء دان بريرها
وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى فتخفي وتهوى النفس ما لا يضيرها
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت فقد رابني منهـا الغداة سفورها
وقد رابني منهـا صدود رأيته واعراضها عن حاجتي وقصورها
ارتك حياض الموت ليلى وراقنا عيون نقيات الحواشي تديرهـا
ألا يا صفي النفس كيف بقولها لو ان طريداً خائفاً يستجيرها
تجير وان شطت بها غربة النوى ستنعم ليلى أو يفادى أسيرهـا
وقالت أراك اليوم أسود شاحباً واني بياض الوجه جر جرورها
وغيرني ان كنت لمـا تغيرت هواجـر لا اكتنهـا وأسيرهـا
اذا كان يوم ذو سموم أسـيره وتقصر من دون السموم ستورها
وقد زعمت ليلى بأنـي فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها
فقل لعقيل ما حديث عصابة تكنفها الأعـداء ناء نصيرهـا
فان لا تناهوا يركب اللهو نحوها وخفت برجل أو جناح يطيرها
لعلك يـا قيسا ترى في مريرة معذب ليلى ان رآني أزورهـا
وادماء من حره الهجان كأنهـا مهاة صوار غير ما مس كورها
من النـاعبات المشي نعباً كأنما يناط بجذع من أراك جريرهـا
من العر كنانيات حرف كأنهـا مريرة ليف شـد شداً مغيرهـا
قطعت بها موماة أرض مخوفة مخوف ردأها حين يستن مورها

ترى الضعفاء القوم فيها كأنهم دعاميص ماء نس عنها غديرها
وقسورة الليل التي بين نصفـه وبين العشا قد ريب منها أسيرها
أبت كثرة الأعداء ان يتجنبوا كلابي حتى يستثـار عقورهـا
وما يشتكي جهلي ولكنّ عزتي تراها بأعدائي لبيثاً طرورهـا
أمخترمي ريب المنـون ولم أزر جواري من همدان بيضاً نحورها
تنوء باعجاز ثقـال واسوق جدال واقدام لطاف شعورها
أظن بهـا خيراً وأعلم انهـا ستنفك يوماً أو يفك أسيرهـا
أرى اليوم يأتي دون ليلى كأنما أتت ، حجة من دونها وشهورها
عليّ دماء البدن ان كان بعلهـا يرى لي ذنباً غير اني أزورهـا
واني اذا ما زرتها قلت يا اسلمي ويا بأبي قول اسلمي ما يضيرها

وهذه القصيدة قال صاحب النزهة أنشدها كلها حين سجع الحمائم وقيل أنشدها متقطعة بحسب الوقائع وانما جمعتها الشعراء وها أنا أورد ذكر غريبها وما وقع لبعض أبياتها من الحكايات قيل لما وقفت ليلى على قوله ولما دخلت الخدر غضبت غضباً شديداً ثم أمسكت عن كلامه برهة فتوسل اليها وعرض عليها انه يريد ان يسقي نفسه السم ان لم تكلمه ، فجمعت ثلاثة من أهلهـا بحيث يخفون عليه واستحضرته فلما آنسته قالت أي خدر دخلت معي حتى تقول ما تقول ؟ فقال هذا استرسال الشعراء ثم ذكر لها أمثال ذلك وتنصل ففرحت بسماع أهلها ذلك وقوله منصة يريد بها الستر وقوله حمامـة بطن الواديين ترنمي هو أول بيت تفوه به من القصيدة الى قوله وكنت إذا ما زرت ليلى ثم ضم الباقي .

وأما قوله وكنت إذا ما زرت ليلى فالحقه بعد اكمالها وسبب انشاده انه كان يزورها على خيفة وخفية ، فلما اشتد التحريج عليه جعلت بينها وبينـه أمارة فقالت إذا مررت فوجدتني مبرقعة فاجلس مطمئناً فلا حرج حينئذ ،

فلما قوي حرصهم وتوعدهم لها وأجمعوا ان يفتكوا به إذا رآهــا خرجت يوم ميعاد سافرة على كثيب بحيث يراها على البعد ، فلما أقبل ورآها سافرة مضى في طريقه منتكباً وهو يقول : وكنت إذا ما زرت ليلى الأبيات . ثم دخل الشام فأقام بها يسيراً فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه الى العرب فكان يخرج الى الربوة ليسلي نفسه فلم يكن له دأب إلا البكاء فأقام أياماً لا يلذ له حال ولا ينعم له بال فخرج يريد البادية فمرّ حين قابل حيهــا بصغير يلعب فقال له هل أنت عارف بليلى ؟ قال نعم . قال امض اليها وانشد : « وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت » وعد الي فسأحسن منقلبك

فمضى الغلام فأنشد البيت لليلى فعلمت ان توبة قد ورد الحي فقالت للغلام قل له انها الآن مبرقعة فمضى الغلام اليه وأعلمه بذلك فأعطاه دينارين وأقبل فجدد زيارتها ثم قال لها مكنيني من تقبيل يدك ، وفي الروض النضير انــــه سألها قبلة فأنشدت :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها	فليس اليهـــا ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه	وأنت لاخرى صاحب وخليل

ففطن انها استرابت منه فحلف انه لم يرد سوءاً وان نفسه قد حدثته بان يجربها فاستشاطت شوقاً ثم ودعها على استحياء ومضى ، فما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو الهذليين ، فخرج فقتل في الوقعة ، ولمـا وقع وبه رمق ادركه ابن عمه فقال له هل لك حاجة ؟ قال نعم تبلغ ليلى هذه الأبيات وأنشد

ألا هل فؤادي من صبا اليوم طافح	وهل ماوأت ليـــلى به لك ناجح
وهل في غد ان كان في اليوم علة	سراح لما تلوى النفوس الشحائح
ولو أن ليلى الأخيليـــة سلمت	علي ودوني جنـــدل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقـــا	اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو أن ليلى في السماء لأصعدت	بطرفي الى ليلى العيون الكواشح

ولو أرسلت وحياً الي عرفتــه مع الريح في موارهـــا المتناوح

أأغبط من ليلى بما لا أنالــه إلا كل ما قرت بـه العين صالح

سقتني بشرب المستضاف فصرت كما صرد اللوح النطاف الصحاصح

وهل تبكين ليلى اذا مت قبلهـا وقام على قبري النساء النوائـــح

كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها وجاد لها جار من الدمع سافح

وفتيان صدق قد وصلت جناحهم على ظهر مغبر التنوفـــة نازح

بإثرة الضبعين معقورة النســـا امين القرى مجترة غير جانح

وما ذكرتي ليلى نأى دارهــــا بنجران الا الترهات الصحاصح

قوله ولو أن ليلى البيتين قد سبق الكلام عليها في قصة المجنون وزقـا بالزاي وقوله وهل تبكين ليلى ، يعني وهل هي باكيـــة إذا مت فليلى في البيت فاعل حذراً مما توهم هنا ، وفي النزهة وما ذكر تنبيه على بعد دارهـا وقيل ان هذه القصيدة انشدها حين خرج قبل ورود الوقعـــة ، وإنما أنشد عند موته قوله

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يسري الى خيالها

وان ابن عمه حين جاء انشدها الأبيات أو هذا البيت فأجابته

وعنه عفا ربي وأحسن حالـه فعزت علينا حاجة لا ينالهـــا

وقيل مات عشقاً وكيف كان لما بلغ نعيه ليلى خلعت الزينة وأقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة فقد قيل ان وفاة توبة كانت سنة سبعين وقيل احدى وسبعين ووفاة ليلى كانت احدى ومائة

قيل مرت بقبر توبة فقال زوجها هذا قبر توبة الكذاب فقالت لم يكن والله كذاباً فقال لها أليس يقول ولو أن ليلى الأخيلية البيتين ، سلمي عليه لننظر فامتنعت فأقسم عليها أن تفعل فلما سلمت خرج من طاقة القبر بومـة فأجفلت الناقة فوقعت ليلى ميتة فدفنت الى جانبه

وقيل طير كانت العرب تزعم انه يقيم في هامة المقتول حتى يؤخذ بثاره وحكى انها هي التي قصدت ذلك وهذه القصة رواها في النزهة عن متفرقين ووثقها وأما هنا فقد حكى ما قررناه الا السبب عن ليلى نفسها وانها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائـة من الإبل برعاتها وذلك فيما اخرجه المدائني عن مولى عنبسة قـال كنت مع استاذي عند الحجاج إذ قال له الحاجب ان بالباب امرأة فقال ادخلها فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه الى الأرض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت فقال ما جاء بك قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفي لنا الفجاج فقالت الفجـاج مغبرة والأرض مقشعرة والبرك معقل وذو العيال مجشل والهالك المقل والناس مسنتون رحمة من الله يرجون واصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعاء ولا ربعاء ولا عافطة ولا نافطة اذهبت الأموال وفرقت الرجال وأهلكت العيال فانظر الى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقاد لها مع تجبره فقولها خلاف النجوم تريد به الأنواء فان العرب يعرفون بمساقط النجوم لانواء يستدلون بها على صحـة السنة وخصبها وكثرة الأمطار فكأنها تعد بذلك فإذا لم تأت بذلك فقـد أخلفت وقلة الغيوم تريديه لازمها الغالب وهو المطر وفيه عطف الأخف على الأعم وكلب البرد شدته والعرب تطلق هذا الاسم على أيام مخصوصـة من تاسع كانون أعـني كيهك الى ثامن عشر شباط أعني امشير والفجاج هنـا الارض وغبرتها كناية عن عدم نداوة الارض فان ذلك يثير الغبار واقشعرار الارض عدم نباتها والبرك الابل وعقلها كناية عن عدم ما تحملـه والاجشال اليبس والاملاق والهبعاء الحسنة والربعة السيئة وعن الاصمعي الهبعاء ما يزرع في سوى الربيع والربعاء ما يزرع فيه أوهما مطران أو الابل والغنم ضعيف وفي تهذيب الاصلاح للتبريزي هما كلمتان يراد بهما الاخبار عن نفاد ما في اليد مثل ما عنده سبد ولا لبد والعافطة العنز والنافطة النعجة .

ويقال أيضاً الاثا غية ولا راغية أي لا غنم ولا ابل ثم مدحته حتى استعفى وقال لم يصب وصفي منذ دخلت العراق غيرها ثم قال لخازنه اقطع لسانها فأراد ذلك فقالت ويحك انما أراد بالعطاء فراجعه فغضب وأمر بعودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى التي مات توبة من حبها ثم قال انشدينا ما قال فيك ، فأنشدت حمامة بطن الواديين ، فقال وما قلت انت فيه فقالت كثيراً ايها الامير فقال هات فانشدت

نظرت ومن دوني عماية منكب ... وبطن الركايا نظرته النواظر
اونس ان لم يقصر الطرف دونهم ... فلم تقصر الاخبار والطرف قاصر

وهي قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير ان فيها طولاً (ومن محاسنها في توبة)

أتته المنايا بين زعف حصينة ... واسمر خطى وجرداء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح ... دوان بشباك الحديد زوافر
عوابس تغدو التغلبية ضمرا ... فهن سراح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب انما ... لقاك المنايا دارعاً مثل حاسر
فان لم يكن بالقتل برّ فانكم ... ستثقون يوماً ورده غير صادر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى ... لقدر عيالاً دون جار مجرور
ولا تأخذ الابل المهاري رماحها ... لتوبة من صرف السري في الصنابر
اذا ما رأته قائماً بسلاحه ... نفته الخفاف بالثقال البهاذر
اذا لم يجز منها برسل فقصره ... ذرى المرهفات والقلاص التواجر
قرى سيفه منها مشاشاً وضيفه ... سنام المهاري السباط المشافر
وتوبة احيى من فتاة حيية ... واجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم الفتى ان كان توبة فاجراً ... وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر

فتى ينهل الحاجات ثم يعلهـا فتطلعه عنها ثنـايا المصادر
كأن فتى الفتيـان توبة لم ينخ قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يثن ابراداً عتـاقاً لفتية كرام ورحل قيل في الهواجر
ولم ينجـل الضيفان عنه وبطنه خميص كطي السبت ليس بخادر
فتى كان للمـولى سناء ورفعة وللطارق الساري قرى غير فاتر

ومنها :

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكاً وأحفل من نالت صروف المقادر
على مثل همـام وكابن مطرف تبكي البواكي أو كبشر بن عامر
غلامـان كانا استوردا كل سورة من المجد ثم استوثقا في المصادر
ربيعي حيـاً كانا يفيض نداهما على كل مغمور نـداء وغامر
كأن سنـا ناريها كل شتوة سنا البرق يبدو للعيون النواظر

ومن مراثيها فيه أيضاً

أيا عين بكى توبـة بن حمير بسح كفيض الجـدول المتفجر
لتبكي عليه من خفاجة نسوة بمـاء شؤن العبرة المتحدر
سمعن بهيجا اضلعت فذكرنـه وما يبعث الأحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيـان توبة لم يسر بنجـد ولم يطلع مع المتغـوّر
ولم يرد الماء السدام اذا بـدى سنا الصبح في بادي الحواشي منوّر
ولم يغل بالجود الجياد يقودهـا أسرتـه يوم المشـان فاقسر
ولم يغلب الخصم الصحـاح ويملأ الجفـان سديفاً يوم نكباء صرصر
وصحراء موماة يحاربها القطا قطعت على هول الجبان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحهـا سراهم وسير الراكب المتهجر
فلمـا بدت أولى العدوّ سقيتهـا بصياب مسكوب المزاد المقـير

ولما أهابوا بالنهاب حويتهم بخاطي البضيع كره غير أعسر
بمرّ ككرّ الاندري مثابر اذا ما ونينا مخصف الشد محضر
وألوت بأعناق طوال وراعها صلاصل بيض سابغ ومسوّر
ألم تر أن العبد يقتل ربه فيظهر جدّ العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه اذا الخيل جالت في القنا المتكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى ويا توب للمستنج المتنوّر
ويا رب مكروب أجبت ونائل بذلت ومعروف لديك ومنكر

وأنشدته غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره ، إذ ليس على شريعتنا فانعم عليها فوق ما سألت ، ثم قال لها هل بقي لك حاجة قالت نعم تدفع إليّ النابغة أحكم فيه بما أرى ، وكان يتهاجى هو وإياها

فلما سمع بذلك هرب الى الشام فتبعته ، ثم استأذنت عبد الملك فيه فأذن لها وأظنه الذي سألها عن توبة أكان كما يقول الناس . فقالت يا أمير المؤمنين كان والله سبط البنان حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر لا معاوية كما قيل هنا ثم انها لم تزل في طلب النابغة حتى توفيت بقومس بلدة من أعمال بغداد على جانب الفرات ، وقيل بحلوان والمدى بينهما قريب ، وهذا يعارض ما سبق من موتها عند قبر توبة وظاهر تطار الروايات صحة الأول

ومنهم عامر بن سعيد بن راشد

وينسب الى كعب بن الأميل الطائي ، كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت واثلة بن راشد

قال في النزهة ان ولادتها كانت في ليلة واحدة ونشآ غير متفرقين حين بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان أخوه واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته من عامر فاتفق ان وقع بين تيم ومزينة

فانتهبت مزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع فيه جراح كثيرة ، فمات أثر الوقعة بأيام وقد أملق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر وحجبت جميلة عنه فاختبل واعتوره الجنون وقال الشيزري لم يمنعه منها لاملاقه ، وإنما كان أبوه يمنعه عن أن يشيع عشقها

فلما مات أشاعه في العرب وشبب بها فامتنع عمه لما سبق لك بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته ان تعرض عليه العذريات فكان كلما رأى واحدة يشكرها ثم يتنفس الصعداء ، ويقول ماء ولا كصداء المثل السابق فلما كان بعد مدة قدم رجل من طيء على واثلة فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوّجها منه ، فلما زفت اليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب لئلا يرى الزفاف

قال الأخفش سعيد بن مسعدة خرجت في طلب ضالة لي ، فوقفت على هذا البيت أو قال نزلنا على ماء لطيء فاذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها ، وأخرج الحكاية في نديم المسامرة عن أبي عمرو بن العلاء عن تميمي ، فأسندها الى الأصمعي ، وأخرج الدقاق عن لاسدي ان المباشر للحكاية هو الأصمعي ، وعلى كلا التقديرين ، فمحل الاتفاق ان الرجل حين انتهى الى البيت رأى عجوزاً عليها بقية الجمال ساهية متفكرة ، وفي كسر البيت شخص كالخيال مسجى عليه قطيفة قال فسألتها عنه ، فقالت هو ولدي وشأنه كذا وأعادت القصة ثم قالت هل لك أن تعظه ، فوعظته وزهدته حتى قلت له انها امرأة كغيرها ألا ترى كيف يقول كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية في وصل غانية من وصلها خلف

فقال هو مائق يعني أحمق ، وأنا وامق يعني صادق الألفة ، فلست كهو إنما أنا كأخي تيم يعني جميل حيث يقول

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهراً ولكن ما أخفى الفؤاد يضير
ألا قاتل الله الهوى كيف قادني كما قيد مغلول اليدين أسير

ثم أنشد

ألا مـــا للملحة لا تعـــود　　أبخـــل بالمليحـــة أم صدود
مرضت فعادني عوّاد قومي　　فما لك لم ترى فيمن يعـود
فقدتك بينهم فبكيت شوقاً　　وفقد الالف يا أملي شديد
فلو كنت المريضة لا تكوني　　لعدتكم ولو كثر الوعيـــد
ولا استبطأت غيرك فاعلميه　　وحولي من ذوي رحمي عديد

ثم فاضت نفسه فجزعت ، فقالت العجوز لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن ان أحببت كمال الصنيعة فانعـه الى الأبيات ففعلت ، فخرجت جارية عليها أثر العرس وهي أجمل من رأيت فتخطت رقـــاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشدت

عداني أن أزورك يا منـايا　　معاشر كلهم واش حسـود
أذاعوا ما علمت من الدواهي　　وعابوا ومـــا فيهم رشيد
فأما إذ حللت ببطن أرض　　وقصر الناس كلهم اللحود
فـلا بقيت لي الدنيا فواقا　　ولا لهم ولا أثري عديـــد

ثم خرّت ميتة فخرج شيخ وهو يقول لئن لم أجمع بينكما حيين لأجمعن بينكما ميتين ودفنهما في قبر

هـــذا ما اتفق عليه سوى الوعظ فلم يرو عن الأخفش وبعض تغيير في الأبيات فان الأخفش لم يرو الثالث وروى التميي لم تعدني أي بدل لا تعود .

ومرضت فعادني أهلي جميعاً . وفي النزهة فما استبطأت غيرك وهوالأقمد وفي قولها عن التميمي　　عداني أن أعودك يا حبيبي . معاشر فيهم وفيها انها قالت له حين نعى بفيك الحجر المصلت من تنعي . قلت فلاناً . قالت أو قد مات . قلت نعم　　وعن الأصمعي انه حين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله أذكر له الشعر فأنشد

سبق القضاء بأنني لك عاشق   حتى الممات وأين منك مذاهبي

فأنشد

أخلو بذكرك لا أريد محدثاً   وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكي فيطربني البكاء وتارة   يأتي فيأتي من أحب أسيرا
فاذا أتى سمج بفرقة بيننـا   أعقبت منه حسرة وزفيرا

وفيها قال انه عامر بن غالب وجميلة بنت أميل

ومنهم ما حكى الاصمعي

قال بينما أنا أسير إذ فاجأني الليل فأويت الى جبانة فتوسدت قبراً فاذا أنا بهاتف منه يقول

أنعم الله بالخيـــالين عينا   وبمسراك يا سعـــاد الينا
وحشة ما لقيت من خلل القبر   عسى ان نراك أو ان ترينا

فدخلت حين طلع الصبح الى الحي ، فاذا أنا بجنازة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت الى جانب القبر الذي سمعت منه الصوت فحدثتهم بذلك فأخبروني ان هذا الرجل منهم أحب ابنة عمه هذه فتزوّج بها فلم تقم إلا قليلاً

فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده ، فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة قلت وهذا جائز أن يقع من النفوس المجردة إذا تصادق اعتلاقها فان اللذات بعد مفارقه الهياكل الجسمانية أعظم .

ومنهم فتى أسدي

أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى فمنعه أبوه أن يتزوج إلا بأرفع منها ،

وأبى الغلام إلا هي ، فلما أيس أبوها زوّجها من رجل ، فاشتد وجد الغلام وانه لقيها يوماً فأنشد :

لعمري يا سعدى لطال تأيمي ومعصيتي شيخي فيك كلاهما
وتركي للحيين لم أبغ منهما سواك ولم يربع هواي عليهما

فقالت الجارية:

حبيبي لا تعجل لتفهم حجتي كفاني ما بي من بلاء ومن جهد
ومن عــبرات تعتريني وزفرة تكاد لها نفسي تسيل من الوجد
غلبت على نفسي جهاراً ولم أطق خلافاً على أهلي بهزل ولا جد
ولن يمنعوني ان أموت بزعمهم غداخوف هذا العار في جدث وحدي
فلا تنس ان تأتي هناك فتلتمس مكاني فتشكو ما تحملت من جهد

فقد أوضحت له انها هالكة من الغد بعشقه فلما كان الموعد جــاء فوجدها ميتة فاحتملها الى شعب بذرى جبل يقال له عرفات بفتح المهملة ، وضمها ملتزماً لها ، فمات واختفى أمرهمـا حولاً حتى مرّ شخص من العرب فسمع هاتفاً على الجبل يقول

انا الكريمان ذو التصــافي الذاهبان بالوفاء الصــافي
والله ما لقيت في تطوافي أبعد من غدر ومن اخلاف
من مبتين في ذرى اعراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما

ومنهم عمرو بن كعب بن النعمان ابن المنذر بن
ماء السماء ملك العرب المشهور

قال ابن عساكر وكان من فرسان العرب وحماتها وكرمائها وشجعانها ، وان جده النعمان صاحب الخورنق هو الذي كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان في الملك كما هو مشهور، ضاع أمر الغلام . قال في الشامات فأخذه عمه أبو النجاد ، فلما بلغ عنده وكان له بنت تعرف بالعقيلة ، وهي من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالأدب وأحوال العرب أياماً ووقائع، فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه ، خطبها الى عمه فطلب منه مهراً يعجز عنه ، فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج الى ابرويز بن كسرى ، لما كان بين جدودهما من الوصلة

فلما ذهب في الطريق مرّ بعرّاف ، فبات عنده فاستعلم منه الأمر ، فأخبره انه ساع فيما لا يدرك ، فعاد فوجد عمه قد زوّج العقيلة لفزاري ، فهام على وجهه الى اليمامة، فلما بنى بها الفزاري وكان عندها من العشق لعمرو أضعاف ما عنده لها فكانت تشد الفزاري إذا جن الليل الى كسر البيت وتبيت في الخدر ، فاذا أصبح الصبح تطلقه فيستحي أن يخبر العرب بذلك ، فأقام على هذا الحال سبعين ليلة

فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم به ، خرج لا يدري أين ذهب ، وأقامت العقيلة ببيت أبيها لا تتناول الا الأقل مما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنها الاجتماع قال الفريابي في عجيب الانفاق في تطابق أحوال القامة فمرض عمرو مرضاً كاد أن يأتي على نفسه فكان لا يرى الا شاخصاً الى السماء متمسكاً بسبب قد علقه بيديه من العشاء الى الصباح وهو ينشد :

إذا جن ليلى فاضت العين أدمعا   على الخد كالغدران أو كالسحائب
أودّ طلوع الفجر والليل قائل   لقد شدت الأفلاك بعد الكواكب
فما أسفي الا على ذوب مهجتي   ولم أدر يوماً كيف حال الحبائب

فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصاً بالضحك مستبشراً ، فسأله فقال

لقد حدثتني النفس ان سوف نلتقي   ويبـدل بعد بيننا بتـداني
فقـد آن للدهر الخؤون بانه   لتأليف ما قد كان يلتئمان

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها ، قال الفريابي فضبط اليوم الذي مات فيه فوجد موت عقيلة في ذلك اليوم ايضاً .

وأخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق ، قـال خرجت في طلب غلام آبق ، فلما صرت على ماء لبني حنيفة جاءت السماء بالأمطار فلجأت إلى بيت من جريد النخل فيه جارية سوداء ، فأنزلتني فلم ألبث الا ريثما أخذت الراحة وقد دخلت لي جارية كأنهـا القمر ، فحيت ثم قالت ممن الرجل قلت تميمي قالت من أيها قبيلة ، قلت من نهشل بن غالب ، فقالت اذاً أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمـه أعز وأطول
بيتاً زرارة محتب بفنـائه   ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت نعم ، قالت قد هدمه جرير بقوله

أخزى الذين سمك السماء مجاشعاً   وأحل بيتك بالحضيض الأوهد

قال فأعجبتني فلما رأت ذلك في عيني قالت أين تؤم قلت اليمامة فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامـة ان ذكرى   بها أهـل المروءة والكرامه

الا فسقي المليك أجش جونا تجود بصحة تلك اليمامه
أحيى بالسلام أبا نجيـــد فأهـــل للتحية والسلامه

قال فانست بها فقلت اذات خدر أم ذات بعل فقالت

إذا رقد النيام نان عمراً تؤرقه الهموم على الصباح
تقطع قلبـــه الذكرى وقلبي فلا هو بالخـلي ولا بصاح
سقى الله اليمامـــة دار قوم بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو فانشدت

إذا رقد النيام فان عمراً هو القمر المنير المستنير
وما لي في التبعل من براح وان ردّ التبعل لي أسير

ثم سكتت كانها تسمع كلاماً ثم أنشأت تقول

يخيل لي أبا كعب بن عمرو بانك قد حملت على سرير
فان يك هكذا يا عمرواني مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت

ومنهم ما حكاه الاصمعي

وقد قال له الرشيد حدثني باعجب ما رأيت قال أخبرني السميدع بن عمرو الكلابي وقد جاوز المائة قال كنت كثير الأسفار فمررت قاصداً اليمامة ببيت يلوح ، وقد قرب الليل فاردت المبيت عنده ، فقالت لي امرأة منه أضيف أنت ، قلت نعم فقالت على الرحب والسعة ، ولكن تنحى حتى ياتي رب المنزل فعدلت الى طوى هناك فسقيت ناقتي وجلست واذا بسوداء

تحمل جفنة تريد معها تمر ورطب ، فقالت تعلل بهذا فقلت في دونه كفاية فاكلت وأخرجت دقيقاً فأطعمت ناقتي وتوسدت ذراعها واذا بقيم قد حال بيني وبين البيت ، ثم غفت عيني فلم أفق إلا وشاب على أحسن ما يكون ، ومعه عبيد قد أقبلوا بحطب ونار فأضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشط وطبخوا وثردوا وقدَّم الينا فأكلنا ، ثم قال لي كن هنا حتى آتيك الصباح فلما أشرف الصبح جاء ففعل كما فعل ليلته فلما أكلنا قال لم أقض حقك فأقم عندي يومك .

فقلت سمعاً وطاعة ، فركب ومكثت ساعة وإذا الجارية تقول لي أجب ابنة عمك ، فقلت كيف أكلمها وقيمها غائب قالت من وراء حجاب فأقبلت فسلمت ، فقالت يا ابن العم أتريد اليمامة ، قلت نعم قالت فاحفظ عني هذه الرسالة وأعد إليّ جوابها ، وأنشدت

أعلى العهد مالك بن سنان ... أم سقاه أفاوق الغدر ساق

ان يكن خان أو تناءى فإني ... لعلى العهد ما استناع رماقي

مـا ألم الرقاد مذ بنت إلا ... بجفون قريحة الآمـاق

فعليك السلام ما لألأ النور ... ومـا دب في الثرى عرق ساق

ثم قالت ليكن انشادك الأبيات بالحضرمة ، فلما خرجت في اليوم الثاني خرج الشاب فقال يا ابن عمي هل أنت مبلغ عني رسالة وعائد إليّ بجوابها ؟ قلت نعم فقال قف بقرّان بني سحيم وانشد

أيا سر حتى قرّان بالله خبرا ... عن البكره العيساء كيف نزاعها

فلو ان فيـها مطمعاً لمتـيم ... نأت دارها عنه وخيف امتناعها

لهان عليه جوب كل تنوفـة ... يخاف عليه جورهـا وضياعها

تغرّبت عن نفسي وأيقنت انها ... تريد وداعاً يوم جدّ وداعهـا

فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وأنشدت الأبيـات ، وإذا بجارية حاسرة كأنها مهرة تنشد

تحمل هـداك الله مني تحية　　اليه جديد كل يوم سماعهـا

وخبر عن العيساء ان قد توحمت عليها مراعيها وطال نزاعها

لقد قطع البين المشتت ألفة　　عزيز علينا ان يحم انقطاعها

ثم شهقت شهقة فماتت ، فلما أردت الانصراف وقفت بالحضرمة وأنشدت أبيات المرأة فأجابني فتى

لم يحل عن وفائه ابن سنان　　لا ولا غاله انتشاء الفراق

ان بين الحشا لهيب اشتياق　　ليس يطفي جواه إلا التلاقي

إنما أبقت الهمـوم خيالاً　　باليـاً ممسكاً بماء الرماق

ثم شهق شهقة فمات ، فلما رجعت الى الحي أخبرت المرأة بجوابها فشهقت شهقة فارقت نفسها ، وعلت الأصوات فأقبل الشاب فقـال لي ما شأنها ؟ فأعلمته الخبر ثم أنشدته جواب أبياته ، فقال فها أنا أيضاً ميت فاضطجع فكأنما كانت نفسه بيده .

وهذه الحكاية أخرجها في نديم المسامرة والشهاب في منازل الأحباب والحافظ مغلطاي في الواضح وأمثـال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل ونظيره مـا حكاه الشيزري عن العتبي قال تذاكرنا العشق يوماً وبيننا شيخ ساكت فقلنا له ألا تحدثنا بما عندك في هذا ، فقال جلسنا يوماً للشرب ومعنا قينة فغنت

علامـة ذل الهوى　　على العاشقين البكا

ولا سيما عـاشق　　إذا لم يجد مشتكى

فقال شاب كان في المجلس أحسنت والله يا سيدتي ، أتأذني لي أن أموت فقالت مت راشداً ان كنت عاشقاً ، وكان يهوى القينة فاضطجع فاذا هو ميت فتنغص مجلسنا ، ثم دخلت الى أهلي فأخبرتهم بالقصة ، وكان لي ابنـة تهوى الشاب ونحن لا ندري　فلما سمعت الخبر قامت الى خـلوة وأنكرت

قيامها ، فدخلت اليهـــا فاذا هي متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة ، فلما خرجنا بجنازتها وبالشاب وجدنا جنازة ثالثة واذا هي القينة ماتت حين بلغها موت ابنتي لأنها كانت تهواها .

ومنهم ما أخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد النعالي غلام أبي الهذيل

قال رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت الى ظل أتفيأ به ، فسمعت صوتاً مطرباً فطرقت الباب أستسقي المـاء ، فخرج شاب على أحسن صورة غير ان العلة لم تبق الا رسمه فأدخلني الى موضع أنيق بالفرش، وجاءت جارية فغسلت رجليّ ثم بعد يسير جاءت بالطست فقلت قد غسلت قالت نعم ، ولكن اغسل يديك للغـــداء ، فغسلت وجاءوا بطعام فأقبل يضاحكني ويأكل متغصصاً والعبرة تخنقه ، ثم جاء بشراب فسقاني وشرب ، ثم قال قم بنا الى نديم إليّ ، فدخلت معه الى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل ، فجلسنا فشرب وسقاني ثم أنشد يقول

أطأ التراب وأنت رهن حفيرة ... هالت يداي على صداك ترابهـــا
اني لا غدر من مشى ان لم أطأ ... جفون عيني مـــا حييت جنابها
لو أن حشو جـــوانحي متلبس ... بالنار اطفأ حرها واذابهـــا

ثم أكب على القبر مغشياً عليه ، فجاءه خادم فرش عليه الماء فأفاق ، وسقاني وأنشد

اليوم ثاب لي السرور لانني ... أيقنت اني عاجلاً بك لاحق
فغدا أقاسمك البلا ويسوقني ... طوعاً اليك من المنية سائق

ثم قال قد وجب عليك حقي ، فاحضر غدا جنازتي فدعوت له بطول البقاء وانصرفت فقال عققتني ان لم تقل

جاور خليلك مسعداً في رمسه　　كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه فلم أعرف نوماً حتى أصبحت فأتيته فاذا هو قد مات ، فدفن الى جانبها قلت نقل في عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا ان هــذا الشاب كان يهوى ابنة عمه ومنع عنها زماناً ، ثم مات أبوها فتزوج بها فأقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهـــار فجلس وأخذ رأسها على ركبته ، فشربت الماء فشهقت وماتت فدفنها في بيته ، وأقام يبكي وقد هجر الطعام والشراب واللبس والنوم ، فكانت مدته الى أن لحق بها ثلاثة عشر يوماً

وأيضاً من نظير المسلسل ما روي عن يونس النحوي ، قال نزلت بصديق لي ببادية يقـــال له مالك العذري فاذا نحن بامرأة تقول قد تكلم فاستبشر النساء بذلك ، فسألت صديقي عن الخبر ، فقـــال رجل منا أحب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها الى الحجاز فصـــار ملقى على فراشه من نحـــول لا ينطق ، فقلت أحب أن أنظره فقمنا حتى وقفنا عليه ، فقالت أمه يا ولدي هذا عمك مالك ففتح عينيه وأنشد

ليبكني اليوم أهل الود والشفق　　لم يبق من مهجتي الا شفا رمق
اليوم آخر عهد بالحيـــاة فقد　　أطلقت من ربقة الأحزان والقلق

ثم تنفس فاذا هو ميت فقمنا عنه ، فلما رجعنا اذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الشباب تبكي بحرقة وجزع فسألناها عن السبب فأنشدت

اليوم أبكي لصب شف مهجته　　طول السقام وأضنى جسمه الكمد
يا ليت من خلف القلب المقيم به　　عندي فأشكو اليه بعض ما أجد
انشر تربك أسرى لي النسيم به　　أم أنت حيث يناط السحر والكبد

ثم شهقت شهقة وماتت ، فاذا هي تهوى الشاب قلت قـــال في النزهة عن الرياشي عن يونس هذا ، قال اجتمعت بصديق بعد ذلك اليوم ، بمدة لا تزيد عن شهرين .

فقال لي أتعرف الشاب الذي مات يوم كذا . قلت نعم ، قال قدم علينا الحجازي زوج ابنه عمه فاخبر ان المرأة من لدن حملها لم تنفك عن المرض ، حتى قضيت يوم كذا فاذا هو اليوم الذي مات فيه الشاب

ومنهم ما حكاه الكاتب

قال ، كنا في منتزه وقد أقبل ابن عائشة يسوس غلاماً لا يستطيع أن يملك نفسه ، فسألناه عن أمره فقال من العشق ، فتذاكرنا أخبار العشاق فقلت ألا أحدثكم بأعجب من هذا ، قالوا هات قلت أخبرني بعض العرب . قال مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه أثر الجمال ، إلا أنه كالمنتحل من علة ، فسلمت عليه فقال مما الراكب قلت من الحمى ، فقال من كم عهدك به قلت قريباً فتنفس الصعداء وأنشد:

سقى بلداً أمست سليمى تحله من المزن ما يروي به ويشيم
وان لم أكن من قاطنيه فانه يحل به شخص عليّ كريم
ألا حبذا من ليس يعدل قربه لديّ وان شط المزار نعيم
ومن لا منى فيه حبيب وصاحت فردّ بغيظ صاحب وحميم

ثم أغشي عليه فصببا عليه الماء فأفاق ثم أنشد

اذا الصب الغريت رأى خضوعي وأنفاسي تزين بالخشوع
ولي عين أضر بها التفاني الى الأجزاع مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبي كما أنس الغريب الى الجميع

فقلت له ان كان لك حاجة فيها شفاء نفسك فمرني بها فاني مطيع فقال أعلم انك محل ولكن لم تدرك مني إلا صبابة لا تتلافى ففارقته فبلغني انه لم يبت تلك الليلة

ومنهم ما حكاه في منازل الاحباب

قال ، كان في بني عذرة فتى ظريف يهوى محادثة النساء ، فعلق جارية فأضنته حتى لزم الوساد وسئلت في أمره فامتنعت حتى اذا بلـــغ الموت ، جاءته فحين رآها أنشد

أريتك ان مرّت عليك جنازتي تمر على أيـــدي طوال وشرّع

أما تتبعين النعش حتى تسلمي على رمس ميت في الحفيرة مودع

فحلفت انها لم تعلم انه بلغ به الحب الى هذا الحال وأخذت تستعطفه ، فتمثل بقول بشر بن حضرم الكلاعي

أتت وحيـــاض الموت بيني وبينهـــا

وجادت بوصل حـــين لا ينفع الوصل

ثم أغشي عليه وانكبت تقبله ، فاذا هو ميت فلم تمكث بعده إلا قليلاً .

ومنهم ما حكاه ابن الجوزي

ان رجلاً علق جارية نصرانية وأخذ هواها منه حتى أزال عقله فحمل الى البيمارستان فأقام به مـــدة ، وكان له صديق يتعاهده فقال له يوماً وقد أشرف على التلف قد أيست من ملاقاة فلانة في الدنيا ، وأخاف أن لا القاها في الآخرة ان مت مسلماً ثم تنصر ومات فخرج من عنده فوجدها عليلة ، وهي تقول قد أيست من فلان في الدنيـــا فأنا أسلم لألقاه في الآخرة ، ثم أسلمت وماتت

ومنهم الحرث المشهور بابن الفرند من خزاعة

وقال في الشامل انه من قحطان نشأ وابنة عمه عفراء بنت الأحمر ممتزجين بالألفة الى أن بلغا فتزوّج بها فأقاما مدة ينمو الهـوى بينهما الى أن عزمت يوماً على أن تزور أباها فجهزها اليه فأقامت مدة وكل منهما يأبى أن يجيء بنفسه ، وزادت الوحشة بينهما وحلف أبواهمـــا على أن يأتي أحدهما الآخر مخافة ان تزري العرب به فمرض الحرث فكتب اليها:

صبرت على كتمان حبك برهة ولي منك في الأحشاء أصدق شاهد
هو الموت ان لم تأتني منك رقعة تقـــوم لقلبي في مقام العوائد

فأجابته

كفيت الذي تخشى وصرت الى المنى ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
ووالله لولا ان يقــال تظننــاً بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وانتشق ريحها وكانت أعطر زمانها غشي عليه فاذا هو ميت فقيل لها ما كان عليك لو أحييته بزورة ، قالت خشيت ان يقال صبت اليه ولكني قاتلة نفسي عن قريب فلم يشعر بها الا وهي ميتة.

ومنهم عياش الكناني

قال هشام خرجنا في حاجة وهو معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعاً عظيماً فتخلف عنــا ، وراسلها فابت وكان لا يخطيء سهمه اذا رمى فسحب قوساً ، وأقبل في الليل وهي نائمة بين أخواتها فأيقظها ، فلما شعرت به قالت لئن لم تذهب لأوقظنهم فيقتلونك فحلف ان أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكيناً لما به ، لينصرف ففعلت فانصرف

فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته ، فقالت له كالأول فحلف ان أمكنته من رشفة مضى ففعلت وشعر به الحي فتبعوه ، فخرج على جبل واعقب الوقت سماء ، فرجع النساء وأخذ الجارية من الوجد أضعاف مــا عنده ، فخرجت مع جارية من الحى وقد زهر القمر فرآها على بعد ، وقد أسبلت شعرها من الندى فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يخط قلبها ونزل فوجدها تتخبط بدمها وقد أشرفت على الهلاك فقتل نفسه

ومنهم ما رواه اعرابي او هو جبلة بن الاسود

قال خرجت في طلب ضالة لي فوقعت على راع عنده غنم يرعاها ، وقد اتخذ بيتاً في كهف هناك ، فسألته القرى فرحب بي وانزلني ، ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم إلي ويحادثني حتى اكتفيت

فلما جن الليل اذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد أقبلت اليه ، فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فمضت وسألته الذهاب فأبى ، وقال الضيافة ثلاث فأقمت ، فلما جاء الليل رأيته يقوم ويقعد متضجراً ثم أنشد

ما بال مية لا تأتي كعادتها	أعاجها طرب أم صدها شغل
لكنّ قلبي عنكم ليس يشغله	حتى الممات وما لي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم	لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد أحللت بي سقماً	تكاد من حرّه الأعضاء تنفصل
لو أنّ غادية منه على جبل	لما دوا نهد من أركانه الجبل

فسألته عن شأنه فقال هذه ابنة عمي وأنا أحبها فخطبتها من عمي فأبى عليّ لفقري وزوّجها من رجل وقد حملها الى هذا الحي فخرجت عن مالي ، وعملت راعياً لهم ، فهي تأتيني على غفلة من زوجها ، فأنظر اليها ونتحادث ليس غيره ، والآن قد قلقت لفوات ميعادها ، وفي الطريق أسد قد كسر وأخاف أن يكون أصابها ، فعلى رسلك حتى أعود وأخذ السيف ومضى قليلاً ثم عاد يحملها وقد أصابها الأسد فطرحها ثم غاب ورجع يجر الأسد

مقتولاً ، فطرحه وانكبّ يقبلها ويبكي ، ثم قال لي أسألك بالذمة الا ما دفنتني وإياها في هذا الثوب

وكتبت على القبر هذا الشعر فاني لا بقاء لي بعدها ، ثم انكب عليها ، فاذا هو ميت ، وقيل انكبّ على السيف فخرج من ظهره وفي رواية ونمنا الى الصباح فوجدته ميتاً فلففتها ودفنتهما وكتبت على القبر الشعر الذي أوصى به وهو

كنا على ظهرها والدهر في مهل والعيش يجمعنـا والدار والوطن
ففرّق الدهر بالتصريف الفتنـا فاليوم يجمعنا في بطنهـا الكفن

ثم فرقت الغنم ومضيت الى عمه فأخبرته بذلك فكاد أن يقضي أسفاً ، على عدم الجمع بينهما .

ومنهم كامل بن الرضين

وكان يحب ابنة عم له يقال لها أسماء ، فافتتن بها حتى أنحله السقم ولزم الوساد فسأل أبوه أباها أن يزوّجها منه فقال له أحمله إليّ لأزوّجه بها ففعل، فلما علم بذلك قال أو انا بموضع تسمعني به قالوا نعم فشهق شهقة فمات ، فقالت قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريبة فلأتبعنه ، ثم مرضت فقالت لأخص نسائها صوّري لي صورته ففعلت ، فلما اعتنقتها فارقت نفسها فدفنت الى جانبه وكتب على قبريهما

بنفسي من لم يمتعا بهواهما على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة فلمـا أصيب قرّبا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبراً يحبه ويا زورة جاءت بريب المقادر

ومنهم مرة النهدي

وكان قد شغف بابنة عمه ليلى ، وكانت أوحد نساء زمانها حسناً ، فكتم حبه لها حتى تزوجها ، فأقاما مدة لا يزداد حالهما الا شغفاً الى ان أمره الخليفة بالتجهيز الى غزو خرسان فشكا اليها عدم القدرة على فراقهـــا ، فقالت اصنع ما شئت ، فحملها معه حتى أودعها عند صاحب له ، وتعجل الغزو .

فلما رجع كره أن يدخل ابتداء ، فجلس بازاء القصر ، فخرجت جارية فسألها ما صنعت المرأة التي خلفتها عندكم ، قالت ذاك القبر الجديد قبرها فتردد حتى خرجت أخرى فأخبرته مثل ذلك ، فمضى الى القــــبر فجعل يتمرغ عليه ويبكي ، ثم أنشد

أيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت ... عليها نساء من فصاح ومن عجم

ويا قبر ليلى ما تضمنت قبلهــــا ... شبيهاً لليلى في عفاف وفي كرم

ويا قـــبر ليلى أكرمنّ محلها ... يكن لك ما عشنا علينا بها نعم

ويا قبر ليلى انّ ليلى غريبة ... براذن لم يشهدك خال به وعمّ

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن الى جانبها

ومنهم رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف

تزوّج ابنة عمه ، فشغف بها حتى لم يستطع فراقها فنفد ما معه ، وضاق حاله ، ولم يكتسب شيئاً يقتات به ، فقالت له يوماً لو خرجت الى هشام بن عبد الملك فسألته شيئاً لما منعك ، فجهز نفسه ، فلما صار قرب الرصافة أغمي عليه ساعة ، ثم أفاق وأنشد:

بينما نحن بالبلاكث بالقـا ع سراعاً والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنا فما استطعت مضيا
قلت لبيك إذ دعاني لك الشو ق وللحادين ردّ المطيا
فكررنا صدور عيس عتاق مضمرات طوين بالسير طيا
ذاك مما لقين من دلج السير وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع ، قال يا سبحان الله قد وصلت الى الرصافة فاقسم لا يخطى الا راجعاً ، فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فأخبره انّ زوجته قد ماتت فلم يسمع منه إلا شهقة وفارقته نفسه.

فصل فيمن أناخ به الحب ثقله حتى اذهب عقله

وهؤلاء المعروفون عند أهل القوانين بعقلاء المجانين ، وقد أفردوا كثيراً بالتأليف وجعلتهم من المجاهيل لاشتباههم بهم فيما قدّمت من الشروط .

فمنهم ما أخرجه مغلطاي عن الاديب

قال عشق فتى عندنا جارية ، فلم يزل يزداد ولهه بها حتى ذهب عقله ، فكان آونة يسكن الى الناس وأخرى يسكن الخربات ويتوحش ، فمررت به يوماً في خربة يثير التراب على وجهه ، فسألته عن حاله فأنشد

يتمني حبهـــا وأضنـــاني ... وفي بحار الهموم القـــاني
كيف احتيالي وليس لي جلد ... في دفع ما بي وكشف أحزاني
يا رب اعطف بقلبها فعسى ... ترحم ضعفي وطول أشجاني

ففارقته ومضيت ، فلما كان بعد مدة إذا أنا به يتمرغ على الأرض ، فلما أبصرني قال يا عم أنا الليلة ميت ، فدعوت له ومضيت ، فلـــا أصبحت غدوت عليه فاذا هو قد قبض .

ومبهم ما ذكره ابن المرزبان في النهول والنحول
عن سعيد بن ميسرة

قال صحبنا شاب فكان لا يلهج إلا بهذه الأبيات

الا انما التقوى ركائب ادلجت ... وادركت الساري بليل فلم ينم
وفي صحبة التقوى غناء وثروة ... وفي صحبة الأهواء ذل مع العدم
فلا تصحب الأهواء واهجر محبها ... وكن للتقي الفاتكن في الهوى علم

فسألناه لمن الأبيات قـــال لأخ لي كنت أحبه شديداً ولم أر أمزح منه مع التقوى ، فسألته الدنيا تلهج بهذه أم لأخرى ، فقـــال لأمر لا أخبرك به حتى ينفذ من يدي .

ودام على ذلك حتى لزم الفراش فكانت الأطباء تختلف اليه ولم تؤثر معه شيئاً وكان يصرخ الليل كله فأجمعنا على أن ندعه وشأنه ، فكان يجلس نهاره على الباب ، وكلما مرّ به شخص يسأله الى أين يذهب فيقول الى موضع كذا فيقول لو مررت على من نريد لحملناك حاجة ، فقال له صاحب له أنا مـــارّ حيث تريد فقال

تقرأ السلام على الحبيب تحية   وتبثه بتطـــاول الأسقـام
وتفيده انّ الفتى ذم الهوى   لما غـــدا مستغولاً بزمـــام

قال نعم ، فما كان بأسرع من أن رجع ، فقـــال بلغتهم رسالتك فقـــالوا

لئن كان تقوى الله ذمتك أن تنل   أمور أنهى عنهـــا بنهي حرام
فزرنا لنقضي من حديث لبانة   ونشفي نفوساً آذنت بسقـــام

قال فوثب قائماً ثم أنشد يقول :

سأقبل من هذا وفيه لذي الهوى   شفاء وقد يسلو الفتى جد وامق
إذا اليأس حل القلب لم ينفع البكى   وهل ينفع المعشوق دمعة عاشق

قال ومضى ، فقمت خلفه وحدي حتى أتى منزل رجل من أهل الفضل والرأي والدين ، وكانت له ابنة من أجمل النساء ، فوقف على الباب وقال

فها أنا قد جئت أشكو صبابتي   وأخبركم عما لقيت من الحب
وأظهر تسليماً عليكم لتعلمـوا   بأنّ وصولي ثم ذا منكم حسبي

قال فلما فهمت القصة وخشيت أن يظهر أمره قلت له مـا جلوسك على

باب القوم ولم يأذنوا لك ، قال بلى قلت كيف وهم يقولون

بالله ربك لا تمر ببابنا أنا نخاف مقالة الحساد

فقال يا صالح أقد قالوا هذا ؟ قلت نعم ، فجعل يهذي ويقول

ان كان قد كرهو زيارة عاشق فلرب معشوق يزور العـــاشقا

ثم رجع فلزم الوساد حتى مات .

ومنهم ما حكاه الوراق عن الصوفي

قال حدثني صديق لي ، قـــال دخلت البيمارستان ببغداد ، فرأيت شاباً نظيف الثياب قد شد الى سارية ووراءه وسادة وبيده مروحة، فسلمت عليه وقلت له ماذا تريد ، فقال قرصين وفالوذج فاحضرتها فلما فرغ قلت له هل تطلب غير هذا ؟ قال وما أظنك تقدر عليه قلت اذكره ، فلعل الله أن يساعدني عليه فقال تمضي الى زقاق الغفلة فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا أنحله فمضيت وفعلت مـــا قال ، فخرجت إليّ عجوز فقالت قل له عليلكم من ذا أعله ، فرجعت اليه وأخبرته بذلك فشهق شهقة فمات فرجعت الى الباب فوجدت الصراخ وقد ماتت الجارية .

ومنهم ما حكاه السامري

قال مررت أنا وصديق لي بدير هرقل ، فقال هل لك أن تدخل فتنظر الى ما فيه من ملاح المجانين ، فدخلنا واذا بشاب نظيف الثياب حسن الهيئة جميل المنظر ، فحين بصر بنا قال مرحباً بالوفد قرب الله بكم بابي ، من أين أقبلتم ؟ فقلنا جعلنا فداءك ومتسع الله بك أقبلنا من كذا ، ثم قلنا له ما

أجلسك ههنا وأنت لغير هذا المكان أهل وهو لغيرك محل ، فتنفس الصعداء وهو مشدود الى الجدار في سلسلة وصوّب طرفه الينا وأنشد

الله يعلم انني كمد لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لي روح تضمنها بلد وأخرى حازها بلد
أما المقيمة ليس ينفعها صبر وليس يقرها جلد
وأظن غائبتي كشاهدتي بمكانها تجد الذي أجد

قلت وسيأتي منه انه ينسب هذا الشعر لخالد الكاتب ولا يمكن أن يقال ان هذا المحكى عنه هو لأن خالداً لم يحبس وإنما كان سائحاً ، كما سيأتي فلم يبق الا استعارة أحدهما من الآخر قال الراوي ، ولما فرغ من شعره التفت الينا فقال هل أحسنت فقلنا نعم ثم ولينا ، فقال بأبي ما أسرع ذهابكما أعيراني سمعكما فعدنا اليه فأنشد

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم ورحلوها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها ترنو إليّ ودمع العين منهمل
فودعت ببنان عقدها عنم ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حلّ بي وبها يا نازح الدار حلّ البين وارتحلوا
يا حادي العيس عرج كي أودعها يا حادي العيس في ترحالك الأجل
إني على العهد لم أنقض مودتهم فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له مجوناً لننظر ما يفعل ماتوا فقال أقسمت عليكم ماتوا ، قلنا نعم فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلع منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شفتيه وشهق فاذا هو ميت فما ندمنا على شيء أعظم منه.

وحكاها المبرد كما هي وزاد ، ان قال فوجدنا في الدير مجانين ليس فيهم أنظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنونا منه فقال انشدوني شيئاً من الشعر أو أنا أنشدكم فقلنا له أنشد ، فانشد الشعرين فلما قال ما فعلوا قال رجل

بغيض معنا ماتوا فقال وأنا أيضاً أموت فقال له افعل ما شئت فتجدّب حتى مات وأخرج الزجاج في آماليه ، عن المبرد الحكاية أيضاً لكنه قال فقـال لنا انشدوني فقلت لرفيقي أنشده فأنشد

قبلت فاهـا على خوف مخالسة   كقابس النـار لم يشعر من العجل
ماذا على رصد في الدار لو غفلوا   عني فقبلتهـا عشراً على مهل
غضي جفونك عني وانظري أمما   فانمـا افتضح العشاق بالمقـل

فقال أنا وهذا القائل على طرفي نقيض فانـه يرى محبوبه وأنا مقصي ، فقلنا له أنت عاشق قال نعم قلنا لمن قال أنت سؤل ، قلت محسن ان أخبرت قال عقد لي أبي على ابنـة عم لي ثم توفي وترك مالاً كثيراً فاستولى عمي على المال ونسبوني الى الجنون

قال المبرد هذا كله والقيم يقول احذروه فانه يتغير ثم التفت إليّ فقال : أنشدني أنت فانك من أهل الأدب فلم يحضرني الا قول الشاعر

قال سكينة والدموع زوارف   تجري على الخدين والجلباب
ليت المغـيري بالذي لم أجزه   فيما أطال تبصري وطلابي
كادت تردّ لنـا المنى أيامه   إذ لا ألام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فقلت كأنما   ترمي الحشا بصوائب النشاب
اسكين ما ماء الفرات وطيبه   مني على ظما وحب شراب
بالذمنك وان نأيت وقلمـا   يرعى النساء أمانة الغياب

ومنهم ما حكاه الاسدي عن أبيه

قال دخلت دير هرقل فوجدت شاباً حسن الهيئة مكبلاً بالحديد فقلت له من الذي أوجب لك هذه الحالة فأنشد

نظرت اليها فاستحلت بنظرتي   دمي ودمي غال فارخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورأت دمي   رخيصاً فمن هذين داخلها العجب

ومنهم ما حكاه ابن غنيم

قال مررت بخربة فرأيت مجنوناً مصفـــداً بالحديد يتمرغ في التراب ويقول

ألا ليت انّ الحبّ يعشق مرة   فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون فز بالصبر انك هالـك   وللصبر مني ألف مرة أجـــزع

ومنهم ما حكاه أبو الحسن المؤدب

قال انحدرت من بالس أريد العراق ، فبينما أنا في بعض أزقة الموصل إذ سمعت ضجة فسألت فقيل دار المجانين فدخلت فاذا أنا بشاب في الحديد قد تضرّج بالدم ، فلما بصر بي قـــال من أين قلت من بالس . قال وأين تريد قلت العراق قال أتعرف بني فلان قلت نعم ، قال هم الذين صيروني الى ما ترى في عشقهم وأنشد

زموا المطايا واستقلوا ضحى   ولم يبـــالوا قلب من تيموا

مـــا ضرّهم والله يرعـاهم   لو ودّعوا بالطرف أو سلموا
ما زلت أذري الدمع في أثرهم   حتى جرى من بعد دمعي دم
ما أنصفوني يوم بانوا ضحى   ولم يفـــوا عهدي ولم يرحموا

ومنهم الفويرك وهو من المشاهير في عقلاء المجانين

قال الأبليّ رأيته والصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما رآني قال أما ترى ما يصنع هؤلاء بي مع ما أنا فيه من العشق والجنون ، قـال بلى والله وبي عشق شديد قلت فما أنشدت فيه شيئاً قال بلى وأنشد

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو   فهذاله حـــدّ وهذاله حـــدّ
هما استوطنا جسمي وقلبي كليهما   فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفـا   على مهجتي ان لا يفارقها الجهد
فأيّ طبيب يستطيع بحيـــلة   يعالج من داءين ما منهما بـــدّ

وقال يوماً وقد لقيته وفي عنقه حبل يقودونه يا أبا بكر بماذا يعذب الله عبادة قلت بجهنم فقال صفها فقلت له ومن الذي يقدر أن يصف عذاب الله فقال أنا والله في عذاب أعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية ، وأنشد

أنظر الى مـــا صير الحبّ   لم يبـــق لي جسم ولا قلب
انحل جسمي حبّ من لم يزل   من شأنـــه الهجران والعتب
ما كان أغناني عن حبّ من   من دونها الأستـار والحجب

وقال له ابن الزيات متى حدث بك العشق قال من زمان طويل ، ولكن كنت أكتمه حتى غلب فقال انشدني ما قلت فيه فأنشد

كتمت جنوني وهو في القلب كامن   فلما استوى والحب أعلنه الحب
وخلى والجسم الصحيح يذيبه   فلما أذاب الجسم ذل له القلب
فجسمي نحيل للجنون وللهوى   فهذا له نهب وهذا له نهب

ومنهم خالد بن يزيد

يكنى أبا القاسم ويعرف بالكاتب خراساني الأصل بغدادي المنشأ أحد كتاب الجيش في الدولة العباسية والمشهورين باللطف والرقة وحسن الشعر ، ثم اعتراه الجنون قيل من السوداء

نقله في النزهة وقال انها كانت تعتريه زمن الباذنجان فاذا جاء الشتاء ، حسن حاله وحكى في امتزاج الأرواح ورياض اللطائف انه خرج الى بعض الأعمال بأذربيجان فشهد مجلساً وفيه قينة فأعجب بها وطلب ان يصطحبها فامتنعت فداخله حبها حتى خامر عقله ، فكان يصحو أحياناً ويغمر أحياناً فترك العمل مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك في كتابه بعض الأعمال فمر بماجنة تغني

من كان ذا شجن بالشام يطلبه   ففي سوى الشام أمسى الأهل والشجن

فسقط مغشياً عليه حين سمع ذلك وتذكر به حال الماجنة وانها أخبرته أنها تطلب الشام ، ثم أفاق ورجع ورمى العمل وكان يركب قصبة ويطوف ببغداد وأهلها يطلبونه خصوصاً أرباب الدواوين ليسمعوا شعره ، قيل قال له ابن الجهم يوماً هب لي قولك

ليت ما أصبح من رقة خديك بقلبك

فقال من الذي يهب ولده ، ورآه يوماً والصبيان يضربونه ، فادخله بيته

ثم قال له بعدما أخذ الراحة ، ماذا تريد قال هريسة ورطبا فأحضرهما ، فلما أكل قال له اسمعني شيئاً من شعرك فأنشد

تناسيت ما أودعت سمعك ياسمعي كأنك بعد الضر خال من النفع
فان كنت مجبولاً على الصد والجفا فمن أين لي صبر فاجعله طبعي
هل الحب تجنيه عليّ التفاتة فافرح بعد اليأس مني ومن نفعي
علام الجفايا من كلفت بحبه اتتلفني بالهجر منك وبالقطع
لئن كان أضحى فوق خديك روضة فان على خدي غديراً من الدمع

فقال له أحسنت والله ووجد لذلك وجداً عظيماً ، ثم قال له اسمعني شيئاً غير هذا قال حسبك لن ينالك بهريستك ورطبك أكثر مما سمعت ، وخرج من عنده ، وله أيضاً

يا تارك الجسم بلا قلب ان كنت أهواك فما ذنبي
يا مفرداً بالحسن أفردتني منك بطول الهجر والحب
ان تك عيني أبصرت فتنة فهل على قلبي من عتب
حسيبك الله لما بي كما انك في فعلك بي حسبي

ودخل على ابن عباد فرفع مجلسه فقال ابن الاعرابي من هذا فقال أو ما تعرفه قال لا قال هو خالد الكاتب فقال له ابن الاعرابي ، اسمعنا من شعرك فأنشد

لو كنت من بشر لم يفتن البشرا ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا
نور تجسم منحلا ومنعقدا سلك تضمن في تنظيمه دررا

فقال له ابن الاعرابي كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق أنشدنا غير هذا فقال

أراك لما لججت في غضبك تترك ردّ السلام في كتبك

حتى أتى على قوله

أقول للسقم عـــد الى بدني حبا لشيء يكون من سببك

فقال له انك لفوق ما وصفت به ووقف عليه ابراهيم بن المهدي عشية وقد تلفع برداء أسود فقال له أنت القائل

قد بكى العاذل لي من رحمة فبكائي لبكاء العـــاذل

قال نعم ، قال يا غلام ادفع له ما معك ، فقال خالد وما ذاك ؟ قال ثلثمائة دينار ، قال لا أقبلها أو تعرفني من أنت ؟ قال أنا ابن المهـــدي ، فأخذها وانصرف ابراهيم ، فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له انشدني من شعرك فأنشد

عش فحبيك سريعا قاتلي والضني ان لم تصلني واصلي
قد طغى الشوق بقلب دنف فيك والسقم بجسم ناحـــل
فهما بـــين اكتئاب وضنى تركاني كالقضيب المـــائل

وحكى عن حمزة الشاعر نحو مـــا سبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله واطعـــامه لكنه قال فاطعمته رطبا فقط واستنشدته فأنشد

قد حاز قلبي فصار يملكه فكيف أسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كالمـــاء تحسبه يخطر في القلب منك مسلكه
يكاد يجـــري من القميص من النعمـــة لو القميص يمسكه

فصل في ذكر من جرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العنا واتصف بذلك كله من النساء وثبت بعد فراق محبوبه على النوى او كان منها داعية الاعتداء

حكى صاحب النزهة ، قال نشأ ببني حران شاب لبعض التجار يدعى واصفاً وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة ، وكان له ابنة عم تسمى لطيفة ، وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الأخــــلاق والخصال فتوفي أبوها وتركها صغيرة فكفلهــــا عمها حتى بلغت ، فكانت تنظر الى ابن عمهــــا فيعجبها الى أن تمكن حبه منها ، فمرضت وهي تكتم أمرهـــــا .

وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للامور فامتحنتهـــــا فوجدتها تغيب عن حسها أحياناً . فاذا دخل الغلام صحت والتمست ما تأكل فأخبرت أباه ، فقال يا لها نعمة ، ثم زوجه منها فأوقع الله حبها في قلبه فأقاما على أحسن حال مدة ، وهو يأمرها أن تكون دائماً متزينة متطيبة ، ويقول لها لا أحب أن أراك الا كذا فلم يزالا على ذلك حتى ضعف الشاب ومات ، فحزنت عليه وفقدت عقلها ، فكانت تتزين بأنواع زينتها كما كانت وتمضي وتبكي على قبره باكية الى الغروب

قال الأصمعي مررت أنا وصاحب بي بجبانة فرأيتها على تلك الحالة فقلت لها علام ذا الحزن الطويل فأنشدت

فان تسألاني فيم حزني فانني رهينة هذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه حين يراني

فعجبنا منها ثم جلسنا بحيث لا ترانا لننظر ما تصنع فأنشدت

يا صاحب القبر من كان يؤنسني وكان يكثر في الدنيـا موالاتي
قد زرت قبرك في حلي وفي حلل كأنني لست من أهل المصيبات
لزمت ما كنت تهوى انتراه وما قد كنت تألفــه من كل هيآتي
فمن رآني رأى عــبرى مولهة مشهورة الزي تبكي بين أموات

ثم انصرفت فتبعناها حتى عرفنا مكانها فلما جئنا الى الرشيد، قال حدثني بأعجب ما رأيت فأخبرته بأمر الجارية فكتب الى عامله على البصرة أن يمهرها عشرة آلاف درهم ففعل وأتي بهــا اليه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمدائن .

قال الأصمعي فلم يذكرها الرشيد الا ذرفت عيناه . وحكى بعض أهل المدينة ، قال دعاني صاحب لي لسماع جارية تغني ، فدخلنا عليها فاذا هي منخرطة الوجه متغيرة تكثر من السهو والاطراق كأنها مشغولة فعزمت عليها أن تخبرني بما بها ، فقالت برح الذكر ودوام الفكر وخلو النهار وتشوقي الى من سار ، والذي ترى مما وصفت لك فان كنت ذا أرب صرفت العتب عن ذي الكرب ، واجتهدت في طلب الدواء لمن أشرف على العطب وأخـذت العود فغنت تقول

سيوردني التذكار خوض المهالك فلست لتذكار الحبيب بتارك
أبى الله الا أن أموت صبــابة ولست لما يقضي الإله بمـا لك
كأن بقلبي حين شط بــه النوى وخلفني فردا صدور التيــازك
تقطعت الأخبــار بيني وبينه لبعد النوى واستد سبل المسالك

فوالله لقد خفت أن تسلب عقلي بغنائها ، فقلت جعلني الله فداءك وهذا

الذي صبرك انى ما أرى يستحق ذلك مع ان الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن ويخف فقد قال الأول :

صبرت على اللذات لمـــا تولت   وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى   فان أطعمت تاقـــت والا تولت

فقالت قد رمت ذلك فكنت كما قال قيس ولما أبى الا جماحا البيتين ، فأسكتتني حجبها عن المحاورة ، وما رأيت كمنطقها وحسنها وأدبها

وحكى الزبير بن بكار قد دخلت على الأمير بن طاهر حين قدم من الحجاز فتبسم في وجهي ثم قال

لئن باعدت بيننا الأنساب   فقد قربت بيننا الآداب

وان أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده ، فأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشر تخوت وبغال تحمل عليها أمتاعك ، فشكرت فضله

فلما عزمت على الانصراف قال زوّدنا أيها الشيخ حديثاً نذكرك به فقلت أحدثك بما رأيت أو بما سمعت قال بما رأيت أو بمـا سمعت   قال بما رأيت قلت بينما أنا بين المسجدين أو قال على اثاوة الأعرج ، إذا أنا برجل صاد ظبياً وهمَّ ليذبحه فنشب الظبي بقرنيه في الرجل فدخلا في جوفه فسقط الصيـاد والظبي ميتين أو قال رأيت حبالة منصوبة وظبياً مذبوحاً ورجلاً ميتاً فجاءت امرأة حاسرة وهي تقول

يا حسن يا بطل لكنـه أجـل   على الاساءة ما أودي بك البطل
يا حسن قلقل أحشائي وأزعجها   وذاك يا حسن عندي كله جلل
أمست فتاة بني نهد عـــلانية   وبعلهـــا في أكف القوم يبتذل
قد كنت راغبة فيه أضن بـه   فحان من دون ضن الرغبة الأجل

ثم شهقت فماتت ، فلم أرى أعجب من الثلاثة   وفي رواية وبعلها فوق

أيدي القوم محتمل فوهب له عشرة آلاف درهم ، ثم قال أتدرون ما استفدنا من الشيخ قالوا لا ، قال قوله علانية يعني ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه من العرب

وحكى ان امرأة أحبت رجلاً وكان متمنعاً عنها زماناً فراسلته أن يتزوج بها ففعل وكانت بينهما ألفة شديدة فمكثا على ذلك مدة ، فمرض ومات فجعلت المرأة تتردد الى قبره ولزمته يوماً تبكي وتنشد

كفى حزناً الى أروح بحسرة   وأغدو على قبر ومن فيه لا يدري
فيا نفس شقي جيب عمرك عنده   ولا تبخلي بالله يا نفس بالعمر
فما كان يأبى ان يجود بنفسه   لينقذني لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت في النحيب وانكبت على القبر فاذا هي ميتة وحكى الربيع قال مررت بجارية على قبر تقول

بنفسي فتى أوفى البرية كلها   وأقواهم في الموت صبراً على الحب

قال فقلت لها بم صار كذلك قالت كان اذ اعنف في حبي يصبر واذا لحى عليه يسكت واذا زاد به الغرام ينشد هذين البيتين

يقولون ان جاهرت قد عضك الهوى   وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما للذي يهوى ويكتم حبه   من الأمر الا أن يموت فيقبرا

ولم يزل يكررهما حتى مات فها أنا مقيمة على حفظ عهده لا أبرح حتى يتصل القبران ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فاذا هي ميتة ، ودفنت الى جانبه .

وحكى رجل من تميم قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها فاذا أنا بجارية كأنها قمر تغشى البصر من النظر اليها ، فلما رأتني قالت مالك ؟ قلت ضلت لي ابل فلم اعرف خبرها . فقالت هل أدلك على من عنده علمهن ؟ قلت بلى قالت إن الذي أعطاهن هو الذي أخذهن وهو أحق بردهن فسله من

طريق التيقن لا من طريق الاختبار فأعجبني كلامها ووقفت أنظر اليهـا ثم راودتها عن نفسها فقالت هبك ليس لك مانع من أدب أمالك زاجر من الحياء فقلت لن يرانا إلا الكواكب . فقالت أين مكوكبها ؟ فقلت ألـــك بعل قالت قد كان ولكن دعي الى ما خلق له فصار الى ما خلق منه ثم أنشدت:

اني وان عرضت أشياء تضحكني   لموجع القلب مطوي على الحزن
إذا دجا الليل أحياني تذكره   وزادني الصبح أشجاناً على شجني
وكيف ترقد عـين صار مؤنسها   بين التراب وبين القبر والكفن
ابلي الثرى وتراب الأرض جدّته   كأن صورتـــه الحسناء لم تكن
أبكي عليه حنيناً حين أذكره   حنين والهـــة حنت الى وطن
أبكي على من حنت ظهري مصيبته   وطير النوم عن عيني وأرقني
والله لا أنس حبي الدهر ما سجعت   حمـــامة أو بكى طير على فنن

فقلت لها عندما رأيت من جمالهـــا وفصاحتها هل الك في زوج لا تذمّ خلائقه وتؤمن بوائقه فأطرقت ملياً ثم انشدت تقول

كنا كغصنين في أصل غذاؤهما   ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه   دهر يكر بفرحـــات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمني   ان لا يضاجع انثى بعد مثواتي
وكنت عاهدته أيضاً فعاجلـــه   ريب المنون قريباً من سنيـــات
فاصرف عنك عمن ليس يردعه   عن الوفـــاء خلاف في التحيات

وحكى ابراهيم الموصلي ، قال كان كثيراً ما يصف لي زلزل جارية عنده فلما مات مولاها وسمعت عرضها للمبيع ركبت حتى دخلت عليها فاذا هي جاريه كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم منها ونقص منه فسألتها أن تغني ، فأخذت العود وغنت

اقفر من أوتاره العود   فالعود للاقفـار معمود

واوحش المزمار من صوته فما له من بعدك تغريد

من للمزامير ولذاتهــا وعارف اللذات مفقود

فالخمر تبكي في أباريقها والقينة الخمصـانة الرود

فركبت الى أمير المؤمنين فأعلمته بها ، فاستحضرها فلما وقعت من قلبه ، قال لها هل لك أن أشتريك ؟ فقالت اما اذا اشتريتني فـلا خير لك فيّ ، فرحمها وأعتقها وأجرى عليها مؤونة

ومن وفاء النساء ان كسرى أبرويز ترك جارية كانت حظية فطلب ولده أخذها فعالجت ناوس كسرى ففتحته ودخلت فمصت خاتماً مسموماً كان في أصبعه فماتت .

القسم الثالث

فيمن خالسته عيون الاماء فاسلمته الى الفناء وكادت ان تقضي عليه لولا المداركة بالوفاء

ومما ينبغي ذكره هنا مصدر الحكاية المشهورة عن حبابة ، وهي جارية في الأصل للأحوص ، وقيل لرجل مدنيّ ، وانها كانت تسمى العالية ، وانه دخل بها على يزيد بن عبد الله في خلافة أخيه وعليها ازار له ذنبان وبيدها دف فغنته

ما أحسن الجيد من ملكية والـلبات إذ زانها ترائبها
يا ليتني ليلة إذا هجع الناس ونام النيام صاحبها
في ليلة لا يرى بها أحد يسعى علينا الا كواكبها

فاشتراها بأربعة آلاف دينار، فبلغ أخاه فعزم على ان يحجر عليه فردها فاشتراها رجل من أفريقية . وقد تولعت بها نفس يزيد وكان قد تزوج سعدى بنت عبد الله بن عثمان وزنجية بنت عبد الله بن جعفر وأمهر كلاً منها عشرين الف دينار ، فخاف من سليمان الحجر فلم يزل ينتظر حتى انتقلت اليه الخلافة ، فأرسلت سعدى مولى لها في طلب حبابة ، فبلغه انها في المدينة فمضى اليها فقيل بمصر ، فمضى اليها فقيل بافريقية ، فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشتراها منه بمائة ألف درهم بعد امتناعه من بيعها ، لولا اني أخبرته

بأن الخليفة سيأخذها منه قهراً ، ولما ارتحل بها مولى سعدى أنشد الافريقي وقد تبعتها نفسه

ابلغ جبابة اسقي ربعهــا المطر ‏ ‏ ‏ مــا للفؤاد سوى ذكراً كم وطر
ان سار صحبي لم أملك تذكركم ‏ ‏ ‏ او عرسوا تستهيم النفس والفكر

ولما مرّ بها على مكة شيعها الناس ، وقيل من المدينة وكانوا مائتي رجل الى ذي خشب ، وسألوها ان تزوّدهم صوتاً فأنشدت

سلكوا بطن محيض ‏ ‏ ‏ ثم ولوا راجعينا
أورثوني حــين ولوا ‏ ‏ ‏ طول حزن وأنينــا

ثم كتبت أسماءهم حتى عرضتهم على يزيد فوهب كلاً الف درهم ، ولمــا وصل بها الى سعدى ألبستها حللاً ووهبتها جواهر وطيباً كثيراً ، ثم قالت للخليفة قد وهبك الله الملك فهل بقي عليك شيء ، وهي تعلم ما في نفسه ، فقال لا فقالت بل أنا أعلم فاخبرني عسى أن أوصلك اليه ، فقال العالية يعني حبابة فقالت أوتعرفهــا إذا رأيتها ؟ قال نعم فأخذت بيده حتى أدخلته عليها فسرّ وعظمت منزلة سعدى عنده ، وكانت عاهدت حبابة أن لا تدع لها حاجة عند الخليفة إلا فضتها ، وان يجعل الخلافة لولدها ففعلت ، وكانت ربيحة قد اشترت سلامة وهي أيضاً جارية كانت لمدنيّ وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسه موقعاً عظيماً ، فلما اجتمعتا عنده ، قال أنــا الآن كما قيل

فألقت عصاها واستقر بها النوى ‏ ‏ ‏ كما قر عيناً بالايــاب المســافر

وأول ما عظمت به عنده ان دخل يوماً فسمعها تغني من وراء الستر ولا علم لها به

كان لي يا يزيد حبك حيناً ‏ ‏ ‏ كاد يقضي عليّ حين التقينا

فكشف الستر فوجدها مستقبلة الجدار فعلم انهـا لم تشعر به فالقى نفسه عليها وارتفعت منزلتها عنده وكانت حبـابة أجمل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة بالأدب والآلات والغناء وأخذته عن أهله مثل معبد وجميلة وأم عوف وغيرهم وكان يزيد قبل خلافته يختلف إلى أم عوف ويقترح عليها أن تغني :

متى أجر خائفـاً تسر مطيته وان أخف آمناً تنبو بـه الدار

سيروا إليّ وارخوا من أعنتكم إني لكل امرىء من وتره جـار

فسأل حبابة أن تغنيه ولم يمكنها الطعن على أم عوف فبكت يزيد بحبه لها بأن غنت اثر الصوت

أبى القلب الا أم عوف وحبها عجوزاً ومن يحبب عجـوزاً يفندا

فضحك وقال لمن هذا فقالت لمالك فكان كثيراً مـا يسألها ان تغنيه ، فغنت يوماً

لعمرك انني لا حب سلعـا لرؤيتهـا ومن بجنوب سلع

تقر بقربهـا عيـني وإني لأخشى أن تكون تريد فجعي

حلفت برب مكة والهـدايا وأيدي السابحات غداة جمع

لأنت على التنـائي فاعلمته أحبّ إليّ من بصري وسمعي

ولما أنشدته البيت الأول تنفست الصعداء ، فقـال يزيد مالك وله والله لو أردته حجراً حجراً لجئت به اليك فقالت ما أصنع به إنما أريد صاحبه أو ساكنه واقترح عليها وعلى سلامة يوماً أن يغني كل منهما ما في نفسه ، ومن أصابت فلها ما تطلب فغنت سلامة فلم تصب وغنت حبابه:

خلف من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا

فأصابت به ما في نفسه فقال احتكمي ، فقالت تهب لي سلامة وما لها ،

فأبى وقال اطلبي غيرها فأبت إلا هي ، فقال أنت أولى بها وبما لها فغمت سلامة لأنها كانت أرفع منها زمن التعليم عند معبد ، حتى كان يأمرها أن تدرب حبابة ، فذكرتها ذلك فقالت لا ترين إلا خـــيراً ثم طلب يزيد شراءها فأعتقتها وزوّجتها منه ، واختلفتا يوماً في صوت لحنه معبد من شعر لجرير وهو قوله :

ألا حيّ الديار بسعـــداني أحبّ لحب فاطمـــة الديارا
أراد الظـاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضره يزيد ليقضي بينهما وقد أخبر انه الى حبابة أميل ، فقضى لها فقالت سلامة إنما قضيت المنزلة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لما له عليّ من الحق فأذن لها فمضى معبد فوجدسلامة قد سبقت حبابة بالصلة ولم تزل تفتقده حتى رجع .

وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الأحوص ، فقال الفرزدق مـا أرق أشعاركم يا أهل الحجاز ، فقال الأحوص إنما هو لجرير يهجوك به ، فقال ويل ابن المرارة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره ، وقيـــل أن معبداً حين حضر عند الخليفة غنى قول كثير

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الهوى وان يحدث الشيب الملم لي العقلا
على حين صـار الرأس مني كلما علت فوقه ندافة العطب أعزلا
فيا عزان واش وشى بي عندكم فلا تكرميه ان تقولي له أهـلا
كما لو وشى واش بودّك عنـــدنا لقلنا تزحزح لا قريباً ولا سهلا
فأهـلاً وسهلاً بالذي شدّ وصلنا ولا مرحباً بالقائل اصرم لنا حبلا

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ، ودار في الدار وهو يقول السمك الطريّ أربعة أرطال عند بيطار حيان فلما رجع الى مجلسه ذكر اختلافهما السابق لمعبد ، فرجع لحبـــابة كما سبق ، فقالت له سلامة يا ابن

الفاعلة تعلم ان الحق معي ولكن قضيت للمنزلة ، فضحك يزيد وأحسن صلته وكان البيدق من المهرة في الغناء وكان يختلف الى حبابة فلما علت عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فأدخلته وقد جلست مع الخليفة ، فقالت له ان هذا أبي وشكرت من صوته وأشارت اليه ان يقرأ فقرأ حتى بكي يزيد ثم أومأت أن يغنّ فغنى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين بن شريح .

من لقلب مصفد هائم القلب مكمد
أنت زوّدته جوى بئس زاد المزوّد
ثاويـاً تحت تربة وهي رمس بفدفد
غير إني أعلل النفس باليوم أو غد

فطرب يزيد فضربه بمدهن من ذهب مفصص بالياقوت ، فأشارت اليه ان يأخذه فأدخله في كمه

فقال يزيد لحبابة انظري الى أبيك كيف أخذ مدهننا فقالت ما أحوجه اليه ، ثم خرج فأمر له بثمانين ديناراً وغنته يوماً الشعر السابق أول القصه ، بتلحين ابن شريح فطرب وقال هل رأيت أطرب مني ، فقالت نعم معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فغضب واحضره فأرسلت حبابة فأعلمته ان لا يطرب الا عندما تغني الصوت المذكور ، فلما غنته رقص وطرب ، وجعل يقول الدخن بالنوى فأمر له يزيد بثمانية آلاف دينار

وقال لها مرة أخرى من أطرب مني ، فقالت مولاي الذي باعني فاستحضره مقيداً ، فلما دخل عليه وقد أرسلت من عرفه القصة أيضاً غنت فالقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته ، وهو يقول الحريق يا أولاد الزنا فضحك الخليفة وأكرمه بألف دينار ثم لم يزل منعكفاً على الاقامة معها ، والمحافظة على اللهو والطرب والشرب ، وقيل انه جعل فسقية من الخمر في مجلسه وكان اذا طرب سقط فيها ومزق حلة قيمتها ألف دينار

قيل ذكر أخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الأصمعي ، كان رجلاً نهماً ، اذا قدّم اليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه ، وأما أخوه يزيد فكان يسقط في الخمر بثيابه ، فقال الرشيد للأصمعي ما أعلمك بالناس ، والله ان ثيابهما عندي وانّ الدهن في أكمام سليمان وأثر الخمر في ثياب يزيد ، ولما استمر على حاله وكان قد ولى الخلافة أثر عمر بن عبد العزيز رضي‌الله عنه وقد اعتاد الناس العدل والاصلاح ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات فضجوا فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر وقيل انه قال من نفسه ، والله ما عمر بأحوج الى الله مني فهجر الجواري والشراب أياماً

وقال لمسلمة أرجو أن لا تعتبني بعد اليوم ، ثم جلس للناس فثقل ذلك على حبابة فأرسلت الى الأحوص فعمل شعراً واستحضرت معبداً فلحنه ثم احتالت على أسماعه الخليفة قبل عارضته وهو خارج الى الصلاة، وقيل رشت خادماً مقرباً منه فأوقفها بحيث يسمع وأنشدته فطرب وقال مروا مسلمة أو قال صاحب الشرط فليصل بالناس ولعن من يلومه في ذلك وعاد فاعتكف على ما كان عليه ، وقيل ان الذي أمره بالكف عن ذلك مولى خراسانيّ ، كان ذا رتبة عنده ، وانه قال له ساحضرك معهنّ وأقول انك عمي ، فان عنفتني رجعت وفعل فشمرن به وقمن يضربنه فوقاه يزيد ثم قال له أدوم على ذلك أم لا فقال دم فاستمر والشعر الذي أنشده الأحوص هو هذا

ألا لا تلمه اليوم أن يتلبدا	فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني	ومن شاء آسى في البكاء واسعدا
واني وان فندت الصبا في طلب الصبا	لا علم اني لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى	فكن حجراً من يابس الصخر جلدا
فما العشق إلا ما تلذ وتشتهي	وان لام فيه ذو الشنان وفندا
وعهدي بها صفراء رود كانما	نضى عرق منها على اللون عسجدا
مهفهفة الاعلى وأسفل خلقها	جرى لحمه من دون أن يتخددا

من المدمجات اللحم خدّا كانها عنان صناع مدمج الفتل عضدا

كأن ذكيّ المسك منها وقد بدت وريح الخزامى عرفه ينفح الندا

واني لأهواهـا وأهوى لقاءهـا كما يشتهي الصادي الشراب المبردا

فقلت ألا يا ليت أسماء أصقبت وهل قول ليت جامع ما تبدّدا

علاقة حب كان في زمن الصبـا فابلى ومـا يزداد الا تجدّدا

نظرت رحاب الموقرات فكم أرى أكاريس يحتلون خاخاً فمنشدا

فاوفيت في نشز من الأرض يافع وقد يسعف الايفاع من كان مقصدا

كريم قريش حين ينسب والذي أقرت له بالملـك كهلاً وأمردا

وليس عطـا من كان منه بمـانع وان جل عن أضعاف أضعافه غدا

أهـان تلاد المال في الحمد انه أمام هدى يجري على ما تعوّدا

تردّى بمجـد من أبيه وجـدّه وقد أورثا بنيان مجـد مشيدا

ولو كان بذل المال والجود مخلدا من الناس انساناً لكنت المخلدا

فاقسم لا انفك ما عشت شاكراً لنعماك مـا طار الحمـام وغردا

هكذا وجدت القصيدة وان بترها المصنف إلا أن في بعض أبياتها تغييراً ففي نسخة بدل اذا لم تكن تعشق   اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبـا يعني بالعزهاة بالمهملة فالزاي محب اللهو والطرب وبدل قوله واني وان فندت أغرقت ، وبدل قوله لكنت المخلدا لكان ولما سمعه قال لحبابة من يقول هذا قالت الأحوص فاستحضره وأحسن صلته وتراسلت فيه يوماً هي وسلامة ، فغنيتا الى ان قالت حبابة كريم قريش ، فقال يزيد من يعني قالت أنت ، فقالت سلامة اسمع باقيه واكملته فاجزل صـلة الأحوص وكانت اذا غنته حبابة الشعر يطرب حتى يقول أحسنت يا حبيبتي أتامرين أن أطير فتقول له الى من تكل الأمة فيقول اليك واشتد طربه بها يوماً فقال لها قد استخلفتك

واستعملت فلاناً عنك ، فقالت قد عزلته فقلِل أوليه وتعزلينه، وقام مغضباً فلم تكترث به وارتفع النهار فدعا خادماً لها فقال له ما تصنع حبابة ؟ قال قد اتزرت بازار خلوقي وهي تلعب بلعبها ، فقال هل تقدر أن تمر بها عليَّ ، ولك حكمك

فمضى فلاعبها ساعة واستلَّ لعبة وفرّ فانطلقت في طلبـــه تخطر حتى مرت عليه فوثب واعتنقها وهو يقول وليته وهي تقول عزلته ، واصطلحا وأقاما على ذلك الى أن قال يزيد يوماً قد بلغني ان السرور لم يصف لشخص يوماً كاملاً وإني مجرب ذلك ، ودعـــا بحجابه فأوصاهم أن لا يدخلوا عليه أحداً واحتجب معها ببستان له بقربة من الغوطة تسمى ببيت رأس علي .

زعم المؤرخون انَّ يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به فلم يزل معها على عادتها حتى انتصف النهار وانه ضاحكها ثم رشقهـا بعنبة أو حبة رمان ، وقيل هي ابتلعتها فشرقت بهـــا فماتت ، واشتد غم يزيد وحزنه وأقـــام ثلاثاً يرشفها ويضمها ولم يقم أحـــداً لدفنها حتى ضج بـه القوم وعذلوه فاذن في تجهيزهـا ثم لم يستطع النهوض الى الصلاة عليها ، فقيل حمل على رقاب الناس ، وقيل قال له مسلمة أنا أكفيك مع انه لم يحضر ثم ضم جويرية كانت تخدم حبابة فأنس بها فقال لها يوماً ههنـا كنا نجلس ، قالت نعم ، فأنشد

كفى حزناً للهائم الصب أن يرى منـــازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج الى قبرها فبكى طويلاً ، ثم تمثل بقول كثير

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قـــائل من أجلك هذا ميت اليوم أو غد

ثم مكث خمسة عشر يوماً وعاوده القلق فأمر بنبشها ، فقيل منعه أخوه وقـــال له الناس انك أتيت في عقلك فيخلعونك فرجع وقيل استخرجها وجعل يقبلها ، فقيل له قد تغيرت فقال أراهـــا أحسن منها اليوم وانه

مات حينئذ وقيل أقام أربعين يوماً ثم مات ودفن الى جانبها . قالوا ولم يسبق ان خليفة مات عشقاً سواه ، وأما سلامة فأقامت بعدهما حتى توفيت ما قيل في عهد المنصور

وحكى عن رجل انه قال دخل عليَّ غلامي ومعه كتاب ففتحته واذا فيه

تجنبك البلاء ونلت خيراً ونجاك المليك من التموم
فعندك لو مننت شفاء نفس وأعضاء فنين من الكلوم

فعلمت انه عاشق وأمرت بادخاله فلم يجدوه ، فعرضت الكتاب على جواريّ وقلت من عرفت منكنّ أمر صاحب هذا فهي له ومائة دينار ، فحلفن انهنّ لم يعرفن ذلك وبقي الكتاب والدراهم سنة في جانب البيت ، فبينا أنا يوماً جالس إذ دخل عليَّ غلامي بكتاب مثل الأول وفيه

ماذا أردت الى روح معلقة عند التراقي وحادي الموت يحدوها
حبست حاديها ظلماً فجدّ بها في السير حتى تخلت في تراقيها
والله لو قيل لي تأتي بفاحشة وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذي أخشى عقوبته ولا بأضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياة لبحنا بالذي كتمت بنت الفؤاد وأبدينا أمانيها

فطلبته فلم أجده أيضاً فغمني أيضاً أمره ، وقلت للخادم لا يأتيك أحد بكتاب الا قبضت عليه حتى أراه ، وكان قد قرب الحاج فلما وقفت بعرفة إذا بشاب على ناقة الى جانبي وقد أخذ منه النحول والسقم الا ان عليه آثار الجمال والأدب فسلم عليَّ وقال هل تعرفني قلت زدني قال أنا صاحب الكتابين قلت قد وهبت لك الجارية ومائة دينار فامض واعرفها وتسلمها فقد تعبت من أمرك قال لم أطلب شيئاً مما تقول فعرفني اسمها لا كرمها من أجلك ، قال ما كنت بالذي يبوح بشيء وانصرف بعد ان أنشد

لعمرك ما استودعت سري وسرها سواها حذار أن تضيع السرائر
أصون الهوى خوفاً عليك من العدا مخافة أن يغري بذكراك ذاكر

ومنهم أبو عبدالله الخبشاني عشق جارية سوداء يقال لها صفراء ، ومرض من حبها حتى لزم الوساد فقيل لمولاه لو أرسلت بها اليه فعساه أن يجد الشفاء فلما دخلت عليه قالت كيف أصبحت قال بخير ما رأيتك قالت ما تشتهي ، قال قربك قالت مما تشتكي ؟ قال هجرك قالت فيم توصي ؟ قال بك ان سمع لي قالت اني أريد الانصراف ، قال لا تعجلي ثواب الصلاة عليّ ، فلما رآها ولت شهق شهقة فمات

ومنهم شاب بصري قال في النزهة اسمه ظريف بن نعيم الغفاري كان بأعظم حالة من الجمال وأمكن رتبة من المال ، وانه اقترح على أبيه وكان من أكابر تجار البصرة ان يرسله بمتجر الى بغداد ، فمانعه زماناً وكان يقول له نحن غير محتاجين الى اكتساب بالأسفار فلا تفجعني فيك ، فأبى الا السفر فجهز له حملاً وسار حتى دخل بغداد ، فأقام بها مدة يتنزه ويسرح في ملاذها ناظره ويشرح بمنازهها خاطره الى ان أشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة يعني المكان الذي تباع به الجواري فحضر مع خواص التجار وجيء بجارية بهرت الحاضرين وأشغلت الناظرين

فكانت كلما أراد أحد تقليبها لم تمكنه من النظر الى أكثر من عضو واحد وكانت كلما أراد أحد شراءها عابته حتى وقعت عينها على البصري فأحبته وأطعمته بنفسها فساوم مولاها حتى أخذها بمائة ألف درهم ثم انطلق بها الى منزله

فلما كان الليل اذا بطارق فخرج فاذا هو صاحب شرطة الحجاج فأخذوه حتى دخلوا به عليه فقال له عليَّ بالجارية التي اشتريتها ، فقال أصلح الله الأمير انها روحي فلا تكن سبب هلاكي فأمر بالقبض عليه وأرسل من جاء بالجارية ، فلما رآها علم انها لم تنق له ان عرف الخليفة ذلك فوجه بها

الى الشام من ليلتها الى عبد الملك وحبس الشاب ، فلما زال عقله أطلقه وأخذ ماله، فتوجه الشاب الى دمشق فأقام بها مدة متنغص الحياة، فأراد أن يحتال للاجتماع بالجارية فلم يمكن فوقع في قصة انه رأى أمير المؤمنين يأمر جاريته نعمى أن تغني لي ثلاثة أصوات اقترحهـــا ، ثم يفعل مـــا شاء . فلما سمع القصة اشتدّ غضبه ثم عاوده الحلم فلما انصرف الناس أحضر الشاب والجارية ، وقال مرها بما شئت ، فقال لها غني لي قول قيس بن ذريح لقــد كنت حبس النفس الى أربعة أبيات فغنت فمزق أثوابـــه ، ثم قال لها غني قول جميل

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

الى ستة أبيات فغنت فغشي عليه ، ثم أفاق فقال غني قول المجنون

وفي الحيرة الغادون من بطن وجرة

الى أربعة أبيات فلما غنت قام والقي نفسه من علو شاهق فمات.

فقال عبد الملك لقد عجل على نفسه أيظن اني أخرجت جــارية وأعود بها خذها يا غلام فاعطها لورثته أو فتصدقوا بها عليه فلما نزلوا بها نظرت الى حفيرة معدة للسيل فجذبت يدها من الغلام وهي تقول

من مات عشقاً فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت

والقت نفسها في الحفيرة فماتت ، وسأل القوم عن الغلام فقيل انه قدم من كذا وكذا يوماً ورؤي في الأسواق وهو يقول

غداً يكثر البـاكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بعـدا

وقيل ان القصة وقعت بـــين يدي سليمان بن عبد الملك وانه اقترح في الصوت الأول قول امرىء القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

الى ثلاثة أبيات وفي الثاني :

غداً يكثر الباكون منا ومنكم

البيتين وفي الثالث

تألق البرق نجـديا فقلت له　　يا أيها البرق اني عنك مشغول

يكفيك مني عدوّ ثائر حنق　　بكفه كحباب الماء مصقول

وانه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقي .

* * *

و (منهم) الشريف البياضي عشق جارية لبنت فخر الملك فأحبهـا حباً عظيماً وتطاول أمره حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض أيضاً هو ، فلما توفيت طاش عقله وبقي شهراً فما دون ثم لحق بهـا وله فيها أشعار كثيرة منها :

خليـليّ مرّ بالعراق منـاديا　　الا من رأى قلباً من الوجد باليا

وان انتما اعييتما في ابتغـائه　　ولم تجـداه فابغيا لي ناعيـا

ومنها

دع الوقوف على الأطلال والدمن　　فليس ينفع مسكون بلا سكن

أمـا تراني لا أثني على طلل　　بعد الفراق ولا آوي الى وطن

وكيف يأنس قلبي بالديار وقـد　　أصاب فيها الردى من كان يؤنسني

ان الذين اذاقـوني فراقهم　　أفنيت بعدهم دمعي من الحزن

لله من لعبت أيدي المنون به　　ضنا بما فيه أن يبقى على الزمن

جعلت روحي له من روحه عوضاً　　مقيمة معـه في ذلك الكفن

فصار كالحي إذ روحي تحل بـه　　وصرت كالميت إذ لا روح في بدني

وكيف تصحب روحي بعده جسدي　　وكان ان غاب تأبى أن تصاحبني

و (منهم) ما أخرجه ابن الجوزي في تنويرالعيش عن التنوخي والثوري يرفعانه الى اسماعيل بن جامع ، قال وقع بيني وبين أبي وحشة فذهبت الى خالي باليمن فكنت عنده في غرفة تشرف على نهر فنظرت يوماً الى سوداء قد أقبلت تملأ قربة فوضعتها واستراحت ثم أنشدت

الى الله أشكو بخلها وسماحتي لها عسل مني وتبذل علقما
فداوي مصاب القلب أنت قتلته ولا تتركيه هائم القلب مغرما

ثم ملأت القربة ومضت فنزلت أعدو حتى لحقتها استعيد الصوت فأبت وقالت اني لفي شغل عن ذلك قلت بماذا قالت عليّ درهمان فأعطيتها إياهما واستعدت الصوت حتى حفظته ، فلما أصبحت فاذا هو قد ذهب مني ، وأقبلت السوداء على عادتها فاستعدته منها ، فقالت كأنك تستكثره بأربعة دراهم ، وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار .

فلما كنا عند الرشيد أو قال عند المأمون وبين يديه أربعة أكياس كل واحد الف دينار ، قال من أطربني فله الف دينار فغنيته البيتين فرماني بكيس واستعاد الصوت فرماني بالآخر حتى أعطاني الأربعة فحدثته القصة ، فقال لم تكذب السوداء .

و (منهم) ما أخرجه ابن اسحاق قال انحدرت مع محمد بن ابراهيم من سر من رأى ، ودجلة في طغيانها ، فأحضر الشراب فاندفعت جارية تغني :

وارحمة للعاشقينا ما ان أرى لهم معينا
كم يشتمون ويضربو ن ويهجرون فيصبرونا

فقالت لها مغنية أخرى فيصنعون ماذا قالت هكذا ورمت بنفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام اشتراه بألف دينار فحين رأى فعل الجارية ، القى بنفسه وهو يقول

أنت التي عرّفتني كيف الهوى لو تعلمين
لا خير بعدك في البقاء والموت زين العاشقينا

فدفع من طلبها فقيل وجدا متعانقين ، وقيـــل استخرجا ودفنا وفي رواية الحافظ ان القصة وقعت في بيت محمد المذكور وكان على الدجلة ، وان الغلام هو الذي القى نفسه حين سمع الجارية فتبعته وانها غنت هذا الصوت

يا قمـــر القصر متى تطلع أشقى وغيري بـك يستمتع
ان كان ربي قد قضى كل ذا منـك على راسي فما أصنع

و (منهم) شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر فشغف بهـا حتى كان يأتي الباب لسماع صوتها ، فلما فطن به زينها ونزل بها اليه فوجده نائماً فنبهه وقال له دونكها فامض بها الى منزلك ، فلما رآها فحص برجله وحرّك فاذا هو ميت ، وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فأبى عبدالله أن يدفعها اليه ، فقيل انها ماتت بعد ذلك بيسير وان موتها كان عشقاً .

القسم الرابع

في ذكرى من حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق

وهذا القسم هو الذي ترجمه بمن ساعده الزمان بمطلوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك إما لشفاعة أو جاه أو حيلة أو عناية أزلية وهم أيضاً بالنسبة الى النساء أما متعلق بالأحرار أو مرمي بالعشق من جهة الجوار

(فمـن الصنف الأول) عبد الله بن أبي بكر الصديق عشق عـاتكة فكلف بها حتى كاد أن يطير عقله، فلما تزوّج بها أقام سنة لا يشتغل بسواها ثم قدم عليه تجارة من الشام فخرج ليتعاطى أمرها ، فخيل له حين خرج انه لم يعد ينظر الى عاتكة ، فعاد في الأثر فجلس معها وترك التجارة ، فلما كان يوم جمعة وهو معهـا إذ فاتته الصـلاة وهو لا يدري وجاء أبوه فوجده عندها فقال له أجمعت ، فقال وهل صلى الناس ، فقال قد ألهتك عاتكة عن التجارة فلم نهتم في ذلك ولم نقل شيئاً وقـد ألهتك عن الصلاة طلقها فطلقها طلقة واعتزلت ناحية ، فلما كان الليل قلق قلقاً شديداً فأنشد

أعاتك لا أنسـاك ما ذر شارق وما ناح قمري الحـمام المطوّق
لها منطق جزل ورأي ومنصب وخلق سوى في حيـاء ومصدق
فلم أرى مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلهـا في غير شيء يطلـق

وكان أبو بكر على سطح يصلي فسمعه فرقّ له ، فقال ارجعهـا ، فقال

قد ارجعتها ، ثم أشرف على غلام له ، فقال له أنت حر وأشهد اني ارجعت عاتكة ثم ضمها اليه وأعطاها حديقة على أن لا تتزوج بعده فلما قتل بالطائف رثته بأبيات منها

وآليت لا تنفك عيني حزينة   عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فالله عيناً من رأى مثله فتى   أكرّ وأحمى في الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الأسنة خاضها   الى الموت حتى يترك الجون أشقرا

وتزوجها عمر بعد ان استفتى علياً في ذلك ، فأفتى بانها ترد الحديقة الى أهله وتتزوج ففعلت فذكرها علي بقولها ، وآليت لا تنفك البيت ، ثم قال كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، ثم تزوجت بعده بالزبير وبعده بالحسين بن علي ، حتى قال ابن عمر من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها علي فقالت اني لأضن بك عن القتل وخطبها مروان بعد الحسين ، فقالت ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله ﷺ .

ومنهم ما حكاه معبد المغني

قال بينما أنا جالس إذ طرق بابي فقلت للغلام أخرج فانظر من بالباب ، فخرج وعاد مستأذناً، فأذنت فدخل غلام فوضع بين يدي ثلثمائة دينار وقال غن لي

بالله يا طرفي الجاني على كبدي   لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
لا لا أبو حن ّحتى يحجبوا سكني   فلا أراه ولو أدرجت في الكفن

فعملت لها لحناً شجياً وغنيته به فأغمى عليه فنضحت عليه الماء ، فلما أفاق جعل يقبل يدي ورجلي على أن أعيد الصوت فقلت أخشى أن تموت فقال من لي بذلك فغنيته الصوت فخرّ مغشياً عليه فلم أزل أنضحه بالورد

والطيب حتى أفاق فوضعت الدنانير بين يديه ، وقلت خذها وامض عني ، فقال لك مثلها ان أعدته فشرهت عيني ، فقلت له ان أقمت عندي وأكلت طعامي حتى تقوي نفسك واخبرتني بقصتك اعدته ففعل وحدثني انه خرج غب سماء وقد سال العقيق مع فتية الى منتزه فاذا هم بنسوة بينهنّ فتاة قد فضحت الشمس بعينين لا يرندان الا باقتناص النفس فأوقعت به وعاد مسلوب العقل فأقام لا يعرف لها خبراً حتى كاد أن يقضي عليه فقالت له قرابته ، لا بأس عليك اذا أربع الوقت خرجنا بك ولا نعود الا بخبرها ، قال فلما جاء الابان خرجنا الى المنتزه ، فإذا نحن والنسوة كفرسي رهان فقلت لبعض قرابتي قولوا لهذه الجارية لقد أحسن من قال

رمتني بسهم أقصدالقلب وانثنت وقد غادرت جرحاً بـه وندوبا

فقالت الجارية قد أحسن من أجاب

بنا مثل ما نشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريبا

فأمسكت عن الجواب وتبعتها حتى عرفت المنزل فكنا نجتمع ونتحادث الى ان علم أهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فها أنا على ما ترى . قال معبد فغنيته الصوت ، ومضى فلما حضرت مع جعفر غنيته إياه فطرب وسأل عنه فأخبرته القصة فأمرني باحضاره فأحضرته اليه فطيب قلبه وذهب الى الخليفة فحدثه بالحديث ، فاستحضرنا جميعاً وطلب أن أغنيـه الصوت فغنيته فطرب وكتب الى عامله على الحجاز باحضار الرجل وأهله ، فلما حضروا أمهرها الخليفة وزوجها منه

(ومنهم رجل عذري) دخل على معاوية في جمع ، فلما أخذ كل مجلسه قام فأنشد

معاوي يا ذا الحلم والفضل والعقل وذا البر والاحسان والجود والبذل
أتيتك لما ضاق في الأرض مسلكي وانكرت مما قد أصيب به عقلي

ففرج كلاك الله عـــني فانني لقيت الذي لم يلقه أحـــد قبلي
وخذ لي هداك الله حقي من الذي رماني بسهم كان أهونه قتلي
وكنت أرجى عدله إذا أتيتــه فاكثر تردادي مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ما قد أصابني فهـــذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ما شأنك ، قال تزوجت ابنة عمي وكانت من المبرزات في الجمال والحياء ، فأنفقت عليها الى ان أملقت ، فرفع أبوها القصة الى ابن أم الحكم فضيق عليّ السجن والقيود حتى طلقت كارهاً ، فأعطى أباهـــا عشرة آلاف درهم وتزوج بها فأتيتك مستغيثاً بعدلك ، فكتب معاوية اليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلي عنها ، ويقول في آخر الكتاب

ركبت ذنباً عظيماً لست أعرفه فاستغفر الله من جور امرىءزاني
قد كنت تشبه صوفياً له كتب من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتاني الفتى العذري منتحباً يشكو إليّ بحق غير بهتـــان
أعطى الإله عهوداً لا أخيس بها أولا فبرئت من ديني وإيمـــاني
ان أنت راجعتني فيما كتبت به لأجعلنـك لحماً بين عقبان
طلق سعـــاد وفارقهـــا بمجتمع واشهد على ذاك نصر أو ابن ظبيان
فما سمعت كما بلغت من عجـــب ولا فعالك حقاً فعل انسان

فلما وقف عليه ، قال وددت لو خلي بيني وبينها سنة ، ثم عرضني على السيف ثم طلقها فأخرجها ، فلما وصلت الى معـــاوية وقد تعجب الناس من حسنها ، وقالوا هذه لا تصلح لاعرابي ، إنما تكون لأمير المؤمنين فعجب بها ثم استنطقها ، فإذا هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها ، قال نعم اذا بانه رأسي عن بدني ، ثم أنشد

لا تجعلني والأمثال تضرب بي كالمستجير من الرمضاء بالنار
أردد سعاد على حران مكتئب يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق مـــا مثله قلق وأسعر القلب منه أي أسعار

والله والله لا أنسى محبتهـــا   حتى أغيب في رمس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها   وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وخيرها بينه وبين ابن أم الحكم وبين ابن عمها ، فأنشدت

هذا وان أصبح في اطمار   وكان في نقص من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري   وصاحب الدرهم والدينـار
أخشى إذا غدرت حر النار   خل سبيلي مـا به من عـار
لعلنـــا نرجـــع للديـــار   وان عسى نظفر بالأوطار

فقال خذها لا بارك الله لك فيها وأمر أن تقيم الى تمام العدة ، فلمـــا انقضت دفعها اليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار.

* * *

و (منهم) ما حكاه في منـــازل الأحباب عن بعض الحمدونية ، قال صحبت المتوكل الى الشام ، وكنت مغرماً بالفراديس لظرفها ، فحين بلغناها قال المتوكل هل لك في ان تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها ، فقلت نعم ، فأخذ بيدي وجعلنا نستقري الأماكن ونشاهد ما فيها من العجائب ، وحسن ثياب النصارى ، حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر ، حتى أقبلت جـارية لم يرمق أحسن منهـا ، وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقـال هي ابنتي ، قال ما اسمها قال شعانين ، فقـال لها المتوكل يا شعانين اسقني ماء ، فقالت يا سيدي ليس هنا الا ماء الغدران ، وانا لا استنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها ، وأسرعت بكوز فضة فأومأ إليَّ ان اشربه فشربته ، ثم قـــال لها ان هويتك تساعديني ،

فقالت أنا الآن بإمرتك واما اذا صدق المحب في المحبة فما أخوفني من الطغيان أما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الأمر حبا   ثم لما ملكت صرت عدوّا
أين ذاك السرور عند التلاقي   صـــار مني تجنبا ونبوا

فطرب حتى كاد يشق ثوبه ، ثم قال لها هبيني نفسك اليوم فصعدت بة الى غرفة مشرفة على الكنائس ، وجاء الراهب بخمر لم ير مثله وعاف المتوكل طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده ، فلما أخذ منه الشراب أحضرت آلـه وغنت

يا خاطباً مني المودة مرحبا   روحي فداؤك لا عدمتك خاطبا
أنا عبدة لهواك فاشرب واسقني   واعدل بكأسك عن جليسك اذ أبى
قد والذي رفع السماء ملكتني   وتركت قلبي في هواك معذبا

فارغبها حينئذ فأسلمت وتزوجها فكانت من النساء عنده

* * *

و (يقرب) من ذلك ما حكي عن الوليد بن يزيد انة عشق نصرانية ، وراسلها فأبت عليه فكاد ان يطيش عقله فتنكر يوم عيد للنصارى ، وبايع صاحب بستان تتنزه فيه بناة النصارى فأدخله ، فلما رأته قالت للبواب من هذا ؟ قال لهـا مصاب ، فجعلت تمازحه حتى اشتفى بالنظر اليهـا ، فقيل أتدرين من هذا ؟ قالت لا ، قالوا لها هو الخليفة ، فأجابت حينئذ وتزوّج بها وفيها يقول

أضحى فؤادك يا وليد عميداً   صباً قديماً للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة   برزت لنا نحو الكنيسة عيدا

ما زلت أرمقها بعيني وامق حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه وأكون في لهب الجحيم وقودا

وفي ذلك يقول ايضاً لما اشتهر أمره بها

ألا حبذا سعدى وان قيل انني كلفت بنصرانيـة تشرب الخمـرا
يهون علينا أن نظل نهـارنـا الى الليل لا أولى نصلي ولا عصرا

وكان يقال لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لأنه لم يطلب الا ان يكون صليباً في الزنار .

* * *

و (مثل) ذلك ما حكي عن ابن العباس بن المفضل انه عشق نصرانية ، بدير سرماجيس فكان لا يفارق البيع شغفاً بهـا، فوجدها يوماً في بستان فجلست معه أسبوعاً فقال في ذلك

رب صهباء من شراب المجوس قهوة بابليـة خنـدريس
قد تجليتها بنـاي وعـود قبل ضرب الشماس بالناقوس
وغزال مكحـل ذي دلال ساحر الطرف سامري عروس
قـد خلونـا بظبيـة نجتليـه يوم سبت الى صباح الخميس
بين ورد وبين آس جنـى وسط بستان دير سرماجيس
يتثنى في حسن جيد غزال في صليب مفضض ابنوس
كم لثمت الصليب في الجيد منها كهـلال مكلل بشموس

● * ●

و (يقرب) من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدي في تاريخه ، قال رأيت بحماة رجلاً وافر الحظ من الخط وقد أوثقه المؤيد ليكتب عنده ، فكان لا يمكنه من الخروج فحكى انه علق نصرانية بشيزر فكان يكتب الى المغرب بحماة ثم يذهب اليها فيجلس معها الى الصباح ويأتي وأقام على ذلك طويلاً ، وانها قالت له يوماً ان أحببتني فاكو على رأسك صليباً ففعل وأنا رأيته .

● * ●

و (منهم الشحمي) وهو رجل من فزارة أو هو على زبالة ، عشق ابنة عمه وكلف بها وأبى عمه أن يزوجه بها فتسوّر عليها ليلة فأحس به ، فقبض عليه وأتى به الى خالد القسري فأقام جماعة فشهدوا انه سارق وسأله فأقر ليسترها فأمر بقطع يده فرفع أخوه الى خالد رقعة يقول فيها

أخالد قد وطئت والله عشوة ... وما العاشق المظلوم فينا بسارق

أقر بما يأته المرء انه ... رأى القطع خير من فضيحة عاتق

ولولا الذي قد خفت من قطع كفه ... لألقيت في أمر له غير ناطق

اذا مدت الكعبان في السبق للعلا ... فأنت ابن عبد الله أول سابق

فتجسس خالد على الأمر فلما استصحه أحضر أباها وأمره ان يزوجها من الغلام فأبى ، فأجبره ودفع المهر من عنده

ومنهم محمد بن صالح العلوي

قال لما خرجنا على المتوكل اخذت انا واصحابي قافلة الحاج فجمعنا مـالاً ومتاعاً لا يحصى ، وكنت قد جلست على كرسي واصحابي يجمعون إليّ المال إذا انا بامرأة قد رفعت سجاف هودج فأضاء منها الموضع ولا اضاءته بالشمس فقالت أين الشريف صاحب السرية فلي اليه حاجة قلت انه يسمع كلامك ، فقالت انا حمدونية بنت عيسى ابن موسى تعـلم مكاننا عند الخليفـة ، وانا اسألك ان تأخذ مني ثلاثين الف دينار مع اني اعطيتك ما في يدك ، ولكن اسألك بفضلك ان لا يكشف لي أحد وجهاً

فناديت اصحابي ، فلمـا اجتمعوا قلت من أخذ منكم من هـذه القـافلة عقالاً آذنته بحرب ، فردوا حتى الأطعمة وخفرتهم الى المأمن فلما ظفر بي الخليفـة وحبسني بسر من رأى دخل على السجان يومـاً ، فقال ان بالباب امرأتين من أهلك يريدان الدخول عليك ، ولولا ان دفعتا إليّ دملج ذهب ما أذنت لهما ، فقد منع الخليفة أن يدخل عليك أحد

فخرجت فاذا انا بها مع امرأة وجارية تحمل شيئاً، فلما بصرت بي قالت أي والله هو ، وبكت لما انا فيه ثم قبلت قدمي وقالت لو استطعت أن أفديك بنفسي لفعلت ، ولكني لا أقصر في خلاصك ودونك هـذه النفقة ، ورسولي يأتيك في كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك، ودفعت إليّ خمسمائة دينار وثياباً وطيباً وطعاماً ، وانصرفت وقد أضرمت بقلبي نار أقدحتهـا النظرة الأولى ، فأنشدت

طرب الفؤاد وعاودت احزانه		وتشعبت بشعابه اشجانه
وبدا له من بعدما اندمل الهوى		برق تـألق موهناً لمانـه
يبدوا كحاشية الرداء ودونه		صعب الذرى متمنعاً أركانه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطق		نظرا اليه وصده سجانـه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه		والماء ماسحت به اجفانه
يا قلب لا يذهب بحلمك باخل		بالنيـل باذل تافه منـانه
واقنع بما قسم الاله فأمره		ما لا يزال على الفتى اتيانه
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى		عصر النعيم وزال عنك أوانه

ولم يزل رسولها يعاودني بالإحسان وملاطفة السجان الى ان خرجت وعظم أمري عند الخليفة، فخطبتها فامتنع فكان سجن هواها أعظم عليّ من السجن فلم أر الا ان أتيت ابراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك وكان أبوها صنيعته ، فركب اليه فلم يفارقه حتى زوجني بها ولابن صالح فيها وفي ابراهيم مدائح كثيرة تركتها .

ومنهم جعد بن مهجع العذري

قال عمرو بن أبي ربيعـة انه كان فتى مغرماً بمحـادثه النساء ، وحفظ طرف الأخبار وملح الأشعار مع انـه غير عاهر الخلوة ولا سريـع السلوة ، وكان يحضر الموسم فتقصده الناس لتسمع منه فانقطع سنة ، فسألت عنه العذريين ، فقـال لي رجل تريد ابا المسهر ؟ قلت نعم إياه اعـني ، فتنفس الصعداء ، ثم قال قد أصبح والله كما قال

لعمرك ما حي لا سماء تاركي صحيحاً ولا أقضي به فأموت

قلت وما به ؟ قال مثل ما بك من تيهكما في الضلال . قلت فمن انت ؟ قال اخوه ، قلت كأنك وإياه على طرفي نقيض ثم انطلقت أقول

أرائحـة حجاج عذرة روحهم ولما يرح في القوم جعد بن مهجع

خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى متى ما اقل يسمع وان قال اسمع

فـلا يبعدنـك الله خـلا فانني سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما كان الموسم من قابل وانا بعرفـة رأيت شاباً لم تبق الا رسومه ، فعرفته بناقته فسلمت عليه وسألته عن حاله ، فشكا إليّ ما به فقلت له ان هذا دعاء فادع الله ان يزيل ما بك ، فلم يزل يدعو حتى الغروب فسمعته يقول

يا رب كل غدوة وروحه من محرم يشكو الضحى ولوحه

انت حسيب الخصم يوم الدوحه

فقلت له وما الدوحة قال · اذا انصرفنا حدثتك ، فلما انصرفنا حدثني ان له أخوالاً من كلب وانه حول ما له اليهم خشية التلف ، فأقام معهم وانه خرج يوماً على فرس وقد صحب شراباً فاشتد الحر ورفعت له دوحة فقصدها ونزل تحتها ، فما استقر حتى بان له شخص عليه درع أصفر وعمامة سوداء ، يطرد منحلة واتانا فقتلها ، وقصد الدوحة ونزل بها فحادثته فخلب عقلي لفظه فدعوته الى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدى كحق العاج فقلت امرأة انت ؟

قالت نعم ، ولكن شديد العفاف حسنة الأخلاق والمفاكهة فتحادثنا ساعه وأخذها النوم فوالله لقد هممت بهجر العفة لما داخلني ، ثم راجعت المروءة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت ان لها اخوة شرسة وأب كذلك ، ثم مضيت وها انا كما ترى فقلت ثبت نفسك ، فاني موصلك الى مطلوبك ، ثم قمت فشددت على ناقتي وصحبت الف دينار ومطرف ذو قبة خضراء من ادم ، ومضينا حتى نزلنا بالشيخ فأحسن ملقانا فقلت له قد أتيتك خاطباً قال فوق الكفاءة انت والمرغوب في مثله فقلت لم أخطب الا لصاحبي [illegible] وهو ابن اختكم فقال الحسيب الكريم ولكن أخيرها بينكما قالت ما [illegible] فأومأ صاحبي الى ان ادعه ، فقلت افعل فخيرهـا ففوضت الأمر إلى [illegible] الله فزوجتها من صاحبي وامهرتها الفاً وكسوت الشيخ المطرف وسألته ان يبني بها من ليلته ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال ابدت لي كثيراً مما اخفته عني قديماً وسألتها عن ذلك فأنشدت

كتمت الهوى اني رأيتك جازعاً   فقلت فتى بعد الصديق يريد
فان تطرحني أو تقول فتية   يضير بها برح الهوى فتعود
فوريت عما بي وفي الكبد والحشا   من الوجـد برح فاعلمن شديد

ومنهم ما حكاه اسدي وهي من العجائب المستلطفة

قال ضلت لي ابل فطلبتها في قضـاعة حتى اذا دهمني الليل أمسيت في بيت تفرست انه كفؤ للضيف فناديت أهله فلبتني امرأة كالشمس جمـــالاً ، وقالت انزل على الرحب ، وأجلستني عند نار فاصطليت وأتتني بعشاء كثير فأكلت وهي تحادثني واذا ابل كثيرة قد أقبلت الى البيت وقد أقبل شخص فبادرت اليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وانا أظنه عبداً لقباحته حتى جلس الى جانبها فقال لها ممن الضيف قالت أسدي فعلمت انه زوجها ، فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة ففطن لذلك فقال كأنك تعجب منا قلت إي والله وأي العجب قال أحدثك بوصولها إلي قلت ما أشوقني الى ذلك قال أعلم إني كنت سابع سبعة أخوة إذا رأيتني ظننتني عبدهم وكانوا يطرحوني للرعي ونحوه ، فضل لنا بعير فقالوا امض في طلبه ، فقلت ما انصفتموني فقال أبي اذهب يا لكع والا جعلته آخر أيامـك وتهددني بالضرب فمضيت وأنا على أسوأ حالة من البرد والجوع ، فدفعني المساء الى عجوز عليهـــا سمة الخير والشرف ، والى جانبها هذه العزبة ، فجعلت تسخر بي وتقول

هل لك اذا نام الناس أن تدخل عـليّ فأتحدث معك فاني لم أر أحسن منك فقلت دعيني من هذا ، وأقبل أبوها واخوتها سبعة فناموا بازاء الخيمة فأغراني الشبع والدفء فدخلت الستر ، فلما شعرت بي قالت من تكون ؟ قلت الضيف ، قالت أخرج لا حيـــاك الله ولا صبحك ، فخرجت فزعاً ، فتلقاني كلبهم يريد أن يأكلني وأنا أرده بعصاي حتى علق بجبة صوف عليّ

فتجاذبنا حتى سقطت أنا وإياه في حفرة لا ماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فأقبلت حتى اذا بصرت بي قالت

وددت والله أن اجعلها قبرك لولا خشية الضرر، ثم أدلت لي حبلا وقالت لي ارق ، فحين قاربت فم الحفرة انهارت من تحت أقدامها ، فسقطنا جميعاً

فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان أبوها عارفاً بما حصل فأقبلوا بالسيوف والأحجار على قتلنا فقال أبوها اني لاعرف من ابنتي ما لا ريبة فيه ، فأمسكونا وأخرجونا فأقبل عليّ أبوها فقال أفيك خير لأزوجك بها اتقاء الشهرة ، فقلت حين شممت الحياة وهل عندي الا الخير ، فزوجني بها على خمسين بكرة وامة وعبداً ، ورجعت الى أبي فاخبرته بذلك فأحضرها واقبلت بها اليهم فأخذوها وبنيت بها وها هي تسمع ما أقول

*

(ومن الصنف الثاني) ما حكى عن علي رضي الله عنه انه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية، وكان إذا رآها المؤذن يقول لها اني أحبك فاخبرت علياً بذلك فقال لها قولي له وانا ايضاً أحبك ، فماذا تريد ؟ فقالت له ذلك فقال اذاً نصبر حتى يوفينا أجورنا من يوفي الصابرين أجرهم . ومضت وأخبرت علياً فدعا به وزوجه منها

*

وحكى عن عبد الله بن جعفر انه كان يحب جارية فبلغه انها تهوى عبداً من عبيده ، فقال لها في ذلك فقالت أعيذك بالله من هذا فاقسم عليها أن تصدقه فاطرقت ساكتة فزوجها منه ثم داخله من حبها ما كاد أن يذهب

عقله ، فدعا الغلام فقال له هل تنزل عنهـا بعشرة آلاف درهم . فقال ولا مائة الف . فقال بارك الله لك فيها ، فلم يكن إلا قليل ومات العبد فاعادها ابن جعفر ، وقيل انه حين دخل بها أنشد :

رضيت بحكم الله في كل امـــره   وسلمت امر الله فيـــه كما مضى
بـــلاني وابـــلاني بحب دنية   وصبرني حتى انمحى الحب فانقضى
لعمري ما حبي بحب مـــلالة   ولا كان حبي زائـــلاً فتنقضا
ولكن حبي معـــه دل يزينه   ويعرض احياناً اذا الحب اعرضا

*

حكى الرياشي قال اشترى بصري جارية على أرفع ما يكون من الجمال والفصاحة ، فكلف بها وكان مثرياً ، فانفق عليها ما في يده حتى اذا املق ولم يبق معه شيء اشارت عليه ببيعها شفقة عليه

فلما حضر بها السوق أخذت الى ابن معمرة ، وكان عاملاً على البصرة ، فاشتراها بمائة الف درهم ، فلما قبض المال وهمّ بالانصراف أنشدت

هنيئاً لك المال الذي قد حويته   ولم يبق في كفي غير التذكر
أقول لنفسي وهي في غشى كربة   أقلى فقد بان الحبيب أو أكثرى
اذا لم يكن للأمر عنـدي حيلة   ولم تجدي شيئاً سوى الصبر فاصبري

فاشتد بكاء مولاها وانشد

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن   يفرقنا شيء سوى الموت فاصبري
أروح بهم في الـــفؤاد مبرح   أناجي بـــه قلباً طويل التفكر
عليـــك سلام لا زيارة بيننـــا   ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر للبصري خذها ولك المال فانصرفا راشدين ، فوالله لا كنت سبباً لفرقة محبين .

*

وحكى عن ابن دأب انه مرض مرضاً شديداً وطال به الأمر فدعوا له أطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شيء فأمروا أهله أن يوكلوا به امرأة تسقية من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده ، فارسل اليه عمه جارية ، فلما سقته وغنت عنده ، أنشد يخاطب الجارية المغنية وحاضنة كانت له يقول :

دعوني لما بي وانهضوا في كلاءة   من الله قد أيقنت اني لست باقيا
وإذ قد دنا موتي وحانت منيتي   وقد جلبت عيني إليَّ الدواهيا
أموت بشوق في فؤاد مـــبرح   فيا ويح نفسي من به مثل ما بيا

فأعلموا عمه بذلك فرحمه ، وبعث اليـــه بجارية ظريفة كثيرة الأدب فاستخرجت ما عنده بلطف ، فأخبرها انه رأى جارية أخته في نومه فعشقها وأ- ابه هذا الحال ، فاعلمت اخته فوهبت له الجارية فبرىء من علته

*

وحكى رجل ، قال عشق عبد أسود لصديق لي بالمدينة جارية لرجل ايضاً ، وكان يواصلها سراً ، فلما علم مولاها جاء الى مولى العبد فاخبره بذلك فضرب العبد وسجنه ، فتوله وطار عقله فدخلت عليه يوماً فقلت له ما هذا الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكى وانشد

كلانا سواء في الهوى غير انها   تجلد أحيـاناً ومـــا بي تجلد
نخـاف وعيد الكاشحين وإنمـا   جنوني عليها حين انهي وأوعد

فخرجت واعلمت مولاه فحلف لا يبيتن حتى يجمع بينهما فاشتراها باثني عشر ديناراً وزوّجها منه

*

وحكى عن ابن جعفر ايضاً انه أحب جارية عنده اسمها عمارة وحباً شديداً فكان لا يستطيع فراقها سفرا ولا حضراً ، فقدم على معاوية سنة من السنين لأخذ حقه فزاره يزيد فغنت الجارية بحضرته ، فأخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من نفسه وكان ذا دهاء فكتم أمرها

فلما أفضت اليه الخلافة استشار أهل سره في أمرها ، وانه لا يهنأ له قرار دونها . فقالوا له ان ابن جعفر عند الناس بمنزلة ، وتعرف ما كان عليه مع أبيك ، ولا نأمن عليك في ذلك ، فالزم المهلة واجتهد في الحيلة فاخذ في تدبير ذلك حتى ظهر له ، فاحضر رجلاً عراقياً معروفاً بالدهاء والحيل ، وأطلعه على أمره ، فقال له مكني مما اريد ، ولك عليّ ان آتيك بها ، فقال لك ذلك وسترى مني ما يسرك ، ثم أعطاه مالاً وثياباً وجواهر

وخرج العراقي كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه ، فاحسن ملتقاه ، وأخذ العراقي في التودد اليه ، فارسل اليه بقماش وجواهر وهدايا تزيد على الف دينار وساله قبولها ، فقبلها ونقله الى خواصه ، فزاد في الهدايا الى انْ صار من ندمائه

فاحضر الجارية ، فلما غنت أعجب بها العراقي حتى قال ما ظننت ان في الدنيا مثل هذه ، فقال له كم تساوي عندك ؟ قال الخلافة قال عبد الله تقول ذلك لتزين لي شانها وتطلب بذلك سروري قال يا سيدي انا تاجر جمع الدرهم الى الدرهم ولو بعتنيها بعشرة آلاف دينار لأخذتها ، قال قد بعتك قال اشتريت ، وقام العراقي فرحاً بما ظفر به ، وبات ابن جعفر متفكراً

فما أصبح إلا وقد جاء العراقي بالمال ، فقال له ابن جعفر انا كنت مازحاً فقال له يا سيدي أنت تعلم ان المزح في البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وانت معروف بالكرم والصلات ، فكيف ترضى ان يشيع عنك مثل هذا .

وطال بينهما الكلام الى ان خدعه ، فاخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه ، فرحل بها من يومه ، وأقام ابن جعفر حزيناً باكياً لا يقر له قرار . فلما دخل العراقي الشام وجد يزيد قد مات ، فاجتمع بولده معاوية ، فقص عليه الخبر وكان صالحاً ، فقال له اخرج عني بها فلا ترني وجهك .

فخرج العراقي وكان قد قال للجارية ، انا لست من رجالك ، وإنما أخذتك للخليفة فاستترت فلم ير لها وجهاً ، فلما قال له معاوية ما قال جاء اليها وقال قد صرت لي ، ولكن استتري فاني معيدك الى مولاك ، ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر .

فلما تلاقيا أخبره بالقصة وانه لم يكن تاجراً ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد وانه حين رآه قد هلك لم ير نفسه أهلاً لها ، فاعادها اليه ولم ير لها وجهاً ثم أخذها فسلمها اليه ، فلما تلاقيا وتعانقا خرا مغشيين ساعه ، ثم أدخلها ورفع منزلة العراقي حتى صار أعظم الناس عنده ووهب له المال ، وانصرف وأقاما على ما كانا عليه

×××

وحكى في الأغاني عن ابن أبي مليكة عن جده ، قال كان في المدينة رجل ناسك كثير العبادة، فمر يوماً بجارية تغني شعر أعشى بني قيس وهو:

بانت سعاد فامسى حبلها انقطعا   واحتلت العود فالحدين فالفرعا

وانكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث الا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد ان يخرج عقلـه وذهب اليه عطاء وطاوس يلومـانه في ذلك فانشد

يلومني فيك اقوام أجالسهم فما أبالي اطار اللوم ام وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجـارية باربعين الف درهم ، ثم احضر الناسك وكان الصوت الذي سمعه من الجارية بتلحين عزة الميلاء فاحضرها وقال له تحب ان تسمع الصوت من صاحبته ، قال نعم فامرها فغنت فسقط مغشياً عليه

فقال ابن جعفر قد أثمنا فيه الماء الماء ، فأتى بالمـاء فجعل ينضحه حتى أفاق ، فقال له اسمعه من الجارية ، قال قد رأيت ما وقع لي منه مع من لا احبها فكيف منها فقال أتعرفها ؟ قال وهل اعرف غيرها ، فاخرجها له وسلمها اليه وقال هي لك والله ما رأيتها ، فقبـل يديه ورجليه وقـال قد أعدت عقلي واحييت نفسي ودعا له ، فقال يا غلام احمل معه مثل ثمنها مالاً وثياباً وطيباً يتطيب به فاخذ ذلك وانصرف

×××

وحكى انه كان ببغداد رجل من ذوي النعم ، فعشق قينه على أوفر ما تكون من الجمال والمعرفة بالغناء والضرب ، فانفق عليها ما معه حتى ضاق حاله ، فاشار عليه بعض اصدقائه ان ياذن لها في الغناء عند الناس فانهـا مطلوبة ويحصل له بذلك الثروة ، فغم لذلك واخبره ان الموت عنده اسهل من ذلك وقالت له الرأي ان تبيعني فتحصل من ثمني على غناك او أكون انا في ثروة فانه لا يشتري مثلي الا غني

فحضر بها السوق فاشتراها هاشمي من اهل البصرة بالف وخمسمائة ديناراً فلما قبض المال وتفارقا صار كل منهما على اقبح حال من البكاء ، واجتهد في

الإقـــالة ، قال فخرجت لا أدري الى اين أذهب إذ لا يمكنني الدخول الى البيت وقد أوحش منها فدخلت مسجداً فجعلت الكيس تحت رأسي ، فما انتبهت إلا وشاب قد أخذ الكيس فقمت لأعدو خلفه ، فاذا رجلي مشدودة فما تخلصت إلا وقد ذهب فاشتد ما بي فجئت فلففت وجهي والقيت نفسي في دجلة طالباً ان أغرق ، فانقذني الحاضرون ظـانين اني وقعت غلطاً ، فلما أخبرتهم بقصتي فمنهم من عنف ، ومنهم من رحم ، فخلا بي شيخ منهم فوعظني ، وقال لست أول من افتقر بعد غنى ، اما كفاك ذهـاب مالك حتى تذهب نفسك وتصير في النار ، فسكن ما بي قليلاً ثم عاودني القلق ، فأخبرت صديقاً لي فأعطاني خمسين درهماً ، وأشار على ان اخرج من بغداد فعسى ان أجد من اكتب عنده من الأكابر لحسن خطي

فعزمت على واسط لأن لي بهـا صديقاً من الكتاب فجئت فرأيت زلالاً مهيأ ، فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين ولكن الزلال لهاشمي لا يريد معه غريباً فتزيا بزينا كأنك بعض الملاحين فوقع بقلبي ان الزلال للذي اشترى جاريتي فأتسلى حينئذ بصوتها فاشتريت الجبة ولبستها كالملاحين فما وقفت إلا وجاريتي قد اقبلت ومولاها فضربت لها ستارة ، فلما انحدروا وجاء العشاء وأكلوا وشربوا ، قال للجارية الى كم هذا الحزن والمدافعة عن الغناء أأنت أول من فارقت مولاها ، وألحوا عليها فأخذت العود وغنت

بان الخليط بمن علمت فادلجوا عمداً لقتلك ثم لم يتحرجوا
وغدت كان على ترائب نحرها جمر الغضى في ساعة يتأجج

ثم غلب عليها البكاء ونهضت ، فانتفضت وصرعت فنضحوا عليّ الماء ، وأذنوا في أذني فأفقت ولم يزالوا يتلطفون بها حتى عادت فغنت

فوقفت أنشد بالذين أحبهم وكان قلبي بالشفـــار يقطع
فدخلت دارهم أسائل عنهم والدار خالية المنازل بلقع

فشهقت فكادت تتلف وصرعت ، فقالوا كيف حملتم مجنوناً اطرحوه ، فلحقني أمر عظيم فتصبرت ، فلما شارف القـوم المنزل في بعض الطريق ،

أوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون ، وخلا الزلال فعمدت على غفلة الى العود فأصلحته على طريقة معروفة بيني وبينها

فلما رجعوا وكان الوقت مقمراً تلطفوا بها ، وقالوا ترين ما نحن عليه في هذا الوقت فبالله عليك الا ما انشرحت معنا ، فأخذت العود فشهقت شهقة منكرة ، ثم قالت هذا العود على طريقة كان يحبها مولاي ويضرب معي ، وانه لمعنا فقالوا لها والله لو كان معنا ما امتنعنا عن عشرته ليخف ما بك ، فقالت هو معنا لا محالة فقالوا الملاحين هل حملتم أحداً ، وأشفقت أن ينقطع السؤال

فقلت أنا يا سيدي فاحضرني ، وقال إني والله ما وطئتها وأنا رجل قد وسع الله عليّ ما أخذتها الا لسماع غنائها فكن معنا الى منزلنا فأعتقها ، وأزوّجك بها ولا أريد منك إلا أن تحضرها كل ليلة وراء ستارة فنسمع غناءها وننصرف

فقلت كيف أمنع ذلك عنك وأنت سبب حياتي ، فقال للجارية أرضيت بذلك ؟ قالت نعم ، وشكرته وزاد سرورها فجعلت تغني وأنا اقترح عليها الأصوات فتضاعف سرور الرجل ودمنا على ذلك حتى بلغنا نهر معقل ليلاً ونحن ثملون ، فصعدت حتى ربطت الزلال لقضاء الحاجة ، فأخذني النوم ولم يدروا بي حتى سافر ، فأفقت بحر الشمس فلم أجدهم ، وعدت الى المحنة ، فجاز بي سمارية فنزلت معهم الى البصرة فدخلتها لم أعرف بها موضعاً ولا أحداً ولم أكن سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه

فرأيت رجلا من بغداد ماراً فقمت لأشكو اليه حالي، فقال اتبعني فتبعته حتى عرفت موضعه، وجئت الى بقال فأخذت منه ورقة لأكتب عن حالي الى الرجل فاستحسن البقال خطي واسترث حالي وسألني عنه ، فلم أشرح له أكثر من انه لم يبق في يدي شيء ، فقال هل لك أن تكتب عندي في كل يوم بنصف درهم ومـا تحتاج اليه فتضبط مالي ، فأجبته فرأى بعد شهر

الزيادة بضبطي وحفظي ما كان يسرق له فزاد في اكرامي ، فزوّجني بعد حول بابنته وأشركني في ماله غير إني في خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب

فلما كان ذات يوم رأيت الناس مجتازين بانواع الزينة فسألت عن ذلك فقيل عيد الشعانين للنصارى ، والناس تخرج للفرجة فوقع في نفسي أن أخرج معهم وان عسى ان أظفر بأصحابي ، فاستأذنت الرجل فاصلح لي ما أحتاج اليه ، وخرجت فما وصلت الا والزلال بعينه في أوساط الناس ، فلم أملك ان طرت اليهم فحين رأوني فرحوا بي وقالوا نحن منذ فقدناك ما شككنا انك غرقت

فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزّت شعرها. فلما وصلنا البصرة خيرناها فيما تريد ، فاختارت لبس السواد وتمثيل قبر تجلس عنده تبكي ، ثم أخذوني وأدخلوني عليها وهي على تلك الحالة ، فلما رأتني شهقت شهقة ما شككت في موتها

فلما أفاقت قال مولاها قد وهبتها لك ، قلت لا ولكن افعل ما تقدم من العتق والتزويج ، ففعل بالشروط السابقة وأعطاني ثياباً وخمسمائة دينار ، وقال هذا مقدار ما كنت أجريه عليك الى اليوم وهو مستمر لك فجئت الى البقال فاعلمته بذلك وطلقت ابنته وأقمت مع الجارية في أحسن حال .

* *

وحكى ان جعفر بن يحيى حين قدم البصرة مع الرشيد ، قال لاسحاق بن ابراهيم قد بلغني ان هنا جارية لم ير مثلها لكن لا يريها مولاها الا في بيته فاخرج بنا ننظر اليها ، فخرجنا والنخاس مستخفين حتى طرقنا الباب فخرج شاب متغير اللون في ثوب خشن فادخلنا داراً خربة ، ففرش لنا

حصيراً وأجلسنا ورحل ، فخرجت جارية بذلك الثوب الا انها تفوق الشمس حسناً وجمالاً فأخذت العود وغنت:

ان يمس حبلك بعد طول تواصل خلقاً وبيتك موحشاً مهجـــورا
فلقد أراني والجديد الى البـلا دهراً بوصلك راضيـــاً مسرورا
كنت المنى وأعز من وطىء الحصى عندي وكنت بذاك منك جديرا

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء ، فنهضت الى البيت تعثر في القميص ، فسمعنا لها بكاء وشهيقاً ، ثم خفيت أصواتهما حتى ظننا انهما قبضا ، ثم خرج الشاب بالثوب بعينه ، وقال أشهدكم انها حرة وأريد أن تزوجوني بها ففعلوا وغم جعفر لفواتها ، وقال له ما حملك على هذا قال حديثي طويل ان شئت حدثتك به ، قال قل فقال انا ابن فلان ، وقد كنا من ذوي النعم وهـــذا يعرف ذلك وأشار الى النخاس .

ثم قال وكانت هـــذه الجارية لأمي فنشأت انا وإياها فادخلنا المكتب فبرعنا في الأدب وأخرجت هي لتعليم الغناء فلم أطق فراقها فصرت معها ، فلما برعت فيه طلبت أمي بيعها فايقنت بالموت فصدقتها الخبر فوهبتها لي وجهزوها لي ودخلت بها بعد ان امتنعت من تزويج بنات الأكابر وأظهرت الزهد والعفة كل ذلك لقصور شهوتي عليها ، والناس يظنونه عفة فأقمنا في أرغد عيش الى ان مات أبي فلم احفظ النعمة ، فانفقت الأموال وأكثرت من الهبة وأسرفت حتى لم يبق عندي الا هذا الثوب أتناوبه انا وإياهـا ، فاشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة الرأي اني أبيعك واعلم اني هالك أثر ذلك ، ولكني أختار ان تعيشي بخير

فلما عرضت عليكم ودخلت إلي ، قالت لو كان عندك مني مـــا عندي منك ما ذكرت بيعاً ، فقالت أتحبين ان أعتقك وأتزوج بك وتقيمي معي على هذا الحال . فقالت ان كنت صادقاً في الحب فافعل ، فخرجت وفعلت ذلك ، فعذره جعفر ، قال اسحاق فلما ركبنا قلت له انت تبذل الأموال

وتغنى المحاويج أفلا ترق لهذا ؟ قال بلى . ولكن قد غبت لفوت الجارية ، ثم التفت الى النخاس وقال كم صحبت من المال ؟ قال ثلثمائة الف دينار ، قال أدفعها اليه وأمره أن يأتيني غداً و

فلما أعطاه النخاس المال وأخبره ان الذي كان عنده جعفر وانه يدعوك اليه ، كاد ان يطير فرحاً وأقبل اليه من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة ، فأجرى عليه رزقاً وجعله من الكتاب ، لما رأى عنده من الظرف والأدب وأمر كلاً من العسكر أن يهاديه ففعلوا وأقام في النعم .

* *

وأغرب من ذلك ، ما حكى ان أندلسياً كان مغرماً بجارية يحبها حباً شديداً وانه أراد بيعها لوحشة ، فلما حقت الصفقة كاد أن يطير عقله فحكم المشتري في ماله فأبى فتشفع عنده باكابر بلدته فلم يجب ، فمضى الى الملك وأخبره بحاله ، فاحضر المشتري وشفع عنده وبذل له مالاً كثيراً فامتنع وادعى محبتها .

فلما رأى الأندلسي اليأس منها القى نفسه من شاهق فابهت الملك وأمر أن يتلقى فقدّر انه لم يصب بشيء وجيء به الى الملك ، فقال الله أكبر قد ظهر الحكم في ذلك ، ثم قال للمشتري قد رأيت ما فعل هذا من حبها فان كنت تحبها كما تقول فافعل كفعله فان عشت فانت أحق بها ، فقال افعل ثم همّ بذلك ورجع فأمر ان يلقي غصباً ، فلما حقق ذلك قال اعطيتـه إياها فاخذت منه واعيدت الى مالكها

* *

وحكى أن المامون افتتن بجارية من جواري أبيه الرشيد ، وكان يكتم

أمره وكانت من خواص الخدمة ، فبينا هي يوماً تصب على يديه وقد التفت إذ أشار لها المأمون بقبلة فغمزتة مشيرة بحاجبها الى انها خائفة ففترت بصب الماء ففطن الرشيد فحلف ان لم تخبره ليفتكنّ بها ، فأعلمته فنظر الى المأمون وقد كاد ان يقضي من الخوف فضمه وسكن ما به ثم قال له أتحبها ؟ قال نعم . قال قم فاختلي بها في هذه الخلوة ففعل ، فلما خرج قال له أنشد في هذه فأنشد

ظبي كنيت بطرفي   عن الضمير اليـه
قبلته من بعيـــد   فاعتل من شفتيـه
وردّ أخبث ردّ   بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني   حتى قدرت عليه

* *

وحكى أن ابراهيم بن المهدي زمن اختفائه من المأمون مكث عند عمته عليه بنت المنصور ، وكان عندها جارية قد أحسنت تأديبها وتعليمها حتى صارت من الطف أهل زمنها فوكلتها بخدمة ابراهيم فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتمه حياء حتى سكر يوماً فغنى

يا غزالاً لي اليـــه   شافع من مقلتيه
والذي أجللت خديـــه   فقبلت يديه
بأبى وجهك ما أكثر   حسادي عليه
انا ضيف وجزاء الضيف   إحسان اليه

ففطنت للطفها بما اراد فأخبرت مولاتها فوهبتها له ، فلما رآها مقبلة أعاد الصوت فقبلت رأسه فنهاها فاخبرته انها له فقرت عينه

* *

وحكى أن رجلا مكياً كان عنده جاريـة وكانت على أحسن صورة ، والطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب ، حتى ان الناس كانوا يقصدون الحج لينظروا اليها لأنه كان لا يخرجها إلا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة .

وانه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة فوقع عنده من حب الجاريه ما غير حاله وهيج بلبابه وانحل بدنه وأهاج شجنه ، فكان يقنع في كل سنة بالنظر اليها زمن الموسم ، ثم يمكث باقي السنة عليلاً في بيته. فدخل عليه صديق له فعاين من حاله ما حير قلبه ، وأطار لبه ، فتلطف به حتى عرف أمره ، وما هو عليه من أمر الجارية

ورغب اليه أن لا يفشي سره ، فخرج حتى اجتمع بمولاها فحدثه القصة فزينها وخرج بها كيوم الموسم ، فلما اجتمع الناس ، قال أشهدكم اني وهبت هـذه الجارية لهذا الفتى ، فقيل له كيف تفعل هـذا وقد بذل لك فيها الأموال قال دعوني اني أحييت كل من على الأرض ، لأن الله يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً .

* *

وحكى عن الحرث بن سليمان ، قال كنا بمجلس سليمان بن عبد الملك ، فأتاه سعيد بن خالد فقال له أنا شاك اليـك من ظلمني وانتقص حرمتي قال من قال موسى شهوات ، قال عليّ به فاحضر ، فقال له أنت شتمت هذا ؟ قال لا وأيد الله أمير المؤمنين إنما مدحت ابن عمه فاغتاظ ، فقال سليمان وعلام مدحته قال موسى يا أمير المؤمنين عشقت جاريه حتى كادت نفسي تتلف في حبها ولم أكن أقدر على ثمنها فشكوت حالي الى أصدقائي فلم يجبني أحد فشكوت اليه فاستمهلني ثلاثاً وأتيته وهو جالس فقال لغـلام عنده ، أخرج الوديعة فاذا بالجارية ، فقال هذه طلبتك . قلت نعم ، فقال تسلمهـا

ثم قال للغلام أخرج ما عندي من النفقة فاخرجها فاذا هي مائة دينار فصرّها مع طيب في ملحفة ودفع الكل إليّ ، فقال سليمان وما قلت فيه فانشد :

أبا خالد أعني سعيد بن خالد   اخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي   أبو ابويـــه خـــالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى   فان مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه انكم قد رقدتم   ومـــا هو عن احسانكم برقود

فأحضره سليمان وقال أحق ما يقول عنك موسى ، قال قد كان ذلك . فقال كم عليك من الديون ؟ قال ثلاثون الفاً قال هي لك ومثلها وثلث مثلها قال موسى فلقيته صبيحة اليوم فقلت كم عندك من المال قال والله لم يبق منه شيء . قلت ففيم أنفقته ؟ قـــال في تفريج عن صديق واعطاء محتاج وصلة رحم

* *

وحكى عن الربيع ، قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اشتريت جارية وكنت أحبها فأقول لها

ومن السعادة ان تحب وان يحبك من تحبه
ومن الشقاوة أن تحب ولا يحبك من تحبه

فتقول

ويصدّ عنك بوجهه   وتلح أنت فلا تغبه

* *

وحكى عن ابراهيم بن ميمون، قال حججت فاذا انا بسوداء قائمة ساهية فانكرت حالها فمكثت ساعة ثم انشدت

أعمر وعـلام تجنبتني　　أخذت فؤادي وعذبتكم
فلو كنت يا عمرو وأخبرتني　　أخذت حذاري فما نلتني

فقلت لها ومن عمرو ؟ قالت زوجي أوهمني انه يحبني حتى تزوجته ، وعندي من الحب له ما عنده لي ، فتركني ومضى الى جدة . فقلت هل لك أن اجمع بينكما ؟ قالت ومن لي بذاك ، فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادي من يخرج من المركب يا عمرو وكانت قد وصفته لي بأنه أحسن ما أرى فاذا أنا بفتى على ما وصفت فانشدته الشعر فقال قد رأيتها قلت فما يمنعك منها ؟ قال والله عندي أضعاف ما عندها وإنما منعني الاكتساب . قلت فكم يكفيك في كل سنة ؟

قال ثلثمائة درهم فأعطيته ثلاثة آلاف درهم ، وقلت هذه بعشر سنين ، فاذا فنيت أو قاربت فاتني اوجه اليك بمثلها ، ثم جمعت بينهما فكان أعظم عندي من الحج .

* *

وحكى ان بعض التجار قدّم لأصدقائه طعاماً وفيه ديك ، وقـــال ابن الجوزي سكباج وأبى ان يأكل معهم فامتنعوا لأجله ، فقال كلوا فلولا أذى يلحقني منها لأكلت ثم عاود نفسه ، وقال أتحمل وآكل .

فلما فرغو وجيء بالغسول غسل يديه أربعين ، فقالوا له أبك وسواس ؟ قال لا ، ولكن هذا الأذى الذي قلت لكم وله حديث عجيب قالوا ومـ هو ؟ قال أوصاني أبي وكان من ذوي النعم ولا وارث له غيري ان أحسن

الانفاق والتكسب وأن أسبق الى السوق واتجر فيه فحفظت ما قال فبينا أنا يوماً في السوق سحراً ، وقد عرفني الناس بذلك فكان ربما يأتي ذو حاجة في وقت لا يجد غيري فأقضيها فاكتسبت بذلك مالاً وجاهاً

فبينا أنا يوماً جالس إذا بامرأة على حمار وخادم يمسكه فنزلت عندي ، فرحبت بها فرأيت نغمة وشكلاً بهرني ، فقلت ماذا تريدين ؟ قالت ثياباً صفتها كذا فقلت إجلسي حتى يتكامل الناس وقد أذهبت عقلي وأطارت لبي ، فجمعت لها ثياباً بخمسة آلاف درهم ، فأخذتها وانصرفت ولم تعطني شيئاً ولم أفق من دهشتي ان أقول لها في ذلك ، ووقع عندي انها محتالة فقلت أبيع ما عندي وأعطي الناس وألزم بيتي

فمضى على ذلك اسبوع ، فبينا انا جالس إذ أقبلت على العادة فقمت وأجلستها ونسيت ما كان عندي فقالت قد أبطأنا عليك ، فقلت رفع الله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه فأعطيته لأربابه مع ما ربحت في ذلك ثم طلبت ثياباً بألف دينار فأخذتها ومضت ، فعاودني ما مضى فأبطأت فقلت والله هذه حيلة أوفت خمسة آلاف درهم وأخذت الف دينار، ثم طالت غيبتها شهراً وطالبني الناس فعزمت على بيع عقاري وما لي أو قال بعت وأوفيت، وإذا هي قد أتت على العادة ونزلت عندي فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره

فشاغلتها باحضار التجار . فقالت هل لك زوجة ، قلت لا والله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته في أن يكلمها فضحك وقال هي والله أعشق منك لها فرجعت وكلمتها في ذلك فضحكت وقالت الخادم يأتيك برسالتي

ومضت ولم تأخذ شيئاً إذ لم يكن بها حاجة من الأصل إلا العشق ، فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمته وشرح لي أنها مملوكة لأمّ المقتدر ، وقد رغبت في جعلها قهرمانة فلما تألفت بك مضت فشكت اليها حبك ورغبت اليها أن تزوجها بك ، فأبت دون أن تراك وقد أخذوا في حيلة

يدخلونك بها اليها فان تمت تمّ أمرك وهي ان تجلس الليـــلة بمسجد كذا فمضيت الية ، فلما كان السحر أقبل خدّام ومعهم صناديق فوضعوها وإذا أنا بالخادم والجارية فأدخلوني في صندوق منها وجعلوا في الباقي ثياباً وحملوها الى الدار فكلما جازوا بطبقة من البوابين يريدون أن يفتشوا ذلك فتمنعهم ، حتى عارض خادم وقال لا بدّ من تفتيش هذا الصندوق .

فأدركني الخوف حتى انساب معه البول مني ، فصاحت افسدت المتاع ، وكسرت عليه أواني ماء الورد فقال اذهبي فمضوا حتى أخرجوني في خلوة وجعلت تطعمني وتسقيني حتى اتتني يوماً فعرضتني على السيدة فرضيتني لها ، فاحتالت في خروجي وأمرتني بأن أتزين في احسن زينة الى باب الخلافة ، ففعلت فاخذوني واجلسوني في بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون أن هذا وقت زفاف فلانة على البزاز ويذكرون صاحبتي ففرحت فرحاً أطار عقلي غير اني جعت جوعاً احرق احشائي ، واستطعمت الخدام فلم يطعموني لأنهم لم يعرفوني حتى جاء خادم يعرفني فشكوت اليه الجوع فقدم لي ديك فأكلت وغسلت يدي غسلاً ظننت معه النقاء

فلما خلوت بها رفستني وقالت عجبت كيف تفلح وانت عاميّ سفلة ، وهمت بالخروج فتعلقت بها واخبرتها القصة ، ثم قلت يلزمني صوم الأبد والحج ماشياً والطلاق والعتاق وصدقة مالي ان لا آكلها بعد اليوم الا واغسل يدي أربعين مرة فضحكت

ودعت بطعام وشراب فأكلنا وشربنا ، ولما مضى اسبوع اعطتني مالاً وأمرتني ان اشتري به داراً فاشتريت وتحولنـــا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على احسن حال.

* *

وحكى التنوخي في المستجاد ونقله في نديم المسامرة ، قال حمل المأمون من البصرة عشرة قد رموا بالزندقة ، فلما اجتمعوا للنزول في السفينة ، جاء

طفيلي فنزل معهم ، وقال ما أظن هؤلاء اجتمعوا الا لوليمه ، فلما قيدوا ندم وعلم ان لا خلاص له . فحين ضربت اعناقهم وكان المأمون يعرفهم سأل عنه فقالوا لم نعرفه . فسأله فقال زوجتي طالق ان كنت أعرفهم أو أحوالهم ، وإنما رأيتهم مجتمعين فظننت انها وليمة.

فقال المأمون يبلغ التطفل باصحابه الى هذا ، عزروه لئلا يعود الى مثلها فقال ابن المهدي هبه لي يا أمير المؤمنين وأحدثك عن التطفل بحديث عجيب قال وهبته لك فحدثني قال يا أمير المؤمنين ركبت يوماً حتى مروت بموضع فشممت رائحة طعام وأبازير ما شممت مثلها قط ، ورأيت معصماً من الشباك أخذ بقلبي ايضاً فاشتهيت ان آكل منه واخذت في الحيلة إذ لم أكن أعرف احداً من اهل المكان ، فجئت الى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب المكان فقال لي عن اسمه ، وانه تاجر يحب عشرة مثله ، أيشرب الخمر ؟ قال نعم وأظن عنده اليوم جماعة من أصحابه.

فمكثت ساعة فاذا هم مقبلون ، فقال لي هؤلاء اصحابه ، فحركت دابتي حتى لحقت بهم فقلت قد ابطأتم وفلان ينتظركم ثم دخلنا وهم يظنون اني من جماعة صاحب المنزل وهو يظن اني معهم فأكرمني كل منهم ، وقدّم الطعام فأكلنا فقلت في نفسي هذا الطعام قد قضيت منه شهوتي وبقي الكف والمعصم ، ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود فغنت :

توهمها طرفي فأصبح خدّهـــا وفيه مكان الوهم من نظري أثر
وصافحتهـــا كفي فآلم كفها فمن ضم كفي في أناملها عقر

فهيجت بلابلي وطربت لحسن شعرها ثم غنت ايضاً :

أشرت اليها هل عرفت مودتي فردّت بطرف العين اني على العهد
فحدث عن الاظهار عمداً لسرها وحادت عن الاظهار ايضاً على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم نملك نفوسنا ثم غنت ايضاً

أليس عجيباً أن بيتاً يضمني ... وإياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى أعين تبدي سرائر نفس ... وتقطيع أنفاس على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب ... وتكسير أجفان وكف تسلم

فحسدتها على الحذق والاصابة غير اني قلت بقي عليك شيء ، فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون في مجالسكم البغضاء فتألموا مني فقلت قد فاتني ما أملت ان لم اتلاف قلوبهم فقلت هل عندكم عود ؟ قالوا نعم ، وأحضروه فأحكمت إصلاحه وغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا ... أصممن أم قدم البلا فبلينا

لا بل بلين فهجن داء ساكناً ... لمتيم واثرن منه دفينا

راحوا العشية روحة مذكورة ... ان متن متنا أو حيين حيينا

فقبلت عند ذلك يدي وقالت معذرة اليك ، وزاد القوم في إكرامي ، فلما رأيت مزيد بسطهم اندفعت أيضاً فغنيت

أفي العدل أن تمسين لا تذكرينني ... وقد سجمت عيناي من ذكراك الدما

الى الله أشكو بخلها وسماحتي ... لها عسل مني وتبذل علقما

فردّي مصاب القلب أنت سلبته ... ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

الى الله أشكو انها أجنبية ... واني لها ما عشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم ما فارقوا به عقولهم ، فأمسكت عنهم خشية أن يتلفوا ساعتئذ ثم غنيت

هذا محبك مطوي على كمده ... وجدا مدامعه تجري على جسده

له يد تسأل الرحمن راحته ... مما به ويد أخرى على كبده

يا من رأى كلفاً في حبه دنفاً ... كانت منيته في عينه ويده

فقالت الجارية هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وسكر القوم حتى غابوا ، الا صاحب المنزل لجودة شربه ، فأمر بحملهم الى منازلهم وخلاني ، فسألني من أنا فأخذت أروي فأقسم عليّ الا ما عرّفته بنفسي، وقال قد ذهب أكثر عمري هدراً اذا لم أعرف مثلك .

فلما عرّفته بنفسي وثب قائماً ، وقال لا أقضي باقي ليلتي في خدمتك الا قائماً ، فأقسمت عليه أن أجلس ، فجلس وأخذ يستخبرني عن سبب مجيئي ، فأخبرته القصة حتى انتهيت الى أنه لم يبق عليّ إلا المعصم ، فقال تناله ان شاء الله تعالى .

وعرض عليّ جواريه فلم أر الغرض ، فقـال يا سيدي لم يبق عندي إلا أمي وأختي ، ابدأ باختك فأتى بها فاذا هي الغرض ، فقلت ها هي ، فقال والله أقررت عيني ، ثم دعا بالشهود من ليلته فعقد لي عليها وأدخلني بها ، فلما أصبحنا حوّل معها متاعاً لا يوجد مثله الا عندك يا أمير المؤمنين ، وهذا ولدي فلان منها .

القسم الخامس

في ذكر من وسموا بالفساق من العشاق

وهؤلاء هم الذين وقعوا في المعاصي أوهموا بها فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند أهله ، فانهم يرون تصوّر السلوّ معصية بل تصوّر خطور غير المحبوب في الذهن كذلك ولا نعلم أحداً حقق هذا المناط للسالكين ، وبينه حق البيان للمتمسكين أجلّ من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدي عمر بن الفارض اعاد الله علينا من مدده حيث يقول:

ولو خطرت لي في سواك إرادة   على خاطري سهواً قضيت بردّتي

فان الخطور مجرد جواز الميل على القوى من غير أن يتمسك منه بشيء ، هذا عند العقلاء قسريٌّ لعدم احتياجه الى مقدمـــات والارادة مجرّد الميل والخاطر باب الحدس والسهو استيلاء الطبيعة الثانية على المزاج البشري ، وهو صفة للخطور قسرية أيضاً، ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه في الاصلاح على الخارج به بشيء رحمة وتخفيفاً ، فقد بان أن الأستـاذ يقول ان شرح المحبة مبني على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة نزل السهو فيها منزلة العمد فكأن المحبوب قو قوى المحب التي بها يعقل كما أشار اليه أيضاً في الدلالة على غاية المرتبة بقوله

فلم تهوني ما لم تكن فيَّ فانيا   ولم تفن ما لم تجتلي فيك صورتي

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو أصناف

الصنف الاول في ذكر من حمله هواه على أذية من يهواه
وهؤلاء اما نساء أو رجال وكل من القسمين
اما بالغ مناه أو مكفوف اذاه

فمن الأول ما حكي عن مرثد انه شغف بصحبة عمرو بن قمئة حتى صار يأكل معه ومع زوجته ، فعلقته المرأة فأرسلت اليه على حين عقله من مرثد تقول ان عمك يدعوك ، فجاء فلم يجده فقامت اليه فراودته عن نفسه فأبى ، فقالت لئن لم تفعل ما آمرك لأوذينك

فقال ان الأذى أن أفعل ما تحبين ، وخرج فأمرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الأصابع. فلما جاء مرثد أخبرته ان رجـلاً من أقرب ما يكون اليك ساومني نفسي ، فامتنعت فجهد في أن تخبره ، فأبت وقالت أنا لا أصرّح باسمه ولكن هذا قدمه فعرفه وهجره فانشد في ذلك

لعمرك ما نفسي بجدّ رشيدة ... تؤامرني شر الأصرم مرثدا
عظيم رماد القدر لا متعبس ... ولا مؤيس منها اذا هو أخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة ... وأفرع من لومي مراراً وأصعدا
على غير ذنب أن أكون جنيته ... سوى قول باغ جاهد فتجهدا

وقيـل انه حلف ليضربنه بالسيف ، فهرب الى الحيرة وأرسل بهذين البيتـين

رمتني بنات الدهر من حيث لا أدري ... فما بال من يرمي وليس برامي
فلو أنها نبل إذ الا تقيتهـا ... ولكنما أرمي بغـير سهام

انتهى ما ذكره ، وفي النزهة انّ مرثداً أتى يوماً من سفره في الليل ، وكان الظلام شديداً فسمع زوجته وهي لا تشعر به تقول

لعمرك ان القلب شط به النوى ولم تسعف الأيام للمدنف الصبّ
بليت بمن لم يدر حسالي بحبه ألا ان عمراً في الهوى قاسى القلب

فعلم انها مولعة به وان ذلك كان كيداً منها فقتلها وأرسل اليه فاصلح أمره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع

* *

(ومن الثاني) قصة سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير انّ المصنف رحمه الله لشدة معرفته باختلاف الألسن واللغات ، نقلها من نص الله عز وجل عليها في التوراة

فذكر أن في سفر دانيال عليه السلام ، من هذه القصة ما ترجمته لما كان في السنة الثالثة من ملك يواكيم ملك يهوذا قدم بختنصر ملك بابل الى أورشليم يعني بيت المقدس بالعربية وأسلمها الرب في يده ثم نزل ببيت صنمه بشنغار وهو موضع مشهور ببيت المقدس .

ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصين قاضيين عرفا بالعبادة والزهد في بني اسرائيل ، فكانا يحكمان في الشعب ويأويان الى بيت يواكيم

وكان له زوجة يقال لها سوسن، وكانت في أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح لأن والديها كانا صديقين في بني إسرائيل ، وكانت في كل يوم تنزل الى بستانها تمشي للنزهة ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بهـا عن النظر في الحكومات ، وكتم كل عن الآخر حتى إذا كان منتصف

النهار من يوم شديد الحر ، قال كل منهما لصاحبه قد اشتد الحر فليذهب كل منا فيستريح .

وخرجا مضمرين العود رجاء الظفر بالجارية ، فلما التقيا فحص كل عن عود الآخر فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها وانها دخلت مع جاريتين البستان ، فعزمت على الحموم وقد استخفيا ، فأرسلت الجاريتين ليأتياها بزيت وغسول ، فظهرا وأغلقا الأبواب وقالا لها لئن لا تجيبينا ، والا قلنا انا وجدنا معك شاباً ، ومن أجل ذلك أرسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكاننا من بني إسرائيل .

قالت سوسن والله لا أغضب الرب أبداً وصرخت ، فصرخ القاضيان ومضى أحدهما ففتح الباب ، وجاء العبيد فاخبراهم بالقصة ، فبقوا مبهوتين لأنهم لا يعلمون عليها سوء ، ثم أتى يواكيم فاعلموه بالأمر وأنهما لم يقدرا على مسك الشاب ، فجمع الشعب وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن وقالا نشهد على هذه انها دخلت البستان ومعها جاريتان فارسلتهما وأغلقت الأبواب ، فجاء حدث من وراء شجرة فضاجعها ، فحين رأينا المعصية صحنا فانفلت الشاب .

فبكت سوسن ورفعت طرفها الى السماء ، وقالت يا الله يا دائم يا عالم الخفيات أنت تعلم أنهما كذبا عليّ ثم أقاماها للقتل وكان دانيال عليه السلام شاباً عمره ثلاث عشرة سنة ، فجاء وصاح عليهم ان قفوا فانها بريئة مما رميت به ، ثم أمر بالتفريق بينهما ، فقال لأحدهما من تحت أي شجرة جاء الحدث ، فقال من تحت شجرة بطم فقال كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب . ثم أخره وقدم الآخر وقال له من تحت أي شجرة جاء الحدث ، فقال من تحت شجرة زيت فقال كذبت وأقامهما فنشرا ونزلت نار فأحرقتهما وحفظ الله الدم الزكي وعظم أمر دانيال عليه السلام .

* *

(ومن الرابع ما حكى) في نديم المسامرة انه كان بالبصرة رجل اسمه عباد ، وكان يدعى بالخنث لما كان يظهر من التزيي بزي النساء ، فاجتمع ليلة مع قوم ، وتذاكروا الشجاعة .

فقالوا له هازئين به هل تقدر أن تذهب فتدق هذا الوتد بالضريح الفلاني وكان معروفاً بالوحشة بعيداً عن العمارة . فمضى حتى صار فيه فحين شرع يدق الوتد سمع صرير سلسلة تدنو كلما دق حتى صار عنده ، فاذا هو قرد قد ذهب من صاحبه ، فأخذه وهمّ ليخرج إذ سمع امرأة تخاطب رجلاً فتقول ما الذي صنعت حتى تقتلني ، فيقول أقتلك وأموت خير من ان تصيري الى زوجك وأموت غماً

فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق بالرجل فظنهما جناً ، فرمى السلاح فأخذه عباد وفك المرأة واستخبرهـا ، فأخبرته بأبيها فعرفه وأن هذ ابن عمها كان يهواها فخطبها الى أبيها فأبى وهمّ بتزويجها من غيره وأنها خرجت لمفترج فكبسها هذا مع جماعة فتفرق النساء اللواتي كنّ معها وأخذها هو فصيرها الى هذه الحالة ، فأخذها عباد إلى أهلها وأخبر أصحابه بالقصة فكذبوه فأراهم ذلك فصار يعدّ من الشجعان

* *

(ومن الثالث) ما حكى عن حبوبة بن حباب الطابخي انه حـين قتل أبوه رجلاً من كلب من فخذوبرة ووجبت عليه الدية رهنه صغيراً مع أمه ، وخرج ليجمعها فمات فأقاما عندهم وانه كان شاباً حسناً جميلاً فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه فوقع بعدما قتل أخا امرأة اشتهر بها الى بلقين ، فأجاروه ففعل عندهم ما فعل في كلب واشتدوا عليه فجاء الى أمه ليلاً فأخفته وأخبرت ظئراً لها ، فقالت ادفعه إليّ فأخذته فجعلته في متاع لها خارج البيت ومرّ عدي رئيس بني كلب فقال ما هذا قالت متاعي وأنا على

سفر وأريد أن تجيره ، فقال قد أجرته وحمله الى بيته وقد أنكره ففتش فرآه فقال لا حياك الله ، وخرج فأقام عنده زماناً فعلق ابنته وطال بينهما الأمر فأنشد فيها

ما زلت أطوي الحي أسمع حسهم حتى وقفت على ربيبة هودج
فوضعت كفي عند مقطع خصرها فتنفست صعداً ولما تنهج
وتناولت رأسي لتعلم مسه بمخضب الأطراف غير مشنج
قالت وعيش أبي وحرمة والدي لأنبهنّ الحيّ ان لم تخرج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت فعلمت انّ يمينها لم تحرج

وبلغ عدي بن أوس ذلك فقتله

* *

(ومن الثالث) قصة وضاح اليمن المشهورة واسمه اسمعيل أو عبد الله أو عبد الرحمن ابن كلال وكان من أمره أنه كان يبرقع وجهه خوف الفتنة بحسنه ، وانه نشأ مع أم البنين بنت عبد العزيز صغيرين فكان لا يصبر أحدهما عن الآخر

فلما بلغت حجبت فازداد شوقها ، فحين أفضت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك وقيل ليزيد والصحيح الأول لما سبق في قصة حبابة ، وذكر زوجات يزيد حجبها فازداد بوضاح الأمر حتى نحل ، فخرج الى الشام فكان يطوف بالقصر الى أن ظفر بجارية لأم البنين فأخبرها بمكانه وانه ابن عم مولاتها فأخبرتها فادخلته في صندوق ، فكانت اذا أمنت تمكث معه وإذا خافت أدخلته الصندوق وجيء للوليد بجوهر نفيس فأمر خصياً بحمله اليها فحين دخل الخصي وجد وضاحاً فادخلته الصندوق واستوهبها الخادم لؤلؤة فأبت فمضى وأخبر الوليد

فدخل عليها فمازحها واستوهب الصندوق فأبت فراجعها فوهبته إياه ، واحتمله الى مجلسه فلما جاء الليل أمر غلمانه فحفروا الى الماء ثم قال مشافها للصندوق خفية قد بلغنا عنك أمر فان كان صحيحاً فقد كفأناك ، وإلا فما علينا في دفن الخشب ورماه ورمي الخصي حياً ، وقيل ضرب عنقه حين أخبره وأهال التراب ولم يبين لها غيظاً ، وقيل فارقها وانها كانت تأتي المكان فتبكي فوجدت ميتة فيه

وقيل انه لم يقتله بذلك وإنما شبب بها حين رآها في طريق الحاج فبلغه تشبيبه بها فاستشار فيما يفعل به فقيل له اكرمه كما فعل معاوية بأبي دهبل حين شبب بأخته فأبى الا قتله

* *

(ومنه أيضاً) سحيم وهو حبشي نشأ في بني الحسحاس ، وكان أعجمياً غليظاً ثم تخرج في الشعر وشاع ذكره حتى اشتري لعثمان فقال لا حاجة لي بمن اذا شبع شبب بالنساء ، واذا جاع هجا فردّه فاشتراه رجل منهم اسمه أبو معبد فعلق ابنته وانهم خرجوا الى سفر فتشوّق أبو معبد الى ابنته فكان يتمثل بهذا البيت :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا   كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فأكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت فمنهـا في التشبيب بابنة مولاه :

وبتنا وسادانا الى علجـانة   وحقف تهـاداه الرياح تهاديا

توسدني كفـاً وتثني بمعصم   عليّ وتحوي رجلها من ورائيا

وهبت شمال آخر الليل قرة   ولا ثوب الا درعها وردائيا

فما زال ثوبي طيباً من نسيمها   الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

فذهب جندل به ليبيعه فأنشد

وما كنت أخشى جندلاً ان يبيعني بشيء ولو أمست أنامله صفرا
أخوكم ومولى مالكم وربيبكم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا
أشوقاً ولما يمض بي غير ليلة فكيف اذا سار المطي بنا عشرا

فرقّ له فردّه ولامه قومه وأرادوا قتل العبد فضنّ به ثم رفعه الحاكم فعزره ثمانين وانصرف به فأنشد

أبا معبد بئس العزاضة للفتى ثمانون لم تترك لحلفكم جلدا
كسوني غداة البين سمرا كأنها شياطين لم تترك قراراً ولا عهدا
فما السجن الا ظلّ بيت دخلته وما السوط الا جلدة خالطت جلدا
أبا معبد والله ما حلّ حبها ثمانون سوطاً بل يزيد بها وجدا
فان يقتلوني يقتلوا ابن وليدة وأن يتركوني يتركوا اسدا وردا
غداً يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بعدا

فلما علم مولاه اصراره أحرقه

* *

(ومن الأول) المتجردة وهي امرأة المنذر بن ماء السماء ، وكانت من أعظم نساء العرب جمالاً ، فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديميه النابغة والمنخل ، فشغفت بالمنخل وامتزجا فأمر النعمان يوماً النابغة أن يصفها ، فقال:

واذا طعنت طعنت في مستهدف رابي المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت عن مستحصف نزع الحزّور بالرشاء المحصد

فقال المنخل هذا وصف معاين ، وحرض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفاً ، فلما خرج النعمان الى الصيد رجع بغتة فوجد المتجردة مع المنخل قد ألبسته أحد خلخاليها وشدت رجله الى رجلها وله فيها

ان كنت عاذلتي فسيري　　نحو العراق ولا تحوري
ولقد دخلت على الفتـا　　ة الخدر في اليوم المطير
والكاعب الحسنـــاء تر　　فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتهـــا فتـــدافعت　　مشي القطاة الى الغدير
ولثمتهـــا فتنفســـت　　كتنفس الظبي البـــهير
فرنت وقالت هل بجسـ　　مك منخل من فتور
ما شف جسمي غير حبـــك فاهتـدى وعني وسير
وأحبهـــا وتحبــــني　　ويحب ناقتهـا بعـــيري
ولقد شربت من المـــدا　　مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانـــني　　رب الخورنـق والدير
واذا صحـــوت فانني　　رب الشويهة والبعير
يا هند هل مـــن ناهل　　يا هند للعـــاني الأسير

+ +

(ومن الرابع) ما يحكى عن سليمان بن عبد الملك ، وكان شديد الغيرة انه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارساً معروفاً بالشجاعة والمحبة لسليمان ، وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيراً لمعرفته بغيرة سليمان ، فزاره ضيوف فأكرمهم فقالوا يا سنان لم تكرمنا ما لم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمر فأنشد

محجوبة سمعت صوتي فأرقها　　في آخر الليل لما بلها السحر

تثني على فخذها مثنى معصفرة　والحلى منها على لباتهـــا حصر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق　فدمعها الطروق الصوت منحدر
في ليلة النصف ما يدري مضاجعها　أوجههـــا عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم　يكاد من رقـــة المشي ينفطــر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فزعاً يتفهمه ، وكانت عنده جارية اسمهـا عوان ، وكان يحبها حباً شديداً وهي مشهورة بالجمال . فجاء اليها فرآها على صفة الأبيات ، وكانت يقظانه ، فلمـــا فطنت به قالت يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال

الا رب صوت جاءني من مشوّه　قبيح المحيا واضع الأب والجدّ
قصير نجـــاد السيف جعد بنانه　الى أمـــة يدعى معاً والى عبد

فسكن ما به وقال : قد راعك صوته ، قالت صادف مني يا أمير المؤمنين فحلف ليقتلنه فأرسلت عبداً يحذره ، وقالت ان لحقته قبل فلك ديته وأنت حر ، فسبقت رسل سليمان فجاؤا به فنظر اليه ملياً ، ثم قال أنت المجتريء ويلك ؟ فقال أنا فارسك فاستبقني ، فقال لا أقتلك ولكن أزيل تفحلك ، وأمر به فخصي والقي في دير الخصيان

قالوا وفي ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة ، فكتب الى عامله ان أحصهم يعني أضبطهم لننظر في أمرهم　فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم ، فقال كل عند خصيه كلمة سارت مثلاً ، فقال طوبس ما هذا الاختتان أعيد علينا　وقال دلال بل هو الختان الأكبر ، وقال نسيم السحر بالخصي صرت مخنثاً حقاً　وقال نومة الضحى بل صرنا نساء حقاً . وقال ابن الفؤاد استرحنا من حمل ميزاب البول معنا　وقال ظل الشجر ما نصنع بسلاح لا يستعمل

ويروى ان الذي سمعه سليمان لم يكن سناناً الكلبي بل كان سميراً الأيلي

وفي الرواية بدل محجوبة وعادة سمعت وبدل قوله في ليـــلة النصف في ليلة البدر وهو اليق في هذا المقام لأن القمر وان لم ينقص ليلة النصف ، فهو في ليلة البدر أبهج ولم يلهج الشعراء إلا به وان سليمان قال حين روجع في خصيه ان الفرس بصهل فتستودق الحجرة ، والفحل يخطر فتضبع الناقة والتيس ينب فتستحرم العنز والرجل يغني فتشبق المرأة

٥
٥ ٥

(ومن الثاني) ما حكي انه كان في بني إسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة لفقره ، وكان عنده امرأة مفرطة في الجمال ، وكان إذا قدم قامت لخدمته من فرش وتقديم طعام ونحوه وان عجوزاً دخلت عليها فتأملت حسنها وذهبت فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز بمال كثير على أن تخلصها له ، فقالت لها كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل بالمسحاة ، ولو طاوعتني لزوجتك بالملك وأمرتها أن تعصيه وترجع عن خدمته

فجاء فلم تقم اليه على العادة ، ولم تقدم له شيئاً ، فقال ما هذا يا هناه ؟ قالت هو ما تراه فقال أطلقك ، قالت نعم ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر اليها كف ومدّ يده فشلت ، فرفع الأمر الى نبي ذلك الزمان ، فجاءه الوحي ان يعبني ما فعل بصاحب المسحاة وقد ساق هذه الحكاية في النزهة في باب من عشق بالسماع وذكر أن المرأة أيضاً فلجت وأنهـــا ماتت بعـــد سبعة أيام

٥
٥ ٥

(ومنه) الزرقاء جارية ابن رامين كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء ، وافتتن بها غالب أهل زمانها ، وكان الناس يقصدونها لسماع صوتها

ويبذلون لها مالاً خطيراً فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفي بهـا ، فدخل عليها ومعه لؤلؤتان ، فقال لها قد بذل لي فيهما أربعون ألف درهم . فقالت هبهما لي . فقال افعل ان شئت . قالت شئت فحلف لا يعطيهما لها الا من فمه الى فمها

فغمزت الخادم فخرج ، وكان يزيد واقفاً منكسراً بين يديها ، يعني كاتفاً يديه فجلس مقعياً يعني على رؤوس أصابعه وتقدم اليها فأقبلت لتتناولهما فجعل يزوغ بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت علية فأخذتهما وقالت المغلوب في استه عود فقال أما أنا والله لا يزال طيب هذه الرائحة في أنفي وفمي ما حييت أبداً وانها أفضت الى جعفر بن سليمان وأبوه عامل المنصور ، فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها في هذه الأيام

وقد خرج عليهم خارجي فغمز جعفر الخادم فأخرجها اليه فقبلت رأسه واجتلبته فرضي ولم يعتب بعدها وان جعفراً قال للزرقـــاء يوماً هل تمكن أحد من مجيئك يوماً منك بشيء فخشيت أن تكتمه ما عساه أن يكون بلغه فأخبرته بموافقة الصيرفي فاحتال عليه حتى واعترف بما نسب اليه فضربه حتى مـات

٥
٥ ٥

(ومن الثاني) ما حكي انه كان في بني إسرائيل ، رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه حتى كان لا يصبر عنها ساعة ، فتزوج بها وأقاما مدة فماتت فاشتد وجده وطار عقله .

فمضى الى المسيح عليه السلام وسأله أن يحييها له ، فقال لا يتيسر الا أن تهبها من عمرك شيئاً ، فقال قد وهبتها نصف عمري ، فأحياها له ومضيا وقد لحق عبوداً تعب شديد فجلسا يستريحان فوضع رأسه على ركبتها فنام ، فمر ملك الناحية فرآها فعلقت بقلبه وهو أيضاً فعرض عليهـــا أن تكون

معه فأجابته فحملها في قبة وانتبه عبود فلم يجد أحداً فقام مرعوباً ، فوجد قوماً من المارة ينعتون حسنها. فسألهم فأخبروه بأنها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها بما صنع وهي ساكتة .

فقال لها قد كنت مت وسألت المسيح في احيائك ، ووهبتك نصف عمري على أن تكوني معي ، فحيث لم ترضي فردّي عليّ ما وهبتك ، فقالت قد رددته ، فما خرجت الكلمة حتى ماتت

○
○ ○

(ومن الثالث) ما حكي عن لقمان بن عاد الذي كان يضبط عمره بأن يمسك النسر من حين خروجه من البيضة إلى أن يموت فيؤتي بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد على ما قيل مائة عام انه كان مغرماً بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد الاحتراس وهنّ يخنه

فتزوج جارية صغيرة وجعلها في بيت نقره في جبل لا يصعد عليه إلا بالسلاسل ، وانّ عمليقاً نظرها فوقعت من قلبه ، فأمر قومه فشدّوه في حزمة سيوف واستودعوها لقمان مدة فوضعها في بيته ، فلما خرج تحرَّك العمليق فحلته الجارية فكان يكون معها الى أن يأتي لقمان فتجعله في السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم فدفعها ، ثم جلس فنظر الى نخامة في سقف بيته ، فسألها عمن فعلها قالت أنا فأمرها تفعل فقصرت لأن النساء لا يقدرون على رفع النخامة إلى الأعلى لضعف مزاجهنّ

فقال يا ويلتاه والسيوف دهتني ، ثم رمى المرأة من أعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فضربها بحجر فكسر رأسها فضربت العرب أمرها مثلاً لمن يؤخذ بلا ذنب فكان يقول المظلوم منهم ، ما أذنبت إلا ذنب صخر يعني ابنة لقمان

○
○ ○

(ومن الثاني) ما حكي أن رجلاً عشق ابنة عمه حتى فني في حبها ، فتزوج بها فكان لا يصبر عنها ساعة ، وكان يجالس الناس فلم يصبر الى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع

وان ابن عم لها غيره اكترى داراً الى جانبها وراسلها فوقع حب كل عند الآخر . فنزلت اليه ودخل زوجها فلم يجدها وسأل أمها فقالت تقضين حاجة فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها ، واذا هي قد أتت من الدار فعزم عليها ان تصدقه أين كانت .

فقالت أما إذا عزمت عليَّ فانني أصدقك ، وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق أمها وهرب ، فكان كثيراً مـــا يتمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتي .

الصنف الثاني في ذكر من اشتدت به الغيرة الى ان خامرته الحيرة فجرته الى تهمة محبوبه فآثر قتله على نيل مطلوبه

حكي أن عبد الله بن رغبان الكلبي ، وقيل عبد السلام المشهور بديك الجن الحمصي ، كان أديباً حاذقاً ، شاعراً لبيباً كأنما تنطق قريحته بالرقة واللطافة ، والغزل والظرافة إلا أنه كان من أعظم الفساق بين المشاق ، وأجمعهم للقساوة والاشتياق

وانه عشق جارية وغلاماً واشتد بهما كلفه وتهالك في حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما ، وكان يجعل الجارية عن يمينه ، والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمها ويشرب من يدها تارة والغلام أخرى، ولم يزل كذلك الى أن أحسن نفسه من شدة الحب انه سيموت ويصيران الى غيره فذبحهما وحرقهما ، وعمل من رمادهما برنيتين ، فكان يشرب فيهما ويقبلهما عندالاشتياق وأشعاره في ذلك متظافرة ، ومن أحسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية قوله

يا طلعة طلع الحمام عليها	فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفي في مجال خناقها	ومدامعي تجري على خديها
روّيت من دمها الثرى ولطالما	روّى الهوى شفتيَّ من شفتيها
فوحق نعليها لما وطىء الحصى	شيء أعز عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن	أبكي اذا سقط الذباب عليها

لكن بخلت على العيون بلحظها　　وأنفت من نظر العيون اليهـــا

ومن لطيف شعره أيضاً

جاءت تزور فراشي بعدماقبرت　　فظللت الثم نحراً زانـــه الجيد

وقلت قرة عيني قد بعثت لنـا　　فكيف ذا وطريق القبر مسدود

قالت هناك عظامي فيه مودعة　　تعيث فيها بنات الأرض والدود

وهذه الروح قد جاءتك زائرة　　هذي زيارة من في القـبر ملحود

وعند تقبيل برنية الغلام

أشفقت ان يرد الزمان بغدره　　أو ابتلى بعد الوصـــال بهجره

قمرقد استخرجتـــه من دجنه　　لبليتي وأثرتـــه من خـــدره

فقتلتـــه وله عـــليّ كرامة　　فلي الحشا وله الفـــؤاد بأسره

عهدي به ميتاً كأحسن نائم　　والطرف يسفح دمعتي في نحره

لو كان يدري الميت ماذا بعـده　　بالحي منه بكى له في قـــبره

غد ص يكاد تفيض منهـــا نفسه　　ويكاد يخرج قلبـــه من صدره

ومن لطيف شعره في الدعاء على المحبوب

كيف الدعاء على من جار أو ظلما　　ومالكي ظالم في كل ما حكما

لا آخذ الله من أهـــوى بجفوته　　عني ولا اقتصّ لي منه ولا ظلما

° ° °

(ومما أرّخه الفرس) عن أردشير ملك الطوائف ، انه لما حضر ثرثار ، وهي قلعة في بر سنجار من مدن الشرق استعصم بهـــا ملكها المعروف

بالساطرون وطال الأمر فصعدت ابنته يوماً على القلعة فرأت اردشير فعلقته فرمت اليه بكتاب في نشابة فيه ان أنت شرطت لي أن تتزوجني عرفتك كيف تأخذ القلعة فراجعها اني شرطت لك ذلك فدلته

فلما أخذ القلعة وتزوج بها وأقاما مدة ضجرت ذات ليلة من شيء يؤالمها في الفراش فكشفوا فاذا هي باقة نرجس فتفكر في رقة جلدها فقال لها ما كان يطعمك أبوك قالت الشهد ومخ العظم والزبد فقال اذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف بي واشتد عنده التخيل والغيرة والحساب فقتلها

* *

وحكى صاحب محاسن البلدان ونزهة الأزمان. ان لكل اقليم اختصاصاً بصفة وتميزاً بحالة تغلب عليه من قبل مـــا تتغير به الكائنات الفاسدة من العلويات وغيرها

ان مصر وضعت في طالع الجوزاء وهي تعرف عندهم بالتوأمين، والعذراء والمؤنسة ومقتضاها الرقة وسرعة التأليف ، واللطف وعدم الانضباط على حالة وقلة الغيرة وكثرة الغفلة . وقد ظهر أثر ذلك في أفعالهم

قال ألا ترى الى لطف العزيز وتغافله ، وقد رأى زوجته متهيئة للخلوة من غلق الباب ونحوه ولم يكن عـــالماً بعصمة يوسف عليه السلام ليقال انه استند الى ذلك ومع هذا قال للرجل أعرض عن هذا، وقال للمرأة استغفري لذنبك .

وعكس ذلك الاقليم الخامس فقد وضع في طالع المريخ ومقتضاه الغلظة واليبس والقسوة وسفك الدم . ألا ترى ان ملكاً من ملوك الأندلس كان

شديد الكلف بجاريه عنده حتى انه كان لا يستطيع عنهـا صبراً فجلس مع ندمائه يوماً وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتاً

فلما انقضى المجلس جيء بطست فوضع بين يدي مستعبد الصوت ، وقال له الملك اكشفه ، فاذا فيه رأس مقطوع ، فقـال له استعد الصوت منها فقام مريضاً وقد نقل الحكاية أبو حيان في تفسيره ملخصاً .

الصنف الثالث في ذكر من عانده الزمان في مطلوبه حتى شورك في محبوبه فصنع من الحيل ما افضى الى قتله وقتل من شاركه في فعله

حكى لي رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، أن رجلاً موصلياً علق امرأة فزاد بها وجده ، فكان يصبر عنها ساعة وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها وأقاما مدة وجاء يوماً فوجدها تأكل في طعام لم يكن جاء به هو ، فسألها عنه فقالت من بعض أهلي .

فداخله من ذلك شيء وقوى عنده وتجسس عن أمرها فلم يقع على شيء فمضى وركّب دواء سميا ، ثم جاء به اليها فقال احتفظي بهذا فانه باهي ، فقالت كل منه فأكل ورفعت الباقي ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم متمرضاً فوجدها والرجل ميتين فخرج وقد اتفق عليه الغم وباقي السم فمات من ليلته .

× ×

(ورأيت) في الشهنامة الفارسية ما ترجمته أن أبرويز أحد ملوك الفرس تزوج امرأة صغيرة بديعة في الحسن وقد بلغ ثمانين سنة فوجد بها وازداد

عشقه لها وهي تظهر حبه وتخفي بغضه ، وعلقت ولده واشتد ميلها اليه ، وان الملك دخل فرآهما على الحالة المنكرة فكادت نفسه ان تزهق .

وعلم انه ان أظهر انه رآهما ، أمرت المرأة ولده بقتله فرجع وأخذ في تدبير الحيلة فأخذ كتاباً وسم ورقه وجلده بالذهب ورصعه بالجواهر وأودعه صندوقاً وجاء به الى المرأة فقال لها قد علمت ما حوت يدي من الذخائر والنفائس .

غير انه لم يكن يعدل نفسي الا هذا الصندوق فاحتفظى به وعلم انها ستطلع عليه فلما خلت به أخبرته القصة فقال عليّ بالصندوق فأحضرته ففضه فلم يجد الا الكتاب مطبوقاً ، فحاول فتحه فوجد ورقه ممتلقاً بعضه ببعض ، فجعل يبل أصبعه من ريقه ويتصفح الأوراق فلعب السم فيه وعلم بالحيلة ، فأخذ السيف وخرج فضرب أباه فسقطا ميتين .

+ +

(ووقفت) في سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق على كتاب لم أعرف مؤلفه ، سماه درر الأفكار في التحريض على تزويج الأبكار ، ذكر فيه ما ملخصه

ان قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب لأن حكماءهم يقولون ان المرأة لا تلقي مقاليد طاعتها ولا تصدق لطائف شهوتهـــا ولا تظهر حسن مودتها إلا لمن يفض ختام بكارتها لأنه القاطف لزهر محاسنها والمجتلي على أول مطالع بدر مواطنها فان وقع منها الغيرة ودفنا در لا يعتديه ونزر لا ينبغي التمسك بسببه . ولم تزل هذه الوصايا عندهم محفوظة وبعين الكمال ملحوظة .

وان ملكاً تجاوز الستين ولم يرزق ولداً وكان ذا ملك عظيم ، ومـــال

ورزق جسيم ، فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه فجمع أهل التنجيم والخطوط وأمرهم بالنظر في ذلك فرأوا انه ان تزوج من الحبشة رزق ولداً يكون له الملك .

فأرسل فجيء له ببنت فاختاروا له طالعاً يبني بها فيه وواقعها ، فحملت وجاءت بذكر صحيح سوى حسن الخلقة ، فأولم الملك أربعين صباحاً ونشأ الولد فحفظ الأدب والحكمة ، وان أباه طلب تزويجه ونادى بعرض البنات عليه ، فوقع اختياره على واحدة ليست بالشريفة المناسبة للملك ، فأرادوا تحويله عنها فأبى فزوجه بها على غضاضة في نفسه

ودخل فوجدها ثيباً ، فكتم أباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها ، وان أمه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن في حب كل منها لصاحبه فيجدنــــه أعظم حباً لهـــا ، فكن يخبرن الملك فيقول ان صدق الحدس فانها ثيب ولا يستطيع أحد أن يكلمه في أمرها .

فلما أفضى الملك اليه بعد والده دخل يوماً فوجدها كالتي فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها ، وكان إذا جامعها تدوم حمرة وجهها مصفرة يوماً وهذه والتي تغيب حال الفعل تسمى الربوخ . فسألها عن العلة ، فأجابت انها تشكو صداعاً وكان عارفاً بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره ان يغضبها ، فأمسك وتكرر منه رؤيتها كذلك وكان قد برع في الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة وأتى بها الى بيتها فوضعها في صندوق محرز في خزانة سره ، وأخذ مفتاحها وجعل كلما جامعها أخرج من الطيب ودهن مذاكيره وسرته وأمرها فتدهن فرجها وأخبرها ان ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وانه يقوي الأعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة

وخرج عنها فجاء صاحبهـــا فكانت تطيبه من الطيب الى ان علم ثبوته

ذلك عندها فجاء بسم قاتل لوقته فأوهمها الأخذ من الدهن ووضع ذلك فيه وأعلمها انه خارج في شغل يقيم فيه سبعة أيام ، وخرج بعسكره من البلد ، ثم عاد من الغد على غفلة مستخفياً ، فدخل عليها فوجدها والرجل فيها رمق الحياة فرمى عنقها وسأل عن الرجل فاذا هو جارها نشأ معها صغيراً ، فعلم انه الذي أزال بكارتها ، ثم أقام مدة فكان يعاوده من حبها وهو على سرير ملكه ما يذهب عقله فيقوم الى الخلوة ويذكر عشقها للسوقة عليه وإيثارها الارذال فيسكن ما به ويعود فلم يزل أياماً على ذلك حتى غلب الحب على التآسي فمات .

الصنف الرابع في ذكر من عوقب بالفسق
ولم يشتهر بالعشق

قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد للكل باب عقوبة الفساق، وأهل العشق الصحيح بريؤون من الاثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم

فمن أهل هذا الصنف ما حكي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انه آلى أن لا يهدر دم مسلم فأتى يوماً بشاب أمرد مقتول ، فعرف المكان الذي وجد فيه واستكتم من حاء به أمره وقال أرجو أن لا يفوتني ، فلما كان بعد حول رأى طفلاً ملقى موضع الشاب فقال قد أدركت ما أطلب وأخذه فسلمه الى من ترضعه وأجرى عليها ما تحتاج اليه ، وقال لها اذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فاعلميني بها

فجاءت جارية يوماً الى المرأة ، فقالت ان سيدتي تطلب الغلام ساعة فمضت به اليها فرشفته وضمته ثم دفعته الى المرأة فجاءت الى عمر فأعلمته بذلك فأخذ سيفه ومضى الى الباب فاذا أبوها شيخ من الأنصار قد كبر فقال أين ابنتك فقال بالبيت فقال كيف سيرتها فقال على أحسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحقي فقال مكانك حتى أدخل عليها وأعظها فقال افعل فاستأذن عليها فحين صار عندها قال أصدقيني ما فعلت والا رميت عنقك فقالت يا أمير المؤمنين اني والله محدثتك بما كان لا أكذبك شيئاً ، اعلم ان عجوزاً كانت تدخل عليّ من الصغر وتخدمني الى ان صرت كما ترى وأنا أظنها صالحة فقالت لي يوماً قد عزمت على مكة وعندي ابنتي ولا آمن أن أتركها

في البيت فأريد أن أجعلها عندك حتى أعود فقلت كرامة فمضت وأحضرت شخصاً مؤزراً مبرقعاً . فلما كان الليل ونمت آمنة وثب على صدري فنال مني فعمدت الى شفرة بالقرب مني ، ففجرت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت

فبعد مدة رأيت اني حامل ، فلما وضعت جعلته مكانه ، فدعـــا لها وجزاها خيراً وأوصى أباها بها

ومنهم اعرابي من أسد

خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة ، فقدمت له ما يحتاج اليه فلما لم ير عندها أحد أسامها نفسها ، فقالت على رسلك لأصلح من شأني وغابت ، ثم جاءت وقد أخفت مدية فوثب ليعانقها فضربته بها في نحره فخرّ ميتاً ، وسقطت حين رأت الدم

وجاء بعض أهلها وهي على تلك الحالة ، فأجلسها حتى سكن ما بهـــا وحدثته القصة فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل جعفر بن أبي علية وقيل صيفي بن سعيد الباهلي وقيل غيرهما هذه الأبيات

لعمري لقد أخفت معاداة ضيفها وسوت عليـه مهـــده ثم برت
فلما بغاها نفسها غضبت لهـــا عروق نمت وسط الثرى فاستقرت
وشدت على ذي مدية الكف معصما وضيناً وعزت نفسها فاستمرت
فأمت بها في نحره وهو يبتغي النكـــاح ومرت في حشاه وجرت
فنح كان الغيل في جوف صدره وأدركها ضعف النساء فخرت

× ×

ويقرب منه ما حكى أن رجلاً أضـــاف بني هذيل ، فحين خرج من

البيت رأى جارية منهم فراودها عن نفسها فتعاسفا فأخذت حجرا فضربته به ففضت كبده ، وبلغ عمر فقال هو قتيل لا يودى . وغزا رجل فخرج جاره فرأى في بيته مصباحاً وأنصت فسمع قائلاً يقول

وأشعث غره الاسلام مني خلوت بعرسه ليل التمام
أبيت على ترائبها ويضحى على جرداء لاحقة الحزام
كأن مواضع الربلات منها فئام ينتمين الى فئام

فدخل فقتله ، وكان في عهد عمر أيضاً فلما أصبح أعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل الا خيراً ، فقال له أقتله فقال قد فعلت فجزاه خيراً واقتدى به في عدم ايداء الفاسق عبد الملك بن مروان وقد حمل اليه رجل راود امرأة عن نفسها فأغلقت بينها وبينه ، فأدخل رأسه فشدخته وقال لا يودي .

وأما مصعب بن الزبير فأخذ دبة رجل وجده مع زوجته فقتله .

ومنهم ما حكي عن عبد الله بن سبرة

ان امرأة مغيبة يعني غاب عنها زوجها أرسلت اليه ، فلما جاء أخبرته ان رجلا يسومها نفسها ، فقال ابعثي اليه واختفى فلما جاء قام فقتله ، وأمر الجارية فحفرت حفرة والقاه فيها ، وقتل الجارية وجعلها معه وأعطى المرأة سبعين ديناراً ، وقال اشتري بها خادماً وقال

وكل حديث جاوز اثنين شائع

وكان عبد الله هذا من أعظم الناس مروءة حتى قيل ان شامياً اسمه فيروز خرج الى العرب ببيع العطر فوضع يده على عجيزة امرأة فقالت يا عبدالله بن سبرة وبلغه فخرج من أذربيجان في طلب العطار الى الشام حتى قتله:

ومنهم ما حكى عن جويرية بن اسماء عن عمه

قال خرجنا نريد الحاج فبتنا ليلة وبالقرب منا امرأة ، فلما أصبحنا إذا حية قد التفت على عنقها ، فخفنـــا من ذلك فلم تزل الى أن دخلنا الحرم فانسابت

فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض يقول للمرأة أي شقيــة أين حيتك ؟ فقالت في النار . فقال ستعلمين من في النار ، فلما أردنا الخروج عزمت على صديق لي وبينه وبين الغريض صداقة أن يمضي بنا اليه لنسمع من غنائه. فلما سرنا عنده أكرمنا وسأله صاحبي الغناء فغنى

مرضت فلم تحفل عليّ جنوب — وأدنيت والممشى الى قريب

فلا يبعد الله الشباب وقولنـــا — إذا ما صبونا صبوة ستتوب

واستعدناه الصوت فغنى قول المجنون عفا الله عن ليلى الأبيات السابقة ، فتخيلنا ان الجبال ترقص طرباً ، ثم استزدناه عند الوداع ، فغنى أبيات أبي الأسود الدؤلي التي أوصى بها ابنته عند الزفاف

خذي العفو مني تستديمي مودتي — ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب

فاني رأيت الحب في الصدر والأذى — اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فلما رجعنا اذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت عليها ، وإذا بالوادي كله حيات فأقبلن ينهشنها حتى ماتت . فسألت جاريتها فقالت بغت ثلاث مرات كل مرة تلد ولداً فتحرقه .

القسم السادس

في ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الأحبة

وهو بالنسبة الى من استدرك الغلط واستقال ما فرط والى من تمادى على نقض العهد واخلاف الوعد ، ينحصر في صنفين أردفهما بثالث من هـــذا الكتاب ، إذا لم يكن مناسبا للباب

قد سبق لك في الخطبة ان المؤلف رحمـــه الله قد أكثر في كتـــابه من التخليط في تبويبه ، وذكر غير المناسب لمطلوبه ، ولكن لعمر لم يقع له بهذة الأوصاف أكثر من الباب السابـع حيث ترجمـــه بمن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر المحبوب وهجر ، فان الوقف على هذه الترجمة يفهم منها انه يذكر متحابين نكث أحدهما عهد الآخر ، ولم يذكر من ذلك الا قصة التي ترجم لها في البـــاب بمن تاب عن عقوقه ورجع الى معشوقه فهام في نادي الهوى وسوقه وها أنا أذكر ما وقع لي من ذلك على الشرط المتقدم ان شاء الله تعالى

الصنف الاول في كر من تاب عن الخلاف ورجع
الى حسن الائتلاف وكان محبوبه في الوجود
فتراضيا على ضم شمل العهود

حكى المسعودي في جزء لطيف سماه اقتــداح زناد الأشواق واسترجاع شوارد المشاق .

ان المجنون أخبر بعد توحشه بزواج ليلى ، فجاء ولبس أثوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وانه لم يبق له فيها أرب . لما كان قد عاهدها وعاهدته انها تدوم معه على المحبة ولا تنقض لعهد الصحبة .

فبينما هو ليلة نائم إذ رآها باكية فدنا منها فولت وجهها وقالت أي غادر لو ملكت من أمري ما تملكه أنت من أمرك ما فعلت وأيم الله إني لم أكن معه الا كمفترش النار في الهواجر أو متوسد السعدان عاريــاً فانتبه مرعوباً باكياً ، ثم نزع ما عليه وعاد الى التوحش .

× ×

وفيه أيضاً ان قيس بن ذريح حين تزوجت لبنى خرج متصفحاً أحيــاء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى فتزوج بها ، وقال عشق بعشق وامرأة بامرأة وأقام معها ، والصحيح ان ذلك لم يكن باختياره ، وإنمــا وقع بحيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر في قصته .

× ×

وفيه ونقله المصنف هنا أن عزة أرادت أن تعلم ما لها عند كثير فتنكرت ومرت به متعرضة ، فقام اليها وكلمها فقالت أين حبك لعزة ؟ قال جعلت فداءك لو انها أمة لوهبتها لك . قالت لا تفعل فقد بلغني انها لك مخلصة وفي المحبة صادقة . فقال دعيني منها فهل لك في المخالاة ؟ قالت وكيف تصنع بما قلت فيها ؟ قال أديره فيك ، ثم أنشد يقول

ما وصل عزة الا وصل غانية   في وصل غانية عن وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فبهت ، الى هنـــا يا فاسق فهلا كنت مثل جميل حيث يقول

لحا الله من لا ينفع الوعد عنده   ومن حبله ان مد غير متـــين
ومن هو ذو وجهين ليس بدائم   على العهد خـــلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل الى أن قبلته ولا مناقضة بين هذ وبين ما تقدم من انه أثبت من جميل لقوله هنيئاً مريئاً البيت وقول جميل رمى الله في عيني بثينة الأبيات لأن تلك أدل على الأشفق وهذه على الأعشق .

× ×

وأما قصة ذي الرمة حيث عــابت عليه المرأة تشبيهه محبوبته بالعنز في الأبيات التي منها

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل   وبين النقا أأنت أم أم سالم

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلة فأعادتها وصفحت فليس من هــذه القبيل إذ ليس بنقض عهد وإنما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوب قــاد اليه التوغل في التشبيب ونظيرها ما سبق في قصة كثير من اعتراض العجـــوز عليه في قوله فما روضة بالحزن البيتين ، وأما من رجع نادماً على الهفوات فوجد الحبيب قد فات فجرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل .

ومنهم ما حكاه في النزهة ونقله هنا مجهولا

ان كعب بن مسعدة الغفاري ، قال خرجت أنا ومالك بن غفيلة العذري نمشي في القمر إذا بنسوة تقول إحداهن أي والله هو ، ثم قربن منا فقالت إحداهن قل لصاحبك :

ليست لياليك في حاج بعائدة كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقالت قد سمعت فأجب قال قد انقطعت فأجب أنت فقلت ولم يحضرني غيره

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقريت الا وجارية تقول أجب المرأة التى كلمتك ، فلما صرت اليها ، قالت أنت المجيب . قلت نعم ، قالت فما أقصى جوابك قلت لم يحضرني غيره فقالت لم يخلق الله أحب إليّ من الذي كان معك فقلت عليّ ان احضره اليك ، فقالت هيهات فضمنته في الليلة القابلة ورجعت فرأيته في منزلي فأخبرني بالقصة كالمكاشف فقلت له قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة فلما كان الوقت مضيناً فاذا بالمجلس قد طيب وفرش فجلسنا فتعاتبا فأنشدته أبيات أميمة امرأة ابن الدمينة .

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم

وأبرزتني للناس ثم تركتني لها غرضاً أرمي وأنت سليم

فلو كان قول يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

فأجابها

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن وفي بعض هـــذا للمحب عزاء
جزيتك ضعف الودّ ثم صرمتني فحبـــك في قلـــبي الى اذاء

فالتفتت إليّ وقالت ألا تسمع فغمزته فكف ثم أنشدت

تجاهلت وصلي حين لاحت عمايتي فهلا صرمت الحبل إذ أنا أبصر
ولي من قوى الحبل الذي قدقطعته نصيب ولي رأي وعقل موفر
ولكنما آذنت بالصـــرم بغتـة ولست على مثل الذي جئت أقدر

فأجابها

لقد جعلت نفسي وأنت احترمتها وكنت أعز الناس عنك نطيب

وفي روضة القلوب بدل هذا البيت

لقد كنت أنهي النفس عنك لعلها إذا وعدت بالنأي عنك تطيب

وفيها انه قبلها وأنشد :

دمعي عليك من الجفون سكوب والقلب منـك مروع مكروب
لا شيء في الدنيا ألذ من الهوى ان لم يخن عهد الحبيب حبيب

فأجابته

خلوتم بانواع السرور هناكم وأفردتموني للصبابة والحزن
وعذبتموني بالصدود وانني لراض بما ترضونه لي من الغـــبن

والمشهور انهما لم يأتلفا بعد بل حين أنشد لقد كنت أنهي النفس البيت ، قالت له أو كنت تفعل ما فيك خير بعدها وافترقا ، فقالت لكعب ما قلت لك انك لا تفى بضمانك ، ولكن اذا كان السحر فأتني . قال كعب فحثت

فاذا أنا بالصباح فسألت جارية فقالت حين خرجتما جعلت في عنقها انشوطة وخنقت نفسها، فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفتكره فتقول انه لقاسي القلب ، ثم شهقت فماتت

وبلغ الشاب فلزم قبرها فجاء به في النوم، فقالت هلا كان هذا قبل، فمات من وقته

قال في النزهة وأصل هذه الحكاية ، ان هذه المرأة كانت من عذرة ، واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على أعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما بصاحبه ، وكان في الحي رجل يحبها وهي لا تحبه ففار منها فوشي به الى أهلها فحجبوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه فأرسل زوجته عن لسانها الى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ، ولم تدر الزوجة تفصيل الأمر ، وكانت عند مالك أنفة .

فخرج الى مكة ناقضاً للعهد ، فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة ، وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها الى مكة حتى اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته .

الصنف الثاني في ذكر من تمادى على نقض العهد
ومات على اخلاف الوعد

أخرج في اقتداح زناد الأشواق عن الأصمعي ، قال نزلت على رجـل من بني هذيل فأكرمني وأطرفني بلطائف الأخبار ، فكان يوم أقصر ما يكون بالسرور .

فلما كان الليل فرش لي موضعاً لطيفاً موطئاً ونمت وجلس ، فقلت هل بقي لك ارب في السهر ؟ قال لا وعافاك الله ثم ودعني لما بي فحدثت ان له شأناً فأوهمته النوم فقام وفتح مخدعاً فاخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب . فقدم لها طعاماً وشراباً ، فلمـــا اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود ، ثم مكث ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلاً وهو مع الفعلتين يبكي بشهيق أخال فيه ان نفسه زهقت ثم أعاد عليها وادخلها المخدع وجلس يبكي وينشد

أأحبابنـــا لو تعلمون بحالنا   لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غـــيرنا   وأبديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتم ان لا تخونوا عهودنا   فقد وحياة الحب خنتم وما خنا
غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن   وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم   ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

ودام كذلك حتى طلع الفجر ، فجاء ليوقظني فرآني منتبهاً ، فلما ودعته تفرس ان في وجهي كلاماً ، فقال أنشدك الله هل رأيت من حالتي شيئاً أنكرته قلت اللهم نعم، قال أو تحب أن أطرفك به، قلت أي والله فتنفس الصعداء وكفكف دمعه فلم يملك ذلك وخنقته العبرة فأرسلها وأنشد:

أكفكف جفن العين والدمع سافح كشبه غدير فوق خدي جاريا
فيا ليت شعري ذا البكاء الى متى وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيض دمعه ، وقال يا أخا العرب كانت لي ابنة عم لا أملك الصبر عنها فتزوجت بها فكانت بي أبر من أمي ، وأقمنا مدة لم آل جهداً في الاتفاق عليها ، فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما أملقت أنفت مني فأخذت في التحامل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين ؟ قالت او فاعل أنت ما أقول ؟ قلت نعم ، قالت تطلقني فخامرني حبها فقلت قد فعلت فاعتزلتني وعاودني القلق فألمت طويلا وجئت وشكوت اليها ذلك وذكرتها العهود والمواثيق ، فطيبت نفسي وحلفت انها لا تتزوج ولا تتزين لغيري .

فقمت وجئتها يوماً فوجدتها على أحسن ما يكون من أنواع الزينة فكلمتها فلم تجب ، فسألت فقيل لي تزوجت فحلفت لها ان لا آخذ بدلها للبسها وزينتها التي عندي الا كلبة وفعلت فأنا الآن أمثلها بتذيين هذه الكلبة وأذكر غدرها فاسلبها وأعاقبها كما رأيت .

قلت فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط . قال نعم قد كلفها الذي تزوج بها شططاً وسلمها نقصاً ، فندمت فراسلتني فلم أجب مع انه لم يكن على البسيطة أعز عليّ منها ولكنها الغيرة تمنعني

قال الأصمعي فلم أر أغرب منها .

# #

وأخرج في النزهة عن الرياشي ، قال اتجر صديق لنا فحمل الصندل الى شهرزور وقد بلغه انه نافق . فلما حل بها صادف كساداً ، فمكث مغموماً فبينا هو كذلك إذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله ، فشكى اليها ما يجد من الغربة والوحدة وكساد متجره .

فقالت اما الكساد فسيزول ولم تزل الناس على هذا ، واما وحدتك وغربتك فلا أرى لها دواء الا أن تتزوج بمن تحفظك إذا غبت ، وتؤنسك إذا حضرت وتفرج عنك إذا حزنت .

قلت ومن أين لي بما ذكرت ؟ قالت أنا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى ، فشكرت صنيعها وأمرتها أن تفعل . فما مضت عني الا وقد جاءت الدلالون فاشتروا البضاعة بأحسن ربح الى أجل فتوسمت فيها الخير ، وجاءت فقالت قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها

فمضينا الى دار لطيفة وقد فرش لي قطيفة بزة ، فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين إلا أن عليها آثار الحزن وشعار الفرقة ، فسلمت بحشمة وجلست فقالت العجوز ها هي فتراضينا ودخلت بها ودمت أسبوعاً في أنعم حال غير اني أجدها تقوم من الصباح فتجلس في موضع يشرف على الأشجار وتبكي حتى ترتفع الشمس ، فلم أسألها عن ذلك .

فلما كان يوم وقد أخذها النوم حتى طلعت الشمس ، انتبهت مرعوبة ترتعد ، ثم ذهبت الى المشرف وعادت ومزقت أثوابها وجلست تبكي فلم تلهج يومها كله إلا بهذه الأبيات

أيا عين نوحي بالدموع السواجم على طامس بالشرق خافي المعالم
وسحى دما ان سح دمعك واسعفي حليف الهوى من قبل حمل التمائم

إذا ناحت الورقا على فقدانها ولم تك ذا عقل فما حال عالم
حرام عليّ النوم إذ فاتني به زمان البكا والنوح قبل الحمائم

فضاق صدري لحالها ، وراجعت نفسي في سؤالها ، ثم غلب علي عدم التصبر بعد أيام وهي تجالسني كالمشغولة وتقوم بما أحتاجه حتى إذا نمت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح الى المكان الذي يشرف على الشجر كعادتها . فقلت يا سيدتي قد ضاق صدري لحالك ، وأنا أعزم عليك الا ما أخبرتني بما أنت فيه.

فقالت أو لا بد ، قلت أي والله . قالت قد كان أبي ذا ثروة وعزة ، وكان لي ابن عم قد كفله أبي صغيراً فنشأت وإياه ليس عند أحدنا أعز من الآخر فزوجني منه ، فأقمنا لا نستطيع صبراً .

وكان في هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح ويغرّد بأنواع التغريد فاذا اختفت واحدة في شجرة دارت الأخرى عليها حتى تكاد أن تموت ، فاذا التقيا تعانقا وغردا .

فلما كان يوم مرّ بها حمام فطارت إحداها اليه ومضت فلم ترجع فأقامت الأخرى تغرد كل صباح الى ارتفاع الشمس ، ثم تلقي نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى ريشها.

فقلت له يوماً لئن فارقتني لأكونن كهذه . فقال أنا لا أفارقك أو أموت فقلت له قد تجد أحسن مني . قال معاذ الله أن يكون في الدنيا مثلك فأردت أن أعرف صدقه ، وكانت لي صديقة قد احتوت على أرفع رتبة من الجمال ، فاستحضرتها وأريته إياها من خلال السجف ، فوقعت بقلبه فراسلها فأجابته فتزوج بها فلم توافقه .

فرجع يطلب مني ما كنت عليه فأبت نفسي أن تطيع كما كانت وتشفع فلم يفد . فقال أطلقك مرة ، قلت نعم ففعل وخرج ، فلم أعرف خبره .

وإنما أخذتك لأنك غريب تفارقني ، فان رضيت هذا الحال والا فشأنك قلت فـــلأي شيء هجرك النوم قالت كفارة لنومي عن مناوحة الحمامة وسبقها لي .

الصنف الثالث في ذكر من أشبه العشاق في محبته
وشاكلهم في مودته فتعـــاهدا لشدة كلفه
بالمحبوب على عدم الفراق فنكث
احدهما عهد الاخر بعد التلاق

وهذا هو الذي عقد له المصنف البـــاب ، ووعدنا بزيادته لأن الترجمة له خلاف الصواب . وقصة عاتكة مع عبد الله وان كان لها بهذا الباب اعتلاق الا انها بما مضى الصق .

فمنهم صخر بن عمرو

وكان من أشجع العرب وأكرمهم وأجملهم، وكانت تحبه سلمى بنت عوف بن ربيعة بن حارث الرياحي ، وصخر هـــذا هو أخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر .

وكان عاهد سلمى على أن لا تتزوّج بعده وهو كذلك عاهدها ، وكان يقول إذا نظر اليها لا أكره الموت الا أنه يفرق بيني وبين هذه فلما كان اليوم المشهور بيوم الكلاب وهو الذي تحارب فيه بنو عوف وبنو الحرث ، التقى صخر مع ربيعة بن ثورالعوفي الاسدي بعدما غلبت بنو الحرث على بني أسد ونهبتهم فطعن ربيعة صخراً ، وكان رمح صخر قصيراً فأصاب ربيعة في بطنه حلقا من الدرع فمرض صخر سنة بالطعنة ، فكانت أمـــه تلاطفه

وقصرت سلمى في خدمته ، فسمع يوماً امرأة تقول لأمه كيف حال صخر ؟ فقالت نحن بخير ما دمنا نرى وجهه ، وسألت امرأته أخرى فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينعى ، فغم لذلك وأنشد

فأي امرىء ساوى بأم حليلة   فلا عاش الا في عنا وهوان

وحكى في النزهة انه جلس يوماً ليستريح وقد رفع سجف البيت فرأى سلمى واقفة تحادث رجلاً من بني عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه يقول لها ايباع هذا الكفل فقالت عن قريب .

فقال صخر لأمه عليّ بسيفي لأنظر هل صدىء أم لا فأتته به فجرده وهمّ بقتل سلمى ، فلمى دخلت رفع السيف فلم يستطع حمله فبكى وأنشد:

أهم بأمر الحزم لو استطيعه   وقد حيل بين العير والنزوان

وهذا مثل يضرب للعجز والبيت والذي قبله من قصيدة لصخر وأولها

أرى أم صخر لا تمل عيادتي   وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة   عليك ومن يغتر بالحدثان
آهم بأمر الحزم لو أستطيعه   وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد نبهت من كان نائماً   واسمعت من كانت له أذنان
فلو مت خير من حياة كأنها   محلة يعسوب برأس سنان
فأي امرىء ساوى بأم حليلة   فلا عاش الا في شقي وهوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة موضع الطعنة ، فقيل له اقطعها فحموا له حديدة فادخلوها فيها فقيل كيف صبرك فانشد

فان تسأليني هل صبرت فانني   صبور على ريب الزمان أريب

ثم مات فتزوجت سلمى بعده ، وقيل سبب موته انه سكر مع بلعاء

بن ربيعة ، وكان الآخر جميلاً عند يهودي فحسدهما على الحسن فسقاهما في الشراب سما والصحيح الأول.

≠

ومن لطيف شعر الخنساء في صخر قولها

قذى بعينك أم بالعين أعوار أم اقفرت إذ خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكي لصخر هي العبرا وقد ثكلت ودونه من جديد الترب أستار

تبكي خناس على صخر وحق لها إذ رابها الدهر ان الدهر ضرار

وما عجول على بو يحنّ له لها حنينان اعلان وأسرار

ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت فإنما هي اقبال وادبار

يوماً بأوجع منى حين فارقني صخر وللدهر أحلاه وأمرار

لا بد من ميتة في صرفها غير والدهر في صرفه حول وأطوار

يا صخر وراد ماء قد تبادره أهل الموارد ما في ورده عار

يمشي السبنتي الى هيجاء معضلة له سلاحان أنياب وأظفار

وأن صخراً لمولانا وسيدنا وان صخراً إذا يشتو لنحار

وان صخر التأتم الهداة به كانه علم في رأسه نار

لم تره جارة يمشي بساحتها لريبة حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما في البيت ياكله لكنه بارز بالصخر مهمار

طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر ضخم الدسيعة بالخيرات امار

وقالت أيضاً:

ألا يا صخر ان أبكيت عيني فقد ضحكتني زمناً طويلا
بكيتك في نساء معــولات وكنت أحق من أبدى العويلا
رفعت بك الخطوب وأنت حي فمن ذا يرفع الخطب الجليلا
إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وأدركت الخنساء الاسلام ، وحسن اسلامها ، فقالت لها عائشة يوماً أتبكين صخراً وهو في النار ، فقالت هو أشد لجزعي عليه وادعي للبكاء فعد من الأجوبة المسكتة .

ومنهم هدبة بن الخشرم

وكان معروفاً بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة ، وله أخ اسمه حوط وأخت اسمها سلمى تزوج بها زيادة بن اليزيد الذبياني، وهو رئيس قومه فراهنه أخو هدبة يوماً على اطلاق جملين يوماً وليلة في القيظ وحملوا الماء ، فاخذت أخت هدبة ماء زوجها الى أخيها فقصرت لذلك ابل زيادة فسبهـا فغضب حوط فثار بينهما شر

وعلم هدبة فبيت زيادة فقتله ورفع الأمر الى سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة وقد هرب هدبة فحبس عمه ، فجاء وسلم نفسه ومضى أخو زيادة فشكا الى معاوية فارسل الى سعيد أن يقود هدبة ان قامت البينة ، فكره الحكم وأرسلهم الى معاوية فسال هدبة عن الخبر فقال تريده نثراً أو نظماً فقال نظماً فانشد

ألا يا قومي للنوائب والدهر ... وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري
وللأرض كم من صالح قـــد تراكمت عليه فوارته بلمـــاعة قفر

الى ان ذكر القصة التي ذكرناها ، وانه قتله . فقال معاوية قد أقررت فهل للمقتول ولد قالوا نعم قال ردوه حتى يبلغ فحبس ثلاث سنين . فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها أرسل الى زوجته ، وكانت من أجمل النساء

وكان بها مغرماً ، فحضرت اليه في طيب وثياب فاخرة ، فحادثها ليلة ، وراودها عن نفسها فاجابت فحين تمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها وأنشد :

أأدنيتني حتى اذا ما جعلتني   لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف
رأت ساعدي غول وتحت ثيابه   جآجيء يدمي حزها والحراقف

وحين أخرج للقتل مرّ على زوجة مالك بن عوف ، فقالت في سبيل الله شبابك وصبرك وشعرك فانشد ارتجالاً

تعجب حي من أسير مكبل   صليب العصا باق على الرسفان
فلا تعجبي مني حليلة مالك   كذلك ياتي الدهر بالحدثان

ونظر الى زوجته فجزع وأنشد

أقلي عليّ اللوم يا أم بو زعا   ولا تجزعي مما أصاب فاوجما
ولاتنكحي ان فرق الدهر بيننا   اغم القفا والوجه أليس بانزعا
كليلا سوى ما كان من حد ضرسه   لدى الزاد مبطان العشيات أروعا
ضر وبا بلحييه على عظم زوره   اذا الناس هشوا للفعال مقنما
وتحلى بذي أكرومة وحمية   وصبراً إذا ما الدهر عض فاسرعا
وكوني حبيباً او لا روع جاهد   إذا ضنّ أعشاش الرجال تبرعا

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلا عن سؤاله وينشد الأشعار وهم يتعجبون ، فقال له عبد الرحمن بن حسان أتزوج هذه بعدك يريد زوجته فقال ان كنت بالشروط التي ذكرتها لها وأنشد اقلى على اللوم الأبيات ثم نظر الى زوجة مالك وقد قالت له كيف تصبر عن هذه فانشد

وجدت بها ما لم تجد أم واحد   ولا وجد حبي بابن أم كلاب

رأته طويل الساعدين شمردلا   كما اشترطت من قوة وشباب

فمالت الى شفرة جزار فجدعت بها أنفها وشفتيها ، قال ابن عساكر وأذنيها وأقبلت عليه ، فقالت أهذا حال من تتزوج قال لا الآن طاب الموت ثم التفت الى أبويه فرآهما في أسوأ حال قد تهيآ للحزن فأنشدهما

أبلياني اليوم صبراً منكما   ان حزناً ان بدا بادىء شر

لا أراني اليوم الا ميتاً   ان بعد الموت دار المستقر

اصبر اليوم فاني صابر   كل حي لقضاء وقدر

وأراد سعيد أن يفديه بمائة ناقة حمراء سليمة ، فقال أخو زيادة لو ملأت لي قبتك هذه مالا ما فديته لقوله

لنجدعن بايدينا أنوفكم   ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فسلمه اليه ، فلما أراد قتله أرسل الى عائشة لتستغفر له ثم صلى ركعتين وأقبل على الناس وقال لولا ان يقال جزع لا طلتهما.

قال السيوطي في شرح الشواهد ثم قال للقاتل أحد سيفك وثبت جنانك وباعد بين قدميك وأجد الضربة ، ثم قال بلغني ان القتيل يعقل فان كان كذلك فاني قابض رجلي وباسطها ثلاثاً . فلما رمى عنقه فعل ذلك .

وفي شرح الشواهد انه أول قتيل في الاسلام قوداً وخطبت بعد ذلك زوجته على ما بها من التشويه فتزوجت وتزينت ورؤيت ولها ولدان قد قاربا الترعرع .

ومنهم حمزة بن عبد الله بن الزبير

تزوج بفاطمة بنت القاسم بن جعفر بن أبي طالب ، وكانت ذات جمال ففتن بها ، فلما حضرته الوفاة أظهر انه لم يكن جازعاً على شيء غير تزويجها بعده بطلحة بن عمرو ، فحلفت له بصدقة ما لها وعتق رقيقها ان تزوجت ، فلما مات خطبها طلحة فأخبرته ، فقال ان حنثت وفيت عنك بضعف ما عليك . فتزوجته فوفى لها فولدت له ابراهيم وكان أوجه الناس ورمله فزوجها بمائة الف دينار فقيل له أنت اتجر الناس تزوجت فاطمة باربعين الف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت ابراهيم وأربعين الفاً.

ومنهم الحسن بن الحسن

خيره عمه الحسين بين إحدى بنتيه سكينة وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لأنها كانت منقطعة القرين في الجمال فقال الحسين رضي الله عنه قد اخترت لك فاطمة لأنها أشبه الناس بأمي فزوجه بها.

فلما حضرته الوفاة جزع جزعاً شديداً فقيل علام هذا ، وإنما تقدم على جدك وآبائك فقال هو كذلك ولكني أجد كرباً غير الموت، ثم قال لبعض أصحابه كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وقد جاء في كبكبة يظهر جزعاً عليّ ، وما هو الا ليخطب فاطمة

فلما سمعت حلفت أن لا تتزوجه فان فعلت لزمها عتق ما تملك ، فما كان

الا ان مات ، فأقبل عبد الله كما قال ، فرأى فاطمة تضرب وجهها فأرسل اليها ان أبقي عليك ، فان لنا فيك رأياً

فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها ، وقيل ان أمها التي اجبرتها ان تتزوجه ، بأن وقفت في الشمس وحلفت لا تدخل حتى تجيب .

ومنهم غسان بن جهضم

وكان مفتوناً بابنة عمه أم عقبة لأنهـــا كانت من أجمل النساء وأحياهنّ وأفضلهنّ خصالاً . حضرته الوفاة فجعـــل ينظر اليها ويبكي ، ثم قال لها اني منشدك أبياتاً أسألك فيهنّ عمن تصنعين بعــدي ، وأعزم عليك أن تصدقيني . فقالت قل فوالله لا أكذبك فأنشد

اخبري بالذي تريدين بعدي ما الذي تضمرين يا أم عقبه

تحفظيني من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلق وصحبه

أم تريدين ذا جمال ومـــال وأنا في التراب في سجن غربه

فأجابته

قد سمعنا الذي تقول وما قد خفته يا خليل من أم عقبه

أنا من احفظ النساء وارعـــا هن ما قد أوليت من حسن صحبه

سوف أبكيك ما حييت بشجو ومراث أقولهـــا وبندبه

فقال

أنا والله واثـــق بك لكن ربما خفت منك غدر النساء

بعد موت الأزواج يا خير من عو شر فارعى حقي بحسن وفاء

اني قد رجوت أن تحفظي العهد فكوني ان مت عند رجائي

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت

سأحفظ غسانا على بعد داره وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر
واني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا فما مثلي من الناس يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة تجول على الخدين مني فتكثر

فلما طالت الأيام قالت من مات فقد فات ، وأجابت الخاطب ، فلما كانت الليلة التي زفت فيها جاءها في النوم فأنشد

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له يوماً ولم تنجزي وعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها، فقالت النساء لها ما فقالت دهاك ما ترك غسان في الحياة اربا ولا في السرور رغبة أتاني في المنام فأنشدني هذه الأبيات ثم جعلت ترددها وتبكي فشاغلنها بالحديث ، فلما غفلن أخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجبن منها وقد نقل هذا في مجلس هشام حين تذاكروا غدر النساء فقضى منه عجباً

ومثل هذا ما حكاه عن موسى الهادي

انه كان مفتوناً بجارية من جواريه اسمها غادر فروي يوماً يبكي ، فقيل علام تبكي يا أمير المؤمنين ؟ فقال كأني بي وقد مت واخذ أخي هرون الخلافة ، فتزوج بغادر فقيل له حاشاك من هذا الخاطر . فزاد في البكاء وبلغ هرون فحضر وحلف له بالطلاق انه لا يتزوج بها وحلفت هي أيضاً

فلم يمض شهر حتى مـــات وأفضت الخلافة الى الرشيد فكفر عنه وعنها ، وتزوجها فلما كان ذات ليلة انتبهت من منامهـــا مرعوبة وذكرت انه أتاها فعاتبها وأنشدها :

أخلفت عهدي بعدما جاورت سكان المقابر
ونكحت غادرة أخي صدق الذي سماك غادر
لا يهنـــك الالف الجـديد ولا تدر عنـك الدوائر
ولحقت بي قبل الصباح وصرت حيث غدوت صائر

فقال لها الرشيد لا بأس عليك ، إنما هو أضغاث أحلام ، وجعل يغمزها وهي تضطرب في يده حتى ماتت

تم طبع الجزء الاول

ويليه الجزء الثاني وأوله

الباب الثالث في كر عشاق الغلمان الخ

الناشيء



تزيين الأسواق في أخبار العشاق

لِلعَلَّامة الطبيب الضَّرير
داود الأنطاكي

الجزء الثاني

الناشيء

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

في ذكر عشاق الغلمان واحوال من عدل الى الذكور عن النسوان وتفصيل ماجرى عليهم من تصاريف الزمان

أعلم أن أصل هذا قد نشأ في قوم لوط زينه لهم الشيطان فأخرجهم به الى العدوان

وحكى بعضهم ان أصل ذلك من ياجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين في قوله عزّ وجل أنّ ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فيجب على كل ذي نفس شريفة وهمة منيفة الزجر والردع عن هـذه الفعلة الخبيثة التي ضجت الملائكة الى الله منها وحسم المادة الموصلة الى ذلك كالنظر ، فلذلك حرمه النووي رحمه الله تعـالى مطلقاً وقد ورد انه قدم على رسول الله ﷺ وفد وفيهم أمرد فأجلسه وراء ظهره ونهى ان يحد الرجل النظر الى وجه الأمرد وعن ابن المسيب إذا رأيتم الرجل يلح بالنظر الى وجـه الأمرد فاتهموه ، وأخرج الخطيب عن أنس موقوفاً لا تجالسوا أولاد الملوك فان الأنفس تشتاق

اليهم ما لا تشتاق الى الجواري العواتق وحرض النخعي والثوري على عدم مجالستهم

وعن الخدري قال رأيت إبليس في النوم، فقلت له تعال . فقال لا حاجة لي بمن رمى الدنيا وان لي فيكم لطيفة فقلت وما هي ؟ قال مجالسة الأحداث فأخذت العصا لأضربه قال أنا لا تخوفني العصا وإنما يخوفني نور القلب

وعن الموصلي قال نهاني ثلاثون من الابدال عن صحبة الأحداث وعن بعضهم قال نظرت الى شاب جميل ، فقلت أيعذب الله هذه الصورة فقال لي أستاذي أورأيته سوف ترى غبها ، فأنسيت القرآن بعد عشرين سنة والآثار في هذا المعنى كثيرة ولله در من قال في المتصفين بهذا الشأن من هذا الزمان

فان لم تكونوا قوم لوط حقيقة ... فما قوم لوط منكم ببعيد
وانهم في الخسف ينتظرونكم ... على مورد من جهلكم وصديد
يقولون لا أهلاً ولا مرحباً بكم ... ألم يتقدّم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سننتم صراطا لنا في الفسق غير حميد
أتينا به الذكران من عشقنا بهم ... فأوردنا ذا العشق شر ورود
فأنتم بتضعيف العذاب أحق من ... يتابعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم ... بما قد لقيناه بصدق ووعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا ... نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم ... ويجمعنا في النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الأحكام منقسماً في ثلاثة أقسام

القسم الاول

فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى اسلمه رمسه

وهو نوعان الأول فيمن عرف اسمه ، واشتهر في العشاق رسمه.

اخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلاني

هو أبو بكر محمد بن داود بن علي المعروف بالفقيه الأصفهاني ، كان لبيباً حاذقاً وفقيهاً شاعراً ، وله في فقـــه الظاهرية والأحاديث والتواريخ اليد الطولى

قال الخطيب انه كان ملازماً للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب ، وانه شرع في كتاب جمع فيه ظرائف العشاق ولطـــائفهم وسماه كتاب الزهره وساير به عمره وصاحبه

هذا هو محمد بن جامع الصيدلاني كان يبيع العطر ببغداد، وكان من أجمل أهل زمنه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفاً وعليـــه عطوفاً وبه رؤوفاً ، واشتهر أمرهما فلم ينكراه واتضح فلم يخفياه وقيـــل انه لم يعمل الكتاب المذكور الا بسبب عشق هذا ، وان اليه الاشارة في أول الكتاب المذكور بقوله وننكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ومن جفاء الاخوان وأنت المقدم فيه ، ومن عجب ما يأتي الزمان ظالم يتظلم ، وغابن يتندّم ومطـــاع

يستظهر وغالب يستنصر ، ومن أدلة عطفه عليه انــه خرج من الحمام يوماً فنظر في المرآة فأعجبه وجهه فبرقعه ، وأتى ابن داود فلما رآه غشي عليه ، فقال له لا بأس عليك انني لم أبرقع وجهي لسوء أصابه ، ولكن رأيته غب حمام فأعجبني فأحببت أن لا أمتع به أحداً قبلك ففداه وسر بذلك ، قالوا ولم يعلم فيما سلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع ، ومن لطف ابن داود ورقته انه كان يدخل الجامع من باب الوراقــين فهجره أياماً فسئل في ذلك ، فقال دخلت يوماً فرأيت متحابين يتحادثان فتفرقا مذ رأياني فآليت أن لا أدخل مكاناً فرقت فيه بين محبين .

وكان يجتمع مع ابن شريح الشافعي في مجلس الوزير بن عيسى فسبقه ابن داود يوماً فسأله حدث من الشافعية عن العود الموجب للكفارة في الظهــار فقال هو إعادة القول ثانياً فطالبه بالدليل ودخل ابن شريح ، فحين وقف على القصة قال لأبي بكر قول من هذا من المسلمين غيركم. فقال له وقد استشاط غضبه غاية أمرنا ان نعد قول من خالفنا خلافاً ، فغضب ابن شريح وقال له أنت أعزك الله بكتاب الزهره أمس من غيره فقال أبكتاب الزهرة تعيرني والله لا تصلح للنظر فيه أم أقل فيه

أنزه في روض المحاسن مقلــتي   وأمنع نفسي أن تنــال المحرّما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه   على جامد الصلد الاصم تهدّما
ويظهر سري عن مترجم خاطري   فلولا اختلاس الطرف عنه تكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم   وما ان أرى حباً صحيحاً مسلما

فقال له ابن شريح بم تفتخر عليَّ ولو شئت لقلت

ومسامر بالشهد من نغمــاته   قد بت أمنعــه لذيذ سناته
صبــابه وبحسنه وحديثه   وأنزه اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده   ولي بخاتم ربــه وبراتــه

فقال ابن داود ليحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة ، فقال يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك أنزه في روض المحاسن فقال الوزير لقد حويتما ظرفاً وعلماً . وقيل كانت المناظرة في مسئلة في الايلاء وان ابن شريح قال أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أحذق ومن لطف ابن داود انه سئل يوماً

يا ابن داود يا فقيه العراق   أفتنا في فواتك الأحداق
هل عليها القصاص في القتل يوماً   أم مباح لها دم العشاق

فأجاب

عندي جواب مسائل العشاق   فاسمعه من قلق الحشى مشتاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى   أجريت دمعاً لم يكن بالراقي
أخطأت في نفس السؤال وان تصب   بك في الهوى شفقاً من الاشفاق
لو أن معشوقاً يعذب عاشقاً   كان المعذب أنعم العشاق

وقيل له وهو في مرض موته ماذا تشكو فقال حب من تعلم صيرني الى ما ترى فقيل ما منعك وقد كنت قادراً على ذلك فقال التمتع اما نظر مباح وقد أخذت منه بحظ، وأما تلذذ بالمحرم فمنعني منه قوله عليه الصلاة والسلام من عشق الحديث السابق في المقدمة وأنشد

ما لهم أنكروا سواداً بخديه ولا ينكرون ورد الغصون
ان يكن عيب خده بذر الشعر فعيب العيون شعر الجفون

فقيل له أنكرت القياس في الفقه وأثبته في الشعر فقال غلب الحب وتوفي نهار الاثنين تاسع رمضان أو لأيام بقين منه أو سابع شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، ومن لطيف أشعاره في محبوبه

يا يوسف الحسن تمثيلاً وتشبيها   يا طلعة ليس الا البدر يحكيها
من شك في الحور فلينظر اليك فما   صيغت معانيك الا من معانيها

مـــا للبدور للتحريف يا أملي نور البدور عن التحريف يغنيها
ان الزنانير لا تجلى وان عتقت ولا تزاد على النقش الذي فيها

ومنها

أشكو عليل فؤاد أنت متلفـــه شكوى عليل الى الف يعلــله
سقمي تزيـــد مع الأيام كثرته وأنت في عظم ما ألقى تقلله
الله حرّم قتلي في الهـــوى سفهاً وأنت يا قاتلي ظلماً تحلــله

ومنها

حملت جبـــال الحب فيك وانني لا عجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماحة ولكنه شيء به النفس تكلف

ومنها

سقى الله أياماً لنا ولياليا لهن بأكناف الشباب ملاعب
إذا العيش غض والزمان بغرة وشاهد آفات المحبين غائب

ومنها

انظر الى السحر يجري في لواحظه وانظر الى دعج في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه كأنهن نمـــل دب في عـــاج

أخبار القاضي شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفري

هو قاضي القضاة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان ، وصاحبه أحمد بن مسعود بن الملك المظفر وصاحب حماة وله معه حكايات غريبة وهو ما اشتهر به ان أباه دعاه ليلة فجلسا يتحادثان ، وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شدّ وسطه بمنديل مطرّز بالذهب ، وفي يده شمعة ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة كانت معه فسقط الدينار فأقام الشمعة لينظره ، فانطفأت الشمعة فنظر الى وجهه فرأى الدينار تجاهه في الأرض فالتهبت نار عشقه في قلبه ، وخرج فكتم ذلك أياماً فمرض واشتد به الحال ، فبينا هو كذلك إذ أرسل المظفر ولده يعوده ، فحين رآه وثب قائماً كأن لم يكن به مرض ، وكان الغلام حاذقاً فعرف ذلك منه فأخبر أباه بذلك فحجبه ، فقال من رأى القاضي بعد ذلك انه كان يبيت الليالي الى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول

أنا والله هالك آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

وقيل مات وهو ينشدهما ، وحكى انه كان بعد حجبه لا يركب إلا يوم الموكب ، وان القاضي كان يقصده مستخفياً فينظر اليه فبلغ أباه فمنعه الموكب فكتب اليه ابن خلكان

يا سادتي اني قنعت وحقكم في حبكم منكم بأيسر مطلب

ان لم تجودوا بالوصـــال تعطفاً ورأيتم هجري وفرط تجنـــبي
لا تمنعوا عيـني القريحة ان ترى يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي مـا الذي ألقـــاه من كمد إذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حـــالة لولاك لم يك حملهـــا من مذهبي
قسماً بوجهك وهو بـــدر طالع وبليـــل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من أخطارها في الحب أصعب مركب
لو لم أكن في رتبة أرعى لهـــا العهـــد القديم صيـــانة للمنصب
لهتكت سري في هواك ولذ لي خلع العـــذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت كشف القناع بحق ديـــاك النبي
لا تفضحن بحبـك الصب الذي جرعته في الحب أكـدر مشرب

أخبار احمد بن كليب وصاحبه أسلم

هو أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان أندلسياً شاعراً نحوياً متفقهاً قرأ على محمد بن خطاب النحوي واجتمع بالمزني وبأبي عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما

وأسلم هذا هو ابن سعيد بن خلف ، كان جـــده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر ولي أسلم القضاء بالأندلس بعدما كان حاجباً وله يـد في الأدب وديوان شعر معروف ترجمه في الاحـــاطة بتاريخ غرناطة معروف بالرياسة والفضل والعرافة ، فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الأشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك

فلما غلب عليه حبه فشا أمره واشتهر فيه على ألسنة شعره ، وقيل ان أول ما اشتهر من ذلك وسمع زامر السلطان يغني به قوله

أيسلمني في هـــوا ء أسلم هـــذا الرشا
غـزال له مقـــلة يصيب بهـــا من يشا
وشى بيننـــا حاسد سيسئل عمـــا وشا
ولو شاء أن يرتشي على الوصل روحي ارتشى

فحين بلغ أسلم هذا الأمر انقطع في داره عن جميع الأشياء فصار يجلس على بابه أحياناً فجعل أحمد لا يمر إلا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلاً عند العشاء فمضى أحمد وأخذ دجاجاً وبيضاً وتزيا بزي بعض فلاحي أسلم وأقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله على الضياع فاستلفاه فحين عرفه ، قال

أما يكفيك قطعي عن الطلب والخروج حتى تبعتني الى هنـا ، ثم حلف لا يخرج من بيته .

ومضى أحمد حزيناً فكان يماجن ، فيقال له ذهب دجاجك وبيضك ، فيقول أود لو قبلت يده قبلة وأذهبت كل ليلة مثل هذا ولمـا طال عليه الأمر انقطع قال ابن خطاب فعدته فوجدته مشرفاً على التلف ، فقال لو سعيت في أن تجمع بيني وبينه لا ثابك الله على ذلك ثواباً عظيماً فمضيت اليه فقلت له تعلم حرمتي عليك وحرمة ما ضمك مع ابن كليب من الطلب ، فقال نعم ولكن قد رأيت ما فشا من أمرنا قلت ما عليك أن تزوره فتنقذه من التلف .

فامتنع فلم أزل به حتى أجاب أن يمضي من الغد ، فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بازاء بيته فتغير وقال في هذه الساعة أموت ، ورجع بعدما جاذبته الرداء وقطع منه في يدي قطعة ، ودخلت على أحمد وقد بشره غلامه بقدومه ، فلما لم يجده معي تغير واختلط عقله فقمت عنه فآبت نفسه اليه ، فقال لي اسمع وانشد

أسلم يا راحـة العليل رفقاً على الهـائم النحيل
وصلك أشهى الى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

فقلت له استعذ من ذلك ، فقـال قد كان فلم أخرج عنه الا وقـد قام الصراخ عليه ، ومن شعره فيه وقد أهدى له فصيح ثعلب

هـذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليـح
وهبته لـك طوعاً كما وهبتك روحي

ومنه وقد كتب الى ابن خطاب شعراً في أسلم يعرضه عليه ، فقال انـه ملحون فراجعه ابن خطاب فكتب

ألحق لي التنوين في مطمع فانني أنسيت الحاقه
لاسيما اذا كان في وصل من كدّرني في الحب أخلاقه

أخبار مدرك وصاحبه عمرو

هو مدرك بن علي الشيباني نسبة الى بني شيبـان عرب ببادية البصرة ، دخل بغداد صغير ونشأ بها ، فتفقه وأحسن العربية والأدب والخط .

وعمرو هذا هو ابن يوحنا النصراني البغدادي، كان بدير الروم من الجانب الشرقي ، وكان لمدرك مجلس علم لا يحضره فيه الا الأحداث وكان اذا دخله شيخ يخرجه وكان عمر يحضره ، فعشقه وزاد فيـه وجده فالقى اليه يوماً رقعة فيها :

بمجالس العلم التي — بك تم حسن جموعها
الا رثيت لمقـلة — غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة — الله في تضييعهـا

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع المجلس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمراً ، وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش ، ودخل الناس عليه يعودونه ، فقال أما بينكم وبيني حرمة وعشرة ، أما فيكم من يرحمني بالنظر الى عمرو فمضوا اليه ، فلما أعلموه بحاله وما صار اليه من أجله مضى معهم ، فحين سلم عليه أغمي عليه ، ثم أفاق وأخذ بيده وأنشد

أنا في عافية الا من الشوق اليك
أيها العائد ما بي منك لا يخفى عليك
لا تعد جسماً وعد قلباً رهيناً في يديك
كيف لا يهلك مرشوق بسهمي مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات ، ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة وللطفها بتخميس الحلي لها أوردناه معها غير ان المصنف أبدل أبياتاً يسيرة من التخميس وزاد آخر زعم ان الحلي لم يقف عليها ، وهذه القصيدة بالشرط المذكور غير أني أقول في أبيات المصنف له وهي هذه

من عاشق نـاء هواه دان   ناطق دمع صـامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان   معذب بالصد والهجران
طليق دمع قلبه في أسر

من غير ذنب كسبت يـداه   غير هوى نمت بـه عينـاه
شوقاً الى رؤيه من أشقـاه   كأنما عافاه من أضنـاه
إذ كان أصل نفعه والضر

يا ويحه من عاشق ما يلقى   من أدمع منهلة مـا ترقا
(له) ناطقة ومـا أجادت نطقـاً   تخبر عن حب لـه استرقـا
أخبار من يعلم أخفى السر

لم يبق منه غير طرف يبكي   بأدمع مثل نظـام السلك
تطفيه نيران الهوى وتذكي   كأنمـا قطر السماء يحكى
هيهات هل قيس دم بقطر

(له) الى غزال من بني النصارى   عذار خديه سبى العـذارى
وغادر الاسد به حيـارى   في ربقة الحب بـه أساري
تنشد قول مدرك في عمرو

(له) ريم بدار الروم رام قتـلي   بمقلة كحلاء لا عن كحـل
وطرّة بهـا استتار عقـلي   وحسن وجـه وقبيح فعـل
وعظم ردف ونحيل خصر

ريم به أي هزبر لم يصـد   يقتل باللحظ ولم يخشى القود

متى يقل ها قالت الألحاظ قد كأنه ناسوته حين اتحد
أفديه من ريم ومن هزبر

ما أبصر الناس جميعاً بدرا ولا رأوا شمساً وغصناً نضرا
أحسن من عمرو فديت عمراً ظبي بعينيه سقاني خمرا
فما أفقت ساعه من سكرى

هـا أنـا ذا بقده مقدود والدمع في خدي له أخدود
ما ضر من فقري به موجود لو لم يقبح فعـله الصدود
فديته لقـد أطـال هجري

ان كان ذنبي عنده الإسلام فقـد سعت في نقصه الآثام
واختلت الصـلاة والصيام وجاز في الدين لـه الحرام
يا خيبتي ان لم أفز بغفر

يا ليتني كنت لـه صليباً أكون معـه أبـداً قريبا
أبصر حسناً وأشـم طيبـاً لا واشياً أخشى ولا رقيبـا
ولا أخاف أبداً من غدر

يـا ليتني كنت له قربانـا الثم منـه الثغـر والبنانـا
أو جاثليقاً كنت أو مطرانا كيما يرى الطـاعة لي إيمانـا
فلا يزال الدهر طوع أمري

يا ليتني كنت لعمر ومصفحاً يقرأ منـي كل يوم أحرفـا
أو قلما يكتب بي ما ألفا من أدب مستحسن قد صنفا
ويجعل الريق بديل الحبر

يا ليتني كنت لعمرو عوده أو حلة يلبسهـا مقدودة
أو بركـة باسمه محدودة أو بيعة في داره مشهودة
يدلج في أرجائها ويسري

يا ليتني كنت لـــه زناراً   يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا   صرت لـــه حينئـذ ازارا
أضمـه الى طلوع الفجـر

قد والذي يبقيه لي أفنـاني   وابتز عقلي والضنى كساني
ظبي على البعـاد والتداني   حـل محـل الروح من جثماني
فليس لي عن قربه من صبر

واكبدي من خده المضرج   واكبدي من ثغـره المفلج
لا شيء مثل الطرف منه الأدعج   اذهب للنسك وللتحـرج
الا جمـال ثغـرة بالدر

اليك أشكو يا غزال الأنس   ما بي من الوحشة بعد الأنس
يا من هـلالي وجهه وشمسه   لا تقتل النفس بغير النفس
وجـد بوصل لسقام يبري

جد لي كما جدت بحسن الود   وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدي عن طويل العهد   فليس وجد بك مثل وجدي
وليس ذكر لك مثل ذكري

ها أنا في بحر الهوى غريق   سكران من حبك لا أفيق
محترق مـا مسني حريـق   يرثي لي العـدو والصديق
من حر صدري وعظيم ضري

فليت شعري فيك هل ترثي لي   من سقم لي وضنى طويـل
أم هل الى وصلك من سبيل   لعـاشق ذي جسد نحيـل
انحلة حبـك طـول الدهر

في كل عضـو منه سقم وألم   ومقلة تبكي بدمـع وبدم

شوقاً الى بدور شمس وصنم   منه اليه المشتكي اذا ظلم

أفدية من شمس ضحى وبدر

أقول إذ قــام بقلبي وقعــد   يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد

أقسم بالله يمــين المجتهـــد   ان أمر أو أصلته لقد سعد

وكان من أشفيته في حر

يا عمرو ناشدتـك بالمسيـح   الا سمعت القول من فصيح

يخبر عن قلب لــــه جريح   باح بمــا يلقي من التبريح

كسير قلب ما له من جبر

يا عمرو بالحق من اللاهوت   والروح روح القدس والناسوت

ذاك الذي في مهده المنحوت   عوّض بالنطق من السكوت

وأنشر الميت ببطن القبر

بحــق ناسوت ببطن مريم   حل محل الريق منها في الفم

ثم استحال في قنوم الأقدم   فكلم النــاس ولمــا يفطــم

مصرحا عن أمــه بالعــذر

بحق من بعــد المهات قمصا   ثوباً على مقــداره ما قصصا

وكان لله تقيـــاً مخلصـــاً   يشفي ويبري أكمها وأبرصا

بمــا لديــه من خفي السر

بحق محيي صورة الطيــــور   وباعث الموتى من القبــور

ومن اليــه مرجع الأمــور   يعلم مــا في البر والبحـــور

وما به صرف القضاء يجري

بحق من في شامخ الصوامع   من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع   خوفاً من الله بدمع هامع
ويهجر اللذات طول العمر

بحق قوم حلقوا الرؤوسا   وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا   مشمعلين يعبدون عيسى
قد أخلصوا في سرهم والجهر

بحق ماري مريم وبولس   بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس   بحق حزقيل وبيت المقدس
وكل أواب رحيب الصدر

ونينوى إذ قام يدعو ربه   مطهراً من كل سوء قلبه
ومستقيلاً فأقيل ذنبه   ونال عند الله ما أحبه
إذ رام من مولاه شد الازر

بحق ما في قلة الميرون   من نافع الأدواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون   من بركات الخوص والزيتون
خصب البلاد في السنين الغبر

بحق أعياد الصليب الزهر   وعيد أشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر   وعيد مر ماري الرفيع الذكر
مواسم تمنع حمل الاصر

وعيد شعياء وبالهياكل   والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل   ومن دخيل السقم في المفاصل
لكونها من كل داء تبري

بحق سبعين من العبـاد قاموا بدين الله في البـلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد حتى اهتدى من لم يكن بهادي
وحقق الحق بكشف الستر

بحق إثنني عشرة من الأمـم ساروا الى الأقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الدجى جلا الظلم ساروا الى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر

بحق مـا في محكم الانجيل من محكم التحريم والتحليل
وخـبر ذي نبا جليـل يرويه جيل قد مضى عن جيل
يسند زيد علمه عن عمرو

بحق مر عيد الشفيق الناصح بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تمليخا الحكيم الراجح والشهداء بالفلا الصحاصح
الراغبـين في عظيم الأجر

بحق معموديـة الأرواح والمذبح المشهور في النواحي
ومن بـه من لابسي الامساح وعابـد باك ومن نواح
ينثر عقداً من دموع حمر

بحـق تقريبك في الأجساد وشربك القهوة كالفرصاد
بمـا بعينيـك من السواد وطول تقطيعك للأكبـاد
وسلبك العشاق حسن الصبر

بحق مـا قدس شعيا فيه بالحمـد لله وبالتنزيـه
بحق نـسطور ومـا يرويـه عـن كل ناموس له فقيه
متبع في نهيـه والأمر

شيخان كانا من شيوخ العلم وبعض أركان التقى والحلم

لم ينطقا قط بغــير فهم   موتهما كان حيــاة الخصم
وعنهم أخبر كل حبر

بحرمــة الأسقف والمطران   والجــاثليق العــالم الرباني
والقس والشــماس والديراني   والبترك الأكبر والرهبان
والمغرباني ذي الخصال الزهر

بحرمة المحبوس في أعلى الجبل   ومار قولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الأول   وبالسليح المرتضى بمـا فعل
ومـــا أتاه من فعال البر

بحرمة الأسقوفيــا والبيرم   وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم   وحــق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر

بحق يوم الذبح ذي الاشراق   وليلة الميــلاد والتــلاقي
والمذهب المذهب للنفــاق   والفصح يا مهذب الأخلاق
وكل ميقات جليل القدر

بكل قــداس على قــداس   قدســه القس مــع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي   وقدموا الكاس لكل حاسي
توقــد في راحتــه كالجمر

ألا رغبت في رضــا أديب   باعــده الحب عــن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب   أعلى منــاه أيسر التقريب
من بسط أخلاق وحسن بشر

فانظر أميري في صلاح أمري   محتسباً فيّ عظيم الأجــر
مكتسباً فيّ جميل الشكر   في نثر ألفاظ ونظم شعر
ففيك نظمي أبداً ونثري

قلت قد أودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية ، لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التي عمرو منها وظاهر انه كان رومياً ، ولكن مدرك لم يكن خبيراً بتفاصيل فرقهم وأقل منه معرفة بذلك من خمس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الأحكام ، ولولا وجود هذا الباب في الأصل والتزامي ذكر ما فيه لحذفته أصلاً لعدم الرغبة اليه ، لكن سأذكر لك البعض المناسب في فصل المناسبة (قوله عن حب له استرقا) بتشديد القاف أي جعل الناس رقاً والفاعل الحب

(قوله في ربقة) بكسر الراء والموحدة التحتية في الأصل حبل يجعل فيه حلق صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن فاستعاره تخييلاً كأن رتبة العشق جعلت المحبين في سنن الاستقامة كالمنتظمين في هذه الربقة

وقوله ريم يعني غزلاً ، والروم الفرقة الأصلية من النصارى التي تلقت عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام وفي البيت من البديع التجنيس في ريم ورام والروم ويسمى الاشتقاق والهزبر الأسد يقول انأشجع الوحوش الأسد ، فلو كان العاشق أسداً لصاده هذا الغزال مع انه خلاف القياس والناسوت واللاهوت ألفاظ وقعت في الانجيل فتأولها لوقا وهو البترك الأكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو أول من قسم الفرق وتأول الرسائل والانجيل وذكر الآب والابن وروح القدس وقسم المثلثات فقال ان عيسى تدرع الناسوت يعني الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعني الحصة الالهية في ناسوته كالمصباح في الزجاجة وهذا جيد لولا انه قال فيستحيل تارة الى اللاهوت لأن حصة العذراء يعني مريم تغنى ، وفي هذا كلام طويل ذكرناه في الفرق

والصليب شيء ذو خطوط أربع تخرج على استقامة يجمع أصلها المحور وأصل تبرك النصارى بـه انهم لعنهم الله فاعتقدوا ان الذي أخذتـه اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شيء هذه صفته وانهم سقوه الخمر في حنك الخنزير

فلما قام بعد ثلاث حلل الخمرة ولحم الخنزير وحرض على حمل الصليب وقد كذبوا في ذلك كله خصوصاً ومدلول هذا ان الخمر حرام في الانجيل وقد ذكر نسطوريون في كتاب سماه تقسيم الصفائح وهو مرجع المتفقهة في الملة النصرانية وقد طالعته ان الخمر حلال في الأصل والقربان رغيف مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز في كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل الى الكنيسة فاذا فرغت الصلاة أخذ القسيس بعضه وفرق بعضه فتنصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم الى الجمعة

وهكذا والجاثليق الرئيس بالنسبة الى السلطنة الظاهرة وأما المطران فهو الفقيه الورع المستصحب للبس الصوف الأسود ، وأصل هذا الترتيب عندهم ان القارىء للانجيل من أول وهلة شماس فان تأوله واتقن حفظه صار قسيساً ويدوم كذلك ما دام عنده زوجة ، وان بلغ في العلم ما بلغ فان ماتت زوجته وتزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى سالخ القسوسية والا صار مطراناً فان تنزه عن الذفر وما يخرج من الأرواح صار يتركا في مذهب الأرمن .

وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون انه لا يجوز أن يكون بتركاً الا من تنزه عن النساء وأكل الأرواح وما يخرج منها من أول عمره الا العسل والسمك ، لأن خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى . وأما الاسقف والميرون والراهب فأسماء للمتعبدين خاصة فالماكث في القلة ميرون وكثير السياحة أسقف وتارك النساء فقط راهب وشرط الروم ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وأن لا يصلي خارج كنيسة ولو خمس قوله « كيما يرى الطاعة لي إيماناً » بقوله « يكشف الرأس اذاً ويجري » لكان أليق لما فيه من ذكر الحكم الديني الواجب فعله مع المذكورين

والمصحف المراد به المعنى اللغوي والبيعة معبد صغير غير مرتفع والدير المعبد الكبير الكثير المرافق والمحاريب والكنيسة ما اشتملت على عواميد الأناجيل ولم يرتفع بناؤها طبقات ، والصومعة مكان رفيع رقيق الأسفل

والقلة مثلها الا انهـــا لا تسع أكثر من واحد والزنار منطقة تشد في الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب اذا شدت كانت على السرة

ومن هنا الى آخر ما شرح مؤخر والمغرباني الخـادم الملازم للبترك وباقي البيت تقدم استطراداً والمحبوس في رأس الجبل هو الراهب نقولا وكان بانطاكية في بيعه البرتز فأرسله لوقا نذير الأهل السد فحبسه شعياء اليهودي في جبل الغمام وضربه على أن يرجع عن النصرانية ، فأبى ومات جوعاً عند الأرمن

واليعاقبة تقول ان المسيح أخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم ، ومرقولا أول بترك بعد لوقا وهو الذي قسم الكنائس بـــين الأرمن والروم والسليح بالمهملة رحل أقامـــه مرقولا في خدمة الكنيسة الرومية ولو أحسن المخمس لقال (ووضعه البخور فوق الجمر) لأنها وظيفته ، والاسقوفيا هو الاسقف وقد تجوّز فيها مدرك كما زاد الالف في مرقولا والبـــيرم الفراش في الدير وأشار بغفرة رأس مريم الى بولس الذي نحر عن مريم يوم صوّرت في القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوماً صوماً مبدوءها خامس عشر أيلول وهو تاسع عشر توت ، والصوم الكبير هو الصوم الذي تستفتح به السنة ليونانية وأوله من أول آذار يعني برمهات وقد يتقدم أو يتأخر بخمسة عشر يوماً ، وأصله في الانجيل ثلاثون يوماً ثم راده لوقا عشرة أيام لأجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بافرنجة ، ثم زاده الوزير بولس عشرة لسلامة ابنته ، وكانت زمنة فأصحت صحيحة وزعمت ان المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فأمر بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين الى الآن

والبركة محل ماء الغطاس والمحرم تكميل ولو أحسن المخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لأن بركة الغطاس لا بد أن يحضر عندها القسيس ومعه شيء من دهن البلسان وأنواع الطيب لأنهم يقولون ان مريم كانت تصنع ذلك في تغسيل عيسى .

ويوم الذبح يريدون به يوم فراغ بختنصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن .

وليلة الميلاد هي ليلة ميلاد المسيح وهي سابع كانون الأصم أعني ثالث عشر طوبة

والفصح بالمهملة وبعدها معجمة العيد الأكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف في مصر بالخماسين . والقداس هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه في المعمودية يعني يحطه في الماء ، ومن هنا الى عند ما تقدم مقدم والاقنوم لفظة رومية ويراد بها المعنى وعندهم الأقانيم ثلاثة الله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة وهو اصطلاح كازردشت عند المجوس وخاخان عند اليهود وأزدان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة الى غير ذلك مما استقصيناه في الفرق والذي قمص بعد الموت المسيح كما سبق ، والذين حلقوا الرؤوس وتشمعلوا يعني اتبعوا شمعون وهم لوقا ويوحنا وامليخا وجرجس وروبيل وبنيائيل وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها في الفرق وحاصلها انهم تعاهدوا على مدارسة الانجيل والانفراد في رؤوس الجبال بالعبادة ، ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير في الجبل البحري بالقرب من انطاكية وللنصارى فيهم أقوال عجيبة لا يساعها هذا المحل ، وما بعد ذلك أسماء أنبياء من بني اسرائيل

والدواء الذي في قلة الميرون هو دهن البلسان وغسالة أرجل البتاركة في القمامة ليلة الغطاس يجمعها البترك ويجعلها في الزجاجات عند أهل القلل فيبرىء به المصروع والمبرسم وصاحب الماليخوليا فان صح ذلك ، فلما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر ولقد قلت للبترك يوماً أنا أغسل رجلي بالماء وارفعه فلا يتغير أبداً فتبطل مزيتكم ، ثم ذكرت له العلة فاعترف والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون هو ان شمعون دخل الكنيسة يوم أحد خامس من يوم الصوم الأكبر ومعه غصن من شجرة

الزيتون وشيء من خوص النخل. فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكرون في الباطن رفع اليهم من ذلك شيئاً وأمرهم بادخاره فبقي رطباً الى القـابل فدانوا للملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن في اليوم المذكور ، ويطرح في الكنائس ، فاذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون عندهم الى القابل ولو عرف المخمس لقال (وخالص الكندر والمقر) يعني الميعة بلسانهم فانهم يأخذون من الكندر والميعة وورق الزيتون ويعجنون الكل بخور للكنائس وغيرها، ويداوون به أمراضاً كثيرة كالحميات، نعم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه في الأرض أسبوعاً ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا ان السنة مخصبة وان كان غير هذا فبالعكس وله أحكام طويلة ذكرناها في كتاب الفلاحة

وعيد الصليب معروف،وعيد اشمونا عاشر نيسان،وعيد الشعانين هو الذي يأتي في الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر السعيد وعيد مارماري هو الذي يأتي بعد صوم بولس وقد سبق،وعيد شعياء يكون في صوم الميلادة بشباط يعني أمشير والأرمن تسمى عيد الشعانين عيد شعياء .

واليعاقبه تسمى يوم الزيتون أيضاً كذلك ، والعمدة على كلام الروم ، والهياكل والأماكن التي فيها قبور مثل البتاركة والمطارنه والدخن المراد بها حصى اللبان الذكر ، والسبعين من العباد هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائدة والاثنا عشر من الامم المراد بهم السبعه السابقة ، وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحيى وهؤلاء حواريون واتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعملوه ولسبب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها في الفرق .

ومر عبيد عابده كان بدير سمعان وشعياء ونسطورون شيخا التفسير أول من حل الانجيل ، ولهما كتاب ذكرا فيه الصحف المنزلة على الأنبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين أحكامها وأحكام الانجيـــل والزبور والتوراة ، ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعته الى هنا انتهى الغرض منه

النوع الثاني في ذكر من جهل حاله وكان الى الموت في الحب مآله وقد رأينا ان نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعاً للقصة المشهورة

(فمنهم) سعد الوراق وكان بالرها يبيع الورق ، يجلس اليه الشعراء وأهل الأدب فيتحدثون عنده في الشعر كالصنوبري والمعري وغيرهما فلازمهم غلام نصراني اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الأدب فعلقه سعيد وزاد به وجده فأنشد يوماً

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي　　وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيدي　　فان ذلك لي برء من السقم
ترى المعلم لا يدري بمن كلفي　　وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما ، فلما شب الغلام طلب الترهب فأجابه أهله بعد جهد الى دير زنكي وأقام به ، وكان سعيد يأتيه ويجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعة ، أي صارت الرهبان تغلق باب الدير في وجه سعيد اذا أتى

فلما أيس مضى فأحرق داره وثيابه وخرج عارياً ينشد الأشعار ويطوف بالدير ويبيت في ظله وان الصنوبري أتاه يوماً وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه فقال يا أبا بكر ألا ترى الى هذا الطائر الذي على شرفة الدير قلت نعم قال لي اسأله حمل رسالتي الى عيسى فأبى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم ، فدفعته اليه فكتب

بدينك يا حمامة دير زنكي وبالانجيـل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سـلاماً الى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبـان عني فقلبي ما يقرّ من الوجيب
وقـالوا رابنا إلمـام سعد ولا والله مــا أنا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو لهيب جوى أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيـد إذا ما كنت تمنع من قريب
وان أك مت فاكتب حول قبري محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجـد عند الدير ميتاً فأراد العامل يومئذ وهـو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوه بمـائه الف درهم وصار الغلام اذا دخل المدينة لزيارة أهله تضر به الصبيان بالأحجار ويقولون له يا قاتل سعيد فانتقل الى دير سمعان

* * *

(ومنهم شرف العلاء) علق غلاماً نصرانياً فلبس المسوح لأجله وتبعه الى الكنائس والبيع ، وهام به فبلغ ذلك الظـاهر بن أيوب فاستحضره ، فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وأنشد :

جمعت بالكأس شملي الله يجمع شملك
بحق رأسك دعني حتى أقبل نعلك

وصار على ذلك هائماً حتى مات .

* * *

(ومنهم) ما أخرجه ابن الجوزي عن سعيد قال كنت بخان التجـار بالبصرة اذا بغلام يصيح وفي يده مدية فاجتمع الناس اليه فأنشد

يوم الفراق من القيامة أطول والموت من ألم التفرق أجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه ، فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوماً واحداً ففعل هذا

● * ●

(ومنهم) ما حكاه الثوري في روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الدوري عشق غلاماً وكلف به ، فلما علم أبوه بذلك نقله الى مؤدب آخر عدوّ له فضعف واشتد غمه ، فكتب الى أبي الغلام يستعطفه فأجابه بأنه ان لم يرجع رفع أمره الى الحاكم فتغير من وقته وتقايا الدم ، وحمل الى بيته وجاءه الطبيب فأخبر ان كبده تفطرت فمات في الرابع

* *

(ومنهم) ما حكاه في ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق في الباب الثاني قال عشق شاب بدمشق غلاماً ، فلما اشتد به وجده قتله فحمل الى الحاكم فأنكر فهدد بالضرب ، فجاء شاب كان يعشقه فقال ان هذا لم يقتل الغلام وإنما أنا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدباً فأمسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ما حكم الحاكم الجديد ان شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبي ، كان شاباً لطيفاً جيد القريحه ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على ان له اليد الطولى في الأدب ، وكان من أولاد الجند عشق شاباً من أولاد الحسينية وأفرط في حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة ، فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبي لمرضه فدخل أصحابه عليه ليعودوه ، فقال أريد من يوصل هذه الدراهم الى فلان يعني صاحبه فقيل له قد مات فتغير

من وقته واختلط عقله وجعل يقول قد مات ، ثم قال احملوني من هنا وألح عليهم فأخذوه من حارة بهاء الدين الى قناطر السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معاً ، ومن شعره

ملأت فؤادي من محبة شادن أميل اليه وهو كالظبي رائع
وقلت لقلبي قم لنعشق شادناً سواه فقال القلب ما أنا صانع

ومنها

ان السيوف كلها قاطعة اذا انجلت
الا سيوف لحظه إذا تصدّت قتلت

ومنها

وصفت خصره الذي أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه فقلت ذاك واضح

ومنها

له عين لها غزل وغزو مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي فيالك مقلة غزلت وحاكت

ومنها

عودا لصب بكى عليكم يا جيرة ودّعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحراً وقلبه ما له قرار

ومنها

لا تبعثوا غير الصبا بتحية ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوّعت نشراً فيا الله ما أذكاها

ومنها

لم أنس ليلة بتنا والحب قد غاب عنا
وقد روى عنه لفظ حتى حسبناه معنا

وقال

لم أنس أيام الصبا والهوى ... لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مرّ حلو الجنى ... ظفرت منه بحبيب وراح

ومنها وهي من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة في شرح بديعيته أنه مدح بها صاحب حماة

ثاني المعاطف كنت أول عاشق ... في حبه ولكل ثان أول
يدنو فيحلو للمتيم لحظه ... إذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتميس منه شمائل لم أدر من ... مشمولة أو حرّكتها شمأل
متلوّن الأوصاف سيف لحاظه ... ماض ولكن هجره مستقبل

القسم الثاني

فيمـــن اشتهر في العشـــق
حاله ولم يدر مآله

(فمنهم) ما حكاه من له اعتناء بظرائف الأخبـــار ، قال نزلت داراً فوجدت مكتوباً على حائط

دعوا مقلتي تبكي لفقد حبيبها ليطفىء برد الدمع حرّ كروبها
ففي حبل خيط الدمع للقلب راحة فطوبى لنفس متعت بحبيبهـا
بمن لو رأته القاطعات أكفهـــا لما رضيت الا بقطع قلوبهـــا

فسألت فقيل كان بها تاجر يهوى غلاماً وانه أنفق عليه ثلاثين الف دينار حتى نفد ما معه فلم يدر ما تم من أمرهما .

* * *

(ومنهم) ما حكاه بعضهم ، قال دخلت درب الزعفراني ببغداد فرأيت غلاماً قد طرح شيخاً على التراب وهو يعضه ويضربه ، فقلت لا تفعل ذلك بأبيك وأنا أظن انه أبوه ، فقال حتى أفرغ أكلمك فلمـا فرغ أقبل عليّ وقال هذا الشيخ يزعم انه يهواني وله ثلاث ما رآني

× ×

(ومنهم) ما حكاه الأصمعي عن أبي نواس ، قال رأى غلاماً بمكة فعلقه وقال لأقبلنه عند الحجر ، قلت اتق الله في ذلك قال لا بدّ منه فدنا وقبله حين أراد أن يلثم الحجر وأنا أنظره ، فلما عنفته قال ان الله رحيم وأنشد

وعاشقـــان التف خداهما ... عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثمـــا ... كأنما كانا على موعـــد

× ×

(ومنهم) رجل بأفريقية كان يهوى غـــلاماً وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وانه انفرد ليلة يشرب فذكر تجني الغلام عليه وهجره له ، فأخذ قبساً فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين أصبحوا رفعوه الى القاضي وكان لطيفاً ، فقال لأي شيء فعلت هذا ، فأنشد

لما تمـادى على بعـادي ... وأضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بـداً ... ولا معينـاً على السهـاد
حملت نفسي على وقوفي ... ببـابه حمـــلة الجواد
فطار من بعض نار قلبي ... أكبر في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي ... ولم يكن ذاك من مرادي

فاستظرفه القاضي وحمل عنه ما أفسده

القسم الثالث

في ذكر من ساعده الزمان في المراد
حتى بلغه مـــا اراد

فمنهم ما حكى انه كان ببغداد رجل صوفي معروف بالزهد والعبـادة فهوى غلاماً جندياً حتى امتزج حبه بلحمه ودمه واشتهر أمره عند غالب غلمان الغلام لأن الصـوفي كان يتقصده في الطرق والمواكب لينظره ، فبينما الصوفي ليلة يصلي على سطحه إذ سمع صوت الغلام ماراً فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا . فقال مولاهم ما لكم ؟ فقالوا لا شيء فأقسم عليهم فتقدم اليه بعضهم وأسر الخبر اليه وأعلمه أنه يهواه فقال منذ كم قالوا من زمان طويل فقال بئس المرء الذي لا يعرف من أحبه ثم نزل فاقعده ونفض عنه التراب فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه فأنشد:

يا محرقاً بالنـار وجه محبـه رفقاً فان مدامعي تطفيـه
حرق بها جسدي وكل جوارحي واشفق على قلبي فانك فيه

فحمله الي بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجـــازي في روض الآداب الحكاية عن الخياط الدمشقي .

* * *

(ومنهم) البحتري المشهور كان يهوى غلاماً اسمه نسيم فاشتراه حين

اشتدّ به بلاؤه فلما اشتهر حاله مازحه أبو الفضل يوماً وقال هل تبيعه قال لا قال خذ فيه الف دينار فأبى وكان لا يساوي أكثر من مائة فقال خذ الفين فقال احضرهما فأحضرهما واشتراه ومضى به فلم يلبث البحتري أكثر من يوم حتى ذهب عقله وأكثر التردد الى أبي الفضل فلم يجبه وزاد به الوجد فكتب اليه

أبا الفضل في تسع وتسعين نعجة ... غني لك عن ظبي بساحتنا فرد
أتأخذه مني وقد أخذ الهوى ... فؤادي له فيما أسرّ وما أبدى
وتغدو عليه صبوتي وصبابتي ... ولم يعده وجدي ولم يأله جهدي
وقلت اسل عنه فالمنية دونه ... وكيف بسلوان الظمآن عن الورد

فقال أبيعك اياه بجميع ما تملك في سائر البلاد فقال افعل فباعه بذلك فلما أصبح أقاله وقال إياك وهجر الأحرار فان لهم مكائد.

# #

(ومنهم) ما حكى عن الصاحب بدر الدين وزير اليمن انه كان له أخ جميل فاختار له معلماً ذاهيبة ووقار وأدب فكان يعلمه في بيته فامتحن الشيخ بحب الغلام وزاد به الحال فشكا يوماً الى الغلام أمره فقال ما أصنع وأخي لا يفارقني ليلا ولا نهاراً فقال الشيخ ان داري ملاصقة لحائطكم فاذا كان الليل أتناولك فتجلس معي لحظة لطيفة ثم تعود فأجاب فلما كان الليل أظهر الشاب انه نائم فنام أخوه ففتح باب النافذ الى الحائط فوجد الشيخ واقفاً فأخذه ومضىفرآه قد هيأ مجلساً لطيفاً ما بين فرش وسماط ومشروب ومشموم فجلسا يتعاطيان الكأس وكانت ليلة البدر وأفاق الوزير فلم ير أخاه ورأى الباب مفتوحاً فاطلع فرآهما على تلك الحالة والكأس في يد الشيخ وهو ينشد

سقاني شربة من خمر فيه وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقي خد الخد مليح في الأنام بلا شبيه
وبات البدر مطلعاً علينا سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطفه ان قال والله لا أنم عليكما وانصرف . وذكر الحجازي بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك ان شخصاً كان يهوى غلاماً فمات فجلس يبكيه فطلع البدر فنظر اليه فلم يقدر أن يملأ عينه منه فأنشد

شقيقك غيب في لحده وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف لباس الحداد على فقده

فخسف من وقته .

# #

(ومنهم) الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي وكان أديباً ظريفاً عارفاً بالشعر والأدب وكان شيعياً وكان السيد المرتضى الموسوي نقيب الأشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة قال ابن سعد في الطبقات لأن السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من أجلاء طرابلس فبعث الى الشريف بتحف مع عبد أسود فأرسل الشريف يعاتبه في ذلك وكان معروفاً بالشهامة فمما قال له أما رأيت شراً من السواد حتى ترسله الينا وحكى قاضي القضاة ابن البراج ان مهذب الدين لم يرسل الى الشريف الا العبد فقط فكتب اليه أما بعد فلو علمت عدداً أقل من الواحد أو لوناً أشر من السواد لبعثت به الينا والسلام وكان مهذب الدين يهوى مملوكاً له اسمه تتر وكان لا يفارقه في نوم ولا يقظة وكان اذا اشتد غمه أو رمى بمحنة نظر اليه فزال ما به فحلف لا يرسل الى الشريف الهدايا الا مع أعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه وأخذ يقاسي مشاق فرقته

فلما المملوك الى الشريف توهم انه مز جملة الهدايا تعويضاً من ذنب العبد فأمسكه وطال الأمر فلم ير ما ينكي به الشريف ويبغثه على ارسال المملوك الا إظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب أهـــل السنة وان دليل ذلك أمر عظيم أخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل اليـــه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالمملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتسترو هي

عذبت طرفي بالسهر   وأذبت قلبي بالفكر

ومزجت صفو مودتي   من بعد بعدك بالكدر

ومنحت جثماني الضني   وكحلت جفني بالسهر

وجفوت صباً ما له عن حسن وجهك مصطبر

يا قلب ويحك كم تخادع بالغرور وكم تغر

والام تكلف بالأغن من الظباء وبالأغر

ريم يفوّق ان رمـــا   ك بسهم ناظره النظر

تركتك أعين تركها   من بأسهنّ على خطر

ورمت فأصمت عن قسيء لا يناط بها وتر

جرحتك جرحاً لا يخيط بالخيوط ولا الابر

تلهو وتلعب بالعقو   ل عيون أبناء الخفر

وكأنهنّ صـــوالج   وكأنهنّ لهـــا أكر

تخفي الهوى وتسرّه   وخفي سرك قد ظهر

أفهل لوجدك من مدى   يفضي اليه فينتظر

نفسي الفداء لشادن   أنا من هواه على خطر

عذل المذول وما رآ   ه فحين عاينه عذر

قمر يزين ضوء الصبـــح جبينه ليل الشعر

ترمي اللواحظ خده   فيرى لها فيـــه أثر

هـــو كالهلال ملثماً   والبدر حسناً ان سفر

ويلاه ما أحلاه في قلبي الشقي وما أمر
نومي المحرّم بعده وربيع لذاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا ف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوي ابن الشريف أبي مضر
أبدى الجحود ولم يردّ الى مملوكي تتر
والبيت آل أمية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر وعدلت عنه الى عمر
واذاجرى ذكرالصحا بة بين قوم واشتهر
قلت المقدّم شيخ تيم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبى على آل النبي ولا شهر
كلا ولا صدّ البتو ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى ولا شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز جر من لحاني أو عذر
وأقول أم المؤمنين عقوقها إحدى الكبر
ركبت على جمل لتصبح من بنيها في زمر
وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل حسامه وسطا وكرّ
وأذاق اخوته الردى وبعير أمهم عقر
ما ضره لو كان كف وعف عنهم إذ قدر

وأقول ان إمامكم ولى بصفين وفر

وأقول ان أخطأ معا وية فما أخطأ القدر

هذا ولم يغدر معا وية ولا عمرو مكر

بطل بسوءته يقا تل لا بصارمة الذكر

وجنيت من رُطب النوا صب ما تتمّروا اختمر

وأقول ذنب الخارجين على عليّ مغتفر

لا ثائر بقتالهم في النهر وان ولا أثر

والأشعريّ بما يؤو ل اليه أمرهما شعر

قال انصبوا لي منبراً فأنا البريء من الخطر

فعلاً وقال خلعت صا حبكم وأوجز واختصر

وأقول ان يزيد ما شرب الخمور ولا فجر

ولجيشه بالكف عن أبناء فاطمة أمر

والشمر ما قتل الحسين ولا ابن سعد ما غدر

وحلقت في عشر المحرّم ما استطال من الشعر

ونويت صوم نهاره وصيام أيام أخر

ولبست فيه أجل ثو ب للملابس يدّخر

وسهرت في طبخ الحبو ب من العشاء الى السحر

وغدوت مكتحلاً أصا فح من لقيت من البشر

ووقفت في وسط الطر يق أقص شارب من عبر

وأكلت جرجير البقو ل بلحم جونيّ الجفر

وجعلتها خير المآ كل والفواكه والخضر

وغسلت رجلي كله ومسحت خفي في السفر

وأمين أجهر في الصلا ة كمن بها قبلي جهر

وأسنّ تسنيم القبو ر لكل قبر محتفر

واذا جرى ذكر الغدير أقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملابس ما اضمحل وما اندثر
وسكنت جلق واقتديت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم بالفاشريا قد فشر
مصطيحتي مكسورة وفطيرتي فيها قصر
بقر ترى برئيسهم طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم خبثت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغريد البلابل في السحر
وأقول في يوم تحار له البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني بعد الهداية والنظر
ما لي مضل في الورى الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريف فمستقرّ كما سقر
لواحة تسطو فما تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسيء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها قس الفصاحة لافتخر
ودرى وأيقن أنني بحر والفاظي درر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وبديعة كبديعة عذراء ترفل في الحبر
والى الشريف بعثتها لما قراها وانبهر
ردّ الغلام وما استمر على الجحود ولا أصر
وأثابني وجزيته شكراً وقال لقد صبر

فلما وصلت القصيدة الى الشريف ضحك وقال قد أبطأنا عليه فهو معذور وجهز المملوك مع هدايا حسنة فمدحه مهذب الدين فقال

الى المرتضى حثّ المطيّ فانه إمام على كل البرية قد سما
ترى الناس أرضاً فيالفضائل عنده ونجل الزكيّ الهاشمي هو السما

وذكر ابن حجة ان مهذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد (قوله) وأقول مثل مقالهم يفسره ما بعده من الكلمات المهملة التي تستعملها أهل دمشق في الخلاعة المصطيحة خشبة في الاصل تجعل تحت دود القز ، وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطيحة ويكون معهم في المواسم وقد تظرّف في المبالغة في المجون والخلاعة حيث اللفظ فنسب القصر الى الفطيرة والكسر الى المصطيحة والمستعمل العكس فانهم يضعون الصوالج قائمة في لعبة ، فمن جاء صولجانه قصيراً أخرج من اللعبة فيقول مصطيحتي قصيرة وكذا في لعب الفطير يرّد من فطيرته مكسورة وقوله والى الشريف بعثتها الى آخر القصيدة قد يتوهم انه ملحق بعد رد المملوك وليس كذلك وإنما قاله تفاؤلاً وحسن ظن بالشريف واعتماداً على شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف

القسم الرابع

في ذكر من منعه الزهد والعبادة ان يقضي من محبوبه مراده

قد رأينا أن نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب ، والكفـارة لمن عزم أن يتوب لاشتماله على ذكر أقوام عصمهم الله من الوقوع في الخطأ وأسبل عليهم الغطا ، وهو نوعان

الأول فيمن سلم من القضاء الجاري فعصم عن الجواري في الصحيحين عنه ﷺ قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذا أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله يا هؤلاء لا ينجيكم الا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انــــه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه واني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من امره اني اشتريت منه بقراً وراعيها وانه أتاني يطلب أجره فقلت أعمد الي تلك البقر فسقهـا فقال لي عندك فرق من أرز فقلت له أعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة ، فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لي أبوان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عنها ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت ان أوقظهما وكرهت

أن أدعها فيستكنا لشربتها فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء ، فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إليّ واني راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها فأتيتها بها فدفعتها اليها فأمكنتني من نفسها

فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرّج عنا ففرّج الله عنهم فخرجوا

* *

(وحكى) ان رجلاً افتتن براهبة فتسوّر اليها وراودها فلم تمكنه الا بعد جهد ، فلما قدر عليها جعلت يدها في بجمرة فاحترقت فقال لأي شيء فعلت هذا ؟ قالت خفت أن أشاركك في اللذة فأشاركك في المعصية فحلف لا يعصي الله بعدها وتاب

* *

(وحكى) ان رجلاً عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها وان أهلها أرسلوها لحاجة فتبعها وراودها فقالت اني أحب لك منك لي ، ولكني أخاف الله فقال أتخافنه ولا أخافه ، ورجع فناله عطش كاد أن يأتي عليه ، فلقيه رسول لبعض الأنبياء فشكا ذلك اليه فقال له هلم ندعو الله ان تظلنا سحابة حتى نصل القرية قال ليس لي عمل فقال الرسول أنا أدعو وأنت آمن وفعلا فأظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فدعاه الرسول الى بيته فتبعتها السحابة فقال له تقول ما لي عمل وقد تبعتك أخبرني ما فعلت فأخبره فقال ان التائب عند الله أحسن من العابد

(وحكى) ان عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه ، فلما أفضت اليه الخلافة زينتها بأنواع الزينة ، ثم قالت يا أمير المؤمنين قد كنت أمسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك فسر بها سروراً بالغاً ثم قال لها اخلعي ثيابك فحين همت أجلسها،ثم قال لها من أين جيء بك في الأصل قالت اغتصب الحجاج مال عامل فاصطفاني منه وأرسلني لعبد الملك فوهبني لأبنته فقال أحيّ هو ؟ قالت لا قال هل له ورثة ؟ قالت ولد ، فأحضره وأمره أن يذكر ما أغرم الحجاج أباه وأعطاه عمر رضي الله عنه ذلك الجارية وقال له احذر أن يكون أبوك نالها فقال هي لك يا أمير المؤمنين فأبى فقال أتبيعها ؟ فأبى، فقالت الجارية أين وجدك بي ؟ قال قد زاد ولكني أنهي النفس عن الهوى

* *

(وحكى) ان امرأة كانت فى بني اسرائيل قد حازت ثلث الحسن ، وكانت لا تمكن من نفسها الا بمائة دينار ، فأعجبت شخصاً فمضى فجمع مائة دينار وجاء اليها فقالت ادفعها الى الجهبذ يعني الناقد ففعل ، فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها خذته الرعدة فقالت خل عنك ولك المائة فقال أجبتك

فجمعت المال وجاءت به وقالت لئن صدقت فليس لي زوج غيرك فخرج فباعت متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات فقالت أما هذا فقد مات فهل له أحد قالوا له أخ فتزوجت به اكراماً له قال ابن عباس فجاء منها سبعة أنبياء

* *

وأما قصة بشر وهند فقد آلت بهـــا الشهر الى أن أفردت بالتـأليف

وحاصلها ان بشراً رجل من أسد ذكره الحافظ ابن حجر في القسم الأول من الاصابة ، وهند جهنية قيل ذكرت في حديث ساقط وكانت بالمدينة في ممر بشر الى رسول الله ﷺ فعلقته وتعرضت اليه بمراسلات بأشعار أظنها موضوعة لاهمالها فلذلك حذفتها ، فلما رأى بشر الحاحها هجر الممر وصار يأتي من غيره فلزمت الوساد وهمّ زوجها ان يدعو لها الأطباء فنهته وقالت أنا أعرف علتي ، فلما علمت الطريق التي يمر منها بشر أخبرت زوجها انها رأت في نومها انها متى سكنت في موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت تنظر اليه فبرئت وأطلعت عجوزاً على أمرها فوعدتها ان تجمعها به ، ثم وقفت له فسألته أن يقرأ لها كتاباً أو يكتبه ففعل وهند تسمع ، ثم قالت له العجوز أراك مسحوراً وما قلت لك الا عن يقين ثم وعدته ان يأتيها يوماً لتنظر له فيما يصلح له وقالت لهند قد سمعت فتهيء

فلما خرج زوجها الى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشراً فجاء فحين جلس أدخلت هنداً عليه وأغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآه ، طلقها ثم مضى به الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله سل هذا لم دخل بيتي فقال بشر والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ أسلمت ، ولا زنيت مذ عرفتك ، ولكن القصة كذا وكذا فأدّب العجوز وقال أنت أصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلى بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات ، فجاءت فحين رأته سقطت ميتة ودفنا معاً ، فجاءت العجوز الى النبي ﷺ معتذرة فأخلصت توبتها

*

(وفي امتزاج النفوس) عن رجل من أصحاب الحديث قال دخلت ديراً كنت أعرف فيه راهباً معروفاً بالأخبار فوجدته مسلماً وجميع من في الدير ، فسألته عن السبب فقال عشقت جارية منا غلاماً عابداً وافتتنت به ودعته اليها فأبى ، فلما زاد بها الوجد أعطت مصوراً مالاً فنقش لها صورته فكانت

تقبلها وتبكي كل يوم الى الغروب وتنصرف فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت لثم الصور ، فلما أصبحنا وجدناها ميتة الى جانبها وعلى يدهـــا مكتوب

يا موت دونك روحي بعد سيدها خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهي للرحمـــن مسلمة ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلهـــا في جنان الخلد يجمعها يوم الحساب ويوم البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا محبـــة لم تزل تشفي محبيهـــا

قال فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فأخذوها ودفنوها الى جانبه فرأيتها في النوم فقلت ما فعل الله بك فأنشدت

أصبحت في راحة مما جنته يدي وبت جارة فرد واحـــد صمد
محا الإله ذنوبي كلها وغــدا قلبي خلياً من الأحزان والكمد
لمـــا قدمت على الرحمن مسلمة وقلت انك لم تولد ولم تـــلد
أثابني رحمة منـــه وأسكنني مع من هويت جناناً آخر الأبد

فعلمت ان الإسلام حق فأسلمت وأسلم أهل الدير بسببها

*

(وحكى الشيزري في روضة العشاق) عن راهب أسلم ، وكان اسمه عبد المسيح ، قال سئل عن سبب اسلامه ؛ فحكى انه كان عندهم جـــارية نصرانية تبيع الخبز أحبها شاب مسلم واشتد حاله في حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه ، فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها في الحرام فأبى ، فعرضت عليه التنصر فأبى فأمرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول اللهم اجمع بيننا في الجنة فرأته في النوم وقد انطلق بهـــا الى الجنة فمنعت لأجل الاسلام فأسلمت ، ودخل بها فأراها قصر من اللؤلؤ ، وقال هذا لي

ولك وستأتي بعد خمس ليال ، فاستيقظت فأسلمت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال فأسلمت لذلك

xxx

(وحكى ابن عاصم) قال قال لي بعض أصحابي بالكوفة هل لك أن تنظر الى عاشق فقلت نعم فاني أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بي الى دار فرأيت شاباً مطرقاً ساكتاً يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء فقال صاحبي كأن فلانة أرسلتها اليك فحين سمع ذكرها رفع رأسه وأنشد :

جعلت من وردتها تميمة في عضدي
أشمها من حبها اذا علاني كمدي
فمن رأى مثلي فتى بالحزن أضحى مرتدي
أسقمه الحب وقد صار حليف الأود
وصار سهواً دهره مقارناً للكمد

فنهضنا فما بلغنا الباب حتى مات فرجعنا لنشهده فحين دفناه أقبلت جارية مسفرة ما رأيت أحسن منها ، فما تركت تراباً على القبر حتى جعلته على رأسها فجاء قوم فجروها فقلت ارفقوا بها فقالت دعهم يبلغوا همتهم ، فوالله لا ينتفعون بي ، فما انقضى اليوم حتى ماتت فسألت عن القصة فقالوا انه كان يعشقها فبذل في شرائها ملكه فأبوا عليه حسداً أن يكون عنده مثلها فأرسلت اليه تقول مرني بما شئت ، فأرسل اليها ان الزمي طاعة ربك ومولاك وأقبل على الزهد وهو مع ذلك لا يفتر عن ذكرها حتى بلغ الى ما رأيت

النوع الثاني في ذكر من بلغه زهده الامان فعصمه عن الغلمان

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور ثم عند ارادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الأحوال عن قبيح عواقب الأفعال فرجعوا الى أنفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى غلب على هواه

قال بعضهم مررت بمدائن قوم لوط فأخذت منها حجر الحاجـة فحين نزلت في دار جعلته في طبقة ، فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بي فقضى منه وطراً فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك

x x x

فمن المذكورين صوفي يسمى المهرجان كان مجوسياً ثم حسن اسلامه قال من شهده رأيته ببيت المقدس ومعه غلام جميل ينام الى جانبه ثم يقوم فزعاً فيصلي ما شاء ويسام وكان يفعل ذلك مراراً كل ليلة فاذا طلع الفجر قال اللهم أنت تعلم ان الليل قد مضى عليّ سليماً لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت الحفظة عليّ فيه معصية وان الذي أضمره في قلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ، ثم يا ليل اشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدي أنت جمعت بيننا

على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الأحباب ، فقلت له قد سمعتك تقول كذا وكذا فما الذي يدعوك الى عشرة من تخاف على نفسك منه فبكى وذكر ان مقصوده بذلك امتحان نفسه

+ + +

وعالج بعضهم نفسة في صحبة الأحداث بالهجر ، قال أبو حمزة رأيت صوفياً يصحب غلاماً دهراً طويلاً ثم هجره ، فسألته عن ذلك فقال وجدت نفسي عند الخلوة به تحدثني بما يسقطني من عين الله ففارقته ليثيبني الله ثواب الصابرين عن محارمه ويجمع بيننا في دار الكرامة

+ + +

قال ورأيت أيضاً رجلاً ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزوناً فقلت له ما أراك تسلو عن صاحبك ، فقال كيف أسلو عن شخص أحسن تأديبي وعصمتي من الفسق .

+ + +

وحكى أبو حمزة الصوفي قال نظر رجل صوفي الى غلام جميل فافتتن به فأقعد فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به ، وبلغ الغلام حاله فعاده فهش له وضحك فأكثر من زيارته ، فقام وذهب مرضه فعزمه الفتى يوماً فأبى أن يذهب معه فقلت له لأي شيء امتنعت ، فقال لست معصوماً ، وأخاف أن تحدثني نفسي عند الخلوة بما يحجبني عن الله

+ + +

وحكى أيضاً ، قال صحب محمد بن قطن الصوفي غلاماً زمناً طويلاً ، فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه ، فرأيته يوما وقد وقف على قبره يبكي والسماء تمطر فما برح حتى جئت في الغد فوجدته ميتاً فدفنته الى جانبه

وصحب أبو الحسن غلاماً كأنما خلق الحسن على صورته أو خلق من نفس من ينظر اليه فكان يأتي به الى بيته فتحدث الناس فيهما فمنع الغلام أهله من صحبة أبي الحسن فنحل حتى شارف الموت فأنشد

يا من بدائع حسن صورته تثنى اليه أعنة الحدق
لي منك ما للناس كلهم نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بامنهم وشقيت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات وغالب هذا الباب من رواية أبي حمزة عنهم والكل متقارب مكرر . انتهى ما أردنا تحريره من أحوال العشاق على اختلاف أنواعهم .

خاتمـــة في ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى

وهو الباب الرابع من الكتاب ، قد سبق في صدر الكتاب انه لا علاج للعشق على الأصح الا دوام الوصال ما لم يتمكن أو يوقع الحبال ، فمن العلاج ما ذكر عن عمر رضي الله عنه انه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة وذلك انه مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها أو من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ما جد الاعراق مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجـــاج
نمته اعراق صــدق حين تنسبه أخي حفاظ عن المكروب فراج

فقالت لها امرأة معها من نصر ، قالت رجل أودّ لو كان معي طول ليلة ليس معنا أحد فدعا بها عمر فخفقها بالدرة ودعا بنصر فحلق شعره فعـــاد أحسن ما كان فقال له لا تساكني في بلدة يتمناك النساء بها ، وأخرجه الى البصرة وخافت المرأة فكتبت الى عمر تستعطفه

قل للإمام الذي تخشى بوادره ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج
اني غنيت أبا حفص بغيرهمـــا شرب الحليب وطرف غيره ساجي
ان الهوى ذمه التقوى فقيـده حتى أقـــرّ بالجـــام واسراج
أمنية لم أطر فيهـــا بطائرة والناس من هالك فيها ومن ناجي
لا تجعل الظن حقـــاً أو تبينه ان السبيل سبيل الخائف الراجي

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف، فأرسل اليها قد بلغني عنك خير فقري ، ومضى على نصر مدة بالبصرة فأزار عاملهـا ارسال بريد الى المدينة فدس نصر بن حجاج كتاباً يستعطف فيه عمر ويسأله العـود وفيه يقول

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني   وما نلت من شتمي عليك حرام
أئن غنت الذلفاء يوماً بمنيـة   وبعض أمانيّ النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده   بقاء فما لي في النديّ كلام
فأصبحت منفياً على غير ريبـة   وقد كان لي في المكتين مقام
ويمنعني ممـا تظـن تكرمي   وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعهـا مما تظن صلاتهـا   وحال لها في قومهـا وصيام
فهذان حالانا فهل أنت راجعي   فقـد جب مني كاهل وسنام

فقال عمر أما ولي سلطان فلا ، وبعث اليه فاقطعه بالبصرة ما يعيش به، وقيل نزل نصر على مجاشع بن مسعود السلمي من بني عمه فأكرمه ورفع محله وسمى نصر بها المتمنى ، وكان تحت مجاشع شميلة بنت أبي حياء بن أبي بهر، وكانت من أجمل النساء فتولعت بنصر وتولع بها وزاد حبها فأخفياه ، وكان مجاشع آمناً فكتب لها نصر يوماً في الأرض أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو تحتك لأقلك فكتبت هي وأنا ، وقيل قالت ذلك بلفظ خفي ، فقال مجاشع ما قال قالت يقول ما أحسن داركم ، فقلت وأنا قال ما هذا لهذا ، وجعل على الكتابة صحفة فحين أصبح دعا غلاماً فقرأها ، فقال هي طالق الفاً يا ابن أخي

فقال نصر وهي طالق ان تزوجت بها وقيل ضعف نصر من حبهـا فأرسلها مجاشع اليه بطعـام فمضت به فضمت نصراً الى صدرها وأطعمته بيدها فشفي من وقته فقال بعض الحاضرين قاتل الله الأعشى حيث يقول

لو أسندت ميتاً الى صدرها   عاش ولم ينقل الى قابر

وقيل لما عادت عنه مات وعاشت شميلة طويلا وقتل مجاشع يوم الجمل ، وقيل اسمها خضراء وانها من بجيلة وانها أول من لبست الشنوف وقيل ان مجاشعاً حين طلقها أخبر أبو موسى بالقصة وكان عاملا على البصرة ، فقال لنصر مـا أخرجك أمير المؤمنين من خير أخرج عنا فأتى فارس فعلقته دهقانة فبلغ عثمان بن أبي العاص ، فقيل أخرجـه الى الشام وقيل انه حين عزم على اخراجه قال ان اخرجتموني لحقت بالشرك فكاتبوا عمر فأمر بجز شعره وتشمير ثيابه والزامه المسجد والمتمنية هي فريعة بنت همام كانت إذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ثم تزوج بها يوسف الثقفي فأولدها الحجاج وبهـا كان يضرب المثل فتقول العرب أصبأ من المتمنية وأدنف منها

ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض في المشاجرات ونحو ذلك مما سبق ومنه رقوات وكتابات

قيل وجد على قبرالملوك حميراً صحفة ذهب مكتوب عليها

ما أحسنت سلمى اليك صنيعها ‏ ‏ تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل استخبرت كاهنة عن البيت قالت كانوا يكتبونـه مقلوباً ويسقونه العاشق فيسلو ، ومن الشائع بين العرب ان تراب قبر العاشق اذا شرب منة في خشب الطرفاء يوم الاربعاء قبل طلوع الشمس أحدث السلو .

*

(وأخبرني) من أثق به بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة بالجـــامع الأموي ، قال عشق صديق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتى أنفد ما معه ، وهي تكثر التجني عليه ، ومرض من حبها حتى أيس من حياته وعزم على أن يشرب السم ليموت ، فشكا ذلك الى صاحب له في كفه يوم الثلاثاء عشر صادات وأربع عينات وثلاث ياآت وخمس هاآت وعشرين كافاً وأمره أن يلحس ذلك وكرر الفعل ثلاثاً فكان الله لم يخلق حبها عنده

*

(ورأيت في كتاب للبوني) سماه خزائن الأسرار في علم الحروف والاصفار انه من كتب سورة يس في نحاس ومحاها بماء المطر وشرب البعض واغتسل بالبعض سلا .

وقيل ان عين البوم اليسار ، وأظفار الخفاش اذا جعلت في جلد حمار وحش وحملت على العضد الأيسر أحدثت السلو ، ويقال ان حجر الجزع اذا علق فعل ذلك ولكن قد جرب ان حمله يورث الهم

الباب الرابع

في كر ما سوى البشر وما القوا من العبر

وهو نوعان (الأول) في الجنــة أسند المصنف عن الحافظ ابن حجر العسقلاني يرفعه الى البيهقي ، انه قال تزوج سعد بن أبي وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعباناً فهمّ بقتله ، فقالت هـــذا كان يتبعني وأنا في بني عذرة عند أهلي فقال له سعد هذه امرأتي تزوجتهـــا على كتاب الله وسنة نبيه فماذا تريد منها ، فانساب حتى دخل مسجد النبي ﷺ وصعد فيالسقف فلم ير بعدها

* *

(ويحكى) عن الربيع بنت معوّذ ابن عفراء من طرق مختلفة كثيرة حكاية حاصلها ان جنياً أتاها في هيئة ثعبان أسود فعالجها فأتى بكتاب أو قال رق أو نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكبير الى الكبر أو قال من رب كعب الى كعب ليس لك على بنات الصالحين أو قال على أمتي بنت عبدي الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت الى الموت ، أو قالت جعـل يده في حلقي فاسود وأخبرت بذلك عائشة

* *

(وحكى) عن رجل انه سافر فجاء جني الى زوجته في زيه ، فلما جاء قال له لك ليلة ولي ليلة والا قتلتك فاني أحبها ، فاتفقا على ذلك فجاء الجني ليلة فقال أنا نسترق السمع بالنوبة وهذه ليلتي فهل لك أن تكون معي قال نعم ، قال فحملني حتى لصق بالسماء فسمع قائلاً يقول ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فوقع وراءك ، فصرت أقولها اذا جاء ، فيذهب الى ان مضى ولم أره ، وعندي في هذه بعد لأنه كان راكبه فكيف جاء الى أهله حين سقط الجني في الخراب

* *

(وأما حكاية الديك) فقد أورد المصنف بعضها ، وأصل ذلك ان رجلاً خرج لحاجة له فرأى شخصاً يمشي فتحادثا الى أن قربا من القرية ، فقال الشخص للرجل أنا جني وقد صار بيننا صحبة ، ولي اليك حاجة فهل تقضيها لي ؟ قال نعم ، فقال امض الى بيت فلان فان عندهم ديكاً أبيض معشراً ، فاشتره بما عساه أن يكون واذبحه ، فقال له كرامة ولكن أيضاً لي اليك حاجة فقال وما هي ؟ قال تخبرني اذا لبستم الانس ما الذي يخرجكم فقال الجني اني مقيدك ذلك بشرط ان تكتمه

فلما وافقه قال له خذ عني من أخذ من بين عيني حمار وحش قطعة كالسير فجعلها في عضده الشمال ولبس من حافره خاتماً لم يقربه جني، فمضى الانسي فاشترى الديك وكان عندهم جارية لم ير أحسن منها ، فحين ذبح الديك صرعت فجاؤا اليه وتعلقوا به ، فقال عليّ برؤها فمضى وصنع لها الخاتم والسير ، فحين دنا بهما منها صاح الجني وقال له أو على نفسي علمتك والله ان فارقتها مت فلم يلتفت اليه والبسها ذلك فذهب عنها

* *

النوع الثاني في ذكر من كلف وهو غير مكلف وأوهن العشق قواه حتي تلف او كاد ان يتلف

قد اسلفت لك في صدر الكتاب كيفيـــة ارتباط العالمين في التكاليف وتداخل اللطيف في الكثيف واختلاف القوابل والفواعل، وقد رؤي استعداد كل لصاعد او نازل ، وان العشق سر يودعه الله في الأرواح عند صفائهـا وسهولة انقيادها ، ثم يختلف باختـــلاف البواعث والدواعي وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا يخص نوعاً دون نوع من أحد الأجناس كما ترشد اليه أدلة التجربة والقياس ، غير انه يختلف الرتب كما لا يخفى على ذوي الأدب ، وقد صح كما سبق ان الانسان أفضل الموجودات لعلمه بأحكام الأحوال المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا الشأن ثم مـا يليه الأقرب فالأقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهي القول الى الاجرام العنصرية ومـا بينها وبين الطبقات السماوية وحيث أنهينا الكلام في هـــذا المقام على ما يتعلق بالانسان فلنبين كيفية دخول العشق في باقي أنواع الأعيـــان فننظم هذا النوع في خمسة أصناف

*

(الصنف الأول في الطيور) هي الطف الحيوان مزاجاً لانحلال كثيفها بخرق الهوا وذهاب فضلاتها في نحو الريش ، فلذلك داخلها التألم بالنوى . حكى الحافظ عن بعض الثقات انه تفرد في معبد منقطع فوجد فيه حمامتين

يبيتان فاذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتيان الى الليل، قال وكنت أشهد إحداهما تتخلف فتأتيها الأخرى بقوتها وداما على ذلك مدة

فلما كان يوم من الأيام خرجنا فاذا بباشق انقض فأخذ الواحدة ، فرأيت الأخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت الى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تتميز ريش المخطوفة حتى جمعته وجعلت تضرب بجناحها الأرض وتتمرغ على الريش وتضرب نفسها حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها أكلا وماء ، فلم تلتفت لشيء، فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش في فمها

*

(ورأيت في كتاب) لا أعلم مؤلفه سماه لطائف الأسرار وكيفية جريان الأقدار ، طالعته سنة تسع وخمسين ولم يكن لي إذ ذاك اعتناء بهذه الأشياء، ان غراباً كان يأوي الى حائط فيقيم به فجاء يوماً فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت ، فقال من رآه انه رمى به ، وأخذ الحجر فتبعته فمضى حتى القاه في عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والاكل فيمضي بهما الى أفراخ الخطاف مدة طويلة ولم أشعر يوماً الا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أياماً فبينا أنا يوماً إذا بالواحد منهما سقط فنزل الغراب فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يمزق نفسه حتى مات فقمت الى العش فرأيت الخطاف ميتاً والآخر الى جانبه يضطرب فمات وأنا أنظره قلت ولم أزل أفكر في هذا الحجر حتى وقفت على خواص الأحجار فرأيت ان داخل الصين أغواراً يسيل الماء فيها فينعقد حجراً اذا ترك مد وغزل وخيوطاً كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثياباً اذا اتسخت القيت في النار فيذهب ما فيها وانه قبل أن ينغزل اذا أخذ نفع من اليرقان والحصى وسائر السموم وانه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد الى

أعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها ان اليرقاناعتراها فتمضي الى أماكن هذه الأحجار فتأتي بها فتأخذه الحكماء فسبحان من ألهم كل شيء رشده .

●*●

(وفي الكتاب المذكور) ان رجلاً اشترى زوج بط ، فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة حتى رفعت عنه فجاء الى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات

وقالوا ان أوفى الطيور في المحبة القمري والشفني أعني الفاخت وانه اذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت ، وكثيراً مـا سمعنا عـن البلبل والشحرور الحنين الى الغناء والملاهي والأصوات الحسنة وان بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات

* *

(وحكى عن سفيان) ان بلبلاً كان لولده وانه أقام يرعى ويأتي البيت حتى قيل انـه مضى مع الناس يوم موتـه الى القبر ورجع فاضطرب حتى مات

وأما قصه الزاغ فمشهورة جداً وهي ان السعدي قال وجه إليّ يحيى بن اكثم بالمثلثة ، فدخلت واذا عن يمنه قمطر جلد يعني قفصاً ، فقال اكشفه فكشفته ، فخرج شخص نصفه الأعلى انسان والأسفل زاغ ، فقال لي كلمه فاستسميته فأنشد

أنا الزاغ أبو عجوه أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا ن والنشوة والقهوه
فلا عدوان لي يخشى ولا يحذر لي سطوه

ولي أشياء تستظر فيوم العرس والدعوه

فمنها سلعة في الظهر لا تسترها الفروه

وأما السلعة الأخرى فلو كانت لها عروه

لما شكت جميع النا س فيها انها ركوه

ثم قال يا كهيال انشدني غزلاً ، فقال يحيى قد استنشدك فأنشده فانشدته

أغرك ان اذنبت ثم تتابعت ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب

وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي وقد يصرم الانسان وهو حبيب

فجعل يقول زاغ زاغ ونزل القمطر فقلت ليحيى أصلحك الله أو عاشق ايضاً ثم سألته عنه فقال لا أعرف منه الا ما رأيت وقد وجه به صاحب اليمن الى أمير المؤمنين ولم يره بعد ومعه كتاب لم أفضه أظن فيه أمره ، ورويت هذه القصة عن سوى السعدي وانه كان عند أحمد بن أبي داود وان الأبيات التي أنشدها للزاغ هي

وليل في جوانبه فضول من الاظلام أطلس غيهبان

كأن نجومه دمع حبيس ترقرق بين أجفان الغواني

الصنف الثاني في ذكر بعض ما وقع للحيوان من امور العشق في اختلاف الازمان

حكى الشيخ قدس الله سره ان أعظم الحيوان ادراكاً من ذوات الأربع الخيل وانها أقرب من غيرها الى مزاج الانسان وقد بسطنا أحوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد في كتب الزردقة

والخيل أحسن الحيوانات مزاجاً وإدراكاً حتى انها لا تنزو على محرم أبداً ، قال الشيخ جيء لحصان بأخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشف الثوب فعرفها فجعل يجري حتى القى نفسه من جبل شاهق فتقطع

+ +

وفي لطائف الأسرار ان رجلاً من أصفهان ولدت عنده فرس حصاناً وأخرى أنثى فأتلفا فكان اذا فرق بين واحدة وأخرى لا تمشي كل منهما ولا تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا ، قال وربما كان يطرح الأكل للواحدة قبل الأخرى فلم تذقه حتى يطرح للاخرى ، قال وشاهدت إحداهما تدفع بيدها حشيشاً الى الأخرى ، وان إحداهما مغلت فقصدها البيطار ، فلما رأت الأخرى الدم قطعت الرباط فجاءت فمرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة ، فلما رأتها المفصودة طرحت نفسها عليها فاذا هي ميتة

+ +

(وحكى فيه أيضاً ان ملك الهند بعث الى صاحب بخاري بفيل فأحسن خدمته ، فلما كان يوم حرب بينه وبين قندهار وهم يركبون الأفيال يقاتلون على ظهورها خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل الى فيـل آخر في ذلك العسكر ففلم حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاءه فانطرحا الى الأرض وجعل كل منهما فنطيسته على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فاذا هما ميتان .

+ +

وفي اللطائف أيضاً ان غزالاً كان يأوي الى محـل في جبل وان شخصاً رآه يتردد الى ذلك المحل فتبعه فرأى وعلاً في غار وبيده ألم لا يمكنه المشي ورأى مع الغزال قطفاً من عنب وهو يلقيه في فم الوعل فانصرف عنهما .

+ +

(وحكى فيه ايضاً) عن شخص بغدادي خرج في بعض أسفاره فبينما هو جالس في القيلولة وقد بسط سفرة ليأكل واذا بكلب أقبل فأخذ رغيفاً فقام وتبعه حتى انتهى الى غار فاذا فيه كلبة قد عظلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع في فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف

+ +

(وحكى) الجاحظ ان ملكاً من أقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوّقه الذهب ويجعله معه حيث كان فألفه الكلب حتى كان اذا غاب عنه لا يستقر فاعتراه يوماً ضعف فخرج الملك الى الصيد وتركه في المطبخ وكان قد أوصى أن يطبخ له أرز بلبن ، فجعل الطباخ اللبن في القدر وخرج ليأتي بالأرز فخرجت حية من السقف فسقطت في اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الأرز ولم يشعر حتى تهرّت وخشي الطباخ سطوة الملك وقد فاجأه بطلب الأرز ونذل وطلب أن يأكل في المطبخ فحين شرعوا في

وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب ، فقال الملك ما له ؟ فقالوا لا نعلم فقدم له طعام فامتنع وجيء بالأرز الى الملك فصاح الكلب واشتد وجده حتى قطع السلسلة ، وعاجل الملك قبل أن يأكل فوضع فمه في الطعـــام وأكل فتنفزر جلده لوقته ومات ، فضرب الملك الطباخين واستنهرهم فأقروا فعلم ان الكلب فداه بنفسه لمحبته فكفنه في حرير وبنى علية قبة .

قال الجاحظ وهي الآن باليمن تسمى قبه الكلب

ﹶ ﹶ ﹶ

(وحكى) عن أبي العيرانه ، كان عنده حمـــار فمات فرآه في النوم ينشده شعراً يقول فيه انه مات عاشقاً فسأله المتوكل ما الذي كان من شأنه ، قال يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضـاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته في النوم فقلت له ألم أنق لك الشعير وأبرد لك الماء فما سبب موتك فقال أتذكر إذ وقفت بي على الصيدلاني يعني العطار قلت نعم قال مرت إذ ذاك أتان فافتتنت بها ومت ، فقلت وهل قلت في ذلك شيئاً قال نعم وأنشد

هام قلبي بأتان عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنـــا بثناياهـــا الحسان
وبخـــد ذي دلال مثل خد الشيقران
فيهـــا مت ولو عشت إذا طـــال هواني

فقلت له يا أبا معاذ وما الشيقران فقال أنا مشغول بما أنا فيه وهذ كلام تعرفه الحمير فاذا رأيتم حماراً ومن كان أولاً فسألوه فضحك المتوكل حتى سقط وأمر له بعشرة آلاف درهم وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة الى بشار فهذا ما أردنا تلخيصه من أمور الحيوانات

الصنف الثالث في ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الانفس النباتية

نقل في لطائف الأسرار وبه جزمت الحكماء ان أصح النبات وأعدله وأكمله خلقاً جمع أمور تسعة الورق والعود والثمر والنوي والصمغ والدهن والليف والقشر والاصول ، وقد كمل في النخل ذلك ، فهذا أعدل النبات وفي الأخبار انه من طينة آدم وورد أكرموا عماتكم النخل ، وفي الصحيحين أتعرفون شجرة هي كالرجل المسلم الحديث ، وفي الفلاحة النبطية ان النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى ، فقد صح ان النخلة اذا لم تحمل ضرب في أصلها بفاس ، ويقول شخص آخر لأي شيء هذا فيقول الضارب دعني أقطعها فانها لم تحمل فيقول دعها في ضماني العام فان لم تحمل فاقطعها ، فانها تحمل وقد جرب ذلك

* *

(وحكى) في النفائس ، قال زرع شخص أربع نخلات متقابلات فحسن ثمرهن سنين ثم أصيبت واحدة فيبست فلم تحمل التي في مقابلتها .

* *

(وحكى) أيضاً ان شخصاً كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر ويسقط قبل البلوغ فشكا ذلك الى حاذق

فجاء حتى نظرها فقال انها عاشقة ، ثم دعا برصاص فصنع شريطاً وربطه منها الى نخلة أخرى هناك فحسن ثمرها تلك السنة ، ودامت كذلك وان صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر فأعاده فصلحت .

°°°

(وحكى) بعض ذلك في الخريدة وأما ما بين الفلفل والكافور والتين والنفط والزنجبيل والازدارخت فأشهر من أن يحكى وغـــايه الامر أن يدعى الخواص ، فيقال ان شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق ، من قبيل الخواص .

الصنف الرابع فيما بث من الاسرار بين
اصناف الاحجار

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لا يشك في وجوده ، وهذا لكثرة وجود المغناطيس والا فسائر المتطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينهما في الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل .

وأغرب منه مـــا حكي في اختصار الكائنات للمعلم ان بالبحر دابة كالأرنب يتولد في رأسها حجر اذا أخذ وأشير به الى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر وفيه أيضاً ان شخصاً نزل بأرض اللؤلؤ مما يلي جزيرة رامهرام فوجد الشمس اذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة ، ثم تتراقص أحجـــارها وتضطرب حتى تجتمع فاذا غربت الشمس افترقت الأحجار .

الصنف الخامس فيما بث من الاسرار الملكية بين الاجسام والاجرام الفلكية وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيث بدىء الشيء عاد عند مفارقة الفساد

أعلم ان الأيام والاجـــرام والبروج والكواكب والأجسام والدوائر متطابقة التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وريحاً وأقطاباً وطبعاً ، وتشعبت قوى وجوانب ونقصاً وزيادة الى غير ذلك فمثالها في الانسان اثنا عشر مخرجاً عينان وأذنان وفم ومنخران وسرة وثديان وسبيلان قد قيست بالبروج ونفس بالشمس إذ لا تزيد ولا تنقص وعقل بالقمر في قبول الحالتين والخمس الحواس بالخمس البواقي وهكذا الى درج في العروق ومفـــاصل بالجو زهرات والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة ، وفرع أهل الرياضة والروحانيات والارصاد على ذلك الاستخدام واستنزال الكواكب وتكليمها والطيران اليها وتحريك الجمادات الى غير ذلك مما بسطناه في كتبنا الحكمية وجارينا فيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل وهـــل ذلك الا قوة عاشقية فليعتبر أولو الابصـار وليتذكر أولو الألباب فسبحان من أوجد ذلك واستغنى عنه واثر فيه ومنه لا تغيره الازمان ولا تفنيه الاوقات ولا يعجزه اختلاف الأكوان

الباب الخامس

في تتمات يفتقر اليها الناظر في هذا الكتاب
ويحسن موقعها عند اولي الالباب

فذلك هو المشروع الجامع لما ذكر في المصارع وينحصر في فصول مختلفة وان كانت في الجنس مؤتلفه .

فصل في تحقيق معني الحسن والجمال وما استلطف
في ذلك من الاقوال

الأصل في المحاسن والمطلوب عند العقلاء في كل المواطن إنما هو اصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر وإنما ضم اصلاح الظاهر الى ما ذكر طلباً لتحصيل الكمال ودلالة في الأغلب على الاعتـــدال ويتم الأول بتحسين المقاصد وإصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق في ذلك المواقف مستمداً بالمراصد مستعداً للأوامر الالهية وتلقى ما في تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المقول ومهذب الفروع والأصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة ، وقطب دائرة الكائنات في الدنيا والآخرة .

ان في الجسد مضغـــة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر الا بعد الأخذ بالحظ الأوفر من أمهات الأخلاق ، وهي الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة ، فانها لهذا المورد كالاخلاط للمزاج افراطاً واعتدالاً ، وخـــير الأمور سلوك الاعتدال للسلامة من الافراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبن ولازم مما ذكرنا التخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم الى غير ذلك وعد قوم العفة أصلاً بدل المروءة لأنها تندرج في العدالة وبعض المتصوفة جعلى التسليم أصلاً ايضاً، وبالجملة فهذه الخصال الداعية الى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال ، فان المتخلق بها محال أن يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زناً أو تناول غير ما هو له فهذه أصول السياسة ونظام المدنية وموضع بسطها الحكمة بل ملازمة الشريعة المطهرة فقـــد أغنت عنها فهذه الأخلاق التي لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال

وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل واليها إشارة المترسمين ، وفيها غالب النثر والنظم فالعبارات عنها كثيرة ، والألفاظ فيها غزيرة ، قال بعضهم الحسن الصريح مـــا استنطق بالتسبيح أو هو تناسب الخاتمة وأعتدال البشرة وصفاء المادة أو مركب من الوضاءة والتناسب والصباحة

وقيل الحسن بياض اللون وسواد الشعر وكل منهما شطره ، والصبـــاحة كالملاحة ، والبياض والجمال مـــا أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقاً من اسم الشحم

والصحيح انه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الأشخاص ودقة الأنظار وصحة التأدي الى الأفكار , وهذا معنى قوله الحسن ما زين الزينة واستحسن دونها والى ذلك كله أشرت بقولي :

جميلة الأوصاف لطيفة منظر مليحة عطف طاب منها المغارس
يدق عن الألباب إدراك حسنها وجلت فزلت عن علاها المقايس
منعمـــة لم تلبس الوشي زينة ولكن أحبت أن تزان الملابس
غرست بلحظي الورد في وجناتها ومن دمي المسفوك تسقي الغرائس
وجئت لأجني ما غرست فصدني من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن في نفس الأمر كذلك ، ولكل ذي نظر دقيق مالك ما اختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات، ولا بالغ كل في تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده ، والخلاف إنما هو بالألفاظ والمعنى المطلوب واحد كما هو رأي أهل التحقيق من سائر الموارد ، ومن ثم قال بعضهم

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

ولله در أستاذ عظر الوجود فيض وجوده ، واستمدت الكائنـــات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه في أحسن مبنى بقولة

فكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمـــال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة ، فقالوا الحلاوة في العين والملاحة في الفم والجمال في الأنف ، والظرف في اللسان . وقالوا اذا حسنت العين فتمامها الدعج والفم فتمامه الفلج يعني في الثغر وطـلاوة الجبين البلج ، وبريق الوجنة الضرج .

وأحسن ما تكون المرأة اذا طال منها الاطراف والعنق والشعر والقامة وقصر منها العين واللسان واليد والرجل ، والمراد بالقصر القصر المعنـــوي كعدم الطموح بالعين وأخذ شيء فوق الحـاجة والخروج من بيتها وأبيض منها اللون والفرق والثغر وبياض العين ، والمراد بالثغر الاسنان ، أما اللثة فقد مدحت العرب سوادها ، والى ذلك أشار طرفة بقوله

سقته أيات الشمس الا لثاته   أسف ولم تكدم عليه باثمد

واسودّ منها الهدب والعين والحاجب والشعر ، واحمرّ منها اللسان والشفة مع اللعس يعني يسير السواد والخد وتشريب البياض بيسيرها ، ودق منها الحاجب والانف والسنان والخصر ، وغلظ منها المعصم والعجيزة والفرج والساق ، واتسع منهـــا الجبين والجبهة والعين والصدر وضاق منها المنخر والاذن والفم والفرج ، فهذه أوصاف بها جماع الحسن إذ كل مـا خرج عن ذلك كجعودة الشعر واستدارة الوجـه ونعومة البدن راجع اليها ، وانمـا العبارات الكثيرة تفنن في الأوصـاف وأهل الفراسة تجعل الجمـال الظاهر دليلاً على اعتدال المزاج .

وقال بعض الحكماء من نعم الله على العبد تحسين خلقه ، وخلقه واسمه قيل وصوته حكى بعض المفسرين في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت .

وقال سقراط اذا حسن الله وجهك فلا تصف اليه قبيح المعاصي أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين

وقال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال وكان يختار لحاجته صبيح الوجه حسن الاسم طلباً لاجتلاب القلوب ومن ثم كانت الانبياء عليهم السلام أكمل الناس لان غـاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتقـاء موجبها فيهم وأوتي يوسف شطر الحسن ، وأما نبينا ﷺ محاسن الاخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذي تكل عنه البصـائر ويقصر عنه كل ذي حد جائر واذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالأولى الاول فانه من مطالب الحكمة التي غايتها السعادة وهي من الاعراض اللازمة ، والثاني من مطالب الشهوة وقد توقع في المحنة ولا بد وأن تفارق .

* *

(تنبيــه) قد وقع لهم تشبيه بعض الاعضاء بالحروف كالحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالصاد والميم والثنايا بالسين والطرة بالشين والقامة بالالف وربما شبهوا العين بالصــاد ايضاً وبالفواكه كالخدود بالتفــاح والشفة بالعناب والثدي بالرمان وبالمشمومات كالوجنة بالورد والعين بالنرجس والعذار بالآس وبالمعادن كالشفة بالعقيق والاسنان باللؤلؤ ، وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان ايضاً وبأشياء مختلفة كالوجه بالبدر والفرق بالصبح والشعر بالليل ومرسله بالحيه والصدع بالعقرب والوجنة بالماء والنار والريق بالخمر والثدي والسرة بحق العاج الى غير ذلك .

وللشعراء في ذلك على اختلاف مراداتهم وتخيلهم المقدمات الشعرية كلام كثير فمن أبدع ما رأيت في التشبيه بالحروف وبعض الاشياء كلام الاديب الحاذق علاء الدين الشاهيني من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها

فمّ العذار بعارضيه وسللا وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليبهم المشهورة قولــه

صبحا مع الجوزاء لاح لناظري متبلجاً فأزاح ليلا اليلا
من لي بغصن نقا تبدي فوقه قمر تغشى جنح ليل فانجلى

ومنها

كتب الجمال على صحيفة خده بيراع معناه البهيج ومثلا
فبدا بنوني حاجبيه معرفاً من فوق صادي مقلتيه واقفلا
ثم استمد فمد أسفل صدعه ألفاً الفت به العذاب الاطولا
فاعجب له اذ هم ينقط نقطة من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
فتحققت في حاء حمرة خده خالا فعم هواه قلبي المبتلى
قسما بفاء فتور جيم جفونه لأخالفن على هــواه المــذلا

(وللشعراء) من الأسلوب المذكور وقد جمع الحيوان والحروف بقوله :

ارسل فرعا ولوى هاجري صدغاً فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية تسعى وهذا عقرباً واقفه
ذى ألف ليست بوصل وذى واو ولكن ليست العاطفة

وقال آخر

لا تقولي لا فمكتوب على وجهك المشرق بالنور نعم
بحروف خلقت من قدرة ما جرى قط عليها من قلم
نونها الحاجب والعين بها طرفك الفتان ثم الميم فم

(نكتة)

اعلم ان الأساليب في هذا الباب دائرة التشبيه المجرد وبين جعل الحرف ونحوها من المشبه في العادة مشبها ومقابله في المحبوب مشبهاً به وفي كل ذلك اما أن تبقى الاداة أو تحذف وفي كل اما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسناً اولاً وارفع الكل جعل الممدوح مسبهاً به محذوف الاداة مرشحاً بلطائف الأوصاف وقلّ سالكه وعكسه معلوم ولى من الفن الثاني .

بروحي أفي من خلتها حين أقبلت على أثر حزن تنثر الدمع في الخد
قضيبا من الكافور يمطر لؤلؤا من النرجس الوضاح في فرش الورد

ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين الرد على أهل الأسلوب الاوّل

شمس الضحى كجبينك الوضاح أف لمن جعلوه كالمصباح
يا قدها ما الغصن لولا الميل مع داعي الهوى كالغصن بالأرياح
أنا فيك سكران الفؤاد معذب أبدا وان أظهرت فعل الصاحي
فدع الملام وعذل من لم يستمع قول النصيح وخلني ياصاح

ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيه بل أشعر فيه باجتباح المشبه به في العادة الى المشبه ما قلت

يهناك يا قلب من زارتك في السحر ولم تخف ثم من واش ولا ضرر
حسناء لو لم تعاين نور طلعتها شمس الضحى مابدت يوماً على بشر
ووجهها لو رآه البدر واحتجبت عنه ذكا لم تخف نقصاً على القمر

(فصل في خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين)

أعلم أن مدار تلوّن البدن اما على الخلط أو شدة الحرارة أو ما تركب منهما والاول يلزم حالة واحدة أما البياض في البلغم أو الحمرة في الدم أو الصفرة في الصفراء أو السواد في السواد وما تركب بحسبه مع مراعاة الطواريء كقرب الشمس أو جبل أوسد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الأطباء بالألوان وعند العامة بالسحنة وموضع تحقيقه الطب والثاني يلزم السمرة وان غلب البلغم وأما الثالث فهو الذي تناط به أمثال هذه الأحكام وحاصل القول فيه ان الجلد شفاف يحكى ما تحته وان الباعث إليه الاخلاط هو الحرارة فهي كالنار ان اشتدّت صعدت ما لاقته وموضعها القلب وحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها أما الى داخل دفعة أو تدريجياً أو الى خارج كذلك أو اليهما وموضع بسطه الحكمة والذي يخصنا من ذلك هنا أن نقول أن استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم استيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني حتى قال بعض الحكماء لكل مرتبة من مراتب المحبة حد الا محبة العشق فلا حدّ لها وقال بعضهم ان تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة الا انه لا يطفئها كل هواء إذا تقرر هذا وجمع الى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه لأن الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة الى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون يعارضه لشدة الشفقة الخوف من نحو واش وسرعة تفريق واليأس الموجب لاخماد الحرارة أو جذبها الى داخل المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ومن ثم إذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل

فلا تحسبن كل اجتماع مغيرا فان اجتماعي بالأمان أماني

وأما حمرة المعشوق فهي اما حياء وإما خجل وكل منهما باعث للحرارة الى خارج ونتيجته احمرار الألوان وصفاؤها فأفضل الالوان الاحمر الصافي المشرق مطلقاً حتى في الثياب كالحلل والمشروب والمشموم كالورد والشقيق والحيوان كالخيل والمعادن كالذهب والياقوت الى غير ذلك ومنه أهلك الرجال الاحمر ان يعني الخمر واللحم والنساء والاحامر الذهب والزعفران والخمر واللحم ولبعض الشعراء

ان الاحامرة الثلاثة ضيعت   مالي وكنت بهن قدماً مولعا
الخمر واللحم السمين كذا الطلا   بالزعفران فلا أزال مروّعا

وقال المتنبي

من للجآذر في زيّ الاعاريب   حمر الحلى والمطايا والجلابيب

واحب ما يكون إليهم منه ما كان في الوجنات والشفاه قال ابو نواس .

يا قمر ابصرت في مأتم   تندب شجوا بين اتراب
تبكي فتذري الدر من نرجس   وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمرار والدمع الناشيء عن شدة الحرقة بالحمرة فليس طعناً فيها بل مدح لأنهم أرادوا انها من المطالب التي لا تنال إلا بالمشاق والصعوبة ومن ألطف ما وصف به الدمع قول عماد الدين

أرى العقد في ثغره محكما   يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها   رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعي غدا أحمرا   على آس عارضك الاخضر
وبعت رشادي بغيّ الهوى   لأجلك يا طلعة المشترى

(ومن ألطف ما يعجبني) في وصف المعشوق بالأحمرار والعاشق بالاصفرار قول ابن أبي الحديد من قصيدته التي أوّلها

الصبر الا عن فراقك يجمل   والصعب الا من ملالك يسهل

يصفر وجهي حين أنظر حسنه خوفاً ويدركه الحياء فيخجـل
فكان ما بخـــدوده من خمرة ظلت إليها من دمى تتنقـــل

(وقال بعض المتأذبين) لم يقع في هذا المعنى ألطف من البيتين المنسوبين الى الى أبليس وهما

وحمراء قبل المزج صفراء بعـده بدت بين ثوبي نرجس وشقـائق
حكمت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

وقيل أنشدهما لابن دريد في النوم فاعترضه بأنهما من اللف والنشر المشوش فقال له وما هذه المشاحنة في هذا الوقت يا بغيض (**تنبيه**) قـد توسع الناس في هذا المبحث فخرجوا منه الى التفضيل بين السمر والبيض وخاضوا بسبب ذلك في كلام عريض فمن قائل بتفضيل السمر مطلقاً وقوم البيض وآخرون فصلوا فقالوا ان كلا يميل الى عكس لونه وهذا تحكم وحـــكم على الطبائع والامزجة بلا دليل والصحيح ان الميل أما بداعية الشهوة أو النفع ولاضبـط للاول لاختلافه باختلاف الأشخاص وأما الثاني فالقوا فيه أما بحسب معتدل المزاج فالروميات حينئذ في نحو الحجـاز انفع كما ان الحبشيات في نحو الروم اجود لأن حرارة الأبدان تختبيء في الأغوار زمن البرد بالعكس وأما بالعكس واما بحسب المرضى فالسود للمبرودين أجود والبيض للمحرورين كذلك وعندي أن عكس هذا اجود لما سمعت من التعليل والصحيح أن الحبشة ألطف ممـــا عداهم مزاجاً وأرق بشرة واعدل حرارة فلذلك هن أوفق مطلقـاً ولكنهن في معرض التغيير وموضع تحقيق ذلك في الطبيعيات وأما الحكم على المصريين بانهم الى السمر اميل فمن قبيل ما قررناه من التحكم ومن ألطف الاشعار المقولة في التفضيل قول علي بن الجهم

وعـــائب للسمر من جهله مفضل للبيض ذى محـــك
قولوا له عني امـــا تستحي من جعلك الكافور كالمسك

وقال أبو جعفر الشطرنجي

اشبهك المسك واشبهته قائمة في لونه قاعده
لا شك إذ لونكما واحد انكما من طينه واحده

وقلت في ذلك

اري السمر أشهى منظراً عندعارف وأشرف مطلوباً سما في المطالب
فقل للذي قد فضل البيض جاهلا رويدك لا ترغب لغير مناسب
فكم بين قيراط من المسك قيمة وقنطار ثلج بارد من مراتب

وقلت في عكس ذلك

بيضاء تجلو الهم عن ناظري بعين حق لا بعين انتقاص
فقل لمن يرغب في اسمر ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

وإذا أحكمت ما قرّرناه من علة اصفرار الألوان علمت ان خفقان القلب عند الاجتماع أو الرؤية من لازم ذلك الشأن وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك فمن الطف ما قيل فيه قول الوراق.

يقول لي حين وافى قد نلت ما ترتجيه
فما لقلبك قد جا بخفقة تعتريه
فقلت وصلك عرس فالقلب يرقص فيه

وألطف منه قول البها زهير

لا تنكروا خفقان قلبي والحبيب لدي حاضر
ما القلب إلا داره دقت له البشائر

وتظرّف ابن عنين بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال

ان كان لا بدّ من رقادي فاضلعي هاك كالوساد
فنم على خفقها هدوّا كنومة الطفل في المهاد

وكثيراً ما تتبعت كلامهم فلم ار من جمع بين الاعتذار عن تغير اللون والخفقان فقلت في ذلك

قالت أراك إذا عاينتني وجلا عـديم لون بهيج كنت تملكـه
والقلب منك خفوق لا يسكنـه شيء فياليت شعري ما يحرّكه
فقلت ما تدران الشمس انجمعت بالبدر بعد تمـام النور تنهكه
والطير ان الف الغصن الرطيب وقد مادت به الريح هل يخفى تحرّكه

وفي الأبيات مع ما ذكر وصفها بالشمس فتكون هي المفيـدة للمحاسن والآخذة لها كما بـين الشمس والبدر ثم جعلها اغصانـاً يميل مع الهواء والقلب طائراً عليه وكل ذلـك زيادة على المطلوب وأما وصف خفقان القلب من غير نظر الى الاعتذار عنه فكثير قال ابن سنا الملك .

أما والله لولا خوف سخطـك لهـان عليّ ما ألقي برهطـك
ملكت الخافقين فتهت عجبـاً وليس هما سوى قلبي وقرطـك

وقال معين الدين :

لم انسه إذ قـال ابن تحلـني حذراً عليّ من الخيال الطـارق
فأجبت في قلبي فقـال تعجبـاً أرأيت عمرك ساكنـاً في خافق

وقد نسب ابن تقي الى الجفوة في قوله

ومهفهف مالـ بـه سنة الكرى زحزحته شيئاً وكانـ معانقي
أبعدتـه عن أضلع تشتاقـه كي لا ينـام على وساد خافق

فقيل انه لو قال باعدت عنه أضلعاً لكان أولى بالمقام

(فصل في مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة)

وهي باعثة نفسية مادتها المروأة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعي والأشخاص والمحمود منها ما كان واقعاً عند مشاهـدة نقص في ناموس الهي وحكم ديني ونمط شرعي فتبعث المتانة في الدين والمروأة على اصلاح ما نقص باليدان ما أمكن ثم اللسان ثم القلب وهذا هو الذي ترجمه الشاعر بالامر بالمعروف

والنهي عن المنكر ثم توسع الناس فيها فأضافوا إليها سوء الظنّ فوقعوا بذلك في مفاسد كثيرة كنهي بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه والحج والصلاة وغير ذلك مدّعياً انه ليس بأهل لهـا وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميلاً إلى محبوبه بل نفسه بل معشوقه ولهم فيها كلام كثير في قوالب شتى فبعضهم يغار من السواك والشربة والثوب وأمثال ذلك غير اني لم أر من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف في هـذا المبنى الطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التي في اسم محبوبه فالله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الاذهان الى بحور الألفاظ الرسمية

وذلك قوله

وأنزه اسمك ان تمر حروفه من غيرتي بمسامع الجلاس
فاقول بعض الناس عنك كناية خوف الوشاة وأنت كل الناس

الا ان فيه بحسب ما يظهر مناقشة فان ظهر كلامه انه يجوز التلفظ بأسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيدوادق منه واسلم وان كان هذا أسجم قول يزيد بن معاوية

الافامل لي كاسات خمر وغنّ لي بزكر سليمي والرباب وتنعم
واياك ذكر العامرية انني اغار عليها من فم المتكلمي
اغار على اعطافها من ثيابها اذا لبستها فوق جسم منعم
واحسد كاسات تقبل ثغرها اذا وضعتها موضع اللثم في الفم

ومن ليطف كلام ابن ابي الحديد في هذا المعنى

فيا رب بغضها الى كل صاحب سواي وقبحها الى كل ناظر
وبغض اليها الناس غيري كما أرى قبيحا سواها كل باد وحاضر
فياجنة فيها العذاب ولم أخف حلول عذاب في الجنان النواضر

ومما ينسب الى قيس

أرى الازار عـــلى البلى فاحسده ان الازار على ماضم محسود

وقال ابو تمام

بنفسي مــن اغار عليهـا منى وتحسد مقلتي نظري اليه
ولو أني قـدرت طمست عنه عيون الناس من حذري علية
حبيب بث في قـــلبي هـواء وامسك مهجتي رهنا لديه
فروحــي عنده الجسم خـــال بلا روح وقلبي في يديه

ومما سنح لي في ذلك قولي

نظرت اليها والسواك قد ارتوى بريق عليه الطرف مني باكي
تردده مــن فـــوق درمنضـــده سناه لانوار البروق يحاكي
فقلت وقـلبي قـد تفطر غـــيره ايا ليتني قد كنت عود اراك
فقالت أما ترضى السواك اجبتها وحقك مالي حاجة بسواك

فصل في احكام اسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الاحبة

قد اختلفت آراء الحذاق وتشعب مرادات العشاق فمن ذاهب الى ان الافضل خزن الاسرار وان ذلك من فعل الاحرار ومن قـائل ان افشاءها يسر القلب ويسري الكرب ومن قائل بالتفصيل وان الاذاعة الى المحبوب مطلوبة اذ هو الطبيب وكتم العلة عنه تعذيب وأما الاباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن اكبر المذنبين وهذا الطريق قد ادعى في ديوان الصبابة انه الكاشف عن وجهه نقابة ولا والله ماله فيه ذرة ولم يكن ارتضع مــن هـذا اللقح درّه وانا أنبه على مــن استنتج هـــذه

الآراء المحرّرة ودوّن هذه المذاهب المحبرة فأقول أعلم أن الطرق الثلاث موجودة في كلام صاحب النفحات القدسية والالطاف الربانية المعطر بنفثات فيه الاقطار القائم بأعباء المحبــة والاسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدي عمر بن القارض أفاض الله علينا من امداداته وشملنا بالطاف

عناياته فمن كلامه في المذهب الاوّل وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول .

وللحب أقوام كـــرام نفوسهم   منزهة عمـا سوى الحب يا خلي
إذا أودعوا سرا رأيت صدورهم   قبور الاسرار تنزه عن نقـــل

ومن قوله في المذهب الثاني وهو صريح في استيفاء الشروط المذكورة .

وابثثتها ما بي ولم يـك حاضري   رقيب بغى سري بخلوة جلوتي

ومن قوله في المذهب الثالث بـل هو أعم من هذا المشرب وقابـل لكل مطلب

ويحسن إظهـار التجلد للعـــدا   ويقبح غير العجز عند الاحبـة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم في المذهب الأول

باح مجنــون عامر بهـــواه   وكتمت الهوى فمت بوجدي
فإذا كان في القيامة نودي   من قتيل الهوى تقدمت وحدي

وأما كلام السهروردي فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردّد وحـيرة للعاشق وهو

وارحمـــة للعاشقين تحمـــلوا   سر المحبة والهـــوى فضاح
بالسر ان باحوا تبـــاح دماؤهم   وكذا دماء العاشقين تبـــاح
وإذا هم كتموا تحـــدث عنهم   عند الوشاة المدمـــع السفاح

وللوثائق في المذهب الثاني

ظهر الهـوى وتهتكت أستاره   والحب خـير سبيله اظهـاره
فاعص العواذل في هواك مجاهراً   فالذ عيش المستهـام جهـاره

ولبعضهم فيه

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى   فلا خير في اللذات من دونها ستر

ولبعضهم في المذهب الثالث

يا موقد النار الهابـاً على كبدي   إليك اشكو الذي بي لا إلى أحد

إليك أشكو الذي بي من هواك فقد طلبت غيرك للشكوى فلم أجد

ومن ظريف قول بعضهم

وقائلة مـا بال جسمك لا يرى سقيماً وأجسام المحبين تسقم
فقلت لهـا قلبي بحبك لم يبح لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

وللمعري في نصرة الأول

فظنّ بسائر الاخوان شرا ولا تـأمن على سر فؤادا

وألطف منه قول ابي جعفر الشطرنجي

فـلا تخبر بسرك بـل أمته وصير من حشاك له حجابـا
فما أودعت مثـل النفس سرا ولا أغلقت مثـل الصـدر بابا

ولقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ما هو أدق والطف حيث قال

ومستـودعي سراً تقصيت سره فاودعته من مستقرّ الحشا قبرا
وما السر في قلبي كميت بحفرة لأني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني كنت أخفيه حتى كأنه من الدهر يوماً ما احطت به خبرا

ولبعضهم

يا ذا الذي أودعتـني سره لا ترج أن تسمعـه مني
لم أجره بعدك في خـاطري كأنه مـا مرّ في ذهني

فهذا وأمثاله من أكبر الدوال على أنّ المـذهب الأول هو الصحيح المعتبر وما اتهم به بعض الشراح عارف الزمان ولسان الحضرة الالهية وموضع الاسرار الربانية سيدي عمر ابن الفارض من انه نصر المذهب الثاني بقوله .

وليسوا بقومي ما استعابوا تهتكي فابدوا قلي واستحسنوا فيك جفوتي
وأهلي في دين الهـوى أهله وقـد رضوا فيك عاري واستباحوا فضيحتي

فممنوع لان التهتك الذي أراده هو الاشتهار بالعشق لا اذاعة الاسرار

بدليل قوله رضوا فيك عاري يعني أن أهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العادّون وعاره في ذلك خصلة حميدة فاين هـذا مما نحن فيه وقد أسلفت في المقدمة ان دقائق هذا الاستاذ ليس في طوق البشر من حيث هو بشر الاحاطة بها فإذا استدلينا بشيء منه فهو استئناس لاهل الترسم في مشربهم وفيما ذكرت من قصة المنام كفاية للمتأمل وبالجملة فافشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل وأغرب بعضهم ففسر قول بعضهم (وكل حديث جاوز اثنين شائع) بأن المراد بالاثنين الشفتان وقلت من الاول .

لقـد أودعتني سرهـا فكتمته	ولا والهوى ما غير البعد خاطري
ولكن جوي الكتمان صعد مهجتي	وقطرها دمعاً جرى من محاجري
فشف لطول السقم جسمي من الذي	كتمت فأبدتـه هناك سرائري
فنم بـه الواشون بيني وبينهـا	فصدّت وقالت لا وفاء لغادري
فقلت وقد ضاقت هناك مذاهبي	ومن كان قدما عاذلي صار عاذري
فمن شافعي يوماً إليها ومالكي	هواها وعن سرّي يحدث ظاهري

ومن الثالث

يا معشر العشاق أوصيكم	بكتم اسرار الهوى والغرام
الا مـع المحبوب في خلوة	فثم كتم السر عندي حرام

ومنه أيضاً

بوصلك والودّ الذي كان بيننـا	حلفت ولا والله ما أنا غـادر
لانت أعز الناس عنـدي وسرك	بقلبي باق يوم تبـلى السرائر
فان لم يجد لي الدهر منك بخلوة	ففي الحشر تشكوه إليك الضمائر

(فصل في ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ما صدر عن المحبوب من الانحراف)

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوت يبلغ من الحكمه غاية المطلوب، وموضوعه عود الالفة بعد النفور ومادّته قيسة شعرية غالبها الزور وغايته الوصول الى المطلوب واستمالة قلب المحبوب والطف ما قيل فيه لابن الاحنف

كان لم يكن بيني وبينكم هـوى ولم يـك موصولاً بحبلـكم حبلي
واني لاستحي لكم من محـــدثي يحدّث عنكم بالملالة والمطـــل

وقال آخر

أتنسب لي ذنباً ولم أك مذنبـاً وحملتني في الحب مالي أطيقـه
وما طلبي للوصل حرص على البقاء ولكنه اجر اليك أسوقـــه

وقال ابن أبي حجلة :

لم أطلب الوصل من اجلي فديتك يا من زاد قلبي سواداً منه شامات
لكن خشيت بان تبلى بحب رشا يقتص لي منك والدنيا مكافـأة

وقال جميل

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى أن يقولوا انني لك عاشق
نعم صـدق الواشون أنت حبيبة اليّ وان لم تصف منك الخلائق

وقال ابن سنا الملك

وغانية لم تعد عشرين حجـة أقول لها قولا لديـــه صواب
عليك زكاة فـاجعليها وصالنـا لأنك في العشرين وهي نصاب

وقال بعضهم

قم بنا يا نور عيني نجعل الشك يقينا
قالى كم يا حبيبي يأثم القائل فينا

وقلت

تملكت أوصاف المحاسن والبها وزينت أرباب اللطافة والعقل
فمذ اعجز الحساد شيء تقوله رموك بأوصاف القطيعة والبخل
فلا تثبتي بالهجر زور كلامهم ولكن صليني وابطلي الزور بالنقل
ولا تمطلي بالوعد قلباً معذباً وان صح ان الشيء يعذب بالمطل

فصل في ذكر الرسل والرسائل
وتلطف الاحباب بالوسائل

وهو باب قدلهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق وموضوعه الاستعطاف بالانصاف ومادّته زخرفة القول وغايته طلب الائتلاف ومن ألطف ما وقع فيه كلام الواوي الدمشقي .

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدّثاه وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال آخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي سليمى وعرض بي كأنك مازح
فان اعرضت عني فموّه مغالطاً بغيري وقل ناحت بذاك النوائح

وقال القاضي مجد الدين :

شكراً لنسمة أرضكم كم بلغت عني تحيـة
كم قد أطالت بل أطابت في رسائلها الذكيـة
لاغرو أن حفظت احاديث الهوى فهي الذكيـة

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدي

يا طيب نشر هب لي من أرضكم فـاثار كامن لوعـتي وتهتكي
أهدي تحيتكم وأشبه لطفكم وروى شذاكم ان ذا ريح ذكي

ويجب أختيار الرسول وان يكون ذا عفة وصيانـة ومروأة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقاً ويخلص من سلطان المحبة والمطلوب أن يكون بالحجة ناطقاً وللعشاق في هذا المساق كلام لا تحصره الأوراق قال ابن سنا الملك .

راح رسولاً فجـاءني عاشقاً وعاقه عن رسالتي عـائق
وعادلاً بالجواب بـل يجوى أخرسه والهوى به ناطق

وقال أيضاً

راح الرسول إليه وهو مفند رجع الرسول اليّ وهو متيم

وما ألطف قول الارجاني في هذا المعنى .

قسماً لقد رجع النسيم عليلا لما سرى مني إليـك رسولا
ودرى بحبك انه قد خانني فغدا يجر من الحياء ذيولا

ومن ألطف ما وقع في الرسائل من النكت العجيبة والطرف الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذي يغلب نوره على ابن ذكاء ان ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى تملك حبها قلبه فعلم أبوه أمره فمنعه عنها فازداد غمه فأرسلت إليه كرة عنبر فلما كسرها وجد فيها زراً من ذهب فلم يدر ما أرادت بذلك فأطلع على سره القاضي الفاضل فقال

أهدت لــك العنبر في وسطـــه زر من التبر قليـــل اللحـــام
فالزر والعنبر معنـــاهـــما زر هكذا مختفياً في الظـــلام

ومثله أن رجلاً دعا محبوبته الى النزهة فأرسل إليها بمروحة وباقة نرجس وسكر نبات وشرابة وعود فأرسلت إليه بخيط أحمر وصبارة وثلاث كمونات سود وغاسول وزر وفي ذلك من لطيف الاشارة ما يدق عن الافهام فأنـــه أراد بالمروحة نروح وبالنرجس الى الزهر وبالسكرالنبات نبيت ليله وبالشراب نشرب وبالعود الغناء وأرادت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة أن تصبر وبالثلاث كمونات ثلاث ليال وبالغاسول الاغتسال وبالزر الزيارة بعد ذلـك وقلت ولم اسبق الى هذا المعنى فيما أظنّ

رسولي تلطف واجر ذكري لها فان رأيت الرصا في وجهها فأبسط الشكوى
وان اعرضت فاطو الذي قد نشرته ودعني بنيران الهوى في الهوى أكوى
فقد صرت أرضى كل ما ترضى بــه واستعذب التعذيب في السر والنجوى
فعاد رسولي بعد عقل وحكمـــة بأضعاف ما عندي من العشق والبلوى
* ولم أرض ارسال النسيم لأنـــه يرى البث في التدبير من سائر الادوا
فخفت عليـــه عشقها أن يعله فأحمل وزر ألست في حمله أقوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت في هذا المنوال وسبكه في قالب هذا المثال حيث يقول

وتلطف واجر ذكرى عنـــدهم علهم ان ينظروا عطفاً اليّ

فان في قوله تلطف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعـــد نفور القلوب وما أحسن قوله وأجرى ذكرى فانه ألطف من واذكرني لهم لأنه طلب مطلق اجراء الذكر وهو يحتمل معاني كثيرة وكذا قوله عندهم أي ولو على سبيل الهذيان أو محادثة غيرهم فاني لست أهلاً لمقابلتهم بذكر ولهـــذا لم يقل واجر ذكرى لهم الى غير ذلك مما لو أخذنا في بيان دقائقه لم تسعه دفاتر ولم تقم بحمله خواطر وما من مشرب للعشاق باطن أو ظاهر إلا ويوجد في مطاوي كلامه ولكن بلسان أهله .

فصل في ذكر الاحتيال
على طيف الخيـــال

وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل إليه بالمنام وإنما تدعو الحاجه إليه عند طول الهجر وشدّة الدجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أر فيه ألطف من كلام استاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله بمدده بل أظنه السابق الى هذا المنوال والفاتح فيه باب الاحتيال حيث قال:

نصبت على عيني لتحصيل غمضها　　لزورة زور الطيف حيلة محتال
فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت　　عليّ بدمع دائم الصب هطال

ففي البيتين مع ما طلبه من التحسين البديعي ما لا يخفي .

(وقال ابن النقيب في المعنى)

نصبت جفوني للخيال حبائلاً　　لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف إذا أغمضتهن أصيـــده　　ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

(وتلطف ابن نباتة في أخذه فقال)

واقسم لو جاد الخيال بزورة　　لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(وتلطف ابن السروجيّ بقوله)

انعم بوصلك فهـــذا وقته　　يكفي من الهجران ما قد ذقته
انفقت عمري في هواك وليتني　　أعطي وصالاً بالذي انفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره　　وسلوت كل الناس حين عشقته
أنت الذي جمع المحاسن وجهه　　لكن كنز تصبري فرقتـــه
قال العواذل يدّعي بك نسبة　　فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عني قل لهم　　عبدي ومملوكي وما اعتقته

أو قيل مشتاق إليك فقل لهم أدري بذا وأنا الذي شوّقته
ياحسن طيف من خيالك زارني من فرحتي بلقاك ما حققته
فمضى وفي قلبي عليه حسرة لو كان يمكنني الرقاد لحقته

(وابن السروجي) هذا ذكره مما في منازل الاحباب في عشاق الغلمان وفي ثمرات الأوراق سماه تقيّ الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه والشاهد من شعره هنا البيتان الأخيران وإنما ذكرناه كله لحسنه ومن المكثرين من ذكر الخيال حتى ضربت به الأمثال البحتري ومن قوله فيه

ولم أنس اسعاف الكري بدنوّها وزورتها بعد الهدوّ ولم تدري
إذا الليل أعطانا من الوصل بلغة ثنتنا تباشير الصباح من الفجر

(وقوله)

وليلة هوّ منا على العيش أقبلت بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي بعطفي غزال بت وهنا أعازله
فكم من يد لليل عندي حميدة وللصبح من خطب تذم هوائله

(وقال عبد الصمد)

واصل النوم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مفترقان
غير ان الأرواح خافت رقيباً فطوت سرها عن الابدان
منظر كان لذة القلب إلا انه منظر بغير عيـــان

(وقال ابن القطان)

زار الخيال نحيــلاً مثل مرسله فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط إلا كي يوافقني على الرقاد فينفيه ويرتحل

وقد أنشدهما يوماً عند الوزير الزيني وادّعى أنه لا يمكن تثليثها فأنشـد الحيص بيص بديهة

وما درى أن نومي حيلة نصبت لطرفـه حين أعيا اليقظـة الحيل

(وقال ابن العفيف)

يا حبذا طيفك من قادم ... يا أحسن العالم في العالم
طيف تجلى نوره ساطعاً ... حتى رأته مقـلة النائم
يا غائباً يحكم في مهجتي ... عليّ طابت غيبة الحاكم
عار على حسنك ان يشتكي ... خطي منه انـه ظالمي

(وأحسن كشاجم حيث قـال)

لقد بخلت حتي بطيف خيالها ... عليّ وقالت رحمة لنحيبي
أخاف على طيفي إذا جاء طارقاً ... وسادك أن يلقاه طيف رقيب

(وقال آخر)

وزارني طيف من أهوى على حذر ... من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً ... وكاد يهتك ستر الحب بي شغفـا
ثم انتبهت وآمـالي تجنبـني ... نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

(وقال ابن المعتز)

ابصرته في المنام معتذراً ... إليّ مما جناه يقظانا
ولان حتى إذا هممت به ... أنبهت عند الصباح لا كانا

(وقلت)

مليكة الحسن ماشيء يقال له ... نوم فان جفوني ليس تعرفه
هل تسمحين بشيء منه يطرقني ... فيه خيالك ان القلب يألفه
يحيا به ميت عشق لا حراك به ... لطول هجرك كاد الشوق يتلفه

ثم تشعبت آراءهم في التفنن في الخيـال (فمنهم) من ردّه مللاً وضجراً ويشبه هذا ما سبق من حمله الضجر على ترك من هجر (فمنهم) طرفة ويقال أنه أوّل من ذكر الخيال وفي ديوان الصبابة أن أول من ذكره عمـر بن قمئة وان طرفه أوّل من طرده فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب إليها فإني واصل حبل من وصل

(وتلاه جرير فقال)

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بســـلام

وسيأتي لهذا البيت حكاية في الخاتمة تذكر هناك من ردّ عليه (ومنهم) من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله

سامحت كتبك في القطيعة عالماً أن الصحيفة أعوزت من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسرى فيصبح دوننا بمراحل

(ومنهم) من ذمّ النوم في قالب الاعتذار عن طيف الخيال كأنه يقول ان المنغصات في الدنيا لا تنفك عن الانسان حتى في النوم ألا ترى أن من يحلم بمحبوبه أو شيء من مطلوبـــه ينتبه فلا يرى إلا الأسف والقلق وزيادة الحرق وإن حلم أنه أحدث أو ضرب رأى ذلك في الصباح ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جرياً على عوائد الزمان في الاتيان بغير الملائم للانسان وما أحسن قول المتنبي في هذا المعنى :

وأحسب أني إذ هويت فراقكم أفارقكم والدهر أخبث صاحب
فيا ليت بيـني وبين أحـــبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

ومن ذمّ المنام والرؤية فيه قول بعضهم

أرى في منامي كل شيء يسوءني ورؤياي بعد الصبح أدهى وأقبح
فإن كان خيراً فهو أضغاث حالم وإن كان شراً جاءني قبل أن أصبح

(وقال المعري)

إلى الله أشكو أنني كل ليلة إذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فإن كان شراً فهو لا شك واقع وإن كان خيراً فهو أضغاث أحلام

(وقال الأحنف العكبري)

وأحلم في المنام بكل خير فأصبح لا أراه ولا يراني

ولو أبصرت شراً في منامي لوافى الشر من قبل الأذان

(وقلت)

لك الحمد اني لم أبت ليلة من الدهر خلواً من أليم الغوائب
وفي النوم أن أحلم بشيء يسوءني من الصبح يأتيني بسوء العواقب
وإن كان خيراً لا أرى منه ذرةً لسوء مزاج أو قران كوكب

(ومنهم) من تطرّف فوصف النوم وإبليس بالقيادة قال ابن المعتز

ألم الخيال بلا حمده وأبدلني الوصل من صدّه
وكم نومة لي قوّادة أتت بالحبيب على بعده

(وقال آخر)

تركت هجا إبليس ثم مدحته وذاك لأمر عز عندي سلوكه
يقرّب من أهواه حيناً فإن أبى حكاه خيالاً في الكرى فأنيكه

ومما يصلح إيراده هنا للمناسبة أن بعض المغفلين أحب امرأة وأجهد نفسه حتى اجتمع بها فنام فقالت له لِمَ لم تفعل ذلك قال : من شوقي اليك لعلي أراك في النوم فقالت أنا عندك بنفسي فقم فانظرني .

فصل في أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولهما عند الهجر والنفار وتمني طول زمن الوصل والرضا

وقصر الهجر وقطعه أسرع من القضا وما تشعب في ذلك بين العشاق وذهبوا كل مذهب على اختلاف الأذواق

فمما قال متحمسهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الأحبة

يا ليل طل أو لا تطلّ لا بد لي أن أسهرك
لو بات عندي قمري ما بتّ أرعى قمرك

وما ألطف قول بعضهم في طول الليل وهجر المحب

رقدت ولم ترث للساهر وليل المحب بلا آخر

(وقال آخر)

مات الظلام بليـــل أحييته حين عسعس
لو كان لليل صبح يعيش كان تنفس

(وقال ابن منقذ)

لما رأيت النجم ســـاه طرفه والقطب قد ألقى عليه ثبـــاتا
وبنات نعش في الحداد سوافره ايقنت أن صباحهم قد ماتـــا

(وقال بعضهم)

وصل الحبيب جنان الخلد اسكنها وهجره النار يصلينا بها النارا

فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة   إن لم يزرني وبالجوزاء ان زارا

(حكي) ان محدثاً سئل عن معنى هذين البيتين فقال هـذا راجع الى النجوم وقام مستحياً وآلى على نفسه أن لايجلس في حلقة حتى ينظر في النجوم
(وقال بعضهم) في قصر ليل الوصال

يا ليلة كاد من تقاصرها   يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين

عهدي بنا ورداء الليل مشتمل   والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ بانوا فديتهم   ليل الضرير فصبحي غير منتظر

وقال الشريف ابن الهبارية

لقد ساهرتني عيون الدجى   وقد نام عني عيون الملاح
إذا اشتكى الليل هجر الصباح   شكوت إلى الله هجر الصباح

(وقال الفاضل في زمن الوصل)

بتنا على حال يسر الهوى   وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له   إن غبت عنا هجم الصبح

وقال الأرجاني معتذراً عن طول ليل الهجر

لا أدعي جور الزمان ولا أرى   ليلي يزيد على الليالي طولا
لكن مرآة الصبـاح تنفسي   للهم اصدأ وجهها المصقولا

(وقال امرؤ القيس)

وليل كموج البحر أرخى سدوله   علي بأنواع الهموم ليبتلى

(وقال المتنبي)

كم زورة لك في الاعراب خافية   أزهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي   وأنثني وبياض الصبح يغري بي

في هذا البيت من الأنواع حسن المقابلة وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد عليه في مقابلة الصبح بالليل لأن الجزء لا يقابل بالكل فلو قال النهار كان أولى وللمتنبي دقائق لطيفة ألا ترى إلى قوله

وكم لظلام الليل عندي من يد   تخبر أن المانوية تكذب

فإنّ المانوية فرقة تقول أن الآلهة اثنان إله الظلمة وإله النـور والأول لا يفعل إلا الشرّ والثاني لا يفعل إلا الخير فنقول أن زيارة المحب أعظم خير فعلته الظلمة وقد كذبوا في قولهم

(وقال ابن رشيق) :

ايها الليل طـــل بغير جنــاح   ليس للعين راحـــة في الطباح
كيف لا ابغض الصباح وفيـــه   بان عني نور الوجوه المـــلاح

وإنما أكثر وامن ذكر الليل دون غيره لأنه محل سكون الحواس وهدوّ الانفاس وخلو النفس بعد انطباق مسالك التشعبات عنها فتستجلب الافكار الخفيات فيما مضى وما هو آت واما النهار فالافكار فيه منتشرة والشواغـل مستكثرة فهو محل الاستغراق وقلة الاعتلاق ومحل التسلية عن الاشواق اللهم الا شخصاً قد ملك الحب قياده فلا يلهيه شيء ولا ينسيه مراده (وقلت جامعاً لغالب هذه المعاني)

يذكرك يا من هواها ضنى حالي   شغلت فما منه أرى أبداً خـالي
فنيت عن الاغيار فيك صبابـة   فغيرك لم يخطر مدى الدهرفيبالي
ولو زارني طيف الخيال لقـال لي   الا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي
سوىقصرأعوام الوصال وصداها   دقيقة هجران تقطع أوصـــالي
فيا من لها بالحسن يوسف قد حبا   ووالده بالحزن فيالدهر أوصى لي
متى تنعمي والشمس بالقوس ليلة   وفي ضدّه يوماً على رغم عذالي

(وقلت أيضاً مخترعاً فيما أظن)

ألوم جميـــع العاشقـين لذمهم ضيا الصبح فيتفريق شمل الحبائب
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها يفيض الضيا في شرقها والمغارب
وهلا سألتم شعرهـا ستر وجهها إذا شئتم طول احتباك الغياهب

ْ
ْ ْ

فصل

فيما ذكر وأشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي أوقعه في الفضول وكيف أدخل نفسه بين الاحباب حتى انتقمت منه أهل الآداب فوجهوا اليه سنان اللسان والاقلام فامتحن طعناً بكل نقي ونظام فقد قيل ليس من العدل كثرة العذل ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ومن لم يمسك عما استغني عنه من الكلام فهو أحق بالملام وليس هذا الباب ألطف من كلام سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته حيث قال :

دع عنك تعنيفي وذوق طعم الهوى   فإذا عشقت فبعد ذلك عنف

(وقال بعضهم)

يا عاذلي في هواه   إذا بدا كيف أسلو
يمر بي كل وقت   وكلما مر يحلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يا من إذا باعت الأبصارا أسودها   بجبت فوق خديه فقد ربحت
يزيد في العذل تبريحاً اسر به   فليت عذال حبي فيك ما برحت

وقال ابن العفيف التلمساني :

اسرفت في اللوم ولم تقتصر   وزدت في عذلك ياذا العذول
قد رضيت نفسي بمحبوبها   وإنما المولى كثير الفضول

(وقال والده)

ولي على عاذلي حقوق هوى   شكري عليها من بعض ما يجب

* لام فلما رآه هام بــه فكنت في عشقه انا السبب

(وقال بعضهم)

قد اقتصر المللاحي وجاء يلومني وزخرف لي زور الكــلام بمينه
وقال أسل عن هذا وعدعن غرامه فقلت له هــذا الفضول بعينه

وانشد ابن وكيع وقد عشق غلاماً نصرانياً ولامه عليه صاحبه فمر بهما المعشوق ولم يدر العاذل أنه هو فقال له لو عشقت هذا ما لمثلك عليه فانشد.

أبصره عــازلي عليــه ولم يكن قلبهــا رآه
فقال لي لو عشقت هذا ما لامك الناس في هواه
قل لي الى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري يأمر بالحب من نهــاه

وقال شيخ الشيوخ بحماة

زعموا أنني هويت سواكم كذبوا ماعرفت إلاهواكم
قدعلمتم بصدق مرسل دمعي فسلوه إن كان قلبي سلاكم
قال لي عدلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

(وقال بعضهم)

ان قوماً يلحون في حب سعدى لا يكادون يفقهون حديثــا
سمعــوا وصفها فلاموا عليها أخذوا طيباً وأعطوا خبيثــا

(وقال آخر)

من منصفي من عاذل جاهــل يخون باللوم لمن لا يخون
ان قلت ما نصحــك إلا أذى قال ومــا عشقك إلا جنون

وقال محمد بن شرف الدين القيرواني

يقول لي العاذل في لومــه وقوله زور وبهتــان
ما وجــه من أحببته قبلة قلت ولا قولــك قرآن

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

أيها العاذل الغبي تأمل ... من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرّة وجبين ... ان في الليل والنهار عجائب

(وقال ابن عبد الظاهر)

كم على عاذلي وكم لحبيبي ... ذاك تكبيرة وذا تهليلة
يا ثقاتي واين مني ثقاتي ... اين من يبتغي اليّ الوسيلة
انا ان مت قبلوني إليه ... فحياتي وحقه تقبيله

(وقال قابوس)

من عاذري في عاذل ... يلوم في حب رشا
إذا طلبت وصله ... قال كفى بالدمع شاهدا

(وقال الوداعي)

يا لائمي في هواه ... افرطت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق إلا ... ولا الصبابة إلا

(وقال البها زهير)

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره ... فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهجم ... فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

ابغض العشاق منه انني ... لم أبع في حبه رشدي بغيّ
قلت قد أضنيت جسمي قال قد ... قلت كي تذهب روحي قال كي

(وقال أيضاً)

إليكم هجرتي وقصدي ... وفيكم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادي ... فآنسوا مقلتي ولاتو (حشوا)

(وقال ابن مطروح)

والله مـا خطر السلو بخـاطري   ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

(وقال آخر)

لو رأى وجه جبيني عاذلي   لتفارقنا على وجـه جميـل

(وقال آخر)

قل للعذول أطلت اللوم في قمر   يزيـد في كل يوم حسنه نورا
ان كنت تزعم ما في حسنه عجب   قم فانظر الورد في خديه منشورا

(وقال محيي الدين البغدادي)

ان لامني من لا رآه فقـد   جـار على الغائب بالحـكم
وان نهاني من رآه فقـد   اضله الله على عـلم

(وقال البها زهير)

أنت الحبيب الأوّل   ولك الهنا المستقبل
عندي لك الودّ الذي   هو ماعهدت واكمل
القلب فيك مقيـد   والدمع فيك مسلسل
يا من يهدد بالصّدود   نعم تقول وتفعـل
قد صح عذرك في الهوى   لكنني اتعلـل
قل للعذول لقد اطلت   لمن تقول وتعـذل
عاتبت من لا يرعوى   وعذلت من لا يقبل
غضب العذول اخف من   غضب الحبيب واسهل

(وقال ابن أبي حجلة)

وعاذل بالـــغ في عذله   وقال لمـا هاج بلبـالي
بعارض المحبوب مـا تنتهي   قلت ولا بالشيب والوالي

(وقال آخر)

وشادن مبتسم عن شنب   مورّد الخدّ مليح الشنب

يلومني العاذل في حبي له　　وما درى شعبان أني رجب

المراد بشعبان العـاذل ورجب الأصم وهي اسمـاء كانت مشهورة في الجاهليـة

(وقال السراج الوراق)

قلت إذ جرد لحظـا　　حـده يدنى الأجـل
يا عذولي كف عني　　سبق السيف العـذل

هذا مثل سائر أصله ان سعـدا وسعيداً ابني ضبة خرجا لحاجة فرجع سعدون أخيه فكانت العرب اذا عاد الرجل منهم من سفر يقولون له سعدام سعيد فيقول سعد ان رجع بفرصة وان عاد بدون فرصة يقول سعيدوان أباهما خرج مع رجل حتى بلغا موضعاً فقال له الرجل قد قتلت هنا رجـلاً وأخذت منه هذا السيف وناوله ضبة فعرفه فجرّده وضرب الرجل فعـــذل فقال ضبة سبق السيف العذل

(وقال شيخ الشيوخ بحماة)

اعاذلي ليس مثلي من تفنـده　　وليس منك مأموناً على عذل
ما دمت خلوا فما تنفك متهماً　　أعشق فقولك مقبول عليّ ولي

(وقلت)

لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى　　للومهم العـذال وهـــو عجيب
أما عذر المجنون مع ذى جهالة　　لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب
وما عاقل ذاق الهوى فيذمه　　ويعذل صبا ان جفـــاء حبيب

فصل في أحكام الزيارة وما جاء في فضلها
من البراعة والعبـارة وتفنن العشاق في فضل زيارة الحبيب
وايثار أنفاسه على نفائس الطيب

قيل كان الشافعي رضي الله عنه يكثر من زيارة احمد وكان أحمد يقل من زيارته هيبة له فقيل للشافعي انك لتزوره أكثر وهو المحتاج اليـك فانشد :

قالوا يزورك احمد وتزوره   قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارني فبفضله أوزرته   فلفضله فالفضل في الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيـدي عمر بن الفارض أفاض الله علينا من مدده في هذ الباب حيث يقول

ولما توافينا عشاء وضمنا   سواء سبيلي دارها وخيامي
فرشت لها خدي وطاء على الثرى   فقالت لك البشرى بلثم لثامي

جعل الزيارة تفضلاً منها ثم أشار الى أخذه في إسباب السعي إليهـا بل شروعه في ذلك رفعاً لجانبها عن التكليف الكلي كأنه يقول٠أنه ليس أهلاً لها ثم فرش خده في مقابلة السعي ولم يقل لها فقط بل أطلق في جعله على الثرى المحتمل أنها وطئته وانها لم تطأه وفي ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه ايضاً بغاية رفع شأنه منها بأكثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمحت له به غيرة كما صرح به هضماً لجانبه عن هذا المقام كما أشار إليه ولما أعطى المقام حقه ونقلته العنايات الى محل الكرامات والحظوة بنيل المرادات أشار إلى ذلك بقوله بعد البيت الذي تضمن ما ذكرنا

عتبت ولم تعتب كأن لم يكن قلى   وما كان إلا أن أشرت وأومت

فانظر إلى هذا الانتقال وصريح هذا المقال بعد ما قال

ومنت وما ضنت عليّ بوقفة   تعادل عندي بالمعرّف وقفتي

حيث عد زيارتها منة عليه لئلا يتوهم مما يأتي هضم جانبها ثم نفى عنها البخل ثم عتب بعد ذلك فأين هذا مما سبق فسبحان واهب الفضل لمن أحسن في خدمته وقام بحقوق محبته ومن ألطف ما قيل في الزيارة والعجلة قول العكّوك .

بأبي من زارني مكتتما   خائفاً من كل شيء فزعا
زائر نمّ عليه عرفه   كيف يخفى الليل بدر أطلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت   ورعى الساهر حتى هجعا
ركب الأخطار في زورته   ثم ما سلم حتى ودّعا

(وقال ابن المعتز)

زارني والدجى أحم الحواشي   والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس   بات يجلى عن غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول   طوّل الله فيك غيظ الحسود

(وقال آخر)

زارت على غفلة الرقيب   كظبية روّعت بطيب
وكان وقت الوصال منها   أقصر من جلسة الخطيب

وقال عبد العزيز ويقال أنه أصدق ما قالت الأواخر

يقولون لي بالله ما أنت فاعل   إذا زارك المحبوب قلت أنيكه

(وقال ابن النبيه)

قلت لليل إذ حباني حبيبي   بعتاب يسبي النهي وعقارا

أنت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يا دجى بردداراً

(وقال ابن العفيف)

ومليح كالبدر زار بليل فجلى حسنه الدجى إذ تجلى
ما درى منزلي ولكن قلبي بلهيب الجوى هـــواه ودلا
وعجيب منـــه فقيه ذكي بمحل النزاع كيف استدلا

(وقال بشار)

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر الا شهادة أطراف المساويـــك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة عودي ولا تجعليها بيضة الديك

إنما قال ذلك لأنه قد اشتهر ان الديك يبيض في عمره مرة ولم يـــذكر الطبيعيون ذلك وأقول ان القياس لا يأباه لما تقرر في الطبيعــة من أن البيض الريحي فضلات غليظة هيأتها الحرارة والذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المني الفاضل ولولا الحرارة الحلالة لكثر ذلك فيهم والممنوع بيض يولد النوع لعدم الزرع النامي ومن له يد في الفلسفة سهل عليه علم هذا وقال ابن أبي حجلة

زار الحبيب ووجه الورد خجلان فأصفرّ حين تثنى قـــدّه البان
قد كان ما كان من هجرانه زمناً وقد وفى الآن فالعذال لا كانوا
ما ضرني ضيق عيشى حين واصلني سم الخياط مع الاحباب ميدان

(وقال ابن سكرة)

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عـــدة تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمداً فما استترت وناب اشراقها ليلاً عن القبس
ولو طواها الدجى عنا لأظهرها برق الثنايا وضوء البرق في الغلس

ومما تدرجوا إليه من ذكر زيارة الحبيب وصف ممره بالطيب قـــال ابن النبيه

ان جاء من يبغي لهم منزلاً فقل له يمشي ويستنشق

(وقال الطغرائي)

فسربنا في ظلام الليل معتسفاً فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

(وقال آخر)

لو كان يوجد ريح مسك فائحاً لوجدته منهم على أميال

(وقال المتنبي)

ويفوح من طيب الثناء روائح لهم بكل مكانة تستنشق

ومما ينخرط في سلك الزيارة وينتظم في عقد الاشارة ذكر العيـــادة وما ينجز الى المحب فيها من الافادة وهي في الحقيقة زيارة بحيلة تستعطف بها النفوس البخيلة قال الطغرائي

خبروها اني مرضت فقالت أضنى طارقاً شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادي فأبت وهي تشتهي أن تعودا
وأتتني في خفية وهي تشكو ألم الشوق والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك !ن أمالت عليّ عطفاً وجيدا

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

وملولة في الحب لما أن رأت أثر السقام بعظمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم أنا بالسقام وأنت بالأعراض

(وقال آخر)

لا تهجروا من لا تعوّد هجركم وهو الذي بلبان وصلكم غذي
ورفعتموا مقداره بالابتـــداء حاشاكم أن تقطعوا صله الذي

.وعلى ذكر الذي والصلة قيل كتب ابن عنين وقد مرض الى الملك المعظم :

أنظر إلي بعين مولى لم يزل يولي الندى وتلاف قبل تلافي

أنا كالذي احتاج ما يحتاجه　　فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فحضر اليه وصحبته ثلثمائة دينار فقال أنت الذي وهذه الصلة وأنا العائد

(وما ألطف قول البهاء زهير في المعنى)

يقولون لي أنت الذي شاع ذكره　　فمن صادر يثني عليه ووارد
فقلت له هبني الذي ذكرته　　فأين صلاتي منكم وعوائدي

(وقال ابن عباد)

مر　　فأشفقت الزيارة عامداً　　وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجر
ولكن اشفقت من أن أزوركم　　فأبصر آثار الكسوف على البدر

(الشهاب محمود)

رأتني وقال نال مني النحول　　وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام　　فقلت صدقت وبالخصر ايضا

(وقال الأرجاني)

غالطتني إذا كسا جسمي الضنى　　كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى　　مثل عيني صدقت لكن سقاما

(ابن أبي حجلة)

شكوت الى الحبيبة سوء حظي　　وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت أنت حظك مثل عيني　　فقلت نعم ولكن في السواد

(ابن النقيب)

وما بي سوى عين نظرت لحسنها　　وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة　　فقلت نعم عين الحبيب ونظرتي

(والكل مأخوذ من قوله)

وجاؤا إليه بالتعاويذ والرقي | وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجنّ نظرة | ولو عقلوا قالوا به نظرة الأنس

(شمس الدين بن العفيف)

اسم حبيبي وما يعاني | قد حير خاطري ولبي
قالوا عليٌّ فقلت قدراً | قالو كوافي فتلت قلبي

(ابن الوكيل)

وبي من قسا قلباً ولان معاطفا | اذا قلت أدناني يضاعف تبعيدي
أقرّ برق إذ أقول أنا له | وكم قالها أيضاً ولكن لتهديدي

(ومما أورده صاحب الدمية له)

عذيري من شاطر أغضبوه | فجرّد لي مرهفاً فاتكا
وقال أنا لك يا ابن الوكيل | وهل لي رجاء سوى ذلكا

وتشبيهاته في نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت إذ لا يمكن استيعاب ذلك

(وقلت في أصل الزيارة)

زارت وقد أخفى نهار جبينها | ليل الشعور مخافة الرقباء
فوثبت إجلالاً أقبل نعلها | بل تر به للبرء من أدوائي
قالت لك البشرى فطب نفساً بما | أوليت من نعم وحسن وفاء
بتنا وكل جوارحي تشكو لها | شوقي وما صنع الهوى بحشائي
فسكرت من ألفاظها ورضابها | مع لينها ومحاسن الحسناء
ونسيم أنفاس لقلبي أرسلت | سحراً فأحيا ميت الأحياء
لله من وطر قضيت مؤازراً | معها بثوبي عفة وحياء
يا ليلة غلط الزمان بها ولو | عوّضتها بالعمر كان منائي

(وقلت أيضاً)

أفدي التي زارت بلا موعد | في غفلة الواشين والجاني
والوجه منها روضة أينعت | ما لمستها راحة الجاني
قمت لأجني الورد من خدها | وهي بسيف اللحظ ترعاني
فقلت ما هذا وقد راعني | قالت حديد يمنع الجاني

وأما كلام سيدي عمر بن الفارض في وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب وذلك قوله

ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها وفي الغرب مزكوم لعادله الشم

فإنه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لا يهتدى إليها إلا من خص بالعناية ألا ترى الى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله في الغرب الذي يكثر الهواء منه لا إليه كما في القرينة الثانية وجعل المحبوبة في القطر الحار الذي تفنى فيه الرائحة إذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحمله الهواء من تصعيد البخار ومع ذلك يشم ومنه أخذت فقلت

لو اشتاقها في الغرب فاقد شمه وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

(وقلت في العيادة)

أقول لها هل تسعفي بعيادة | مريضاً كواه البين بالهجر والسقم
فقالت إذا ما فارق الروح زرته | لأن محال جمع روحين في جسم

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الأصول ويهتدي الى الحاقه بها أهل العقول ما جرى على ألسنة الأحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه الى مادح له لتأكيده المحبة وذام له بين الأحبة والصحيح إنما كذب الناقل وميز الحق من الباطل وأكدّ الصحبة بعد النفور وبين للحبيب الزور فهو أحق بأن ينصر ومنه يستكثر قال في إحياء علوم الدين ما معناه ان العتاب شأن أولى الألباب وقاطع لقطيعة الإخلاء والأصحاب وكان الرجل إذا وقع في نفسه من أخيه شيء لم يهجره حتى يوضح له ذلك فإن انتهى والا هجره وأما عتاب يفضي الى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة فتقريع يجب اجتنابه

عقلاً ونقلاً وتركه فصلاً ووصلاً وفيه قيل من سوء الآداب كثرة العتاب ومن أمثالهم في الأول العتاب مفتاح الوصال قاطع للهجر والملال والى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقتله وهو سعيد الكاتب بقوله

أقلل عتابك فالبقاء قليل … والدهر يعدل تارة ويميل
ولعل أيام الحياة قصيرة … فعلام تكثر عتبنا وتطيل

(وقال آخر)

وبعض العتاب إذا ما رفقت … يباعد هجر أو يدني وصالا
فعاتب أخـــاك ولا تجفه … فان لكل مقام مقالا

(والى مكثر التقاطع أشار بالترك من قال)

لا تقر عن سماع من … تهوى بتعداد الذنوب
ما ناقش الأحباب إلا … من يعيش بلا حبيب

(وإلى تأييد الأول أشار من قال)

فلا عيش كوصل بعد هجر … ولا شيء ألذ من العتاب
فلا هذا يمل حديث هذا … ولا هذا يمل من الجواب

(وقال آخر)

وأحسن أيام الهوى يومك الذي … تروّع بالهجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا … فأين حلاوات الرسائل والكتب

(ابن سنا الملك)

وأملي عتابا يستطاب فليتني … أطات ذنوبي كي يطول عتابه
ومن غرتي ذكر العذيب وبارق … وما هو إلا ثغره ورضـــابه

(أبو نواس)

أساء فزادته الإســـاءة خطوة … حبيب على ما كان منه حبيب

تعد عليّ الواشيات ذنوبه ومن أين للوجه المليح ذنوب

(الحكم بن قنبر)

كأنما الشمس في أعطافه طبعت حسناً أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوي وان عظمت منه الإساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو إساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

(أبو فراس)

قل لإحبابنا الجناة علينا درجونا على احتمال الملال
أحسنوا في عتابكم أو أسيئوا لاعدمناكم على كل حال

(وقال آخر)

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(وقال آخر)

حججي عليك إذا خلوت كثيرة وإذا حضرت فإنني مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتني الله يعلم أنني مظلوم

(وقال آخر)

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(ابن المعتز)

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل ان أفضل العتاب ما غرس العفو وأثمر المحبة وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفاء وجاء في تفسير قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل عن عليّ يعني أعف وأصفح بلا عتاب وورد عنه ﷺ من لم

يقبل من متنصل عذراً صادقاً او كاذباً لم يرد على الحوض .

(وما أحسن قول القائل)

ذنبي اليك عظيم وأنت أعظم منه
فجد بحقك أولاً واصفح بفضلك عنه
إن لم أكن في فعالي من الكرام فكنه

(وقال آخر)

ما أحسن العفو من قادر لا سيما عن غير ذي ناصر
ياغاية القصد وأقصى المنى وخير مرعى مقلة الناظر
إن كان لي ذنب ولا ذنب لي فما له غيرك من غـــافر
أعوذ بالودّ الذي بيننا ان يفســـد الاول بالآخر

(وقال آخر)

وزعمت أني ظالم فهجرتني ورميت في قلبي بسهم نافذ
ونعم ظلمتك فاغفر لي زلتي هذا مقـام المستجير العـائذ

(ابن زيدون)

يا قمــراً مطلعــه المغــرب قد ضاق في حبك المذهب
الزمتنى الذنب الذي جئته صدقت فاصفح أيها المذنب
فإن من أغرب ما مرّ بي ان عذابي فيك مستعذب

(وقلت)

رأيت أساليب للعتاب كثيرة وألطفها ما أكد الحب في القلب
اذا ما خلونا لم أجد ما أقوله يلذ سوى الشكوى اليها مع العتب
ومن ذكر المحبوب شيأ منفرا عقوبته الهجران في مذهب الحب
ومن يرَ ذنباً من حبيب فمدع وما الحب إلا أن تنعم بالذنب

وهذا مستمد من قطب هذا الوجود وانسان عين أهل هذا الشهود سيدي

عمر بن الفارض حيث قال وكل الذي ترضاه البيت السابق . وقد قال بعضهم عتاب المحبين الذلة في الأعتاب وخدمة الأبواب وقال بعضهم كن إذا قابلت الحبيب مرآة ينتقش فيك ذنبه فتراه منك وتطلب صفحه عنك ولم يوضح هذا الطريق أحد أجل من لسان العارفين وترجمان المحبين سيدي عمر بن الفارض حيث يقول

ولم تك لولاك الذل في الحب عزّتي ولو عزّ فيها الذل ما لذ لي الهوى

* * *

فصل ومما يلحق بالعتاب
ويصلح أن يكون معه في باب

الصبر على تعنت المعشوق وتجنيه على الصب المشوّق والصفح عن التجني حين يذوق جناه ونسخ سخطه وظلمه بظلمه ورضاه وهو أهل عند العشاق يبنى عليه ويرجع في قواعد مذهب المحبين اليه كما قيل

شرط المحبة عند أرباب الهوى   إن المليح على التجني يعشق

لا يصدّهم صدّ ولا يقفون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة لائم ولا يعدون جور ما يرد من الظلم من المظالم .

(ابن النبيه)

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمة   حلواً فقد جهل المحبة وادّعى

ولقد تلطفت عليه بنت المهدي في هذ المعنى حيث تقول

جبل الحب على الجور فلو   أنصف المحبوب فيه أسمج
ليس يستحسن في شرع الهوى   عاشق يحسن تأليف الحجج

(وقال بعض الأعراب)

شكوت فقالت كل هذا تبرما   بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت تعنتا   صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا   رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي يؤذيها وصبري يسوءها   وتنفر من بعدي وتجزع من قربي

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها أشيروا بها تستوجبوا الأجر من ربي

ولما كان التجني من المحبوب وتعنته الذي يكاد أن يفوّت الغرض المطلوب يشتبه بالهجر والقطعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد إذ أشرنا الى حقيقة الأول أن نشير الى الثاني ونذكر ما له من الأقسام والمباني سالكين في ذلك مسلك ديوان الصبابة إذ لا مزيد في هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء الى أربعة أقسام



(القسم الاول هجر الدلال)

وهو الممدوح الصفات المقصود بالذات وسببه علم المحبوب بمكانته عندالمحب وانه يتلذذ بالاساءة كما يتلذذ بالحسنة ولا تغيره الحوادث على اختلاف الأزمنـة ولهذا إذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا في كل رتبة فيقع لأحدهم بعد المبالغة في هذا الصفاءان يعتقد ارتفاع الخلاف واتصاف كل أحد بما عنده من الأوصاف فانظر الى قول بهاء الدين زهير في قوله

عتب الحبيب فلم أجد   سبباً لذاك العتب حادث
ما كنت أعلم أنه   ممن تغيره الحوادث

فهو وان لم يقع منه ما يوجب التغير كما أفهمه البيت الأول لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه لأنه هو كذلك وفي هذا الأصل كلام للعارفين وكل يأخذ ما يناسبه من الاشارات والبهاء زهير لا يكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت الشيخ شمس الدين البكري أدام الله سدده يقول أنه كان اماماً عارفاً أو ذا لسان عارف وعلامة هذا القسم الأسعاف بالمطلوب وان لم يكن كل آن والتلطف بالعاشق ورفع محله في غصون الهوان وهم يرون اليسير خطيراً والقليل كثيراً قال استاذ الوجود في هذا المعنى

ففي نظرة منها ولو عمر ساعة   ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضي الله عنه

وان لم أفز يوما إليها بنظرة   لعزتها حسبي افتخاراً بتهمتي
ودون اتهامي ان قضيت اسى فما   اسأت بنفس بالشهادة سرت

فانظر كيف ارتضى بان يموت محباً وان لم يعلم به أحد ويكون شهيداً مع

ذلك فائزاً بالسعادة في غاية الرضا بذلك بعد إذ سأل الوصل أولاً ثم نظرة ما في يوم ما ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم ثم هـــذه الرتبة وما أحسن التكميل بعزة النظرة في هذا المقام وعلاج هذا القسم ينحصر في الصبر المقرون بالرضا ثم التسليم الخالي عن الشوائب المكدرة ومعنى قوله رضي الله عنه ولو عز فيها الذل يحقق ذلك ، وأما قوله

ونفس ترى في الحب أن لا ترى عنا متى ما تصدّت للصبابة صـــدت

فزجر ينفي ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية (رجع الى كلام المترسمين) قال بعضهم هجر الدلال أعذب من الوصال.

ويـــدل هجركم على اني خطرت ببالكم

(وقال آخر)

لئن ســاءني أن نلتني بساءة لقد سرني اني خطرت ببالك

ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بالقلوب من النساء والرجال أن يكون كثير التدلل قليل التبذل فان ذلك أدعى للسلامة وأبعد عن الملامة (ابن وكيع).

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعــاً فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه

لو جادها وقلت الجود عادتـه وإنما عز لـــا عز مطلبـــه

(العباس بن الاحنف)

يا قــوم لم أهجركم لمـــلالة مني ولا لمقال واش حـــاسد

لكني جربتـــكم فوجدتـــكم لا تصبرون على طعام واحد

(وقلت)

عدي واضمري خلفاً يلذ بخاطري كوصلك وعدمنك غايته الخلف

فعندى موتي في هواك وعلمـك بذلك وصف لا يعادله وصف

(القسم الثاني هجر الملال)

هو هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال وتكون المحبة فيه عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة وسببه ما ذكر من الاختلاف وتحري النفس طلب الاعتساف وعلامته تأثير مباعدة المكان وطول الأزمان وعلاجه التحبب والتخلق بخلق المراد وسلوك كل ما أراد وربما محته الهدية والملاطفة بالاخلاق المرضية والصفح مع حسن الصبر والمجاوزة عن الزلة وان عظم الأمر وبعض العشاق من المترسمين صرح في علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة الى مدة من الزمان وفيه أنشد .

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

هذا لا يحسن على اطلاقه إلا بعد تحقيق وثاقه وهو أن يكون للمحبة أمل وإنما ضعف بالملازمة والا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبه وصفة محبوبه

(القسم الثالث الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة)

هو هجر سببه وقوع في ذنب ولو خطأ وعلامته قبول الاوبه عند صدق التوبة وعلاجه تصديق الحبيب في دعواه والنزول على حكمه والرضا بما يهواه والاعتراف بالذنب وان لم يكن صدر وطلب العفو ممن قدر والى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب أشار سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه بقوله

عبد رق مارق يوماً لعتق   لو تخليت عنه ما خـــلاكا

فقد حقق في هذا الباب أن لا محيص له عن هذا الجناب وانه يطلبه بكل حال لا ينحيه عنه في سائر الاحوال سوى طلب أو منع أو جلب أو دفع ثم دل على صدق كلامه وانعقاد قلبه على مطاوعته في مرامه فقال :

وبما شئت في هواك أختبرني   فاختياري ما كان فيه رضاك

ثم ارتفع عن هذه المرتبة ايضاحاً لمراتب السالكـــين ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال

وقد صرت مستدع قضاك وما به   رضاك ولا أختــار تأخير مدتي

فانه أبلغ من قوله

وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة   وان أوعدوا بالقتل حنوا الى القتل

خلافاً لبعض الشراح لعموم ما في الأول بالنسبة الى هذا وبيانه يستدعي طولاً وأما قوله

وما غدرت في الحب إذ هدرت دمي   بشرع الهوى لكن وفت إذ توفت

فاصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه بل ربما تمشى على القسم الأول أو هو له حقيقة .

(القسم الرابع الهجر الخلقي)

وسماه بعض الصوفية الأزلي يقال أن الجنيد رضي الله عنه فسرقو له ﷺ الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها أختلف بان الله حيث أخرج عالم الذر جعله في كفه ثم أخذ العهد عليه ثم بذره فوقع بعضه متقابلا ولهؤلاء هم المشتركون فى نسب أوجبت الصحبة وحققت المحبة وتدابر الآخر فحقت بين أفراده المقاطعة وجبلوا على الممانعة وهذا التقابل والتدابر يجوز حمله على حقيقته ويجوز أن يراد به أمر معنوي غايته الأختلاف وأسباب هذا كثيرة أعظمها عند المتمسكين بالشرائع اختلاف الأديان وعند مطلق العالم يستند الى الارادة الألهية حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته وعين أعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز وجل من قائل لو انفقت ما في الأرض جميعاً الآية وهـــذا القسم والذي قبله لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه * وبعضهم يرى ان الثلاثة الأول من متعلقات العشق ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب فان من بلغ الى قول الاستاذ رضي الله عنه وكل الذي ترضاه البيت لم يكن القسم الثاني فضلاً عن الثالث من متعلقاته وإذا عرفت ما قررناه ثبت عندك ان هذا القسم لا علاج له أصلاً إلا بالأرادة الألهيــة ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤل الأمر فيه بالعاشق الى أن يخرج كلامه مخرج الدعــاء عليه ويكون في الحقيقة ثناء لديه وقد يستخير عند تمــادي الهجر وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه وألطف ما سطر في الأول وعليه عند الظرفاء يعوّل قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف

أعز الله أنصـــار العيون   وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا   وان تك أضعفت عقلي وديني

وخلد دولة الأعطاف فينا وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك السعد يوما على قدٍّ به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا وان جارت على الفذ الطعين

(وقال أيضاً)

أدام الله أيام الوصال وخلد عمر هاتيك الليالي
وأسبغ ظل أغصان التداني وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الأنس تجني تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون تغازل مقلتي خشف الغزال

(وقال آخر)

يا رب إن قدرته لمقبل غيري فللمسواك أوللا كؤس
وإذا قضيت لنا بصحبة ثالث يا رب فليك شمعة في المجلس
وإذا حكمت لنا بعين مراقب يا رب فلتك من عيون النرجس

(وقال شهاب الدين بن العائم)

والله ما أدعو على هاجري إلا بأن يمحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى منه وما قد تم في حقي

(وقال آخر)

أيها المعرض صفحا عن خطابي وجوابي
لا أرك الله عمري أو يريني بك ما بي
رب فاجعله دعاء خائباً غير مجاب
رق قلبي ان يرى قلبك في مثل عذابي

(وقال آخر)

كم جفاني فرمت أدعو عليه فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لاشفى الله طرفه من سقام وأراني عذاره وهو سائل

(ابن وكيع)

إن كنت تعلم ما بي	وأنت بي لا تبالي
فصار قلبك قلبي	وصرت في مثل حالي
بل عشت في طيب عيش	تفديك نفسي ومالي
دعوت إذ ضاق صدري	عليك ثم بدا لي

(وقال آخر)

ولما بدا لي أنه غير رائدي	وأن هواه ليس عني بمنجلي
تمنيت أن يهوي ويحيا لعله	يذوق مرارات الهوى فيرق لي

(قالت)

لي طلعة الحسن واللطف ناضرة	أرى كل أرباب المحاسن ناظره
لقد بطنت في كل معنى وصورة	من الكون لما أصبحت فيه ظاهره
تضن على العشاق بالقتل في الهوى	فما طلبي للوصل إلا مكابرة
ولكنني أرجو تبدل ما بنا	من الميل واستكشاف حجب المساتره
فتطلبني من بعد ما أنا طالب	لها وتحييني بحسن المحاضره
فيا رب خذ منها بحقي وانتصر	لنفس غدت في أبحر الشوق حائره
ولا تستجب مني وسلطان عزها	أدمه وان كانت على الناس جائره

ثم قد يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء ويعز الوصل ويصعب الرضا فيأخذ العاشق في مسح الدموع والانحطاط من أوج الارتفاع الى حضيض الخضوع . ولقطب هذه الدائرة وبدر سماء هذه الكواكب السائرة ذي المرتقة التي لا تلحق وقصب السبق التي لا تدرك والجواد الذي لا يسبق قوله

ومن درجات العز أمسيت مخلداً	الى دركات الذل من بعد نخوتي
فلا باب لي يغشى ولا جاه يرتجى	ولا جار لي يحمي لفقد حميتي

فقد أشار في هذين البيتين الى طرح حظوظ نفسه التي قد تكون مانعة

من الوصول بإشارة يدق إدراك كنهها عن العقول فقد أثبت له رتبة رفيعة بين أن تركها بعد علاج عظيم ومن ثم كان تدريجاً لعدم إمكان طرحها دفعة كما أفهمته الدرجات، والإضافة الى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لإنه في غاية المقابلة وأكد ذلك بالاشارة الى غاية المحو الذي به حقق اثباته كما أشار بعده بقوله والفقد مثبتي وأما إشارته الى الدموع وفنسكابها فالغاية التي لا يدرك منها الناس إلا القشور فمنها قوله

فسهدي حي في جفوني مخلد ونومي بها ميت ودمعي له غسل

فانظر إلى غرابة هذه الاستعارات ولطف هذا التركيب وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود ثم بالغ في تحقيق هذا المرام وارتقى في مسالك هذا المقام بقوله :

وامع هملت لولا التنفس من نار الجوى لم أكد أنجومن اللجج

وأبلغ منه قوله

فطوفان نوح عند نوحي كاد معي وايقاد نيران الخليل كلوعتي

فلولا زفيري أغرقتني مدامعي ولولا دموعي احرقتني زفرتي

لعكس التشبيه كما سبق في صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا ومن قال بتساوي المعنيين في القصيدتين لم يعرف معنى الطوفان بالنسبة الى اللجج في الأول لأنه انقلاب العناصر كلها الى واحد وهذا في الدقة كقوله رضي الله عنه وان لم يكن مما نحن فيه

وتحفت أخفافها فهي تمشي من جواها في مثل جمر الرماد

حيث نسب تحفية الاخفاف الى حراره الجوى التي شأنها الصعود عكس الإخفاف فكأنه يقول لشدة هذه الحرارة استوعب الأحياز كلها وأما قوله

فلو بكى في قفار خلتها لججا وإن تنفس عادت كلها يبسا

وغيره فكثير لا يمكننا إدراك أقله وأني للبشر من حيث انه بشر ادراك دقائق الفيوضات الإلهية والكرامات التي خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضي الله عنه حيث قال

فعالمنا منهم نبي ومن دعا إلى الحق منا قام بالرسلية

وأصرح منه قوله

فما كان منه معجز أصار بعده كرامة صديق له أو خليفة

(رجع الى كلام المترسمين) قال القاضي الفاضل

قد استخدمت بالافكار سرى وما أطلقت لي بالوصل أجره
ولم أرهـــا على الأيام إلا عقدت مـــودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين إلا وصرت بأدمعي في الشمس عصره

(ابن عبد الظاهر)

لا تسلني عن أول العشق اني أنا فيه قـــديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينـــك أرخت غرامي بمستهل وغـــره

(المتنبي)

أتراها لكثرة العشـــاق تحسب الدمع خلقة في الأماقي

(وله أيضاً)

وهبت السلو لمن لا منى وبت من الشوق في شاغل
كأن الجفون على مقلتي ثيـــاب شققن على ثاكل

(وقال آخر)

ولم أنس لا أنس ذاك الخضوع وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي يضاف الى خدهـــا قياما الى الصبح لم نرقد

(ابراهيم بن المعمار)

وبي غضبان لا يرضيه إلا ... دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفة بوصل ... وفي عينيّ بعد الهجرقطره

(وقال آخر)

وقال ما بال عينيك مذ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بنظرة طلعة ... فحق لها من فيض أدمعها غسل

(السري الرفاء)

بروحي من رد التحية ضاحكا ... فجدّد بعداليأس في الوصل مطمعي
وحالت دموع العين بيني وبينها ... كأن دموع العين تعشقة معي

(وقال آخر)

وقائلة ما بال دمعك أسودا ... ولونك مصفراً وأنت نحيل
فقلت لها أن الدموع تجففت ... وهذا سواد المقلتين يسيل

(ابن وكيع)

وسحاب إذا همي الماء فيه ... ألهب الرعد في حشاء البروقا
مثل ماء العيون لم يجر إلا ... ظل يذكي على القلوب الحريقا

(المسعودي شارح المقامات)

قالت عهدتك تبكي ... دماً حذار التنائي
فلم تعوّضت عنها ... بعد الدماء بمائي
فقلت ما ذاك مني ... ولم يكن بعنائي
لكن ضلوعي شابت ... من طول عمر التنائي

(وقال آخر)

كانت دموعي حمراً يوم بينهم ... فمذ نأوا قصرتها بعدهم حرقي

قطفت باللحظ ورداً من خدودهم   فاستقطر البين ماء الورد من حدقي

(ابن الناشيء الأكبر)

بكيت الفراق وقد راعني   بكاء الحبيب لفقد الديار
كأن الدموع على خدها   بقية طل على جلنار

(وقلت)

ومحجوبة مذ كلمتني كلمت   فؤادي وألقت بين سمعي وناظري
الى أن رأتها مقلتي فاض دمعها   على الأرض أمثال البحور الزواخر
فقالت عقيقاً ما أرى قلت بل دمي   جرى عندما من هجرك المتواتر

(فصل)

في نفي كدر الهم والصدود باستجواب الأماني والوعود والتعلل بالأماني والطمع في التهاني وهو أصل انقسمت فيه العشاق الى قسمين قسم وفي له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبة وهو العزيز النادر وغير الوافي الوافر وقسم مات بغصته وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته وأعجب ما فيه أن الراضون به مع العلم بزوره أكثر العشاق وأغلب من نودي عليه في هذه الأسواق وقد كشف عن غامض هذه الطريقة واستثنى الرضا بزور هذه الحقيقة الأستاذ رضي الله عنه فقال :

عديني بوصل وأمطلي بنجازه فعندي إذأ صح الوفا حسن المطل
وما الصد إلا الود ما لم يكن قلي وأصعب شيء دون اعراضكم سهل

ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة وانغمس في بحار الحقيقة فانطوت نفسه الأبية في مطاوي الحقائق القدسية فقال

ان لم يكن وصل لديك فعد به أملي وماطل ان وعدت ولا تفي

وأما المترسمة فقد أكثروا في هذا الباب الأقوال واختلفوا باختلاف الاحوال قال بعضهم

أعلل بالمني قلبي لعلي أروح بالأماني ألهم عني
وأعلم انوصلك لا يرجى ولكن لا أقل من التمني

(وقال آخر)

وما بلوغ الأماني في مواعدها الا كاشعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام افلاطون الأماني حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمني مؤنس ان لم ينفعك فقد الهاك. قيل لأعرابي ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحه الحبيب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها أيامك.

(ياقوت الرومي)

لله أيام تقضت بكم ما كان أحلاها وأهناها
مرت فلم يبقى لنا بعدها شيء سوى ان نتمناها

(ابن الوردي)

وشادن قلت له هل لك في المنادمه
فقال كم من عاشق سفكت في المني دمه

(الحسين بن الضحاك)

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت اني ومـــا أراك أراك
وإذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاك
خدعات المني تعللني فيـــك باشراق ذوا بهجـــة ذاك

(ابن أبي حجلة)

رقي لصب غـــدا مما يـــكابده من دمعه الصب يجري في مجاريه
لم يبق فيه سوى روح يرددهـــا لولا المني مات يا أقصى أمانيه

(وقلت)

عدى فتى شفت الأسقام مهجته بزورة منـــك يا أقصي تمنيه
فالهجر منك لكاس الموت بسلمه والوعد منـــك ولو بالزور يحييه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والأماني وعدوا ذلك جنوناً ومشى على ذلك جمع كثير .

الخالدي)

ولا تكن عبـــد المنى فالمنى رؤوس أمــوال المفاليس

(ابن المعتز)

لا تأسف من الدنيـــا على أمل فليس باقيه إلا مثـــل ماضيه

قال عليّ كرم الله وجهـــه اجتنبوا المنى فانها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التي رزقتم وقال رجل لابن سيرين اني رأيت كأني أسبح في غـير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الأماني وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول أبيع اللبن بكذا واشتري بضاعة فأكسب فيها كذا فيكثر مالي فاتزوج ابنة الحجاج وتلد لي ولداً وآمرها يوماً بشيء فلم تطع فارفسها هكذا ورفـع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطاً وقال ألست تفجعني في ابنتي لو فعلت بها هذا .

(وقال آخر)

لما بدا العارض في خــده بشرت قلبي بالنعيم المقيم
وقلت هـــذا عارض ممطر فجاءني فيه العذاب الاليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وان طـال الوعد وكثر الخضوع وأمتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف . المشفق عليـــه من نحو التعنيف وقد أتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس في هذا النمط الطف من جميل في قوله واني لأرضى من بثنية الأبيات السابقة في قصته .

(وقوله)

ألست أرى النجم الذي هو طالع عليها فهـــذا للمحبين نافـــع
عسى يلتقي في الأفق طرفي وطرفها فيجمعنا إذ ليس في الأرض جامع

(وقال بعض الاعراب)

أليس الليل يجمع أم عمرو وايانا فذاك لنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علاني

(وقال بعضهم)

الى الطائر النسر انظري كل ليلة فاني إليه بالعشية ناظر
عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده فنشكو إليه ما تكن الضمائر

(وقال بعض الاعراب)

وما نلت منها وصلها غير أنني إذا هي بالت بلت حيث تبول

(وقال بعضهم)

وكن قنوعاً فقد جرى مثل ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه إشارة الى مثل يضرب للقناعة باليسير وأصله أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام أنت في ضيافتي بجميع عسكرك في جزيرة كذا فلما حضروا أخذ جراده ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك إذا ذكره وعكس هؤلاء من مد الى المحبوب باعه وأوسع آماله وأطماعه فلم يرض إلا بامتزاج الأشباح فضلاً عن الأرواح والتأليف الذي لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحداً في العين الأحوال الذي يرى الشيء اثنين .

(قال بعضهم)

وكدت وهو ضجيعي أن أقول له من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

(ابن الرومي)

أعانقه والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي فيشتد ما القى من الهيمان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله تشفيه مما ترشف الشفتان
ولم يشف مقدار الذي بي من الجوى سوى أن ترى الروحان يمتزجان

(خالد الكاتب)

كأنني عانقت ريحـــانة تنفست في ليلهـــا البارد
فـلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحـد

(نفطويه النحوي)

ولمـــا التقينا بعد بعد بمجلس نغارل فيه أعين النرجس الغض
جعلت اعتمادي ضمه وعناقـه فلم نفترق حتى توهمتـه بعضي

(أبو بكر الأربلي)

هم الرقيب ليسعى في تفرقنـــا ليلاً وقد بات من أهواء معتنقي
عانقته فاتحـــدنا والرقيب أتى فلما أتانا ما رأى غير واحـــد

(أبو الفضل)

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا ونحن نحكي عناقا شكل تنوين
فصرت إذا علقت كفى حبائلكم بسهم هجرك تنوي ثم تنويني

(ابن سنا الملك)

وليلة بتنا بعد سكري وسكره نبذت وسادي ثم وسدته يـــدي
وبتنا كجسم واحد في عناقنـــا وكالحرف في لفظ الكلام المشدد

قيل اعترض هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد بحرفين فلو قـــال في الخط لحسن مطلوبه . واجتمع ابن الجهم وابن عروس في سفينة فتـــذاكر الشعر فقال ابن الجهم أنا أشعر منك حيث أقول

الأرب ليل ضمنـــا بعد هجعـة وأدني فؤاداً من فؤاد معـــذب
وبتنا جميعاً لو تراق زجاجـــة من الخمر فـــيما بيننا لم تشرب

فقال أحسنت ولكني أشعر منك حيث أقول

لا والمنازل من نجد وليلتنـــا بعيد اذ جسداناً بيننا جسد

كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه نوما فما انفك لاخد ولا عضد

(بشار بن برد)

ومرتجة الأعطاف مهضومة الحشا تمور بسحري عينها وتــدور
إذا نظرت صبت عليك صبابــة وكادت قلوب العاشقين تطــير
خلوت بهــا لا يخاص الماء بيننــا إلى الصبح دوني حاجب وستور

وكلام بشار وإن كان في الحقيقة أصـلا للبيتين إلا أن ابن الجهم تلطف حيث أبدل الماء بالخمر لأنه اشد نفوذاً وأما ابن عروس فــلا ألطف منه إذ لا شيء أشد سرياناً من النوم وحاصله أنه يمكن الجمع بين أهل القناعة باليسير من المحبوب ومن لا يقف على غايــة في المطلوب باختلاف الأمكنة وصفــاء الأيام والخلوّ من نحو واش وغمـام ومجالس الورد والنمام فان من الحزم انتهاز الفرص ومن الحمق الوقوع في ضيق القفص ومن صفاله الزمان فجبن عن مطلوبه فهو زاهد في محبوبه ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه وقلت من الأول .

لقد صار يشفيني الهــواء لمزجــه بانفاسها مع أن دائي من الهوى
ويفرحني ما جد في الصبح والمسا لأني وإياهــا بمدركــة سوا

(ومن الثاني)

رب ليــل ضممتها فيه حتى لو فرقنا كنا هيولي وصورة
مــع أني سألتها القرب مني بخضوع وان تمــن بزوره

وهو معنى فوق ما قصــد من لطف الخمر والكري إذ لا يتصور افتراق الهيولي والصورة بوجه وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا أبلغ منه .

فصل في ذكر مكابدة الامور الصعاب عند طلب رضا الاحباب وخوض الأهوال واستهلال قضاء الآجال فضلاً عن بذل الاموال ليحصل من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف ولو كان ذلك يفضي الى التلف

وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة كلامه وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها نظامه سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته وهدانا الى إدراك دقائق نفحاته فقال :

وافس ببذل النفس فيها أخا الهوى فان قبلتها منك يا حبذا البذل
ومن لم يجد في حب نعم بنفسه وان جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

فانظر كيف اضرب عن ذكر ما سوى النفس وأن عز وأمر ببذلها من بادىء الرأي فكم طوى في ذلك من المراتب وهذا في الحقيقة اجمال بالنسبة الى قوله

بكل قبيل كم قتيل بها قضى أسى لم يفز يوماً اليها بنظرة

فانه أشار الى قطع كل رتبة بحيث ينتهي السالك الى ذهاب النفس وليس ذلك بشيء اذ قال انه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه وشرح ذلك واضحاً قوله

بحيث ترى إن لا ترى ما عددته وان الذي أعددته غير عدة

فانه يقول ان هذا المرام لا يعظم عنده شيء ومتى عدا لشخص بذلا

لنحو نفس فقد جعل له شيئاً بالنسبة الى المحبوب وهو خلاف المطلوب ودقائقه في هذا الباب معجوز عن حصرها كما تشهد به أولو الألبـــاب فلنرجع الى كلام المترسمة :

(الطغرائي)

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت   برشقة من نبال الأعين النجل
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني   باللمح من خلل الأستار والكلل

(ابن خفاجة)

وليل طرقت المالكية تحته   أجد على حكم الشباب مزارا
فخالطت أطراف الأسنة أنجما   ودست بهالات البدور ديارا

(ابن بسام)

لقد صبرت على المكروه اسمعه   من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوماً لاخلاق لهم   لولاك ماكنت أدرى انهم خلقوا

(وقال آخر)

يغوص البحر من طلب اللالي   ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنـــام عنه   لقد أطمعت نفسك بالمحال

وأعظم من ذلك الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء وتلف النفس وشدة الإبتلاء وأمام هذا الشأن والمنفرد بالسبق في هذا الميـدان الطغرائى قيل انه علق مملوكا لمؤيد الدين كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائي فأراد قتله وأشهر شفقة على المملوك من الألسنة أن الطغرائي ملحد فشده الى شجرة وأمر أن تفوق إليه السهام وان لا يرموا حتى يأمرهم المملوك أمام الكل ثم أمر رجلا يسمع ما يقول الطغرائي وهو لا يشعر فإذا هو يقول

ولقد أقـول لمن يسدد سهمه   نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه   دوني وقلبي دونه يتقطع

بالله فتش في فؤادي هل ترى فيه لغير هوى الأحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه عهد الحبيب وسره المستودع

فأطلقه ورفع شأنه

(أبو عطاء السدفي)

ذكرتك والخطى يخطر بيننا وقد نهلت مني المثقفة السمر
فوالله ما أدرى واني لصادق بنافتكت تلك اللواحظ أم سحر

(عنترة العبسي)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المبتسم

(الطغرائي)

اني لاذكركم وقد بلغ الظما مني فاشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم قبل الممات ولو بيوم واحد

(وقال بعضهم)

ذكرت سليمى وحر الوغى بقلبي ساعة فارقتها
فشبهت سمر القناقدها وقد ملن نحوي فعانقتها

(ابن رشيق)

ولقد ذكرتك والطبيب معبس والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهي قد فراه حديده ويمينه حذراً علي يسار
فشغلتني عما يليق وانه ليضيق عن برحائها الاقطار

(الشريف البياضي)

ولقد ذكرتك في السفينة والردي متوقع بتلاطم الأمواج
والجو يهطل والرياح عواطف والليل مسود الذوائب داجي
وعلى السواحل اللاعادي عسكر يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لأصحاب السفينة ضجة وأنا وذكرك في ألذ تناج

(أبو الثناء محمود)

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن في شفق الدروع تخاله حسناء ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطاول نحوه للسمع مسترقاً رماه بكوكب
والموت يلمع بالنفوس خاطري يلهو بطيب ذكرك المستعذب

(الصفي الحلي)

ولقد ذكرتك والعجاج كأنه مطل الغنى وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جندل مناو بين معفر في معفـــر
فظننت اني في صباح مسفر بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر

(وقلت)

لقد رد روحي عندما رام نزعها ملائكة ذكراك حين تلوته
فلو لم يكن موت البرية لازماً اذا فرغت آجالهم ما نسيته

* تتمة *

تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير بجموعها الى جميع الأصول السابقة وتترجم عندهم بالغزل والنسيب لإعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب وتهييجها الأشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة وتفصيلها لتلك الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة وإثارة ما قر من البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الأحباب عند ذكر الثغر والرضاب واتيانها بأعذب الموارد بعد ما حال الصدر إذ اذكر النهد والصدر ونشر مطاوي الأشواق إذا سمح مدح الخلخال والساق إلى غير ذلك مما اقترحته أفكارهم الدقيقة اللطيفة وتخيرته في هذا الباب أذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف « ذكروا » ان أعزل بيت للمتأخرين قول بشار

أنا والله أشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

« شمس الدين بن العفيف » :

يحكي الغزال مقلة ولفتة	من ذا رآه مقبلاً ولا افتتن
أحسن خلق الله وجهاً وفما	إن لم يكن أحق بالحسن فمن
في ثغره وشكله وخده	الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الأبيات إلى القاهرة والشاعر المشهور يومئذ بها الحلي اقترح عليه بعض أعيان الدولة محاكاتها فقال

كم قد سفكنا من دموع ودما	على ربوع للديار ودمن

وكم قضينا للبكـــاء منسكاً   لما تذكرنا بهـــن من سكن
وكم أقمنا بالبكـــاء مأتمـــاً   إذ بعتهم روحي بغير مـــا ثمن

فاستحسن الجل أبيات الحلى ودامت الناس مدة طويلة مفترقين في ذلـك والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه أهل الأدب فمن الأول قول ابن نباتة

أيهـا العـاذل الغبي تأمـــل   من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبـــين   ان في الليل والنهار عجائب

(وله أيضاً)

قلت وقد أبدي جبيناً واضحاً   وفوقه ليل دلال قـــد سجا
أفـدي الذي جبينـه وشعره   طرة صبـح تحت أذيال الدجى

(ابن مطران)

ظباء اعارتها المها حسن مشيها   كما قـد اعارتها العيون الجـآذر
فمن حسن ذاك الشيء جاءت وقبلت   مواطىء من أقدامهن الغـدائر

(اسمعيل السكندري)

لم أر قبل شعره وجهـه   ليلاً على صبح نهار عسعسا
والسكر في وجنته وطرفه   يفتـح ورداً ويغض نرجساً

(حسام الدين الجابري)

ومهفهف من شعره وجبينه   تغدوا الورى في ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي في خده   كل الشقيق بنقطه سوداد

(ابن الصائغ)

مشى غصناً ومـد عليه فرعا   كحظي حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الأرداف منه   فلم أر مثـل ذاك الفرع أصلا

(السراج الوراق)

ذو طرة يعيذ هـارب الدجى   وطلعة يعيـذ هـارب القلق

المـاء والنار معاً في خـده أما ترى الماء طغى ثم احـترق

(شمس الدين بن العفيف)

بدا وجهه من فوق اسمر قـده وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيباً كيف لم يظهر الدجى وقد طلعت شمس النهار على رمح

(المتنبي)

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليـالي أربعـاً
وأستقبلت قمر السماء بوجهها فارتني القمرين في وقت معـاً

(آخر)

برزت فقابل ناظري من وجهها مرآة حسن بالجمال صقيـل

(ابن المعتز)

سقتني في ليل شبيه بشعرهـا شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت في ليلين للشعر والدجى وشمسين من خمر وخد حبيت

(البجلي)

رقت محاسنها ورق أديمـها فتكاد تبصر باطناً من ظـاهر
تندى بماء الورد مسبل شعرهـا كالطل يسقط من جنـاح الطائر

(الخيزراني)

رأيت الهـلال ووجه الحبيب فـكانا هلالـين عنـد النظر
فلم أدر من حـيرتي منهـما هلال الدجى من هـلال البشر
فلولا التـورد في الوجنتين ومـا راعني من سود الشعر
لكنت أظن الهـلال الحبيب وكنت أظـن الحبيب القمر

(التهامي)

وفي كتابـك فاعذر من يهيم بـه من المحاسن ما في أجمـل الصور
الطرس كالخـدّ والنونات دائرة مثل الحواجب والسينات كالطرر

(آخر)

أرى سهم لحظ تحت عقرب سالف وكيف نجاتي بين سهم وعقرب
والحظ ما طلته باللحظ من دمي على وجنتيها والبنـان المخضب

(وقلت)

لله بالناس لطف في معـايشهم لولاه لم تر موجـوداً من البشر
إذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم للشمس في نحو نضج الحب والثمر
وعند حاجة ليل يسكنون بـه من المتاعب أبدي مسبل الشعر

(ومن الثاني قول ابن نباتة)

واغيد جارت في القلوب لحاظـه واسهرت الأجفان اجفانه الوسنى
أجل نظراً في حاجبيه وطرفـه ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

(الواوا الدمشقي)

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في افعـال مقلته
ومن بن رقة سيف أللحظ طل دمي والسيف ما فخره الا بذرقتـه
علمت انسان عيني أن يعوم فقـد جارت سباحتـه في بحر دمعته

(علاء الدين الوداعى)

رمتني سود عينيـه فـاصمتني ولم تبطى
وما في ذاك من بدع سهام الليل لا تخطى

(الصلاح الصفدي)

بسهم أجفانـه رماني فذبت من هجره وبينه
ان مت مالي سواه خصم لأنـه قاتلي بعينه

(ابن نباتة)

نسبوه حسناً للهلال وحسنه | للبدر ينسب لا بليت ببينه
فإذا بدا فإلى هلال أصله | وإذا رنا فهو الغزال بعينه

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

بأبي سلطان حسن حسنه | لقتال القلب في الحب نوى
صال في العشاق منه ناظر | هو والسيف على حد سوا

(ابن نباتة)

ويح قلبي من كاسر الطرف أضحى | فيه قلبي كما ترى مكسورا
قد حمى ثغره بعينيه عني | وكذاك السيوف تحمي الثغورا

« الصلاح الصفدي »

سيوف ألحاظه المرضى سفكن دمي | ولم يطق دفعها حولي ولا حيلي
لولا السقام الذي فيها لما فتكت | وربما صحت الأجسام بالعلل

« الفرزدق »

ومقلة شادان أودت بنفسي | كأنَّ السقم لي ولها لباس
يسل اللحظ منها مشرفياً | لقتلي ثم يغمده النعاس

« بدر الدين بن حبيب »

عيناه قد شهدت بأني مخطىء | وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي | فالخط زورو الشهود سكارى

« جلال الدين بن خطيب داريا »

شهدت جفون معذبي بملاله | مني وإن ودادة تكليف
لكنني لم أنأ عنه لأنه | خبر رواه الجفن وهو ضعيف

« أمين الدين كاتم سر الشام »

ان كان قيد هواك أطلق أدمعي　　فوكيل شوقي عاجز عن حبسه
أو كان منك الطرف أسهر ناظري　　فلكل شيء آفـــة من جنسه

« الصلاح الصفدي »

غزال من الأتراك ماضاق لحظه　　لحظي إلا كي تضيق مذاهبي
كان الحشاطير وكاسر لحظه　　تصيدها من جفنه بالمخالب

« ابن أسد الدين »

الى الله أشكو حب أهيف فاتن　　وقعت فما لي من يديه خلاص
جرحت بلحظي خده وهو جارح　　بلحظيه قلبي والجروح قصاص

« وقلت »

يقولون ان الشمس تحرق كل ما　　تجاسده من كانسات الكواكب
فهاخذها المريخ مع شمس وجهها　　قد اقترنا في سمت قوس الحواجب
نعم قضيا لي بالشقاوة منهما　　بسهم لحاظ عاقني عن مطالبي

« ومن الثالث قول ابن قلاقس »

فوق خديك دليل　　ان نهديـك ثمار
ما اختفى الرمان إلا　　وتبدى الجلنـــار

الصنوبري

ذات خد يكاد يدميه وهم　　من مشير بالجد أو بالمزاح
في بياض وحمرة فكان قد　　صيغ حسناً من ماء مزن وراح

محمد بن ياقوت

ما لي بجور الحبيب من قبل　　هل أحاكم عادل فيحكم لي

حمرة خديه من دمي صبغت ... ويدعى أنها من الخجل

علاء الدين المدني

يا حسن ورد طفا في ماء وجنته ... فزاد أهل الهوى في حبه شغفا
وراح يجني ثمار الوصل عاشقه ... لما تمكن من خديه واقتطفا

وقال آخر:

وأغيد تدمي وجنتاه من اللمح ... تخلق الا من صدودي بالشح
غدا قاتلي ان ظلت أجرح خده ... متى صار بالقتل القصاص من الجرح

كمال الدين بن النبيه :

صنعة الكيمياء صحت لعيني ... حين يزداد أدير اني احمرار
فإذا ما ألقيت اكسير لحظي ... في لجين الخدود عاد نضارا

مظفر الأعمى :

قبلته فتلظى جمر وجنته ... وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب ... لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

وقال بعضهم

فتنت بتركي حماني عناقه ... عقارب صدغيه على خده صرعى
ألم تراني كلما رمت لثمه ... تخيل لي من سحرها انها تسعى

عز الدين الموصلي :

كالزرد المنظوم أصداغه ... وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته ... في الخد تقبيلا يفك الزرد

ابن الوردي

قال من أهواه صف صدغي بما ... فيه توجيه وحببه الي
قلت ان الصدغ لام قد كوى ... نصبها قلبي فهذي لام كي

برهان الدين القيرطي

عنقود صدغ الذي أهواه يتمنى وقال لي ريقه لما رأى وصبى
ان كان في الصدغ عنقود فتنت به فإن في الخمر معنى ليس في العنب

وقال آخر

وبين الخد والشفتين خال كزنجي أتى روضا صباحا
يحير في الرياض فليس يدري أيجني الورد أم يجني الأقاحا

الصلاح الصفدي

بروضة خده المحمر أضحت عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديماً فنقطه بدينار وحبه

(وهذا مأخوذ كما ذكره ابن حجة من قول ابن نباتة) :

بروحي فاتر الألحاظ ألمى مليّ الحسن حالي الوجنتين
له خال على دينار خد تباع له القلوب بحبتين

(العفيف التلمساني)

أدنته لي سنة الكرى فلثمته حتى تبدل بالشقيق السوسن
ما راعني إلا بلال الخال من خديه في صبح الجبين يؤذن

(شهاب الدين الخيمي)

وعذولي لج في عذلي إذ لم ير الخال على الخد الأسيل
لو رأى وجه حبيبي عاذلي لتفارقنا على وجه جميل

شمس الدين الصائغ

بروحي أفدي خاله فوق خده وما أنا ذو مال فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده وأسكن كل الحسن في ذلك

جمال الدين بن نباتة

لله خال على خد الحبيب له ... بالعاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به ... وكان عهدي بأن الخال لا يرث

الصلاح الصفدي :

أفدي حبيباً له في كل جارحة ... مني جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

ابن الوردي :

لحبيبي شامة في خده ... لا علاشان حسود شانها
رب عين دهشت منه فقد ... نسيت في خده انسانها

وقال آخر :

يا سالباً قمر السماء جماله ... ألبستني في الحزن ثوب سمائه
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة ... علقت بخدك فانطفت في مائه

ابن تميم :

رأيت حبة قلبي حين لاح لها ... محبوبها نفرت من حر أفكاري
ثم استجارت بخد منه فهي به ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقال بعضهم :

له على حاجبه شامة ... تنزهت في الحسن عن عائب
مثل طواشي زاد في حمقه ... يعلو على الناظر والحاجب

تقي الدين بن حجة

قلت للخال إذ بدا ... في نقاجيده السعيد
فزت يا عبد قال لي ... أنا عبد لكل جيد

وقال آخر:

غدا خاله رب الجمال لأنه — على عرش كرسي الخدود قد استوى
وأرسل في الأصداغ رسلاً أعزة — على فترة تدعـو القلوب الى الهوى

وقال آخر:

يريك بوجنتيه الورد غضـا — ونور الأقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا — لتعلم كم خبايا في الزوايا

وقال آخر:

أبو طالب في كفه وبخده — أبو لهب والقلب منه أبو جهل
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله — إلى الصدغ موسى قد تولى الى الظل

وقال آخر:

لهيب الخد حين رآه طرفي — هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا — وها أثر الدخان على الحواشي

القيراطي

أنظر إلى سطر عذار بدت — من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن وكم — قد راحت الأرواح فيها غلط

وقال آخر:

ومهفهف يحمي ورود رضـابه — بصور أم سلت من الأجفان
كتب العذار بليقـة مسكية — في خده سطراً من الريحان

أبو غالب :

سأصنع في ذم العذار بدائعا — فمن شاء فليقض الدليل كما اقضي
إلا أنه كاللام واللام شأنها — إذا الصقت بالاسم صار الى الخفض

البدر الدماميني

تحدث ليل عارضه بأني — سأسلوه وينصرم المزار
فقال جبينه لما تبدى — حديث الليل يمحوه النهار

سيدي أبو الفضل بن وفاء

على وجنتيه جنة ذات بهجة — ترى لعيون الناس فيها تزاحما

حمى ورد خديه حماة عذاره ⠀⠀⠀ فيا حسن ريحان العذار حمى حما

ابن النبية :

جنت بمنظره البديع عيوننا ⠀⠀⠀ فتسلت بمدامـــع الأجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره ⠀⠀⠀ فعجبت للجنات في النيران

تاج الدين اليماني :

بخلت لواحظ من رآني مقبلاً ⠀⠀⠀ برموزهـــا ورموزهن سلام
فعذرت نرجس مقلتيه لأنه ⠀⠀⠀ يخشى العــذار لأنه نمـــام

الصلاح الصفدي

عذارك والطرف يا قاتـــلي ⠀⠀⠀ يحاكيها الآس والنرجـــس
وقد صار بينهما نسبــة ⠀⠀⠀ فهــذا يــدب وذا ينعس

الطنبغا الجاولي :

عذارك والطرف قد أظهرا ⠀⠀⠀ جميع الذي فيهـما يرمــز
وأنى يُصان الهوى عنهما ⠀⠀⠀ وهذا ينم وذا يغمز

وله أيضاً

من قال عما قد بدا في خد من ⠀⠀⠀ أحببته شعراً به ما أنصفـــا
هذاك نمل رام شهــده ريقــه ⠀⠀⠀ فــرأى تــلهب خـــده فتوقفا

محمد بن الرعاد

أعد نظراً فما في الخد نبت ⠀⠀⠀ حماه الله من ريب المنون
ولكن رقّ ماء الخد حتى ⠀⠀⠀ أراك خيال أهداب الجفون

عز الدين الموصلي :

لقد كنت لي وحدي ووجهك جنتي ⠀⠀⠀ وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض ⠀⠀⠀ وزاحمني في ورد ريقك شارب

ابن نباتة

وأحمر يا من هوى رشيق ⠀⠀⠀ معتدل كالقضيب مائل

عذراه لا يجيب دمعي وسائل لا يجيب سائل

(الشهاب الحجازي)

سال العذار بخده فإذا المبيض في خديه سود
ولسان حال الخد ينشدها هل بالطلول لسائل رد

(الزين المصري)

ان ماس فالغصن بالأوراق مستتر أو لاح فالبدر بالأنواء محتجب
عذراه بسواد القلب منتقش وخده بدم العشاق مختضب

(وقلت)

يا وجنة من تحت اصداغها لأنفس العشاق كم تجذبي
وهاجة كادمشا برقها يذهب الأبصار لم يحجب
أهل المجسطي لو رأوها قضوا بشرف المريخ في العقرب

(وقالت)

يا عجباً للخال في خدهـــا كيوان بالمريـــخ يستمسك
نحسان دلا في اقتران على ان دم الصب هنا يسفك
يا مطلب طلسمه مانـــع هل مطلب الإله مهلـــك

(وقلت)

سألتها عن بيـــاض في وجنتيهـا وحمره
إذا طريق اجتماع قالت وراية نصره

(وقلت في العذار)

جرى الخلف في نبت العذار فذاهب الى انــه مسك على الورد منثور
ومن قائل آس فقلت كلاهمـــا غدا مصلحاً للورد إذ فيه كافور

(ولبعضهم)

ولا تحسبن الخال في الشفة التي يتيه بها المحبوب نقصاً ولا خلل

ولكنه ختم على ما بثغره من الدر والياقوت والخمر والعسل

(ومن الرابع قول بعضهم)

سألته في ثغره قبلة فقال ثغري لم يجز لثمه
فهاكها في الخد واقنع بها ما قارب الشيء له حكمه

(وقال آخر)

وموعدي بقبلة أرشفها من مبسمه
سوّف بي ولم يزل يوعد لكن بفمه

(وقال آخر)

ذكرت ريــق حبيبي بشرب راح معطر
وليس ذا بعجيب فالشيء بالشيء يذكر

(جمال الدين بن نباتة)

وأغيد في فيه المـــدام ولحظه وفيّ وفي أعطافه نشوة السكر
تداويت من الحاظه برضا بــــه كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

(وقال آخر)

نقل ألا رآك بان ريقـــة ثغره من قهوة مزجت بمـــاء الكوثر
قد صح ما نقل الا رآك لأنـــه يرويه حقاً عن صحاح الجوهري

(الصلاح الصفدي)

يا ثغره ليس الثنايا التي تضيء غـير الأنجم الغر
فليقـل المسواك ما عنده فهو عن الضحاك والزهري

(ابن قلاقس)

جمعت نكهتـه في ثغره عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خــده شفقاً في فلق تحت غسق

(وقال آخر)

خد وثغر فجل رب بمبدع الحسن قد تفرد
فذا عن الواقدي يروي وذاك يروي عن المبرد

(شمس الدين بن الصائغ)

بروحي من ولى فولى بمهجتي و ولى منامي فهو كالوصل شارد
حمى ثغره عني بسيف لحاظه وحتام يحمي ريقه وهو بارد

(الصلاح الصفدي)

رشفت ريقك حلوا فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل وأول الغيث قطر

(ابرهيم بن المعمار)

عزمت على رقيا محاسن وجهه بانوارِ آيات الضحى حين أقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره بدأت ببسم الله في النظم أولا

(الصلاح الصفدي)

أحببته كالغصن كم شاعر له عليه نوح ورقاءِ
وثغره الصادي من حسنه يحار في تشبيهه الطائي

(يوسف بن مسعود)

رأى ثغر من أهوى عذولي فلامني ولم يدر أن اللوم في حبه يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه واحسن ما كان الرباط على الثغر

(النواجي)

لله ثغر للحبيب تجمعت في ضمنه للعاشقين نفائس
فيه الرحيق وخاله المسك الختام وفيه فليتنافس المتنافس

(الصلاح الصفدي)

قـــد شبه الخال على ثغره تشبيه من لا عنـــده شك
بسبحـــةمن جوهر أودعت حق عقيق ختمـــه مسك

(ابن ريان)

لاحت على مبسمه المشتهى ثلاث شامات غدت في التثام
لا تعجبوا ان كثرت حوله فالمنهل العذب كثير الزحام

(ابن الوليد)

أريقاً من رضا بلك أم رحيقـــاً رشفت فلست من سكرى مفيقاً
وللصهباء أسمـــاء ولكن جهلت بان في الاسماء ريقـــا

(شيخ الشيوخ بحماة)

سألته من ريقـــه شربـــة اشفى بها من كبـــدي حره
فقال أخشى يا شديد الظمـــأ ان تتبـع الشربـــة بالجرّه

(الحريري)

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيـــك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

(ابن عنين)

يا غزالاً أرى الغوايـة رشداً في هواه واحسب الرشد غيـــا
ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم يفترّ عن نجوم الثريا

(ابن ثنا الملك)

له فم يمنعه ضيقه ان يخرج اللفظ بتقويم
ولفظه سكران من ريقه فهو لهـــذا غير مفهوم
ما فمه ميم ولكنه علامة الجزم على الميم

(وقال آخر)

كان على انيابها الخرجه بماء الندى في آخر الليل عابق
وما ذقتة إلا بعيني تفرساً كما شيم من اعلى السحابة بارق

(ابن الرئيس)

لئن كان من لؤلؤ ثغرها فان له صدفا من عقيق
وان كان من اقحوان النبات فان مشاربه من رحيق

(أبو العشائر)

ثغر كلمع البرق حسن بريقه يشفي فؤاد المستهام بريقه
قدبت الثمه وارتشف المني من دره ورحيقه وعقيقه

(وقال آخر)

بأبي فم شهد الضمير له قبل المذاق بأنه عذب
كشهادتي الله خالصة قبل العيان بأنه رب
والعين لا تعبأ بنظرتها حتى يكون دليلها القلب

(أبو عبادة ويعزى الى يزيد بن معاويه وهو الصحيح)

واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيد كلها ملح وعيون وساذكرها في الغزل المطلق وأما بيت أبي عبادة الذي بني عليه الحريرى المقامة الحلوانية فهو

كانما تبسم عن لؤلؤ منصداً وبرد أو اقاح

(الحريري)

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وإيداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شفقاً غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر
وأقبلت يوم جدّ البين في حلل سود تعض بنان النادم الخصر

(وقلت)

أقول لمن بالطب أصبح جاهلا مقالاً صحيحاً قيما غير ذى عوج

يرى ثغرها خصراً على ذي حرارة　　لأن به شهداً مع الخمرة امتزج
* أغرق أن الخمر أنى مذجتها　　بشهد أتت بالحرفي رابع الدرج
أما اعتدلت إذ جاورت بردا به　　تنضد والجريال في ذلك الفلج
وهبك جهلت الطبع ماذا تقدل في　　عقيق وبلور فيه قد نتج
وبينهما خلف طويل مفصل　　بكتب أرسطو والذي قبله درج

(وقلت)

أرى ريقها عند الشفاء لكل ما　　تعذر من داء عن البرء أو فسد
عليك به فهو النجاة لشارب　　وان جاوز القانون فيه أو اقتصد
فهذي إشارات كفت كل عاقل　　وان قيل شيء غيرها ليس يعقد

(وقلت)

عجبت من المسواك يرشف ريقها　　مدى الدهر لا يحميه من ذاك مانع
ويبقى جماداً كيف لم يحى بالحيا　　وتفنى الليالي وهو أخضر يانع
رضاب يقوم الميت ان شم عرفه　　ولو قطعت أوصاله والا ضالع
فقال خشيت الهجر منها فعاقني　　فحسبك عذر في جوابي قاطع
بنفسي ثغر قلت إذ لاح نوره　　أبرق بدا من جانب الغور لامع
وبرد رضاب قلت عند وداعه　　زمان اللقا بالخيف هل أنت راجع

وقد أكثروا من هذا النمط أعني التشبيب بالوجه وأعضائه البسيطة والمركبة لكونه أشرف وابهج وأعلى وألطف وأما ما عداه فنادر ان تيسر لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر في عضو يعينه أما في ضمن غيره فكثير سنورد منه ما تيسر حسبما شرطنا واما مطلق القامة بما فيها فأكثر من أن يحصى ما فيه وما قيل من أن أول من وصف الندى عمرو بن كلثوم

وثدي مثل حق العاج رخص　　مصان عن أكف اللامسينا

فأمر يحتاج الى مزيد استقصاء واحاطة لأن العرب تغزلت كثيراً غاية الامر أن المتأخرين ألطف فمن وصفهم الجيد في ضمن غيره قول بعضهم :

لها جيد أمّ الخشف ريعت فاقبلت وعين كمين الظبي فيها ملاحة
ووجه كقرن الشمس ريان مشرق هي السحر أو ما هي التباسا وأعلق

(دعبل)

اتاح لك الهوى بيض حسان نظرت الى النحور فكدت تقضي
سلبنك بالعيون وبالنحـور فاولى لو نظرت الى الخصـور

(ابن الرومي)

صدور فوقهن حقاق عاج يقول الناظرون إذا رأوها
وحلى زاي حسن اتساق أهذا الحلى من هذا الحقاق

وما تلك الحقاق سوى ثديّ نواهد ليس يعدوهنّ عيب
قدرن من الحقاق على وفاق سوى منع المحب عن العناق

(المهلبي)

أقاتلتي بفتور الجفون كحقين من لب كافورة
ورمانتين على معصر برأسيهما نقطتا عنبر

(الرفاء)

ومن وراء سجوف الحي شمس ضحى مقدودة حفظت أيدي الشباب لها
تجول في جنح ليل مظلم داجي حقين دون مجال العقد من عاج

(الثعالبي)

قد حجبت وجهها عن النظر كأنه والعيون ترمقه
بمعصم حل عقد مصطبري عمود صبح في دارة القمر

(وقال بعضهم)

كأن الثدايا إذا ما بدت حقاق من الدر مخروطة
وزين منها النهود الصدورا يسعن من المسك شيأ يسيرا

(الحسن بن هاني)

* بأبي غادة تميس بقـد تتثنى فتخجـل الاغصـانا
لمست صدرها فباهت وقالت غصن قدي قد اثمر الرمانا

(وقلت)

إذاب لهيب الخـد منها بنـاره لجينا فمنه صيغ منبسط الصدر
وذاك برأي العـين أما بلمس فلـين حرير والنهود من الدر

ومن أوصافهم في الأرداف والخصور بالضميمة كما سبق قول عبد الوهاب السندوبي

قام فكادت لـين أعطـافه تقصها الأرداف من نهضه
فكيف يرجو الغير انصافه وبعضه جار على بعضه

(ابن قزل)

وأهيف القـدّ بتُ أشكو له تلافى وما تلافى
فمال عطفاً ورق خصراً وانما ردفه تجافى

(آخر)

يا خصره كم جفاه تبدي وأنت نحيل
يا ردفه ملت عني ما أنت الا ثقيل

(ابن مكانس)

كسلت أرداف حبي فدموعي تتوالى
أيها المحبوب فارحم رب دمع فيك سالا

(الصلاح الصفدي)

أقول له قد رق عيشي والصبا وعقلي وكاساتي وصوت الذي غنى
وقال الذي أهواه خصري نسيته فقلت له والله قد جئت في المعنى

(سيف الدين المشد)

مهفهف القدّ نحيل الحشا يسبي الورى عمدا بطرف مريض

تلاعب الشعر على ردفه　　أوقع قلبي في الطويل العريض

ابن سنا الملك

تلاعب الشعر على ردفه　　أوقع قلبي في العريض الطويل
ياردفه جرت على خصره　　رفقاً بـه ما أنت إلا ثقيل

ابن الوردي

إذا قيل ما ردفي وشعري أجبته　　كثيف مهيل فوقه حية تسعى
وان قيل هل ترعى عذارى موريا　　أقول له أي والذي أخرج المرعى

الصلاح الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه　　ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده　　وغدا على أقدامـه يترامى

(البها زهير وهو مما شاع ولم نره في ديوانه)

حبذا نفحـــة ريح　　فرجت عني غمـه
ضربت ثوب فتــاة　　أظهرت تيهاً وحشمه
فرأيت البطن والسرة　　والخصر وثمـــه

(الباخرزي فيما يكتب على التكه)

لم لا أتيه ومضجعي　　بين الروادف والخصور
واذا نسجت فانني　　بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة　　يا كف ربات الخدور

(بشار)

نظرت في القصر عيني　　نظراً وافــق حيني
سترت لما أن رأتني　　دونـه بالراحتين
فضلت منه فضول　　تحت طي العكنتين

ليتني كنت عليه ساعة او ساعتين

ولها حكاية حاصلها ان المهدي دخل على بعض جواريه وهي مجردة فلما استترت منه بيديها فاض عنها فأنشد نظرت في القصر عيني وارتج عليه فاستدعى بشاراً فقال له أجز وأنشد الأبيات

العباس بن الأحنف

ومثلك لم أر في العالمين نصفاً قضيبا ونصفاً كثيبا
وأنت إذا ما وطئت الترا ب كأن ترابك للناس طيبا

أبو الحسين الجزار :

وكم ليلة أستغفر الله بتها بخدّ وثغر بين ورد وجريال
سرت راحتي غوراً ونجداً الى الضحى وماذاك إلا في خصور وأكفال

الصفي الحلي

إذا تثنت بأعطاف يجاذبها مدار غصن من الكشان ممطور
رأيت أمواج أرداف اذا التطمت في لج بحر بماء الحسن مسجور

وقال آخر:

واذا السوالف بالبنفسج جاورت ورد الخدود
وتموجت كتب الرواد ف تحت أغصان القدود
شاهدت في أيدي الظبا ء قياد أعناق الأسود

ابن نباتة

سألت النقا والبان ان يحكيا لنا روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها وقال قضيب البان ما أنا قدها

الصلاح الصفدي

أقول وقد نامت على حر وجهها وما لي عليها في الظلام دبيب

وان الكثيب الفرد من جانب الحمى | اليّ وإن لم آتــه لحبيب

ابن أبي حجلة

مالت كغصن مع الأرواح مياس | مصرية الحلى تبدو لي بمقياس
ما جنّ ليلي وأمسى حليها قلقا | إلا وثار بها جني ووسواسي
ولا بد أردفها الراسي اذا قعدت | إلا وباتت يدي منه على راسي

شمس الدين بن جابر النحوي وهو الشهير بالأعمى والبصير في شرح الألفية يعني باعتبار البصر في الأول والبصيرة في الثاني وبالعميــان في البديعية يعني انه مفرد ناب عن جمع فلا يغتر بقول ابن حجة والعميان لم ينظموا ولم يقولوا وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا وسألت عنه فلم أظفر بمن يشفي العلة حتى رأيته في كلام العلامة السيوطي رحمه الله تعالى

مقدمة الأرداف ركب فوقها | مقدمة الخصر الذي هو ذابل
فتم قياس الحسن لما تركبا | وجاء على النظم الذي هو كامل
فانتج حسناً لم يلم فيه عاشق | بوجه ولم يوجد من الناس عادل

وله ايضاً

سبب خفيف خصرها ووراءه | من ردفها سبب ثقيل ظاهر
لم يجمع النوعان في تركيبها | إلا لأن الحسن فيهــا وافر

وله ايضاً

تعليق ردفـك بالخصر الخفيف له | ثلث الجمال وقد وقتـه اجعان
خدّ عليه رياض الحسن قد خلعت | وفي حواشيه للصدغين ريحـــان
محقق نسخ صبري في هواه ومن | توقيع مدمعي المنثـور برهان
ياحسن ما قلم الأشعار خط على | ذاك الجبـين فلا يسـلوه انســان
أقسمت بالمصحف السامي وأحرفه | ما مرّ بالبال يوماً عنـك سلوان
ولا غبار على حبي فعندك لي | حساب شوق له في القلب ديوان

وله أيضاً

وقفت يوم الوداع ملتفتاً   أطمع في نظرة أرددها
فأعرضت والظباء تغبطها   في حسن أعراضها وتحسدها
وكلفت لدن خصرها كفلا   يكاد عند القيام يقعدها

وله ايضاً :

رقم الخال خدّها في اناء   قمر الأفق فيه نقطة ليل
قلت ابن الكثيب والغصن قالت   كلما قد ذكرته تحت ذيلي

وله ايضاً

ان شئت ظبياً أوهلا لا أودجي   أو زهر بان في الكثيب الأميد
فللحظها ولوجها ولشعرهـــا   ولخدها والقدّ والردف اقصد

وله ايضاً

أقبلت في لازوردي علي   ناعم أبيض لدن معحب
والحلي والوجه والثغر وما   لست والعطف والردف حبي
أنجما حفت ببدر في دجى   في سماء فوق بان الكثب

ابن نماتة

أفدي التي تشتكي في مشيها وغا   بالردف والخصر تثقيـــل وتخفيف
تدعو على الكتب والأغصان لاعنة   فالكتب مهتوكة والغصن مقصوف

الشهاب الحجازي

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به   فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر الى الردف تستغني به وانا   مثل المعيدي فاسمع بي ولاترني
وقلت

ما اخطأ الفيلسوف فيما　　قرر من رفعة اللطافة
هاخصرها قد علالما قد　　حواه في الظروف والترافة
ودونه الردف حط وصفا　　مذ كان في غاية الكثافة

وقلت

قد غرت عشاقها　　وتركهم للغزل
في خصرها وشببوا　　بردفها والكفل
قلت الى كم تلهجوا　　بسافل لا بعلى

وأما الأغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص فكثيرة لا تحصى وغزيرة لا تستقصى فلنورد منها ما حسن وقعه في الاسماع وجلب القلوب السليمة الأذواق عند السماع شمس الدين بن العفيف

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا　　فراح في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا　　فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

وقال آخر:

لو كان مالك عالما بذوي الهوى　　ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق إلا بالهوى　　وان استغاثوا غائهم بفراق

المظفر الآمدي

قل للذين حفوني اذا لهجت بهم　　دون الأنام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلا كي في محبتكم　　كعابد النار يهواها وتحرقه

ابن الوردي

دهرنا أضحى ضنينا　　باللقاء حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودي　　واجمعنا أجمعينا

ابن نباتة

أهلاً بسائرة الصبا من نحوكم ... وبما عهدنا من تعاهد طولها
أملت على الدهر المقطب ذكركم ... حتى تبسم ضاحكاً من قولها

الصفي الحلي

لا غرو أن يصلي الفؤاد بحبكم ... نار تؤججها يد التذكار
قلبي اذا غبتم يصوّر شخصكم ... فيه وكل مصور في النار

وقال آخر:

صلوا مدنفاً قد واصل السقم جسمه ... ومن بعدكم طيب الرقاد فقد فقد
بأحشائه نار يهب ضرامها ... ومن لي باطفاء الغرام وقد وقد

الأرجاني

تمتعتما يا مقلتيَّ بنظرة ... وأوردتما قلبي أمر الموارد
أعيناي كفا عن فؤادي فانه ... من البغي سعى اثنين في قتل واحد

الملك الصالح داود

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك الجفون سكون
إذا أبصرت قلباً خلياً من الهوى ... تقول له كن مغرماً فيكون

ابن اسرائيل

وقلت شهودي في هواك كثيرة ... وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح
فقال شهود ليس يقبل قولها ... فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

القيراطي

لما حدا بالركب حاديهم ... وأسمع الداني والقاصي
أطاعني دمع جرى نهره ... فدمعي الطالع كالعاصي

لؤلؤ

وأرقني خيال من حبيب تنـــاءت داره لما أتاني
فمن سهري يلم فلا أراه ومن سقمي يطوف فلا يراني

وقال آخر:

قد كان لي فيما مضى خاتم فرق جسمي فتمنطقت به
وزاد بي السقم فلو زج بي في مقـــلة النائم لم ينتبه

شمس الدين بن العفيف

فكم يتجافى خصره وهو ناحل وكم يتحالى ريقه وهو بارد
وكم يدّعي صوناً وهذي جفونه تفسر للعشاق منها مواعـــد

وله ايضاً

إذا ما رمت حل البند قالت معاطفــه حمــانا لا يحل
وان جليت بوجنتيه مدام يرى لعذاره دور ونزل

وقال آخر:

قال لي أهيف المعاطف صف لي هيفي قلت يا رشيق القوام
لك قدّ لولا جوارح لحظيك لغنت عليه ورق الحمـــام

ابن خفاجة

مهفهف طاوى الحشا كالغصن يخطران خطر
فإذا رنا وإذا شـدا وإذا ســقى وإذا سفر
فضح الغزالة والحمامة والغمامــة والقمـــر

ابن أبي الحديد

بالله ضع قدميك فوق محاجري فلقد قنعت من الوصال بذاكا
وأطل محادثتي فإن مسامعي تهوي حديثك مثل ما تهواكا

ابن المستوفي

رأت قمر السماء فــأذكرتني ليـــالي وصلنـــا بالرقمتين
كلانا ناظر قمـراً ولكن رأيت بعينهــا ورأت بعيني

ابن نباتة

علقتها هيفاء حالية الطلى تجني على طرف المحب وقلبه
بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم ففدت مطوّقة بما بخلت به

الدمياطي :

وفتانه الألحاظ معسولة اللمى أهيم بها شوقاً إذ هي أعرضت
تصامت لما ان سمعت كلامها لتشفي قلباً بالإعادة أمرضت

الوادعي

قلت للعاذل المفند فيها يوم زارت وسلمت مختالة
قم بنا ندّعي النبوة في العشق فقد سلمت علينـــا الغزالة

ياقوت

وعدت أن نزور ليلاً فألوت وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلاصدقت في الوعد قالت كيف صدّقت أن ترى الشمس ليلا

وقال آخر

تجلى محياها فخافت رقيبها فأرخت عليه من ذوائبها سجفا
محيا رآه الصب للحسن جامعا فأجرى عليه من مدامعه وقفا

ابن الرومي

نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها ثم انثنت عنه فكاد يهـيم
ويلاه ان نظرت وان هي اقبلت وقع السهـــام ونزعهن أليم

شمس الدين :

حتى إذا طاش عنها المرط من دهش ... وانحل بالضم عقد السلك في الظلم
تبسمت فأضاء الجوف التقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم

ابن الساعاتي

قبلتها ورشفت خمرة ريقها ... فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحني ... رضوانها المرجو شرب المسكر

الأرجاني

وفتانة صاغت سلاسل صدغها ... قيوداً على أعداد عشاقها الأسرى
تبسم عن درّ تنظم مثله ... فلم أر أحلى منه نظما ولا نثرا

وقال آخر:

نظرت اليها نظرة فتحيرت ... دقائق فكري في بديع صفاتها
وأوحى اليها الوهم اني أحبها ... فأثر ذاك الوهم في وجناتها

ابن مكناس

علقتها معشوقة خالها ... ان عمها بالحسن قد خصصا
يا وصلها الغالي وياجسمها ... لله ما أغلى وما أرخصا

أمين الدين السليماني

أضيف الدجى معمى الى لون شعرها فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبها نون الوقاية ما وقت ... على شرطها فعل الجفون من الكسر

ابن الوردي :

ردفها والخصر منها ... جل من ربى ودقق
نهدها يطفي لهيبي ... فهو رمان محقق

أبو الحسين الجزار

تكلف بدر السما إذ حكى محياك لو لم يشنه الكلف
وقام بعذري فيك العــذار فأجرى دموعي لما وقف

وله أيضاً

حمت خدها والثغرعن هائم شج له أمل في مـــورد ومورّد
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها فأعرض عن تفصيل نحو المبرد

ابن النقيب

يا مالكي ولديك ذلي شافعي ما لي سألت فما أجبت سؤالي
فوخدك النعمان أن بليتي وشكايتي من جفنك الغزالي

شيخ الشيوخ بحماة

لنا من ربة الخالين جاره تواصل تارة وتصد تارة
تعاملني بما يحيى سلوى ولكن ليس فيجوفي مرارة

وله أيضاً

حروف غرامي كلها حرف اغراء على أن سقمي بعض أفعال أسما

وله ايضاً

وبدر دجى لم ينتقل كسميه ولكنه مازال في القلب والطرف
يلوح لعيني ماشقاً نون صدغه فأعبد خــلاقي على ذلك الحرف

وله ايضاً

قلت وقد عقرب صدغاً له عن مشقة الحاجب لم يحجب
قدّست يا رب الجمال الذي ألف بـين النـون والعقرب

وله ايضاً

سبحان مورثه من حسن يوسف ما لم يبق الحجر لله والصبر من حصص
أقام للشعراء العذر عارضه فكم له في دبيب النمل من قصص

(وله أيضاً)

يا نظرة ما جلت لي حسن طلعته حتى انقضت وادامتني على وجل
عاتبت انسان عيني في تسرعه فقال لي خلق الانسان من عجل

(مجير الدين الدمشقي)

لما لبست لبعده ثوب الضنا وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده وجعلته وقفاً عليه جاريا

(ابن لؤلؤ الذهبي)

رفقاً بصب مغرم ابليته صداً وهجراً
وافاك سائل دمعه فرددته في الحال نهراً

(ابن قرناص)

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها وأشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها ناراً وجر عليها ذيله الخضر

(وله أيضاً)

ان الذين ترحلوا نزلوا بعين ساهره
انزلتهم في مقلتي فإذا هم بالساهره

(شمس الدين بن العفيف)

ايصعدني يا طلعة البدر طالع ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولو ان قسا واصف منك وجنة لا عجزه نبت بها وهو باقل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة مضمناً (فقال) :

تطاولت الأغصان تحكي قوامه وعند التناهي يقصر المتطاول

وأعيا فصيح الوقت نبت عذاره وعير قسا بالفهاهة باقل

(وله أيضاً)

وافى بوجه كالهلال مركب في قامة غصنيه هيفاء
وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت وكذا الجنون يكون عن سوداء

(وله أيضاً)

اسكرني باللفظ والمقلة الكحلاء والوجنة والكأس
ساق يريني قلبه قسوة وكل ساق قلبه قاسى

(وله أيضاً)

بأبي شادنا غدا الوجه منه يخجل النيرين في الأشراق
سلب القضيب لينها فهي غيظاً واقفات تشكوه بالأوراق

(وله أيضاً)

لو لم تكن ابنة العنقود في فمه ما كان في خده القاني ابولهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته حمالة الورد لا حمالة الحطب

(سيف الدين بن المشد)

مسكية الانفاس تملي الصبا عنها حديثاً قط لم يملل
جننت لما ان سرى عرفها وما نرى من جن بالمندل

(وله أيضاً)

وشادن اوردني هجره لهيب حر الشوك والفرقه
أصبحت حران الى ريقه فليت لي من قلبه رقه

(علاء الدين الوداعي)

يفتن بالفاتر من طرفه وريقه البارد يا حار

(وله أيضاً)

ألحاظه وهي السيوف كليلة ويكون تعذيب الكليلة أطولا

وله أيضاً

ما كنت أول مغرم محروم من باخل بادي النفار كريم

وله أيضاً

فديت من مبسمه زهر لغصن قده
فصدغه مطوّق في روضة من خده

وله أيضاً

وذي دلال أهيف أحور أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته وقال ساقي قلت في وسطي

ابن نباتة

بروحي مشروط على الخد اسمر دنا وفي بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فقبلته الفاً على ذلك الشرط

وله ايضاً

وضعت سلاح الصبر عنه فماله يقاتل بالألحاظ من لا يقاتله
وسال عذار فوق خديه جائر على مهجتي فليتق الله سائله

وله أيضاً

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا يا كثير المحاسن المختالة
لك عين وقامة في البرايا تلك غزالة وذي قتالة

وله أيضاً

بروحي معسول اللمى متحجب إذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا

وان ذقت منامن حلاوة ريقه أتانا رقيب يتبع ألمن بالأذى

وله أيضاً .

بأبي نائم على الطرق راحت في هواه وليس يعلم روحي
فاتح في الكرى فما سكريا يا له من مسكر مفتـــوح

وله أيضاً

ومن الشقا ان الجفا وتشوّقي لاينتهي هذا وذاك الى الطرف
ماماال غصن قوامه عن فكرتي يوماً ولا دينار وجنته انصرف

الصلاح الصفدي

وظبى معانيه بيان بديعها له حار فكري أذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريري كلها على خده مشروحـــة للمطرزي

وله أيضاً

قالت وقد مادت كغصن النقا اسرفت في العشق بلا فائدة
فقلت منهوم الهوى لم يكن يشبع ان مدت له المـائده

ابن الوردي

ومليح اذا النحاة رأوه فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى ونهود تروى عن الرمان

وله أيضاً

عجبت في رمضان من مسحرة بديعة الحسن إلا انها ابتدعت
جاءت تسحرنا ليلا فقلت لها كيف السحور وهذي الشمس قدطلعت

وله أيضاً

أنحلتني حبيبــــة أنحـــل الله خصرهـــا
كسرتني جفونهـــا ضاعف الله كسرهـــا

وله أيضاً

مليح ردفه والساق منــه كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القاني نصيباً فقدعزم الغريب على الخروج

وله أيضاً

تقويم ثغرك صح يـــا من ثغره در يقصر دونه التقويم
اني لابكي من جفاك ولي أب والثغر يضحك منك وهو يتيم

وله أيضاً

ووعدت امس بأن تزور فلم تزر فقعدت مسلوب الفؤاد مشتتا
لي مهجة في النازعات وعبرة في المرسلات وفكرة في أهل أتى

ابن الصائغ

يا مليحا روو الناعنــة حسنا وقبيح ان لم يكن تمّ حسنا
طبت لفظاً مع الرواة ولكن ينبغي ان تطيب في الدهر معنى

ابن مكانس

بأبي عقيقة مرشف برّت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتهـــا وقطعتها من حيث رقت

وقال والده

يقولون هل من الحبيب بزورة ومنا كم المطلوب قلت لهم منى
فقالوا لنا غوصوا على دره وما يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غضا

وله أيضاً

بحق الله دع ظلم المعنى ومتعه كما يهوى بانســك
وكف الصديا مولاي عمن بيومك رحت تهجره بامسك

وله ايضاً

يا لائمي إذ فقدت الصبر في قمر أصداغه سلبت أهل الهوى وسبت
نبت سيوفي اصطباري عنه حين بدا آس العوارض في وجناته ونبت

سيدي أبو الفضل ابن وفاء

ما خادم واسمه في در مبسمه إلا اغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التي انتظمت كأنه منهل بالراح معـــلول

البدر الدماميني

وبي وجنة حمراء زاد صفاؤها فأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمي ينهى عن الحب جهده فما أنا بالسالي صفاهـا ولونهـا

وله أيضاً

تناسيت أوصاف من وصله ينفي عن القـلب جميع الكرب
في الخد تسهيل ومن ثغره يطيب للصب ارتشاف الضرب

وله أيضاً

لا ما عذاريك هما أوقعـا قلب المحب الصب في الحين
فجد له بالوصل واسمح به ففيك قد هـــام بلامين

وله أيضاً

قلت لعطار به صبوتي محمودة الصبر لا يستطاب
اسقيتني كاس غرام به ذبت وما أحسن هذا الشراب

الحافظ ابن حجر

سألوا عن عاشق في قمـــر باد سنـــــاه
أسقمته مقلتاه قلت لا بل شفتاه

وله أيضاً

رسول أتى ممن أحب فقال لي ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا فصار عزيزاً حين ذاق هوانا

وله أيضاً

ضنيت جوى فواصلني حبيبي وعاد الى الجفاء فعاد ما بي
فقلت أعد وصالي قال كلا فها أنا ذبت من رد الجواب

وله أيضاً

محبوبتي واصلتني والهم عني تشتت
وذاب قلب حسودي لمـا دنت وتفتت

وله أيضاً

وأهيف حياني بطيب وصاله ومن ريقه الخمر الحرام حلالي
أدار لي الكاسين خمراً وريقة ونزهني عن جفوة وملالي

وله أيضاً

تجرد من أحب فقال لي من يلوم وأظهر الحسد المكتم
أجاد لك الحبيب بلثم جسم له كالخز قلت نعم وأنعم

التلعفري من قصيدة .

رشأ عهده وجفناه والخصر وجسمي كلا أراه عليلا
أشبهته البدر ونوراً ولكن ما حكمته لوناً وخصراً نحيلا
قمر جاعل من القلب والطر ف له في سعـوده إكليلا
كلما ضل عن طريق جفاه ظل فيه من الدليل ذليلا

بعث الصدغ منه فترة الجفن لانـــذار عاشقيه رسولا

وله ايضاً من قصيدة

هذا العذول عليكم ما لي وله أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
شرط المحبة ان كل متيم صب يطيع هوى ويعصى عذله

يزيد بن معاويه

أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
ونرجسة هاتيك أم هي مقلة وتفاحة ذاك المضرج أم خد
نقا برد في فيك هذا منضد أبيني لنا أم لؤلؤ ضمه العقد
وحقان من عاج لطيفان ركبا بصدرك أم ثديان هذان أم نهد
ودعصان إذ وليت أم كفل يرى وكثبان رمل في الغلائل أم قد
وانك لو عاينت مابي من الأسى لقلت جنون ثابت بك أم وجد
إذا ما أتى من نحو أرضك مخبر تضوّع من أرجائه المسك والند
وقفت فأضجرت الرسول مسائلا وأنشدته بيتاً له المثل الفرد
وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني شجونا فزدني من حديثك يا سعد

وله من قصيدة سلف صدرها في الغيرة

خذوا بدمي ذات الوشاح فإنني رأيت بعيني في أناملها دمى
ولا تقتلوها إن ظفرتم بقتلها بل خبروها بعد موتي بمأثمى
وقولوا لها يا منية النفس انني قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمى
لها حكم لقمان وصورة يوسف ونغمة داود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب ووحشة يونس وآلام أيوب وحسـرة آدم
ولما تلاقينا وجدت بنانها مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي وهكذا يكون جزاء المستهام المتيم

فقالت وأبدت في الحشى حرق الجوى مقالة من في القول لم يتبرم
وعيشك ما هذا خضابا عرفته فلاتك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيتك نائبـــا وقد كنت لي كفي وزندي ومعصمي
بكيت دماً يوم النوى فمسحته بكفي وهذا الأثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدي شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فكان الفضل للمتقدم
خفاجية الألحاظ مهضومة الحشي هلالية العينين طائيــة الفم
منعمة الأعطاف يجري وشاحها على كشح مرتج الروادف أهضم
وممشوطة بالمسك قد فاح نشرها بثغر كأن الدر فيه منظم

(وله أيضاً من قصيدة طويلة)

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقش على معصم أوهت به جلدي
كأنه طرق نمل في أناملهـــا أو روضة رصعتها السحب بالبرد
مليحة لو رأتها الشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على أحد
سألتها الوصل قالت لا تكن عبثا من رام منا وصالا مات بالكمد
واسترجعت سألت عني فقيل لها ما فيه من رمق دقت يداً بيد

واستمطرت البيت السابق في الثغر (البهاء زهير)

رقت شمائله فقلت شمول وحوى الجمال فقلت ثم جميل
ودنا فما للبين فيه مطمع ونأى فما للقرب فيه سبيل
أهواه أما خصره فمخفف طاو وأما ردفــه فثقيل
ريان من ماء الشباب مهفهفا أرأيت غصن البان كيف يميل
حلو التثني والثنايا لم يزل لي منهما العســال والمعسول

أحبابنا أن الوشاة كثيرة فيكم وان تصبري لقليل
أيخاف قلبي غدركم مع انه جار أقام لديكم ونزيل
فأصدّ حتى لا يقال متيم وأزور حتى لا يقال ملول

(وله أيضاً)

رعى الله من لم يرع لي حق صحبتي وسلم من لم يسخ لي بسلامه
وفي ذمة الرحمن من ذم صحبتي ولم أك يوماً ناقصاً لذمامه
وإني على صبري على فرط هجره وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفي لحظه في خياله ويشتاق سمعي لطفه في كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا بوجه يحاكي البدر عند تمامه
شكوت الذي ألقى فظل مقابلا بكائي وشكوى حالتي بابتسامة
فما راق من شكواي غير خدوده ولا لأن من نجواي غير قوامه

وله ايضاً :

كلمني والمدام في فمه قد عبقت من حباب مبسمه
وراح كالراح في تمايله سكران يشتط في تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه عن نار وجدي وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه رسالة من فمي الى فمه
عجبت من بخله علي وما يذكره الناس من تكرمه
هم علموه فصار يهجرني رب خذ الحق من معلمه

وله أيضاً :

يا من لعبت به شمول ما ألطف هذه الشمائل
نشوان يهزه دلال كالغصن مع النسيم مائل
لا يمكنه السلام لكن قد حمل طرفه رسائل
ما أطيب وقتنا وأهنى والعاذل غائب وغافل
عشق ومسرة وسكر العقل ببعض ذاك زائل
كالبدر يلوح في قناع والغصن يميل في غلائل
والورد على الخدود غض والنرجس في الجفون ذابل
والعيش كما أحب صاف والأنس بمن أحب كامل
مولاي يحق لي بأني عن مثلك في الهوى أقاتل

لي فيك وقدعلمت عشق — لا يفهم سره الأوائل
في حبك قد بذلت روحي — ان كنت لما بذلت قابل
لي عندك حاجة فقل لي — هل أنت اذا سئلت باذل
في وجهك للرضا دليل — ما تكذب هذه المخايل
ما أطلب في الهوى شفيعا — لى فيك غنى عن الوسائل
ذا العام مضى وليت شعري — هل يحصل لى رضاه قابل
ها عبدك واقف ذليل — بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى — الطل من الحبيب وابل

(وقلت وجميعه جناس خطى)

هواك مازج روحي قبل تكويني — وأنت ظلما بنار الهجر تكويني
صبرت فيك على أشياء أيسرها — ذهاب نفسي وقوم عنك تلويني
وكلما قلت صحت لى محبتها — أرى ودادك ممزوجاً بتلوين
قد حل عقد اصطباري طول هجرك لى — وليس غير وصال منك يبريني
اذا شممت شذا ريـاك منتشقا — فما نسيم أتى من نحو يبرين

(وقلت)

هيفاء كالغصن الرطيب اذا انثنت — تختال في نوبى حيــا ودلال
تسبي القلوب بأسرها فجميعهم — في أسرها لكن يقيد جمالى
يا وجهها الحاوي لبهجة روضة — أنواره أنت العـــزيز الغــالى
إذ فيك كل عجيبه ما بين تفا — ح وورد يــانع ولآلى
والشهد والخمر والحلال وقرقف — مع برده يسلي ولست بسالى
يا جفنها الغزال كم من عاشق — بك في المحبة مثل شن بالى
عجباً تميت العـاشقين ونحن لم — نعرف سوى الأحياء للغزالى

(وقلت)

وسالبة بالحسن عقل ذوي النهي — لطلعتها أسني الدراريء آفل

إذا ما تجلت، دك طـور قلوبهم وخروا الى الاذقان والعقل زائل
فيا كعبة العشاق هل ثم مطلب سواك إليه تستحث الرواحـل
ويا طلعة أصبحت للحسن جامعا له القلب وقف والتبدل باطـــل
عذولي اتئدوا قصرفكل جوارحـي لهاعن سماع الزور والعذل شاغل
إذا ما أطلت اللوم لا بد ينتهي وعند التناهي يقصر المطـــاول
لئن لم تزرني أو تمـــن بنظرة وينعم دهري بالذي أنا آمـــل
فيا موت زران ً الحيــــاة ذميمة ويا نفس جدي ان دهرك هازل

(وقلت)

أفدي فتـــاة فتنت مهجتي وقد أذيب القلب من صدهـــا
مالي وللدنيـــا إذا لم تزر إذ ليس يحلو العيش من بعدهـا
يقول لي الآسي وقد راعـــه ما بفؤادي من جوى بعدهـــا
خــــذ ماء ورد ولسان معا تشرب بالماءين من شهدهـــا
قد صدق الآسي هـــذا الدوا هو الشفا لو كان من عندها
بان يكون الشهد من ثغرهـــا يجني وماء الورد من خدها

(وقلت وفيه نكتة حكمية)

نار بوجنتك التي حرق الورى منها كنار في فؤاد مسعره
لكن يقول الفيلسوف الحر ّ ان افني الرطوبه محرق ما اضمره
فلذاك احرق مهجتي تصعيد ما قطرته اجفاني وخدك حمره
إذ فيه ماء حيا لعشاق غدت فيه الحرارة باعتدال مزهره

انتهي ما اردنا ايراده من لطائف الغزل الخاصة والعامة في الذاتيات والاعراض اللازمة وقد تغزل العشاق في الاعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف ببديع النكت واللطائف فلنورد منها ما اطف .

(قال بعضهم في النقش)

كان ّ خضرة نقش فوق معصمها شباك مسك على كف من البرد

فمن ملا مقلتيه من محاسنها كان الأمان لعينيه من الرمد

(ابن المعتز في الحناء)

اشرن على خوف باغصان فضة مفوفة أثمارهن عقيق
سلام كاسقاط الندى تحت ليلة سرى حيث لم يعلم إليه طريق

(ابن نباتة)

خضبت باحمر كالنضار معاصماً كالماء فيه رونق وصفاء
واهالهن معاصماً مخضوبة سال النضار بها وقام الماء

(الشريف المقدسي)

تقمعت بسويدا قلب عاشقها أنامل بدم العشاق تختضب
في كل أنملة ليل به شفق كأنه اليسر في أطرافه الرطب

(الشوّاء)

محببة لها خال كمسك على خد أشف من الزجاج
بدت والنقش يحكي في يديها محزم آبنوس فوق عاج

(علي بن العباس الرومي)

سقى الله قصراً بالرصافة شاقني باعلاه قصري الدّلال رصافي
أشار بقضبان من الدر قمعت يواقيت حمرا تستبيح عفافي

(الصنوبري)

بسطت أنامل لؤلؤ أطرافها فيها تطاريف من المرجان
وتقنعت لك بالدجى فوق الضحى وتنقبت بشقائق النعمان

(محمد بن عياض)

علقتها فتانة أعطافها تزري بغصن البانة المياد
من للغزالة والغزال بحسنها في الخد أو في العين أو في الهادي

خضبت أناملها السواد وقلما أبصرت أقلا ما بغير مداد

(ابن الوردي)

مصرية كأنها بدر فجل من خلق
تملقت مكراً ولا ينكرمن مصرالملق

(وله أيضاً)

يا ليتني حاشية زركشت يوماً بكفي هذه الجارية
قد أصبحت في الحسن سلطانة تفرّق التبر على الحاشيه

(وله أيضاً)

عوّادة عوّادة بالنغم الملذذ
قالت لنا أوتارها أنطقنا الله الذي

(الشهاب الحجازي)

في ثوبها الخمريّ قد أقبلت بوجنة حمراء كالجمر
فملت سكرا حين أبصرتها لاتنكروا سكري من الخمر

(ابن تميم)

جاءت بعود كلما لعبت به لعبت بي الأشجان والتبريح
غنت فجاوبها ولم يك قبلها شجر الأراك مع الحمام ينوح

(الصلاح الصفدي)

أتتنا بعود حركته أنامل هي الماء لطفاً في اتباع الاناشيد
يكاد وقد جست ملاويه يكتسي باوراقه لما جرى الماء في العود

(ومما يلحق بهذا الفصل التلميح)

وهو نوع لطيف جليل المقدار في البديع عظيم الفائدة في الايصال الى

المطلوب من نحو نكاية الخصم وبلوغ الأرب من ذوي الفهم ولم تدر الأغبياء وجل علماء المعاني على أن التلميح يرادفه والصحيح انه أخص * فمن طريق ما حكى فيه ان أبا العلاء المعري حضر مجلس الشريف الموسوي فنال من المتنبي وكان أبو العلاء ينتصر له فقال للشريف لو لم يكن من شعره إلا قوله :

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فأمر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف في ذلك فقال إنما قصد قوله في القصيدة

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل

وأثنى سيف الدولة يوماً على المتنبي فبالغ وكان الرفاء حاضراً فقال أشتهي أن تنتخب قصيدة من كلامه وتأمرني بمعارضتها لتعلم إنك اركبته في غير سرجه فقال بديهة عارض قوله :

لعينك ما يلقي الفؤاد وما لقي

قال الرفاء فتصفحتها فلم أجدها كبير أمر فعلمت أن هناك نكتة فاعلمت الذهن في اخراجها فإذا أتابه قد أراد قوله

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق   أراه غباری ثم قال له الحق

وحكى ان ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من أظرف نساء زمنها وكان لها بعد أن قعد بها الدهر ولوع بالوزير أبي الوليد فكتبت إليه وقد غضبت منه

ان ابن زيدون على فضله   يلهج بى شتماً ولا ذنب لي
يلحظني شزراً إذا جئته   كأنني جئت لأخصي علي

أشارت بذلك الى عبد للوزير كان متهماً به ودعت أمرأة للرشيد يوماً فقالت أتم الله أمرك وفرحك بما آتاك وزادك رفعة لقد عدلت فأقسطت

فقال لجلسائه ما أرادت هذه قالوا خيراً فقال انها تدعو عليَّ فان قولها أتم الله أمرك تريد قول الشاعر

إذا تم أمر بـــدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيـــل تم

وقولها فرّحك الله بما آتاك تريد قوله عز وجل حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وقولها وزادك رفعة تريد قول الشاعر

ما طـــار طير وارتفـــع إلا كما طـــار وقـــع

وقولها لقد عدلت فأقسطت تريد قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ثم استقرها فأقرت فقال وما ذنبي إليك قالت قتلت رجالي وأخـذت أموالي فقال ممن أنت قالت من بني برمك فقال أما الرجال ففاتوا واما المال فيأتيك ورده إليها * وسأل أحد الظرفاء أمرأة ملفوفة في كساء فقـال من أنت قالت أنا السادس في السابع تريد قول ابن سكرة :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطرعن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طـلا مع الكبـاب وكس ناعم وكسا

ومثله ما حكاه ابن الجوزي قال التقى رجل وامرأة على جسر بغـداد فقال الرجل رحم الله ابن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري وافترقا فتبعها رجل فقال لها أقسمت عليك الا اما اخبرتني ما أراد وأرادت فقالت أراد بابن الجهم قوله

عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدري

وأردت بقولي أبا العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارهـا قريب ولكن دون ذلك أهـوال

ومن دقيق الاشارات ان المتنبي مدح بعض اعـداء ملكه فغضب عليه وهمّ ان يفتك به فهرب فأمر الملك بعد مدة كاتبه ان يلطف له القول ليأتي

فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبي ولم تسعه المخالفة فكتب في آخر الكتاب قد عفونا ان شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه رحل وأرسل الى الكاتب الكتاب وقد زاد ألفاً بعد النون المشددة وهذه من ألطف الاشارات فان الكاتب اراد بان قوله تعالى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين وأراد المتنبي بزيادة الألف قوله تعالى أنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها

(ومما ينسج في هذا النمط ما سمته العرب بالملاحن)

قال العلامة السيوطي عن ابن دريد انه مشتق من اللحن يعني الفطنة وان فائدتها التخلص من انشوطة التعسف مع الأمن من المؤاخذة عند الألجاء (قيل) أسر شخص من تميم عند بكر بن وائل أو سعد بن ضبيعة وعزموا على غزو قومه فطلب من يرسله الى أهله لحاجة فقالوا ليكن بحضرتنا لئلا تنفرهم قال لكم ذلك فجاؤه بولد فقال أخاف أن يكون أحمق فقال الرسول ما أنا احمق واني لمبلغ ما تقول فقبض من الرمل قبضة فقال له كم هذه قال لا أدري وانها كثيرة فقال له النيران اكبر أم الكواكب قال الكواكب وكل كبير فأومأ الى الشمس فقال ما هذه قال الشمس فقال انك عاقل بلغ قومي التحية وأن يكرموا الأسير فان قومه يكرمونني وأن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها ويركبوا جملي الأصهب وقل لهم قد ار بي العرفج واشتكت النساء بآية ما أكلت معكم الحيس وأسألوا الحرث عن خبري فلما وقفوا على الكلام وقد قالوا جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جمل وصرفوا الرسول ودعوا الحرث فلما قصوا عليه القول قال انذركم فقوله أكرموا الأسير يعني استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فانهم عازمون على أن يدهموكم بخيل ورجل والرمل عدد القوم الذين يغزونكم منهم وان ذلك واضح كالشمس والناقة الحمراء الدهناء والجمل الأصهب الصمان يقول اعدلوا عن السهل الى الجبل وأربى العرفج يعني لبس الرجال السلاح وأشتكت النساء حملت الشكاء وهي قرب صغار يحمل فيها المسافرون الماء والحيس كناية عن اخلاط الرجال فعملوا بقوله فنجوا (ومن ذلك) أمثلة ينتفع بها في التوبة عند الحاجة

كقولك ما سألت فلاناً حاجة ضربا من شجر شائك ولا رأيته أي ضربت
رئته ولا كلمته أي جرحته ولا أعلمته أي شققت شفته العليا ولا أخذت له
شعيرة أي رأس مسمار فضة ولا ثوباً أي قطعة من أقط ولا كسرت له سناً
أي قطعة عشب ولا ضرصاً أي قطعةمن المطر ولا لبست له جبة شيء يستر
به السنان ولا أخذت له حماراً ولا اتاناً صخرتان معروفتان ولا عنزة اكمة
سوداء ولا دجاجة كبة من غزل ولا فروجاً مدرعة ولا جحشة صوف كالحلقة
ولا ظلمته أي ما سقيته لبناً ولا جلست له على حصير لحمة في جنب الفرس
ولا أخذت له جراباً ما حول البئر ولا بيضة يعني الخودة ولا فرخاً هامة
الدماغ ولا فروة جلدة الرأس ولا إبرة عظم المرفق ولا فأساً عظم القفا ولا
كتبت جمعت ولالى هنا خط سيف البحر ولا وطئت له أرضا باطن حافر
الفرس ولا لعبت سال لعابي ولا رويت الحديث شددته بالرواء وهل الحبل ولا
رأيت بطناً ولا فخذاً قبائل ولا ساقا ذكر الحمام ولا رجلاً قطعة الجراد ولا
وجها أي قصدا ولا أبصرته أي رأيت قشراً على الجلد

(خاتمـــة)

تشتمل على لطائف متفرقة تروق بالمسامع وتزين بها المجـامع (حكى ولد الفرزدق) قال اجتمع أبي وجميل وجرير وكثير ونصيب بالموسم فقال بعضهم لبعض لا تجتمعون مثل هذه فهلموا نفعل شيأ نذكر به في الزمان فقال جرير هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها أن تكون سبباً لمـا أردتم فقالوا نعم الرأي وانطلقوا فطرقوا الباب فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل

سرت الهموم فبتن غير نيام وأخـــوا الهموم يروم كل مرام
درست معالمهـــا الرواسم بعدنا وسجال كل مجلجل سجـــام
ذم المنازل بعـــد منزلة اللوى والعيش بعد أولئـــك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حـين الزيارة فـارجعي بسلام
يجري السواك على أغر كأنـــه برد تحدر من متون غمام
لو كنت صادقة بما حدثتنا لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير أنا قلته قـــالت فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم لاستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها ما أنت بـكلف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت اليك هول الليل هلا قلت

طرقتك صائدة القلوب فمرحباً نفسي فداؤك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها في سفرك ثم انصرفت الِى مولاتها وقد افحمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت ايكم القائل

الا حبذا البيت الذي انا هاجره فـــلا أنا ناسيه ولا انا ذاكره

فبورك من بيت وطال نعيمــه ولا زال مغشياً وخلد عــامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائماً واسعد ربي جد من هو حــاذره
به كل موشيّ الذراعــين يرتمي أصول الخزامى مــا ينفر طائره
هما دلياني من ثمانــين قامــة كما أنقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي يرجى أم قتيل نحــاذره
فاصبحت في أهلي وأصبح قصرها مغلقة أبوابــه ودساكره

قال أبي يعني الفرزدق أنا قلته فقالت وما وفقت ولا أصبت أما ايست بتعريضك من عودة صدق محمودة خذ هذه الستمائه درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

فلولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب أنا قلته فقالت أغزلت وأحسنت ولا كرمت لأنك صبوت الى الصغار وتركت الناهضات باحمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل

وأعجبني يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا ومدك أسباب الهوى حين يطمع
وانك لا تدري غريماً مطلته أيشتد ان لاقاك أو يتضرع
وانك ان واصلت أعلمت بالذي لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع

قال كثير أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت الى مولاتها ثم خرجت فقالت أيكم القائل

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة وأيّ جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامي وأفضل مشهدي إذا هيج بي يوماً وهن قعود

فقال جميل أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت أدخل فلما

دخلت سلمت فقالت سكينة أنت الذي جعلت قتيلنا شهيداً وحديثنا بشاشة وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك الى قبيح خذ هذه الاف درهم وابسط لنا العذر أنت أشعرهم وهذه الحكاية هي التي سبقت الاشارة اليها في فصل الخيال من الباب الخامس

واجتمع كثير وجميل وعمر بن أبي ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدوني أرق بيت قلتم فانشد جميل

حلفت يميناً يا بثينة صادقـــا فان كنت فيها كاذبـــاً فعميت
فلو ان جلداً غير جـلدك مسني وباشرني دون الشعـــار شريت
ولو ان راقى الموت يرقي جنازتي بمنطقها في الناطقين حييت

(وانشد كثير)

بأبي وأمي أنت من مظلومة طبن العدوّ لها فغير حالها
لو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الى بصرم عزة نسوة جعل المليك خدودهن نقالها

(وأنشد أبن أبي ربيعة)

الا ليت قبري يوم تقضي منيتي بتلك التي من بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله وليت حنوطي من مشائك والدم
الا ليت أم الفضل كانت قرينتي هنا او هنا في جنة أو جهنم

فقال أعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم * وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت

لا يقبل الله من معشوقة عملاً يوماً وعاشقها غضبان مهجور
وليس ياجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها في ذاك مأجور

فقال لها افي هذا المكان يقال هذا قالت ألست ظريفاً قال بلى قالت هل تروي الشعر قال نعم قالت أما سمعت قولهم

بيض غرائر ما همهن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الاسلام

واستحضر الرشيد الرقاشي ومصعبا وأبا نواس فقال أجيزوا * كلام الليل يمحوه النهار * البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها فسألها الوصل فوعدته الي وقت فلما جاء أنشدته المصراع المذكور فقال الرقاشي ومصعب أبياتاً لم تناسب المقام وأنشد أبو نواس

وليلة أقبلت في القصر سكرى ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبيها من التخميش وانحل الازار
وهز الريح أردافاً ثقالا وغصناً فيه رمان صغار
فقلت الوعد سيدتي فقالت كلام الليل يمحوه النهار

فقال له كأنك كنت حاضراً معنا وأمر له بعشرة آلاف درهم ولكل من الآخرين بخمسة * وأرق الرشيد ليلة فقام يمشي في المقاصير فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فأيقظها فقالت وقد علمت به (يا أمين الله ما هذا الخبر) فقال

هو ضيف طارق حكم يرتجي المأوى الى وقت السحر

(فقالت)

بسرور سيدي اخدمه ان رضي بي وبسمعي والبصر

فلما اصبح أحضر أبا نواس وقال له اجز (يا امين الله ما هذا الخبر) فأنشد

طال ليلي حين وافاني السهر فتفكرت فاحسنت الفكر
قمت أمشي في مكاني ساعة ثم أخرى في مقاصير الحجر
واذا وجه جميل حسن زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موقظاً فرنت نحوي ومدت لي البصر

وأشارت وهي لي قائلة يا أمين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق حكيم يرتجي المأوى الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدي أخدم الضيف بسمعي والبصر

فقال له أكنت معنا قال لا ولكن ألجاني الشعر إلى ذلك فاحسن صلته

* *

(فصل في النوادر والحكم)

* نادرة *

قال أسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست انتظر انتباهه والعود في يدي وإذا بشاب على أجمل ما يكون من الهيآت قد دخل علي فأصلح العود بعد ما شرب وأنشد

ألا غنيا لي قبل ان نتفرقا　　وهات اسقني صرفا شرابا مروقا
فقد كادضوء الصبح ان يفضح الدجى　　وكاد قميص الليل ان يتمزقا

ثم قال هكذا غن الخلفاء وغاب وقد ذهب عقلي من حسن غنائه فلما أفاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته الصوت فأحسن صلتي وقال ليته متعنا بغنائه ولم يرنا شخصة قال أسحق فذكرت بهذه ما حكاه لي أبي انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع أهله فوهبه السبت لأنه كان يستثقله فخلا ابراهيم يوماً وقد زين بيته وحرمه واتقن طعاما وشرابا وأوصى بحفظ الأبواب خوفاً من أحد يدخل فبينما هو جالس على أحسن ما يكون اذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب ناعمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس قال ابراهيم فكدت أقضي فروضت نفسي فذاكرني الأدب وأيام العرب حتى ظننت أن غلماني حيوني به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعدما أبى من الطعام وأخذ شيئاً من الشراب هل لك أن تغني شيئاً مما الفت به فتشجمت المشقة وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فزاد غضبي ثم استأذنني في الغناء فأذنت له

متعجباً من تجرية بحضرتي فأصلح العود وأنشد

ولي كبد مقروحـة من يبيعني بها عبداً ليست بذات قروح
أباها على الناس أن يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذي في جوانحي أنين غصيص بالشراب جريح

(ثم غير الصوت وغنى)

الا يا حمامات اللوى عدن عودة فاني الى أصواتكن حـــزين
فعدن فلما عدن كدت يمتنني وكدت باسراري لهـن أبـين
دعون بترداد الهـدير كأنما شربن حميـــا أو بهن جنون
فـلم ترعيني مثلهن حمائمـــا بكين ولم تدمـع لهن عيـون

فوالله ما سمعت بأحسن منه ولقد خلت ان العود والجدار ينطلقان معه ثم غاب فخرجت مغضباً وسألت عن الشيخ فقالوا نعيذك بالله لم يدخل أحد فرجعت واذا بهاتف من جانب البيت يقول لا بأس عليك ما كان ضيفك إلا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة وأخبرتـــه ان الشيخ اخبرني اني أحكمت الغناء وغنيته كما سمعت فأحسن صلتي (وحكي) عنه في الأصل ايضاً وفي غيره عن ولده اسحق قال أصبحت في يوم مطير ايقنت فيه ان لا يأتيني أحد فصنعت لنفسي ما شئت من طعام وشراب وجلست في سرور حتى ولي النهار فذكرت جارية أهواها فقلت لو كانت عندي لكمـــل سروري فما أكملت القول حتى جاءني غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم أملك نفسي فاذا بغرس التمني قد أثمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها وألبستها بدلة تليق بها وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدي وقلت ما الذي جاء بك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني انك تشكو الحرقـة فكرهت ان أقول ما أرسلت أحدا فجلست وأخذت العود فغنيت

توسدها كفي وبت ضجيعها وقلت لليلي طل فقد رقد الفجر
بوجه إذا ما عاب عني حكاه لي وان لم يكن في حسن صورته البدر

فلما أضاء الصبح فرق بيننا وأي نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك إلي فأنكرت إذ لم أعرفه وعجبت من دخوله لأن المفاتيح عندي هكذا في الأصل وفي غيره ان الجارية حين استقر بها الجلوس قالت أريد من يغني قال اسحق أنا قالت لا أنت ولا أنا ولكن اخرج فالتمس لنا أحداً فخرجت لنا طاعة لها فاذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول لاجزي الله من كنت عندهم خيراً ان غنيت لم يسمعوني وان سكتّ استخفوا بي فقلت له هل تكون عندنا ليلتك فقال خذ بيدي ان شئت . فلما دخلنا وجلس قال لي غنّ فحين غنيت قال قاربت ان تكون مغنياً فكدت ان اموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ما جئت بشيء . فقالت هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عوداً جديداً فأصلحه وكانت الجارية حين طرق الباب قالت:

أيدخل محبوب على الباب واقف

فأنشد الشيخ

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف حبيب بأوقات الزيارة عارف
وما راعني إلا السلام وقولها أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكلمة فلم أزل أترضاها وأحلف اني لم أقل واتقرب اليها بالتقبيل ودعدعة الثديين حتى ضحكت

فغنى الشيخ

ألا ربما زرت الملاح وطالما لمسكت بكفي البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم أزل أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها أنا أعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وأبطأ فطلبناه فلم نجده فعلمت أنه أبو مرة فتمثلت بقول أبي نواس

عجبت من إبليس في كبره　　　وخبث ما أظهر من نيته
أبى على آدم في سجدة　　　وصار قوّاداً لذريتـــه

قال بعض الأدباء

كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على إبليس فكثرت فيه الأقـوال من الشعراء

×××

* لطيفة ووصية *

قال بعض الحكماء لولده ونقله في الأحياء لا تتزوج حنانة يعني الى ولدها الذي من الزوج السابق ولا منانة يعني ذات المال التي تعطي الزوج شيئاً ثم تمن به عليه ولا أنانة يعني زوجها الأول وعليها نقل في تحفة العروس ان الغدور بنت قيس بن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيـــط بن زراره لم تزل تظهر الأسف على لقيط فحنق عمرو وقال لها : ويلك انه لم يجيء من بعض عبيدي فصفى لي بعضما رأيت من حسنه قالت تطيب يوماً وجلس يتناول الشراب ولم يوقظني شفقة حتى انتبهت فأركبني وخرج الى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها أسدان فشدّ حتى قتل واحداً ورجـــع إليّ فضمني ضمة وددت لو مت فيها ففعل عمرو ذلك وضمها . قال أين أنا من لقيـــط . فقالت ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وهو مثل سبق تقريره

وعن بعضهم كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب وإلا احتقرتك ولتكن هي فوقك بالصبر والجمال والآداب والا احتقرتها

عجيبة

قيل أعظم الولائم الإسلامية اثنتان إحداهـــا وليمة زفاف الرشيد على زبيدة كانت الهبات فيها غير محصورة حتى أنهم كانوا يهبـــون أواني الذهب مملوءة بالفضة وأواني الفضة مملوءة بالدنانير ونوافج المسك وقطع العنبر وجليت في درع من الدر لم يقدر أحد على تقويمه وضبط ما خرج فكان خمساً وخمسين ألف الف وثانيتها وليمة بوران على المأمون فرش فيها حصير منسوج بالذهب

ونثر عليها من اللالي ما أغنى خلقاً كثيراً قال شارح المقامات تقرر ما خرج من بيت المال فكان أربعين الف الف وقال غيره عن زبيدة سبعة وثلاثين وأوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلاً وكتب رقاعاً باسماء ضيع ورساتيق وصلات وجعلها في بنادق المسك في النثار فكان الذي يلتقط شيئاً منها يحبس عليه وقيل كان الحطب الذي أوقد فيها قد نقل بأربعة آلاف بغل اربعة أشهر فلم يكف حتى أوقد المكان .

فائدة

في الحديث الشريف عن النبي ﷺ ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعرف اسمه وان يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته وان يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه وبهذا وافقت الحكمة السنة فإن أبقراط يقول أكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة ويكره الجماع في المحاق وأول الشهر ما عدا رمضان قيل وليلة النصف

* *

* لطيفة ووصية *

قال بعض الحكماء خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير واكثرت التزين ولم تظهره لسوى زوجها وخير الرجال الذي لم يكل المرأة الى طلب شيء ولم يعصها في الخلوة ولم يطعها في شهوة قال بعض من شرح هذا الكلام المراد بعفت يعني حصنت الزوج من حسنها ان يطمح الى غيرها وكفت لسانها عن الأذى وبالتزين مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفىء للغضب فإن غاية النساء السكون اليهن من الوصب وبقوله لم يطعها في الشهوة يعني المفضية الى تبذلها كالخروج ورفع الصوت لا فيما تشتهيه من مأكل وملبس فإن قطع ذلك عنها إعانة لها على الفساد وزاد بعضهم ان لا يذكر الرجل محاسن المرأة لإحد فان ذلك يؤول الى نزعها منه وعليّ ذكر التحبب ولو بالكلام نقل ابن الجوزي عن بعضهم . قال قلت لجاريتي ألا تلبسين الحلى قالت لا لأنه يستر المحاسن كما يستر القبائح وقلت لها اجلسي بنا في القمر فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس يوماً فقالت : ما كسفت الاحياء مني

لطيفة

اللذات أربع لذة ساعة وهي الجماع ، ولذة يوم وهي الحمام ، ولذة جمعة وهي النورة ، ولذة حول وهي تزويج البكر .

نادرة

جاءت امرأة الى عمر فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار

ويقوم الليل وكررت ذلك وعمر يقول كل مرة جزاكِ الله خيراً من مثنية على بعلها فقال كعب انها يا أمير المؤمنين تطلبه بحق الفراش فقال : حيث فهمت ذلك فاقض بينهما فأحضر الزوج وقال : ان امرأتك تشكو فقال لم أقصر في شيء فأنشدت

يا أيها القاضى الحكيم رشده	ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله ما يريـــده	فلست في حكم النساء أحمده
زهـــده في مضجعي تعبده	فاقض القضايا كعب لا تردده

فقال زوجها

زهدني في فرشها وفي الحجل	اني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول	وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب

ان لها حقاً عليك يا رجل	تصيبها في أربع لمن عقـل
قضية من ربنـــا عز وجلّ	فأعطها ذاك ودع عنك العلل
فإن خير القاضيين من عدل	وقد قضى بالحق جهراً وفصل

ثم قال له الله قد أحل لك أربع نساء فاجعل لها ليـلة من أربـع . فقال عمر رضي الله عنه لا أدري من حلمك أم من فهمك وولاه البصرة .

وصية

قيل كانت العرب توصي بناتها بما يوجب الألفة فتقول للواحدة كوني له أرضاً يكن لك سماء وكوني مهاداً يكن عماداً وأمة يكن عبداً وفراشا يكن معاشاً ولا تقربي فيملك ولا تبعدي فينساك ولا تعاصيه شهوتـــه وعليك بالنظافة ولا يرى منك إلا حسناً ولا يشم إلا طيباً ولا يسمع إلا ما يرضى

ولا تفشي سره فتسقطي من عينه ولا تفرحي إذا غضب ولا تغضبي اذا فرح.

لطيفة

قال أبو العلاء أغزل بيت قول الأعشى

غراء فرعاء مصقول عوارضها   تمشي الهوينا كما يمشي الونى الرجل

وأشجع بيت قوله

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا   أو تنزلون فأنا معشر نزل

(أخرى)

قيل تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت اليه دخلت القهرمانة لتصلح من شأنها فلطمتها وأسالت دمها فقالت له: أترسلني الى مجنونة فدخل عليها فقال: لأي شيء فعلت بالمرأة ما فعلت. قالت أحببت ان لا ينظرني غيرك فان رأيت حسناً كنت أول من نشره أو قبيحاً كنت أول من ستره فعظمت عنده .

نادرة

قيل جلس المنصور في قصره وقت ظهيرة فأشرف على رجل يتردد في الطريق وعليه إمارة الكرب فأحضره وسأله عن حاله فقال يا أمير المؤمنين أنا تاجر أملك الف دينار وقد أحضرتها بالأمس الى زوجتي وطلبتها اليوم فلم تجدها فقال هل تعلم على امرأتك شيئاً قال لا فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يُصنع له بالخصوص فدفعها الى الرجل وقال له اجعلها عند

زوجتك واعلمها اني حبوتك بها وعاودني ففعل وأمـــر المنصور حراس الأبواب أن يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب فما كان بأقرب من ان جاؤوه بشخص فهدده وقال لئن لم تأتني بالألف دينـــار التي أخذتها من موضع كذا لاضربن عنقك فجاء بها وأحضر الخليفة التاجر وقـــال له: هذا مالك قال نعم وقبل الأرض فدفعه له وحكمه في زوجته



(فصل في المجون)

قيل حضرت سوق عكاظ امرأة بنحبين اعني ظرفين من عسل فاتاهـا خوات بن جبير وكان فاتكاً في الجاهلية فحل أحدهما وذاقه واعاده فمسكته بإحدى يديها وفعل بالآخر كذلك ثم أمسك رجليها وقضى وطره فحين فرغ قالت لأهنئت قال بل هنئت وأنشد .

وشدت على النحيين كفى ضنينة   واعجلتها والفتك من فعـلاتي

وبها ضرب المثل فقالوا اشغل من ذات النحيين واظلم من خوّات (قـال الاصمعي) بينا نحن بطريق مكـة إذا باعرابي يقول من أحس من بعير بعنقه علاط وبانفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهد العاهد به عند البئر فقالت جويرية على حوض اعزب يا فاسق لا ارد الله عليك ضالتك فقلنا مالك ولمن ينشد ضالته قالت إنما ينشد ... قوله علاط بالمهملة حبل يجعل في عنق البعير وسمراوان يريد اللون المعروف ويحتمل انه تثنية سمراء يعني الناقة * وجيء لأبن أبي مساحق بابن اخته وقد احبل جارية فقال له هبك ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت فقال جعلت فداءك بلغني ان العزل مكروه فقال وما بلغك أن لزنا حرام * وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنـده للفساد فشكوه فنفاه الوالي الى عرفات فقال لأصحابه يوماً ما يمنعكم ان تأتوا إليّ على العادة فقالوا كيف لنا بذلك فقال حمار بدرهمين وقد صرتم الى الأمن والنزهة فقالوا صدقت وفعلوا فعاد امره أعظم فرفعوه الى الوالي فقال ألم انهك فقال اصلحك الله انهم يكذبون عليّ فقالوا للوالي اجمع حمير مكة وأرسلها فان لم تأت بيته فنحن كاذبون عليه ففعل فمضوا الى بيته فجرده ليضر به فقـال أو ضار بي

أنت قال نعم فقال أفعل فوالله ما بي الا قول أهل العراق ان أهل مكـــة يحكمون بشهادة الحمير فضحك وخلى سبيله (وفي منازل الأحباب) قال غلام جئت حياً قد أزمعوا الرحيل وأمرأة علىأحسن ما يكون من الحسن والهيئة والثياب قد تخلفت تهيء أمرها فما جئتها يسيراً فقالت أيما أحسن عارياً الرجل أم المرأة فقلت الرجل قالت بل المرأة وان شئت علمت ذلـــك بان التجرد وامشي الى تلك الأكمة وأعود وتعاهدني ان تفعل كذلك فعاهدتها وكنت حين بقل وجهي وأنا على أجمل ما يكون فتجردت عن محـاسن تسر القلب وتملأ العين وتمشت كما ذكرت وعادت وسألتني الوفاء ففعلت فلم أمش المسافة حتى تدرعت ثيابي واعتقلت سيفي واستوت على جملي ومضت فلم أجد حيلة إلا أخذ ثيابها وجملها كذلك فكنت استحي ان الحق القوم وهم يصرخون عليّ حتى جاءت جارية فجذبت زمام البعير حتى أوصلتني اليهم فجاءت أمها فقالت أي بنية كم اتعبتنافي هذه الليلة وأدخلتني الستر فلما عرفوني واستخبروني عن القصة اخبرتهم بها فقالت لي أمها انها ذهبت الى صاحب لها وهذا وقت زفافها على رجل به لوثة تعني خبالا في عقله فهل لك أن تكون مكانها ساعة ولك عندي اليد البيضاء فأجبت الى ذلك فحين دخلت عليه ما نعته ساعة وأتت المرأة فخرجت * اشترى بعضهم عجلاً فكان كلما ركبه يصرعه وهو يحسبه مهراً حتى نجمت قرناه* وفي الحلية عن الشافعي قال قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة بم توصي للمساكين قال بالمسئلة قيل في مالك قال للذكور دون الاناث فقالوا ما قال الله هذا فقال لكني أقوله ثم احملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم * وتزوج رجل اسمه حمار بامرأة من ولد دارا فاعجب بها فأمرته بتغيير اسمه فسمى نفسه بغلاً فقالت هو خير لكنك لم تخرج من الأصطبل بعد وأتى كفيف نخاساً فقال له أطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ولا الكبير المشتهر ان خلي الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السواري ولا يدخلني تحت البواري أن أقللت علفه صبر وان أكثرته شكر وان ركبته هام وان ركبه غيري نام فقال له النخاس اصبر فان مسخ الله القاضي حماراً قضيت حاجتك × وشدد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في

النهي عن المعاصي كشرب الخمر فقال لصاحبي عسسه وخبره إذا رأيتما سكران فأتياني به فطافا الى آخر الليل فإذا هما بشيخ حسن الهيئه بهي المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول

سقوني وقالوا الا تغني ولو سقوا جبـــال حنين ما سقوني لغنت

فقالا له أما تستحي وأنت بهذه الحالة فقال ارفقا بي فقد شربت مـــع أخوان احداث فحين أخذ الشراب مني أخرجوني فقال لصاحب الخـبر اكتم عليّ وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له أذهب يا شيخ ولا تعد قـال نعم وأنا تائب فلما كان في الليلة الآتية رأياه كما ذكر وهو يغني

إنما هيــج البـــلى حين عض السفرجـــلا
فرماني وقـــال لي كـــن بعيني مبتـــلى
ولقد قام لحظـــه لي على القلب بالقـــلى

فقال له أين التوبة فقال ان أخواني الذين ذكرتهم لكما البارحـة عدوا عليّ وحلفوا ان لا يخرجوني إذا عمل بي الشراب فغلب عليّ وعليهم فخرجت فاطلقاه فلما كان الثالثة رأياه على تلك الحالة وهو يغني

أرض عني فطالمـــا قد سخطت أنت ما زلت جافياً مذ عرفت
أنت ما زلت قاطعاً لا وصولاً بل بهذا فدتـــك نفسي ألفت
ما كذا تفعل الكرام بنوالنــــا س باحبابهم فـــلم كنت أنت

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال أخطأتما قالا ولم ذلك قال رسول الله ﷺ من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الثالثـة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان شربها الرابعـة لم تقبل صلاة أربعين ليلة فان تاب لم يتب الله عليه وكان حقاً على الله ان يسقيـه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعـة رأياه على الحكم وهو ينشد

قد كنت أبكي وما حنت لهم أبل | فما أقول إذا ما حمـــل الثقل
كأنني بك نضو الأحراك بـــه | تدعي وأنت عن الداعين مشتغل
فقلوبك بايديهم هناك وقـــد | سارت باحمالك المهربة الذلـــل
حتى إذا استيأسوا من ان تجيبهم | عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

فقال له لم يبق عفو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه الى عمر فاستنكهه فوجد الرائحة فحبسه حتى أفاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قـــد ظلمتني يا أمير المؤمنين لأني عبد وقد جلدتني حد الأحرار فقال أخطأت إذ لم تعرفني وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا أمير المؤمنين واجعل الأربعين سلفاً عندك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قـــال لصاحب العسس إذا رأيت مثل هذا فارفعه اليّ واجتمع قوم عند بصيص جارية ابن نفيس وكانت اعجوبة وقتها في الحسن والغناء يتمنى كل أحد رؤيتها ولو بذهـــاب نفسه فتذاكروا بخل مزيد فقالت أنا آخذ منه درهماً فقال مولاها ان فعلت جعلتك حرة وكسوتك ثوب وشي وأولمت لك يوماً بالعقيق فقالت أرفع الغيرة فقال ولو رفع رجليك لم أقل شيأ فخرج ابن مصعب فرآه في مسجـد المدينة فقال له يا أبا أسحق أما تحب أن ترى بصيص جارية ابن نفيس فقال امرأته طالق ان لم يكن الله ساخطاً عليّ فيها وان لم أكن اسأله ان يرينيها منـذ سنة فما يفعل فقلت له اليوم إذا صليت العصر فوافني ههنا قالت امرأته ان برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر قال فتصرفت في حوائجي حتى كان العصر فدخلت المسجد فوجدته فيه فأخذت بيده وأتيتهم به فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتنـــاوموا فاقبلت بصيص على مزيـد فقالت يا أبا اسحق كأن نفسك تشتهي ان اغنيك الساعة

لقد حثوا الجمال ليهربوا منا فلم يئلوا

فقال امرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ قال فغنته ثم سكتت ساعة وقالت يا أبا اسحق كـأن نفسك تشتهي ان تقوم فتجلس الى جانبي وتقرصني قرصات واغنيك .

قالت وأبثثتها وجدى فبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما ألقي على بصري

فقال أمرأته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وبأي أرض تموت ففنته ثم قال برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني شوق البين واغنيك هزجاً

أنا ابصرت بالليـــل غلامـــاً حسن الدل
كغصن البان قـد أصبح مسقياً من الطل

فقال أنت نبية مرسلة فقبلها وغنته ثم قالت يا أبا اسحق ارأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجونني إليك ولا يشترون ريحاناً بدرهم يا أبا اسحق هلم واعطني درهماً اشتر به ريحاناً فوثب وصاح واحرباه أي زانية اخطأت استك الخفرة انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي اليك وعطعط القوم وعلموا ان حيلتها لم تنفذ فيه ثم خرج ولم يعد إليهم وأعاد القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم فيه حديث مزيد والضحك منه (وحكى) أبو يعقوب قـال حضرت مجلس حماد عجرد ومعنا غلام جميل فجعل يرمقه حتى حزر المكان الذي ينام فيه فلما هجع الناس وقد اختلف النوام فكنت موضع الغلام قام حماد فدب عليّ فأخذت يده وجعلتها على عيني العوراء فلما عرف ولى وهو يقول وفديناه بذبح عظيم * وروي أن نصرانياً وجد مع مسلمة آخر يوم صومه فأكره علي الاسلام فأسلم وضرب مائة سوط وأخذ منه مائة دينار وكان أول يوم من رمضان فصام مع الناس فقيل له بعد أيام كيف حالك فقال كيف حـال من صام خمسين وأتبعها بثلاثين وضرب مائة ووزن مائة وخرج من ملة الى أخرى وزوج فاجرة * وسأل رجل عالماً فقال أفطرت يوماً من رمضان سهواً قال صم عوضه قال صمت عوضه وأتيت أهلي وعندهم طعام فسبقتني يدي إليـه فأكلت منه قال تقضي يوماً آخر قال قضيته وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فأكلت ساهياً فما ترى قال أرى أن لا تصوم إلا ويـدك مغلولة الى عنقك * ودخل رجل على الشعبي وعنده أمرأة فقال أيكما الشعبي فقال هذه * واشترى

جحا يوماً دقيقا وأعطاه لحمال فلما دخلوا في الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه جحا بعد أيام فتوارى منه فقيل له لم ذلك فقال أخاف أن يطالبني بالأجرة * وقدم الى أبي حازم القاضي سكران ليمتحنه فقال له من ربك فقال اصلحك الله ليس هذا من مسائل القضاة إنما هو من مسائل منكر ونكير فضحك وخلى سبيله * وولى رجل تفرقة مال على العميان والأيتام والقواعد من النساء فدخل عليه رجل ومعه ولده فقال أثبتني في القواعد فقال ويلك انهن نساء لا ازواج لهن وأنت رجل فقال أثبتني في العميان قال صدقت فإن الله تعالى يقول فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال وأثبت ولدي أيضاً في الأيتام فقال أفعل ذلك لأن من أنت أبوه فهو يتيم * دخل جحا على المهدي يوماً فقال له كم عيالك قال ثمانية فأمر له بثمانية آلاف درهم فأخذها وخرج فلما بلغ الباب رجع وقال نسيت واحداً من عيالي قال من هو قال أنا فضحك المهدي وأمر له بمثل ذلك * مر يهودي في سوق وكان كاتباً فصاح به صبي يا عم قف حتى أصفعك فالتفت إليه وقال أنا مستعجل أصفع أخي عني وقال بعض السوقة هذه النعل في قفاك فقال له إذا كان في رجل اختك ومثل ذلك رجل قال لامرأة في يدها خف ليته على كتفي فقالت بشرط ان يكون فارغاً * وقال رجل لآخر اني أعرف صناعة الفضة وأريد أن اعلمك ولكن أحتاج الى ألف درهم للالآت فأعطاه فمضى ولم يعد فقيل له قد خدعك وكذب عليك قال لا لأنه علمني كيف صناعة الفضة أي أخذها وكيفية الحيلة فان شئت أن أفعل مثله فعلت

فصل في ذكر نبذة من لطائف
الاشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب

وفي غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتقاء المستلطف

(بعض الاعراب)

الا يا حمام الشعب شعب مؤنش سقيت الغوادي من حمام ومن شعب
سقيت الغوادي رب خود خريدة اصاخت لخفض من غنائك او نصب
فان يرتحل صحبي بجثمان اعظمي يقم قلبي المحزون في منزل الركب

(ابن المرزبان)

لئن كنت لا أشكو هواك فانني أخو زفرات والفؤاد كئيب
فان كان قلبي فيك يضني صبابة وقد مرضت من مقلتيك قلوب
فما عجبت موت المحبين في الهوى ولكن بقاء العاشقين عجيب

(ابو عكرمة الضبي)

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو انني استغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب علي ذنوب
ولو أن أنفاسي أصابت بحرها حديداً إذا ظل الحديد يذوب

(صاحب الأصل)

وروض أتيناه عشية أقبلت ملاح البرايا من غضيض وغضة

حكى لونه والبيض محدقة به زمردة خضراء في وسط فضه

(محمد بن وهيب)

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ تعلقني الهوى فاشربها ألا ودمعي مزاجهـا

(صاحب الأصل)

اخا الكاسات اني في انتظام وبنت الكرم واسطة العقـود
وقد رمنا تزوجها ابن مزن فهل لك ان تكون من الشهود

(وله ايضاً)

ولما رأيت البدر ألقى شعاعه على نيل مصر والسفين بنا تجري
تخيلته نسراً يسير بسـيرنا من الفضة البيضاء في لجة البحر

(وله ايضاً)

ولما رأيت الشمس عند طلوعها ونحن بوسط البحرفي النيل من مصر
تخيلت هاتيك القلوع وسفنها قصور نضار والقصور بنا تجري

(ولبعضهم)

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق كلاماً تكلمنا بأعيننـا شذرا
نصد اذا ما كاشح مال طرفه الينا ونبدي ظاهراً بيننا هجرا
فان غفلوا عنـا رأيت خـدودنا تصافح أو ثغر أقر عنابه ثغرا
ولو قذفت أجسادنا ما تضمنت من الضر والبلوى اذاقذفت جمرا

(صاحب أصل الأصل)

لحي الله يوم البين كم مات عاشق أرى قومه لا يطلبون بثـاره
وعاذلة أضحت تلوم على الهوى أخا لوعة لم يستفق من خمـاره
وأغيد في جيش من الحسن يفتدى لماه وعينـاه وخط عذاره

حكى الظبي ظبي الرمل جيدا ومقلة   فيا ليته لم يحكه في نفـــاره

(أبو العلاء الرقي)

أحبك يا سلمى على غير ريبـــه   ولا بأس في حب تعف سرائره
فقد مات قلبي أول الحب فانقضى   فإن مت أمسى الحب قدمات آخره

(عبد الرحمن العقيلي)

هذي الخدود وهذه الحدق   فليدن من بفـــؤاده يثق
لو أنهم عشقوا لما عذلوا   لكنهم عذلوا ومـــا عشقوا
عنفوا عليّ بلومهم سفها   لو جرعوا كاس الهوى رفقوا
ليس الفؤاد معي فأعلم ما   قد نال منه الشوق والقلق
ما الحب إلا مسلك خطر   عسر النجاة وموطىء زلق

(احمد بن يحيى)

اذا أنت رافقت الرجال فكن فتى   كأنك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا   على الكبد الحرّ لكل صديق

(صاحب أصل الأصل)

إذا كنت من أمر الهوى غير منفك   فدع جسدي يضني ودع مقلتي تبكي
إلا قاتل الله الرقيب وموقفا   بكينا به والبين يفتر بالضحك
وغرّب غربان النوى حين بشرت   نعيبا من البين المفرق بالوشك
فيا ويح ذى العشاق أمست دماؤهم   تطل غراما وهي هينة السفك

(وقال بعضهم)

وما الحب إلا شعلة قدحت بها   عيون المها باللحظ بين الجوانح
ونار الهوى تخفي وفي القلب فعلها   كفعل الذي جادت به كف قادح

(وقال آخر)

يقول أناس لو نعت لنا الهوى ووالله ما أذري لهم كيف انعت
فليس لشيء منه حد أحده وليس لشيء منه وقت مؤقت

(وقال آخر)

لي في محبته شهود اربع وشهـود كل قضيـة اثنان
خفقان قلبي وارتعاد مفاصلي وصفار لوني واعتقال لساني

(وقال آخر)

فسألتها بإشارة عن حالها وعلى فيهـا للوشـاة عيـون
فتنفست صعداً وقالت ما الهوى إلا الهوان أزيل عنه لنون

(ذو النون المصري)

شوق أضرّ بمهجة المشتاق أجرى سوابق عبرة الاماق
لعبت يد العبرات في وجناته وكذا به لعبت يد الاشفاق

وانشد ابن دريد وقد أورده في البـاب الثاني في قصة رملة مستشداً به على الفرقة

أقول لو رقاوين في فرع أيكة وقد طفل الا مساء أوجنح العصر
وقد بسطت هذي لتلك جناحها ومر على هاتيك من هذه النحر
لينهكما أن لم تراعا بفرقة ولادب في تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلي قطع الهجر قلبـه على انه يحكي قسـاوته الصخـر

(وقال آخر)

قالت ومدت يداً نحوي تودعني وروعـة البين تأبى ان امـد يداً
أميت أنت أم حي فقلت لها من لم يمت يوم بين لم يمت أبداً

(الشهاب محمود)

أأحبابنا هل لي اليكم وقد نأت بي الدار من بعد الديار رجوع
وهل شمس هذا الأنس بعد فراقنا يكون لها بعد المغيب طلوع
وهل لي ولا والله ماذاك ممكن فؤاد إذا حان الفراق يطيع
وقد كنت أدري والحياة شهية تروق بكم أن النوى سيروع

(العباس بن الأحنف)

يا بعيد الدار عن وطنه مفرداً يبكي على شجنه
كلما جد النحيب به زادت الأسقام في بدنه
ولقد زاد الفؤاد شجا هاتف يبكي على فننه
شاقه ما شاقني فبكى كلنا يبكي على سكنه

(وله ايضاً) :

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جري وفاضت له من مقلتيّ غروب
وما ذاك إلا حين أخبرت انه يمرّ بواد انت منه قريب
يكون اجاجاً دونكم فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب
أيا ساكني أكناف دجلة كلكم الى القلب من أجل الحبيب حبيب

(الشريف الرضي)

ومن حذري لا اسأل الركب عنهم وأعلاق وجدي باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب فلا بد ان يلقى بشيراً وناعياً

(وقال آخر)

أياظبية الوادي التي سفكت دمي بلحاظها بل يا مهاة الأجرع
لي أن أبث اليك ما ألقاه من ألم الجوى وعليك ان لا تسمعي

(أبو نواس)

يا نظرة ساقت الى ناظري أسباب ما يدعو الى حتفه

من حسن ظبي حسن دله   يقصر الواصف عن وصفه
في البدر من صفحته لمحة   ولمحـــة في الظبى من طرفه
مقاتل الأنفس من ثغـره   وفي ثنايـــاه وفي كفه

(سعد بن الدهان)

قل للبخيلة بالسلام تورعا   كيف استحبت دمي ولم تتورعي
هل تسمحين ببذل أيسر نائل   ان اشتكى بني اليك وتسمعي

(أبو الحسن السلامي)

ظبي إذا لاح في عشيرته   يطرق بالهم قلب من طرقه
سهام ألحاظه مفوّقـــة   فكل من رام وصله رشقه
بدائع الحسن فيه مفترقه   وأنفس العاشقين متفقه
قد كتب الحسن فوق عارضه   هذا مليح وحق من خلقه

(محمد بن موسى)

يا جفونا سواهراً اعدمتها   لذة النوم والرقاد جفون
ان لله في العبــاد سهاماً   سلطتها على القلوب العيون

(الحسين بن الضحاك)

ألا إنما الدنيا وصال حبيب   وأخذك من مشموله بنصيب
ولم أرفي الدنيا كخلوة عاشق   وبذلة معشوق ونوم رقيب

(وقال آخر)

ليس المحب الذي يخشى العقاب ولو   كانت عقوبته في الفة النار
بل ان المحب الذي لاشيء ينفعه   أو يستقر ومن يهواه في النار

(وقال آخر)

اراني منحت الحب من ليس يعرف فما أنصفتني في المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم أعرضت وفي اصبعيها أسمر اللون اهيف
اصم سميع ساكن متحرك ينال جسيمات العلا وهو أعجف
عجيب له اني ودهرك معجب يقوّم تحريف العباد محرف

(بشار بن برد)

وكاعب قالت لاترابها يا قوم ما أعجب هذا الضرير
هل يعشق الانسان ما لا يرى فقلت والدمـــع بعيني غزير
ان كان عيني لا ترى وجهها فانها قد صوّرت في الضمير

(ابن أبي الدنيا)

إذا المرء لم ينصف أخاه ولم يكن له غائباً يوماً كما هو شاهـــد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخـا كريماً على فضل الكريم يعاهد
وان غبت يوماً أو حضرت فوجهه على كل حال أينما كنت شاهد

(لطيفة وخاتمة)

تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والكت وغيرهما * وجـد على كليل برأس جارية

والله يا طرفي الجاني على كبدي لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
بالله تطمع أن أبكى اسي وجوى وأنت تلتذ طيب العيش والوسن

(وعلى عود)

يا أيها الزاعم الذي زعما أن الهوى ليس يورث السقما
لو أن ما بي بك الغداة لما مت محباً إذا اشتكى ألما

(وعلى ميل)

لو كان يدري مالك ما الذي ألقى من الأحزان والكرب
وما ألاقي من أليم الهوى عذب أهل النار بالحب

(وعلى كاس)

الحمد لله على ما قضى   قدكان ذا في القدر السابق
ماتحمل الأرض على ظهرها   اشقى ولا أوثق من عاشق
فبينا يمشي على مرمر   وبينما يسقط من شاهق

(وعلى اترجة)

يا لك اترجة مطيبة   توقد نار الهوى على كبدي
لو أن اترجة بكت لبكت   لرحمتي هذه التي بيدي

(وعلى تكة)

ان العيون التي في طرفها حور   قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به   وهن أضعف خلق الله انسانا

(وعلى خاتم)

قلبان في خاتم الهوى جمعا   فارغم الله أنف من قطعا

(وعلى آخر)

تمنيت القيامة ليس إلا   لألقي من هويت على الصراط

وعلى آخر الموت في الحب جميل ونقش ابن داود على خاتم سطرين أحدهما وما وجدنا لأكثرهم من عهد والثاني فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكان يرمي به الى من ينظر الى حدث وكان ابن سمنون يعارضه فيما يفعل فقال له يوماً اتعارض هذا قال نعم وجاء بعدقليل وقد نقش على خاتم سطرين أحدهما وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وعلى الثاني ولنصبرن على ما آذيتمونا ومما ينخرط في هذا السلك ما يكتب على الكتب قيل أن صاحب المصارع كتب على أول جزء منها

هـــذا كتاب مصارع العشاق   صرعتهم يوم النـــوى بفراق

تصنيف من لذع الفراق فـؤاده   وتطلب الراقي فعز الـــراقي
فإذا تصفحه اللبيب رثى لهـم   اسرى هوى أبسوا من الأطلاق

(وعلى الثاني)

مصارع العـــاشقين صرّعهم   هوى الظبـــاء الفواتر الحـــدق
تصنيف من صـــده تصوّنه   عن كشف ما في الفؤاد من حرق
فهو يسر الهوى ويكتمـــه   والقلب قد تـــاه منه في الطرق

(وعلى الثالث)

مصـــارع العشاق مجموعـــة   فيها لمن يقرؤهـــا عبره
جمع عفيف الحب يطوي الهوى   لو لم تكن تنشره العبره
غرامه ناء مقيم وان   أعدمه يوم النوي صبره

(وعلى الرابع)

كتاب مصارع أهل الهوى   ومن فتكت فيه أيدي النوى
تـكلف تصنيفه عاشق   عفيف الضمائر جم الجوى
أضل برمل اللوى قلبه   فهل ناشد قلبه باللوى

(وعلى الخامس)

مصارع قتلى من العاشقين   ما لدمائهم طالب
تـكلف جمع أحاديثهم   عفيف هوى وجده غالب
سقاه الهوى صرف صهبائه   فاصبح سكرانا الشارب

(وعلى السادس)

كتاب صرعى الهوى وقتلاه   ومن صحا منهم وسكراه
تصنيف من كاد أن يشاركهم   لكن وقاه بفضله الله
فضم مما منوا به طرفا   يعجب قاريه حين يقراه

(وعلى السابـع)

مصارع من جارت يد البين والنوى عليهم فاضحوا في ديارهم صرعي
دماؤهم مطلولة قد أباحها لاحبابهم شرع الهوى حبذا شرعا
تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة فجاءت سهام منه انفذت الدرعا

(وعلى الثامن)

كتاب مصارع قوم سقوا كؤس الهوى مترعات دهاقا
شكوا صرفها طالبين المزاج فشيبت على الرغم منهم فراقا
جمعنا أحاديث صرعاهم وسكراهم فيه لا من افاقا

(وعلى التاسع)

مصارع أبناء الهوى جمع عاشق تجرع من راح الهوى ما تجرعا
فلما رأى الفودين قد حل فيها المشيب منيخا والمفارق اقلعا
وأضحي مصيخا للنذير الذي علا مفارقه ينعي الشباب المودعا

(وعلى العاشر)

كتاب من دارت كؤس الهوى عليه صرفا ليس فيها مزاج
فصرّعتهم إذ حسوها فهم مرضى ينادون الأمن علاج
تصنيف من شاركهم في الهوى فليته مما لقي اليوم ناج

(وعلى الحادي عشر)

مصارع اللابسين قمص الهوى ضفت عليهم كل يجرجرها
تصنيف من ذاق من سلافته الصفو وما فاته مكدرها
يطوي أحاديث وجده ودموع العين في فيضهن تنشرها

(وعلى الثاني عشر)

كتاب تضمن أخبار من أطاع الهوى وعصى العذلا
فلما تمكن من قلبه أعاد حلاوته حنظلا
تكلف تصنيفه عاشق سلا العاشقون وما قد سلا

(وعلى الثالث عشر)

مصارع أقوام توالت عليهم كؤس هوى ممزوجة بفراق
فمالوا سكاري ما لهم من افاقة الى حين شمل جامع وتلاقي
فرق لهم مما لقوا عاشق أبت تجف له بعد الفراق أماقي

(وعلى الرابع عشر)

كتاب مصارع من جهزت بظلم اليه النوي جندها
جمعناه لما سقينا الهوى افاويق لم نستطع ردها
وسقنا أحاديث من جاوزت به فجمات النوي حدها

(وعلى الخامس عشر)

كتاب مصارع العشاق من عرب ومن عجم
ليعتبر الخلى بما لقوا شكراً على النعم
مصنفه عفيف هويِ مصون غير متهم

(وعلى السادس عشر)

مصارع ابناء الهوى كل عاشق رماه الهوى عن قوسه فاصابا
رثى لهم منخاف يلقى الذي لقو فالف فيما قد لقوة كتابا
وجمع من أخبارهم في هواهم أحاديث مثل الروض جيد سحابا

(وعلى السابع عشر)

كتاب تضمن أبوابه مصارع قتلى من العاشقين
سقاهم سلافته مازجاً هواهم فمالوا به خاضعين
غرام تلوم العيون القلو ب فيه وتلحي القلوب العيون

(وعلى الثامن عشر)

كتاب جمعنا به عانـــين مصارع من قتل الحب صبرا
إذا ما تصفحـــه سالم من الحب أخلص لله شكرا

جمعناه صاحين حتى اذا خبرناه ملنا من الحب سكرا

(وعلى التاسع عشر)

مصارع قتلى الهوى مثبت لعينيك ما كان من حالهم
تضمن من كل أعجوبة وكيف تفانوا بآجالهم
فلو ذقت ما ذاق أهل الهوى لكنت لحقت بامثالهم

(وعلى العشرين)

كتاب جمعت به كل ما تفرق من قصص العاشقين
وكنت ألومهم عاذلاً فصرت لهم أحد العاذرين
فكم عاشق ذاق يوم النوى وقد غرد الحاديان المنون

(وعلى الحادي والعشرين)

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم سلافته يسقونها صافياً صرفا
فمنهم عفيف ظل يكتم وجده فنم عليه ماء أجنانه وكفا
جمعت كتاباً في مصارعهم اذا تصفحه ذو اللب رق تالفا

(وعلى الثاني والعشرين)

قد صنف الناس حقاً في الهوى كتبا فيمن صحا بعد سكر منه أوعطبا
وأكثر وأغيراني قد جمعت لهم وما اختبرت كتاباً رائعاً عجبا
ذكرت فيه باسناد مصارعهم عجماً وجدتهم في الناس أو عربا

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع في استقصائها ولا قدرة على احصائها فلنختم الكلام الذي اقتطفناه من هذه الأزهار وارتضيناه ومن هذه الاثمار جنيناه مستغفرين الله مما جنيناه أذ هو أكرم كريم يقبل التائب والطف لطيف يؤب اليه الآيب قائلاً

كتبت وقد أيقنت أن جوارحي ستبلى ويبقى كل ما انا عامله
فان كان خيراً سوف أحمد غبه وإن كان شراً او بقتني غوائله

فاستغفر الله العظيم من الذي كتبت ومما قلت أو أنا قائله
فيا رب بالهادي النبي محمد نبي على كل الورى فاض نائله
وبالآل والأصحاب ترحم عاجزاً كليلا من الذنب الذي هو حامله
أتى تائباً من غفلة اللهو قائلاً (صحاالقلبعن سلمى وأقصر باطله)
ولم لاوجل العمرقد فات وانقضى (وعري افراس الصابور واحله)
تفضل عليه وارحم الآن ذله وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا اقصى ما أوردنا تحريره وانهى نهاية ما أردنا تسطيرة معتذرين عن التقصير بما أسلفنا في صدر الكتاب تقريره فليثق الناظر فيه بانا لم ندع من أصله شيأ يعتد به الا وقد أودعناه في مطاويه اللهم الا ان يأتي غبي يتكل على المباني دون المعاني ويؤثر التصريح في كل المواطن على التلويح ويقيس الأبواب الاصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطىء وما علم ولو سلكنا ذلك لتركنا الكتاب بحالة ولم يظهر تميز بين أفعالنا وأفعاله ولم يتيسر ان يكون كتابنا بالنسبة الى أصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه فالحمد لله على اتمامه والشكر له على جزيل انعامه وعلى خاصته من خلقه محمد وآله وأصحابه أفضل صلاته وسلامه * قال (مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامي له يوم الاربعاء خامس عشر شوال واياز الموافق العشرين بشنس وخامسة الجوزاء الشمس من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة هجرية نبوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية

فهرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرست الجزء الثاني

من

تـــزيين الاسواق

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
	٥٣٢



الناشيء

